



نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية إلى التطبيق



ناصر بن عبد الله بن غالي



نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية إلى التطبيق

ناصر بن عبد الله بن غالي



نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية إلى التطبيق

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

البريد الإلكتروني: nashr@ksaa.gov.sa

ح / مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، بن غالي،
ناصر بن عبدالله نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية
إلى التطبيق. / ناصر بن عبدالله بن غالي. - الرياض، ١٤٤٥ هـ

٤٧٦ ص. ٢٠٥ سم

ردمك: ٦ - ٤ - ٩١٩٧٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - اللغة العربية. ٢ - النحو. أ. العنوان

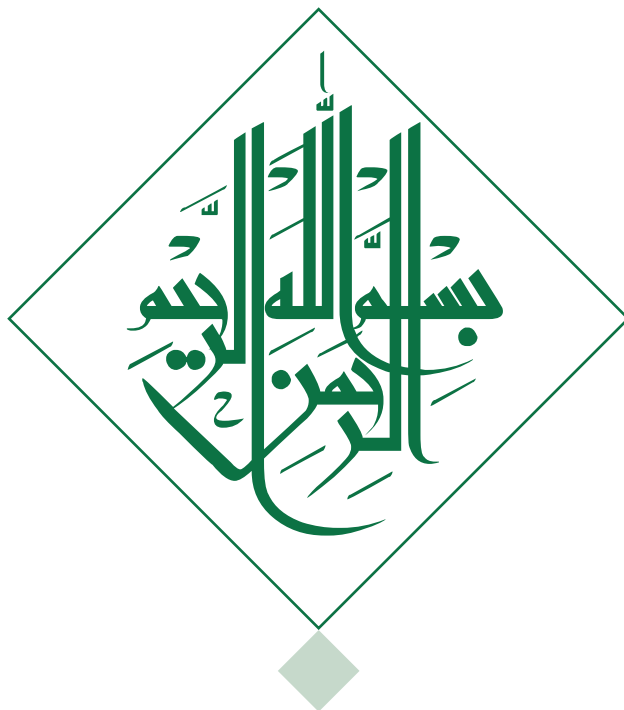
ديوي ٤١٠. ١٤٤٥ / ٣٦٤

رقم الإيداع: ١٤٤٥ / ٣٦٤

ردمك: ٦ - ٤ - ٩١٩٧٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أم يدوية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المجمع بذلك.

هذه الطبعة إهداء من المجمع ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً





محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المجمع	١١
مقدمة الكتاب	١٣
شكر وتقدير	٢٥
الفصل الأول	٢٧
الجهود اللغوية الاجتماعية عند الدارسين العرب	
تقديم	٢٩
الجهود العربية في معالجة الظواهر اللغوية العربية في إطارها الاجتماعي	٣٠
أولاً: التطور اللغوي ودراسة اللهجات	٣٠
ثانياً: اللهجات العربية القديمة	٣٥
ثالثاً: قضايا متخصصة تدخل في نطاق اللسانيات الاجتماعية	٣٧
رابعاً: الكتب والدراسات التي خصصت للتعريف باللسانيات الاجتماعية	٤٩
خاتمة الفصل	٥٦

الصفحة	الموضوع
٥٧	الفصل الثاني جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث
٥٩	تقديم
٦٠	جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث
٧٨	موقع اللسانيات الاجتماعية بين اللسانيات النظرية وعلم اجتماع اللغة
٨٤	خاتمة الفصل
٨٥	الفصل الثالث المسائل الرئيسة لللسانيات الاجتماعية
٨٧	تقديم
٨٧	منظور علم اللسانيات الاجتماعية
٩٣	اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية
٩٧	مجالات البحث الرئيسة في اللسانيات الاجتماعية
١٢٣	منهجية البحث في اللسانيات الاجتماعية
١٤٣	خاتمة الفصل
١٤٥	الفصل الرابع الأبعاد الاجتماعية للتنوعات اللغوية
١٤٧	تقديم
١٥٠	اللغة واللهجة
١٥٣	التنوعات اللغوية

الموضوع	الصفحة
التنوع اللغوي القياسي والتنوعات اللغوية غير القياسية	١٥٨
التنوع في اللسانيات الاجتماعية العربية من الإرهاصات الأولى إلى المرحلة الراهنة	١٦٧
العوامل الفاعلة في التنوعات اللغوية	١٨٣
المكانة في التنوعات اللغوية	١٨٣
الحدثة والتحضر وتأثيرهما في التنوعات اللغوية	١٨٥
المواقف اللغوية وتأثيرها في التنوعات اللغوية العربية	١٩٠
المتغيرات الاجتماعية وارتباطها بالتنوعات اللغوية	١٩٧
الطبقة الاجتماعية	١٩٩
التعليم	٢٠٣
العمر	٢٠٤
الجنس	٢٠٧
خاتمة الفصل	٢١٥
الفصل الخامس	
اللغة والتفاعل في الخطاب	
تقديم	٢١٩
اللسانيات الاجتماعية التفاعلية	٢٢٠
إثنوجرافيا التواصل	٢٢٤
وحدات التواصل ومكونات تحليل إثنوجرافيا التواصل	٢٢٩

الموضوع	الصفحة
تحليل الخطاب	٢٣٧
نماذج تحليل الخطاب	٢٤٠
نموذج تحليل المحادثة	٢٤٠
نموذج التفاعل الاجتماعي	٢٤١
نموذج التحليل السياقي للخطاب	٢٤٣
نموذج المذهب المعرفي الاجتماعي	٢٤٤
نموذج تحليل الخطاب النقدي	٢٤٥
التداولية	٢٤٧
خاتمة الفصل	٢٥٩
الفصل السادس	
ظواهر لسانية اجتماعية من واقع استعمال العربية	
تقديم	٢٦٣
التعددية اللغوية	٢٦٤
التعددية اللغوية في السياق العربي	٢٧٣
المغرب	٢٧٤
التنافس بين اللغات في المجتمع المغربي	٢٧٦
الجزائر	٢٨٠
سوريا ولبنان	٢٨٢

الموضوع	الصفحة
الوضع اللغوي في فلسطين	٢٨٥
الوضع اللغوي في دول الخليج العربي	٢٨٧
الازدواجية اللغوية	٢٨٩
تبديل الشفرة	٣٠٣
وظائف تبديل الشفرة	٣٠٤
الممارسة اللغوية: تبديل الشفرة في ضوء التعددية اللغوية، والازدواج اللغوي	٣٠٩
تبديل الشفرة والتعدد اللغوي	٣٠٩
تبديل الشفرة واللغة الهجين	٣١٥
تبديل الشفرة الازدواجي	٣١٩
تبديل الشفرة الازدواجي في وسائل التواصل الاجتماعي	٣٢٣
خاتمة الفصل	٣٢٦
الفصل السابع	
اتجاهات البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية	
تقديم	٣٣١
محاور البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية	٣٣٢
منهجية البحث المستخدمة في اللسانيات الاجتماعية العربية	٣٤٨
خاتمة الفصل	٣٥٤



الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن	
نحو لسانيات اجتماعية عربية تطبيقية: نماذج من الواقع اللغوي للمجتمع السعودي	٣٥٥
تقديم	٣٥٧
تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية: وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي	٣٥٨
دور المحيط الحضري في الموقف من اللهجة المحلية واستخدامها	٣٧٤
خاتمة الفصل	٣٩٢
خاتمة الكتاب	٣٩٣
الثبت التعريفي بالمصطلحات الرئيسة	٤١١
مراجع الكتاب	٤٤٣
المراجع العربية	٤٤٥
المراجع الأجنبية	٤٥٨
نبذة عن المؤلف	٤٧٧



مقدمة المجمع

ينشط مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية في مسارات عمل متنوعة، ويتولى مهام متعددة تتصل بنشر اللغة العربية ودعمها وتعزيز مكانتها، والمحافظة على سلامتها نطقًا وكتابةً، والنظر في فصاحتها وأصولها وأساليبها وأقيستها ومفرداتها وقواعدها، وتيسير تعلّمها داخل المملكة وخارجها لتواكب المتغيرات في جميع المجالات، ويتمثل طموح المجمع في أن يصبح مجمعًا متميزًا في خدمة اللغة العربية ينطلق من قلب العالم الإسلامي والعربي، ومن مهد العروبة الأول، وأن يصبح رائدًا ومرجعية عالمية في مجال اللغة العربية وتطبيقاتها المتنوعة.

وضمن توجيهات سمو وزير الثقافة رئيس مجلس الأمناء الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود - حفظه الله - على دعم أعمال المجمع وبرامجه العلمية والثقافية والبحثية، فقد أطلق المجمع مشروع المسار البحثي العالمي المتخصص؛ لتلبية الحاجات العلمية، ومواجهة المشكلات اللغوية، وسدّ الفجوات المتعلقة بالبحث والنشر العلمي، وفتح الآفاق العلمية والمعرفية المتنوعة، واستكمال مسارات النشر اللغوية المتخصصة.

ويهدف المشروع إلى تعزيز دور المجمع وإيصال رسالته؛ بتغطية مساحات متنوعة من التخصصات والفنون المتعلقة باللغة العربية، وإثراء المحتوى العلمي ذي العلاقة بمجالات اهتمام المجمع، ودعم الإنتاج العلمي المتميز وتشجيعه، وفتح المجال أمام الباحثين والمختصين وتوثيق صلتهم بالمجمع؛ وذلك بإشراكهم في أعمال هذا المشروع.

ويضم المشروع مجالات بحثية متنوعة، ويغطي الموضوعات التي تعزّز موقع العربية ضمن اللغات الحضارية العالمية، ومن أبرزها: دراسات التراث اللغوي العربي وتحقيقه، والدراسات حول المعجم، وقضايا المصطلح، وقضايا الهوية اللغوية، ومكانة العربية وتعزيزها، واللسانيات التطبيقية، والتخطيط اللغوي والسياسة اللغوية، وحوسبة اللغة العربية واللسانيات الحاسوبية، والترجمة والتعريب، وتعليم اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها، والدراسات البيئية.

وقد بدأ المشروع باستقبال الدراسات النوعية الجادة، وتواصل مع المختصين والباحثين والمؤسسات العلمية داخل المملكة وخارجها، ودعاهم إلى المشاركة في المشروع، وستطبع هذه الأعمال بعد تحكيمها، والنظر في مدى إضافتها للمكتبة العربية، والتأكد من استنادها إلى المعايير العلمية في البحث والمنهج والتوثيق.

ويهدف هذا الكتاب (نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية إلى التطبيق) إلى إثراء المكتبة العربية بالكتب العلمية في مجال اللسانيات الاجتماعية، ويناقش عدداً من القضايا اللغوية التطبيقية المرتبطة بالمجتمع العربي، والظواهر الاجتماعية وعلاقتها باللغة، وتأثيرات العوامل المجتمعية في الظواهر اللغوية.

ويجتهد المجمع في انتقاء الكتب التي يكون في نشرها إضافة معرفية نوعية، ويأمل أن يكون هذا الكتاب مفتاحاً لمشروعات علمية وعملية، ويحقق إثراء معرفياً لافتاً

ويشكر المجمع مؤلف الكتاب سعادة الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الله بن غالي؛ لما تفضل به من عمل علمي جاد، ويدعو الباحثين إلى التواصل مع مشروع المسار البحثي للمشاركة فيه والإسهام في إثرائه.

الأمين العام للمجمع

أ.د. عبد الله بن صالح الوشمي



مقدمة الكتاب

موضوع الكتاب في اللسانيات الاجتماعية، وهو مجال يهتم بالحياة الحقيقية للغة في السياق الاجتماعي، ويحاول التعامل مع ما يبدو ركاما غير متجانس من مظاهر التفاعل بين اللغة والمجتمع. وانطلاقا من مجاله التخصصي فهو يركز اهتمامه على الظاهرة اللغوية في ارتباطها الاجتماعي؛ إذ اللسانيات الاجتماعية تضع صور تغير اللغة وأشكال تباينها وتغيرها في مركز مداولاتها، فتجمع بين الاهتمام بالهياكل اللغوية والأبعاد الاجتماعية، مع الاعتراف بأن فحص الأبعاد المجتمعية للغة، يتطلب أساليب تفسيرية مخصصة تسمح بفهم كيفية تأثير تلك الأبعاد والعلاقات الاجتماعية، ومعرفة مقدار مساهمتها في تغير الأنماط والهياكل اللغوية. وتأتي أهمية الكتاب أيضا من أنه إسهام في مجال لازالت إشكاليته الكبرى هوقلة دراساته، فقد عانت القضايا اللغوية المرتبطة بالمجتمع من تجاهل اللسانيين النظريين نتيجة لسعيهم للبحث عن نظرية كلية لقواعد اللغة، واستبعاد بعض المكونات المتأثرة بالعوامل الاجتماعية المخالفة لقواعدهم الكلية. وهو أمر انعكس بوضوح على المستوى العربي. فاللسانيات الاجتماعية كانت هي الأقل حظا من الاهتمام والدراسة مقارنة بفروع اللسانيات الأخرى النظرية والتطبيقية، لأسباب عديدة منها: قلة المتخصصين في هذا المجال المعرفي، وقلة البحث فيه في مجال اللسانيات الغربية مقارنة بنظيراته من فروع اللسانيات الأخرى، وإحجام الدارسين عن خوض غمار هذا المجال اتقاء لهجوم أقل ما يمكن أن يقال عنه إنه يأتي لأسباب أيديولوجية، وينطلق من منظور أيديولوجي مشكك في هوية اللسانيات الاجتماعية وأهدافها ومنطلقاتها؛ إذ تكمن معضلة اللسانيات الاجتماعية العربية في ملامسة هذا الفرع المعرفي للمحظور؛ فهو بانصرافه إلى الوصف اللغوي، والتأصيل العلمي للظاهرة اللغوية بتنوعاتها المختلفة المجاوزة للعربية الفصحى - التي تمثل المقدس في المنظور العربي المتعلق بالتراث والمترم بحماية الفصحى والحفاظ عليها -

قد عدّ تشريعاً لدراسة تلك الأشكال ودعماً لها في منافسة الفصحى؛ ومن ثمّ فهو فعل مخالف شبه مجرّم في نظر كثير من اللغويين لا سيّما التقليديون منهم. وهذه النظرة المشككة في نيات اللسانيات الاجتماعية أعاقَت انطلاقاً هذا الفرع من فروع اللسانيات في العالم العربي وقادت إلى إحجام الكثير من الدارسين عن خوض غماره اتقاءً لهجوم هم غير مجبرين على مجابته^(١). وقاد هذا الأمر إلى إهمال مناقشة القضايا اللغوية التطبيقية المرتبطة بالمجتمع العربي، وعدم متابعة أو رصد تأثيرات العوامل المجتمعية في الظواهر اللغوية، ونتج عنه قلة المتخصصين في اللسانيات الاجتماعية في عالمنا العربي، كما نتج عنه قلة الدراسات اللسانية العربية التطبيقية أو عدمها تماماً، عدا بعض الكتب المنهجية محدودة العدد التي لم تتجاوز التعريف بمفهوم اللسانيات الاجتماعية من غير استعراض أو مناقشة لقضاياها وموضوعاتها التطبيقية من منظور واقع المجتمع العربي، واقتصرت الدراسات العربية التطبيقية الحديثة التي أجراها الدارسون العرب، على بعض الأعمال المتناثرة في المؤسسات الأكاديمية الغربية منشورة معظمها بلغات أجنبية.

لا يمكننا الادعاء أننا نقدم كتاباً في مجال لم يكتب فيه من قبل، بل إننا نؤكد وجود دراسات كثيرة نبّهت إلى أهمية الظاهرة الاجتماعية، وعلاقتها باللغة، وأنها علاقة قائمة وموجودة، ومدرّكة في مرحلة مبكرة؛ إذ وجدت إرهاصات الفكرة في مراحل متقدمة جداً من تاريخ التفكير اللغوي العربي. فنحن نجد حديثاً عن جمع اللغة واختلاف اللغات، وذكر اللهجات في معظم المعاجم العربية، ولا أدل على ذلك من كتاب «الجمهرة» لابن دريد الذي يمكن أن يعدّ مصدراً مهماً من مصادر دراسة اللهجة وخاصة اليمنية، كما نجد عند سيبويه في «الكتاب» اهتماماً بهذه اللهجات، بذكره بعض الاستعمالات، وموافقة بعضها للقياس^(٢).

(١) الضبيب، ١٩٧٥، ص ٦، تحدث الضبيب في مقدمة ترجمته لكتاب ت. م. جونستون، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، عن تلك الدعوات الضالة لجعل العامية لغة للكتابة والثقافة، وذكر أنها قد أحدثت شكاً لدى بعض الغيورين على الفصحى، خوفاً من أن تكون دراسة اللهجات وجهاً آخر من وجوه محاربة الفصحى.

(٢) الجمهرة، ابن دريد.

وقد تحدث ابن جني عن اللهجات في كتابه "الخصائص"، فعقد باباً لـ «اختلاف اللغات وكلها حجة» تحدث فيه عن المفاضلة بين مواد اللهجات العربية، وأنها متساوية في أصالتها، فرأى أن اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين «فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما؛ لأنها ليست أحق بذلك من رسلتهما، لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنساً بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا»^(١). ويقول في موضع آخر عن اللهجات: «وكيف تصرفت الحال، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه»^(٢).

ويبدو أن ما سجله القدماء من مواد اللهجات العربية هو ما دخل ضمن دائرة الفصاحة التي حددها لها، ومن قبائل بعينها، رضي عنها اللغويون العرب القدماء واستفصحوها، مما قادهم إلى إغفال الكثير من اللهجات العربية الأخرى، وبهذا لم تكتمل الصورة التي كانت عليها حال اللغة العربية إبان عصر الجمع والتدوين^(٣). يقول الفارابي عن طريقة جمع اللغة: «والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»^(٤).

لقد كانت النظرة الاجتماعية إلى اللغة حاضرة بشكل واضح عند ابن خلدون في مقدمته. فتحدث عن عوامل اجتماعية مؤثرة في حياة اللغة، ونحن نجد عنده إشارات للدور الذي تؤديه العزلة والاحتكاك في حماية اللغة وتطورها، باعتبارها عوامل اجتماعية مؤثرة في مسارها. فالعزلة من العوامل التي تصون اللغة وتحافظ على نقائها، وبقدر كثرة الاختلاط والاحتكاك،

(١) الخصائص، ج٢، ص ١٠.

(٢) الخصائص، ج٢، ص ١٢.

(٣) الضيبي، ١٩٧٥م، ص ١٠.

(٤) المزهر، ج ١، ص ٢١١.

يكون التبدّل في خصائص اللغة وقوانينها، ويكون التغير الذي تصير به كأنها لغة جديدة. كان ابن خلدون واعياً بأن لغة عصره مغايرة للغة مضر، وهذا التغير ناجم عن اختلاط العرب بالعجم. وقد لاحظ اختلاف اللهجات فيما بينها، وأشار إلى أن لغة التخاطب اليومي لغة مغايرة للغة مضر وللغة أهل جيله، وقد تبدو اللهجة لغة أخرى، يقول: «وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم، أهل لغة أخرى مخصوصة بهم، تخالف لغة مضر، ويخالف أيضاً بعضها بعضاً، كما نذكره وكأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم، والله يخلق ما يشاء ويقدر»^(١). وهو يتحدث عن مجتمع خطابي متنوع ومتعدد المستويات، تختلف في علاقاتها اللغوية، وفي قربها وبعدها عن بعضها، عندما يقول: «اعلم أنّ عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها، بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا، وهي عن لغة مضر أبعد»^(٢).

وينظر ابن خلدون إلى لغة التخاطب هذه على أنها لغة مستقلة، ومستوى لغوي قائم بذاته، «لغة الأمصار»، يختلف عن الأنماط والمستويات اللغوية الأخرى، سواء كان ذلك المستوى الفصيح الكلاسيكي «لغة مضر» أو المستوى الفصيح المعاصر لابن خلدون «لغة الجيل»، ولكل مستوى من هذه المستويات ملامح لغوية تميزه عن غيره من المستويات اللغوية الأخرى، كما أن لكل قطر أو منطقة لهجة تخاطب تميزها ملامح تختلف عن ملامح المناطق والأقطار الأخرى، يقول عن استخدام هذه اللهجات: «فإنما أنها لغة قائمة بنفسها، فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي بعد عن صناعة أهل النحولنا، وهي مع ذلك تختلف باختلاف أهل الأمصار في اصطلاحاتهم، فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب. وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهم متصل بلغته إلى تأدية مقصوده، والإبانة عما في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الإعراب ليس بضائر كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد»^(٣).

(١) ابن خلدون، ص ١٠٨٠.

(٢) ابن خلدون، ص ١٠٧٨.

(٣) ابن خلدون، ص ١٠٧٩.

وتؤكد النصوص السابقة ملاحظة ابن خلدون للتخالف القائم بين اللغة الفصحى وبين اللهجات من جهة، وبين اللهجات فيما بينها من جهة أخرى، حقيقة أن لغة التخاطب أو اللهجة، أو الشكل المحكي للغة، لغة قائمة بنفسها تختلف عن اللغة الفصحى، وتستعمل وسيلة تواصل مثلها مثل الفصحى^(١).

ويذهب ابن خلدون إلى الحديث عن الملامح اللغوية التي تميز تلك اللغات، وأن التخالف بين اللهجات فيما بينها، وبينها وبين الفصحى يظهر في مستويات اللغة المختلفة مثل بناء الكلمات والتصريف والإعراب، فيقول: «فكان لجيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الإعراب جملة، وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات، وكذلك الحضر أهل الأمصار، نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتصارييف وخالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد. واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق، فلأهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتحالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره»^(٢).

وبهذا تتضح ملامح من شعور القدماء بالبعد الاجتماعي من الظاهرة اللغوية حتى إن لم يسفر هذا الشعور عن أي شكل من أشكال الدراسة المنهجية لهذا البعد، أما في العصر الحديث فقد بدأت الدراسات لا سيما في بداية القرن التاسع عشر مع المستشرقين الذين اتجهوا لدراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها، مما شجع طلابهم من الباحثين العرب الذين تخصصوا في اللسانيات الحديثة على تناولها أيضاً. فبدأت دراساتهم لهذه الظاهرة من خلال تناولها في مباحث في كتبهم التقديمية لعلم اللغة، في صورة عناية بدراسة التطور اللغوي، ودراسة اللهجات، ودراسة علاقة اللغة بالمجتمع مثلما نجدها مثلاً عند عبد الواحد وافي، وعبد الصبور شاهين، ورمضان عبد التواب، ومحمود فهمي حجازي، ومحمد حسين آل ياسين. وفي الأثناء بدأت تظهر كتب متخصصة في دراسة اللهجات التراثية العربية،

(١) زكريا، ١٩٨٦م، ص ٩١.

(٢) ابن خلدون، ص ١١٢٤.

مثلما نجد عند إبراهيم أنيس، وأحمد علم الدين الجندي. واشتد عود الدعوة إلى دراسة اللهجات العربية المعاصرة فأفرزت ظهور كتب متخصصة تدرس تلك اللهجات المعاصرة كتلك التي كتبها عبد الرحمن أيوب، وعبد العزيز مطر، والسعيد بدوي، وغيرهم.

تلت تلك المرحلة الدعوة إلى مناقشة الظاهرة الاجتماعية وفق منظور حديث يتكئ على معطيات اللسانيات الاجتماعية المعاصرة، إيماناً بأن مناقشتها وفق هذا المنظور الذي ينطلق من أسس نظرية ومنهجية صريحة هي الطريقة الأنجع التي تتناسب مع معطيات العصر ووفق منطلقات التفكير اللساني الحديث، ومن هنا جاءت الندوة التي أقامها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية. ١٩ - ٢٣ فبراير ١٩٨٥م، بعنوان الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات حول الظواهر اللسانية والاجتماعية المختلفة للغة والموضوعات التي لها علاقة باللسانيات الاجتماعية.

وقد ركزت هذه الندوة على الظواهر اللسانية والاجتماعية المختلفة للغة والموضوعات التي لها علاقة باللسانيات الاجتماعية، وجاءت في أربعة محاور:

١. قضايا اللسانيات الاجتماعية ومناهجها، وإمكانات الاستفادة من الدراسات المنجزة بالنسبة إلى عالمنا العربي.
٢. مشكلات التواصل اللساني وتحليل الخطاب على اختلاف أنواعه.
٣. المصطلح وتعريب العلوم والتكنولوجيا، وما ينشأ عن ذلك من اهتمامات معجمية وقضايا تعليمية وثقافية واجتماعية.
٤. دراسة اللهجات ووضع الأطلس اللساني من حيث أسس إعداده وإمكانات تطبيقه^(١).

(١) كتاب بحوث الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، عدد ٦، ١٩٨٦م، تونس.

ونتيجة للوعي الذي أفرزته تلك الندوة، والدراسات التي سبقتها، ظهرت مجموعة من الدراسات التي تناولت قضايا محددة تعد من صميم اهتمامات اللسانيات الاجتماعية، مثل المستويات اللغوية، واللغة والجنس، ولغة الشباب، والازدواجية اللغوية، والتداخل اللغوي، والتنوعات اللغوية. وتدعم ذلك بظهور مجموعة من الكتب النظرية التي تعرّف باللسانيات الاجتماعية، وهي عبارة عن كتب مداخل تعرّف بهذا العلم وتقدمه للقارئ العربي مثلما نجد عند كمال بشر (١٩٩٧م) ومحمد حسن عبد العزيز (٢٠٠٩م)، وصبري إبراهيم السيد (١٩٩٥م)، وهادي نهر (٢٠٠٩م). والمتأمل في هذه الكتب التقديمية التي حملت عناوين "علم اللغة الاجتماعي"، يلحظ قلّة عددها فهي لا تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة، إضافة إلى محدودية الموضوعات والقضايا التي تناولتها، فلا تجد من بينها كتاباً واحداً قد اشتمل بين دفتيه على ما يكفي من الموضوعات اللسانية الاجتماعية إذا ما قارناه بكتب اللسانيات الاجتماعية الغربية المعاصرة بما في ذلك الكتب التقديمية المبسطة. الملاحظة الأخرى البارزة، تتعلق بطريقة التناول التي في هذه الكتب، فقد اقتصر على التعريفات الأساسية لبعض مفاهيم اللسانيات الاجتماعية، بدون تعمق في الطرح أو المعالجة، وخلت خلوا تاماً أو كالتأم من أي بيانات تجريبية عن القضايا اللسانية الاجتماعية في المجتمعات العربية المعاصرة، أو حتى عرض بعض الدراسات التطبيقية التي تناولت هذا الواقع. وقد لا أكون مخطئاً، أو متجنّياً، إذا قلت إن المحتويات التعريفية التي جاءت في هذه الكتب قد لا تكون كافية لفهم كنه بعض المفاهيم اللسانية الاجتماعية، هذا فضلاً عن عرضها بعض الموضوعات القديمة المتعلقة بالتطور اللغوي التي هي أقرب إلى فقه اللغة منها إلى علم اللغة، فضلاً عن إدراجها في اللسانيات الاجتماعية الحديثة. ولكن أياً تكن الملاحظات على هذه الجهود، فقد قادت إلى ظهور دراسات وإن تكن قليلة تقدم اللسانيات الاجتماعية بمنظور حديث، وتعرّف بها وتدرس بعض قضاياها.

تبين ما قدّمنا به أن المجال لا يزال في حاجة ماسة إلى كتاب يقدم اللسانيات الاجتماعية للقارئ العربي، بأن يجمع معظم القضايا النظرية والمنهجية التي تعدّ في عرف اللسانيات الاجتماعية الحديثة، من صميم موضوعاتها الحقيقية، فيعرضها بين دفتي كتاب واحد،

يعرف بمفهوماتها، انطلاقاً من المنظور اللساني الاجتماعي الحديث، ويعتمد تقديمها، وعرضها، وشرحها، والتمثيل عليها، من واقع الممارسة التطبيقية العربية معتمداً على الدراسات التطبيقية التي ناقشت تلك القضايا، ليتسنى للقارئ العربي، إدراك هذه المفاهيم، ولتبيين له تفاعل هذه القضايا اللغوية مع الأنماط والمتغيرات الاجتماعية، والمتغيرات الأخرى السائدة في المجتمعات العربية، ولتوضح له تفاعلها مع ممارساته اليومية التي يدركها.

تأتي أهمية هذا الكتاب إذن، من محاولته سد هذه الثغرة بالجمع بين المقاربتين النظرية والتطبيقية في كتاب واحد، ينطلق من التأسيس النظري للسانيات الاجتماعية بمفهومها الحديث ليصل إلى الجانب التطبيقي من خلال مناقشته القضايا اللسانية الاجتماعية تطبيقاً على واقع اللغة العربية في المجتمع العربي، فيعرض تلك القضايا ويعرف بها، ويستعرض حدودها ومساراتها، كما وردت في مصادر اللسانيات الاجتماعية المعاصرة، وعند أبرز دارسيها المحدثين وينحوبها ناحية المجتمع العربي من حيث التطبيق، متناولاً تنوعاته اللغوية المتباينة، دارساً لقضاياها المختلفة، مناقشاً لموضوعاته المتعددة، مستشهداً بواقعه، وهو اتجاه يستهدف محاولة المشاركة في تأسيس لسانيات اجتماعية عربية بالمفهوم المعاصر يجمع بين النظرية والتطبيق.

يتوخى الكتاب مقارنة تجمع بين الاهتمام بالهياكل اللغوية والأبعاد الاجتماعية وتضع مجتمع اللغة العربية الناطق بها وتنوعاتها مرتكزاً لقضاياها وموضوعاتها ومحكاً لنقاشاتها. ويأمل أن يقدم اللسانيات الاجتماعية بمفهومها المعاصر للقارئ العربي، وأن يساهم في التأسيس للسانيات الاجتماعية عربية من خلال مناقشة القضايا اللسانية الاجتماعية العربية في ضوء العوامل المجتمعية العربية، وسبر الدراسات التي تناولت القضايا اللسانية الاجتماعية العربية في مضامنها المتعددة ومن مصادرها المختلفة، وبلغاتها التي نشرت بها، وعرض تلك الدراسات، وإبراز نتائجها.

يبتغي الكتاب أيضاً إلقاء الضوء على التفاعل اللغوي وعرض موضوعات التداولية وتحليل الخطاب كأبرز المفاهيم اللسانية الاجتماعية التفاعلية والتمثيل لها من واقع

المجتمع العربي من خلال رصد الخطاب العربي في تعامله مع القضايا المجتمعية وتأثره بها. ويستهدف الكتاب استكشاف الجوانب الأساسية من واقع استعمال اللغة العربية في المجتمع الناطق بها، واستجلاء دور التأثيرات الحضارية المختلفة في تقاطعاتها مع تنوعاته اللسانية. وقد حاول الكتاب التركيز على جهود الدارسين العرب في دراسة تلك القضايا، وسعى إلى البحث عن دراساتهم التي أجروها بلغات أخرى غير العربية وجمع شتاتها من مصادرها المتناثرة بين الشرق والغرب.

حاولت عند وضع هذا الكتاب، وبعد النظر فيما لدينا من جهود عربية ناقشت القضايا والموضوعات المتعلقة بهذا المجال، وبعد دراستها وتقويمها، وتكوين الرأي الذي انتهت إليه حيال هذا الواقع، وحاجتنا إلى كتاب في اللسانيات الاجتماعية العربية يجمع بين النظرية والتطبيق، أن أجمع بين دفتيه غالبية الموضوعات والقضايا التي تكررت في معظم الكتب الأساسية التي قدمت وعالجت اللسانيات الاجتماعية العربية، مثل كتاب "مقدمة في اللسانيات الاجتماعية" لرونالد وارد هو، وجانيت فيولر ٢٠١٥م، وكتاب "مقدمة في اللسانيات الاجتماعية" لجانيت هولمز ٢٠١٣م، وكتاب "علم اللغة الاجتماعي" للمجتمع لالاف فاسولد ١٩٩٠م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية" لهدسون ١٩٨٠م، وكتاب "تقديم اللسانيات الاجتماعية" لماريا جيورجيفا ٢٠١٤م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية" لفلوريان كولماس ٢٠٠٥م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية" لبرنارد سبولسكي ١٩٩٨م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية" لإيزابلا باولتي ٢٠١١م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية" حول العالم لمارتن بال ٢٠١٠م.

فضلا عن الكتب التي وضعت لللسانيات الاجتماعية العربية وكتبت باللغة الإنجليزية مثل كتاب "اللسانيات الاجتماعية العربية" لريم بسيوني ٢٠٠٩م، وكتاب "اللسانيات الاجتماعية العربية" لعبد الكافي البريني ٢٠١٦م، ومراجعات جوناثان أوين بعنوان "اللسانيات الاجتماعية العربية" ٢٠٠١م، ومراجعات كاثرين ميلر ودومنيك كيوبت ٢٠١٠م، وكذلك مراجعات يوري هورش ووليام كوتر بعنوان "البحث الحديث للتنوع اللغوي في العالم الناطق بالعربية" ٢٠١٦م.

وقد خرجت بعد غريلة الموضوعات التي اهتمت بها هذه الكتب، بأهم الموضوعات وأبرز قضايا اللسانيات الاجتماعية التي ينبغي في نظري أن يتناولها هذا الكتاب، وهي الموضوعات التي تدرس العلاقة بين الكيفيات التي تستخدم بها العربية والسياقات الاجتماعية المختلفة التي تؤثر في هذا الاستخدام؛ وعليه سيتناول هذا الكتاب دراسة هذه القضايا في ثمانية فصول تبحث الموضوعات الرئيسية التالية:

الفصل الأول: الجهود اللغوية الاجتماعية عند الدارسين العرب

يتناول هذا المبحث الجهود اللغوية العربية في العصر الحديث التي تناولت اللغة في سيرورتها الاجتماعية، ويتتبع كيفية بداية هذه الجهود، ويرسم محاور الاهتمام التي تشكلت، ويناقش أبرز الموضوعات والقضايا التي تم تناولها، بغرض استكشاف ملامح لسانيات اجتماعية عربية في طور التشكل، والتعرّف على الكيفية التي تأسست بها هذه اللسانيات، ليتسنى لنا خلق موطئ قدم، نضع هذا الكتاب فيه، ولكي يدرك القارئ الحاجة إليه، والإضافة التي يمكن أن يحملها لهذا المجال.

الفصل الثاني: جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث

يسعى هذا المبحث إلى تقديم عرض مختصر لأهم سمات وخصائص المدارس اللسانية الأبرز، البنيوية، والوظيفية، والتوليدية، لنتمكن من تتبع جذور اللسانيات الاجتماعية وموقعها من التفكير اللساني المعاصر، ونبيّن من أين استقت توجهاتها واهتماماتها، وكيف شكّلت علاقتها باللسانيات العامة نظرياً ومنهجياً.

الفصل الثالث: المسائل الرئيسية للسانيات الاجتماعية

يشكل هذا المبحث مدخلا نظرياً يحدد منظور اللسانيات الاجتماعية ويوضح الفرق بين اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية في تناولها للقضايا اللغوية من منظور اجتماعي، ويعرض أهم الموضوعات التي تعالجها اللسانيات الاجتماعية، ويناقش مجالات البحث الرئيسية فيها والمناهج المستخدمة في ذلك.

الفصل الرابع: الأبعاد الاجتماعية للتنوعات اللغوية

يدرس هذا المبحث التنوعات اللغوية المختلفة للعربية فيتناول اللغة القياسية والتنوعات اللهجية، والمكانة في التنوعات اللغوية، والحدثة والتحضر وتأثيرهما في التنوعات اللغوية، ويدرس المواقف اللغوية والتنوعات اللغوية العربية، ويناقش العلاقة بين اللغة والمتغيرات الاجتماعية: مثل الطبقة، والعرق، والدين، والجنس، والتعليم.

الفصل الخامس: اللغة والتفاعل في الخطاب

يتناول هذا المبحث موضوع اللغة والتفاعل في الخطاب من خلال دراسة اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، ويعرض منهجية إثنوجرافيا التواصل كأحد المقاربات المعمّقة للتفاعل اللغوي، كما يناقش موضوعات تحليل الخطاب والتداولية باعتبارها مجالات قائمة على دراسة التفاعل اللغوي في الخطاب.

الفصل السادس: ظواهر لسانية اجتماعية من واقع استعمال العربية

يتناول هذا المبحث اللغة في التواصل من واقع استعمال العربية، ويناقش تعدد مستويات الخطاب في المجتمعات العربية. فيدرس التعددية اللغوية، والازدواجية اللغوية ويناقش قضية التناوب اللغوي أو ما يسمى بتبديل الشفرة في الممارسة اللغوية. فيدرس تبديل الشفرة والتعدد اللغوي، وتبديل الشفرة واللغة الهجين، وتبديل الشفرة الازدواجي، والتبديل الشفري في وسائل التواصل الاجتماعي.

الفصل السابع: اتجاهات البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية

يحلل هذا المبحث أهم نواتج البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية إلى اليوم: ما أنجز منها في سياق عربي وهو قليل، وما أنجز في سياقات غربية، وهو الأكثر. فيجتهد في استخلاص أهم القضايا التي جرى التطرّق إليها، ويصنّف المقاربات المختلفة التي اعتمدت في معالجتها، ويناقش أبرز النتائج التي خلصت إليها ويكشف عن رهاناتها

وحدودها بما في ذلك حدودها المرتبطة بالمنظور والإيديولوجيا اللغوية، ويناقد مدى إسهام هذه الجهود في تأسيس لسانيات اجتماعية عربية.

الفصل الثامن: نحو لسانيات اجتماعية عربية تطبيقية: نماذج من الواقع اللغوي للمجتمع السعودي

يعرض هذا المبحث نماذج لسانية اجتماعية من واقع ممارسة المجتمع السعودي فيتناول قضيتين رئيسيتين: يدرس في الأولى دور المحيط الحضري في الموقف من اللهجة المحلية واستخدامها، ويدرس في الثانية تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية، ويناقد وظائفها الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي.

وأخيراً أشك في حاجتنا الملحة إلى جهد عربي ينقلنا إلى مرحلة جديدة تقدم لنا المنظور اللساني الاجتماعي المعاصر باعتماد أحدث ما وصلت إليه النظريات اللسانية عند روادها؛ لمناقشة أبرز الموضوعات اللسانية الاجتماعية نقاشاً متكاملًا ومطبقاً على واقعنا العربي، وبالتركيز على بيانات عربية خالصة مستمدة من استخدامات المجتمعات العربية بتفاعلاتها المختلفة، وفق منهجية لسانية اجتماعية معتمدة.

وغاية رجائي أن أشارك بهذا الجهد المتواضع في إرساء اللبنات الأولى لمشروع لسانيات اجتماعية عربية، وفي مناقشة الشروط المعرفية لتأسيس هذه اللسانيات.



شكر وتقدير

الفضل أولا وأخيرا في إنجاز هذا الكتاب لله سبحانه وتعالى صاحب الفضل، فله المنة والفضل والثناء على ما يسره لي، وأسأله أن يرزقني سبحانه حسن عبادته وجزيل شكره على ما تفضل وأنعم به عليّ.

كانت الأفكار والعناصر البحثية الأولى التي شكلت هذا الكتاب مدارا للمطابقة والمناقشة في جلسات كثيرة مع الصديق العزيز والزميل الكريم الدكتور منصور بن مبارك ميغري أستاذ اللغويات الحديثة بجامعة الملك سعود، الذي تولى أيضا قراءة مسودة الكتاب كاملة، مراجعها ومعلقا على أفكارها، ومقترحا الكثير من الإضافات والتعديلات عليها. أدينُ كثيرا للدكتور منصور، لأفكاره ورؤيته ومقترحاته ولمراجعته الشاملة، وإنني على ثقة بأن المقترحات التي اقترحها قد أضفت كثيرا للبعد المعرفي لديّ، وطورت كثيرا من مناقشاتي لقضايا الكتاب، فله كل الشكر والتقدير والثناء، على أنني وحدي المسؤول عن أي قصور أو ملاحظات على هذا الكتاب.

كما لا أنسى ما استأثرت به من وقت في سبيل إنجاز هذا الكتاب، وهو وقت مستقطع من وقت أسرتي الكريمة، فلها كل الشكر، والتقدير، والعرفان، على تفهمها، وتقديرها، ودعمها، غير المحدود، وهذا الكتاب إهداء مني لهم تقديرا وعرفانا لدعمهم ومساندتهم.

الفصل الأول

الجهود اللغوية الاجتماعية عند الدارسين العرب



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يتناول هذا الفصل الجهود اللغوية العربية في العصر الحديث التي تناولت اللغة في سيرورتها الاجتماعية، ويتتبع كيفية بداية هذه الجهود، ويرسم محاور الاهتمام التي تشكّلت، ويناقش أبرز الموضوعات والقضايا التي تمّ تناولها، بغرض استكشاف وجود لسانيات اجتماعية عربية، والكيفية التي أسست بها هذه اللسانيات، ليتسنى لنا خلق موطئ قدم، نضع هذا الكتاب فيه، ولكي يدرك القارئ الحاجة له، والإضافة التي يمكن أن يضيفها في هذا المجال.

وقد تم تصنيف هذه الجهود، في البدايات التي تناولت دراسة اللغة العربية من ناحية اجتماعية اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر، ونعرض هنا أهم ملامحها التي ارتسمت في نظرنا في عدّة قضايا يمكن حصرها في الموضوعات التالية: تطور اللغة ونشأة لهجاتها، ودراسة اللهجات العربية القديمة، والقضايا المتخصصة التي تدخل في نطاق اللسانيات الاجتماعية كالمستويات اللغوية للعربية، واللغة والجنس، واللغة والعمر، والازدواجية اللغوية، والتداخل اللغوي، والتنوعات اللغوية، والكتب والدراسات التي خصصت للتعريف باللسانيات الاجتماعية.

الجهود العربية في معالجة الظواهر اللغوية العربية في إطارها الاجتماعي

أولاً: التطور اللغوي ودراسة اللهجات

بدأت الجهود العربية الحديثة بتناول تطور اللغة ونشأة لهجاتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي عبارة عن مباحث تناولها الدارسون فيما كتبوه في كتبهم التقديمية لعلم اللغة. وقد اهتمت تلك الدراسات بتناول حياة اللغة، وتفرع اللغة إلى لهجات، ومناقشة انتشار اللغة وأسبابه، واللهجات المحلية، وصراع بعضها مع بعض، وصراع اللغات وعوامله وأثاره في حياة اللغة، مثلما نجد عند علي عبد الواحد وفي الذي تحدث عن التطور اللغوي العام متمثلاً في انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، وتأثر اللغة باللغات الأخرى، مركزاً على العوامل الاجتماعية، والنفسية، والجغرافية^(١). ذهبت دراسات تلك المرحلة إلى أن الاحتكاك بين المجتمعات قدر من الأقدار الحضارية التي تؤثر في حياة اللغة بالسلب، وبالتقوية، أو بالإفناء، وأن للاحتكاك صورتين أولاهما الصورة العنيفة التي ترافق الحروب بين مجتمعين من لغتين مختلفتين، وثانيهما الصورة الهادئة التي تتمثل في قيام علاقات صداقة وجوار بين هذين المجتمعين. وذهبت إلى أن هناك ثلاث مراحل لنتائج الصراع اللغوي. ففي المرحلة الأولى تقذف اللغة الغالبة في اللغة المغلوبة طائفة كبيرة من مفرداتها، وهي الكلمات التي تمثل بالأخص الجانب الحضاري، وفي المرحلة الثانية تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها، وفي المرحلة الثالثة تنهار فيها مقاومة اللغة انهياراً تاماً، فتستسلم للصراع مع ملاحظة أن اللغة المغلوبة لا يقضى عليها تماماً، وإنما لابد من أن تؤثر هي أيضاً في اللغة الغالبة، وتترك فيها بعض بصماتها^(٢). وانتهت تلك الدراسات إلى أن الصراع اللغوي ضرورة تاريخية، وأن الاحتكاك يؤدي إلى تداخل اللغات، وأن تطور اللغات في معزل عن الاحتكاك والتأثر الخارجي يعدّ أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق، وأنه

(١) وفي، ١٩٤٠م، ط ٩.

(٢) شاهين، ١٩٨٠م، ص ١٣٩ - ٢٣١.

متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد فلا مفر إطلاقاً من أن تتأثر كل منهما بالأخرى، سواء في ذلك أتغلبت إحدهما على الأخرى، أم بقيت كل واحدة منهما بجوار أختها^(١).

ذهبت تلك الدراسات إلى أن اللغات تقوم دائماً على أساس لغة موجودة تتخذ لغة مشتركة من جانب أفراد وجماعات، تختلف لديهم صورة التكلم. والظروف التاريخية هي التي تفسر لنا تغلب هذه اللغة التي اتخذت أساساً، وتعلل انتشارها في جميع مناطق التكلم المحلي المشتركة، فهي دائماً لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعاً. يوجه هذه اللغة عاملان متباينان هما عامل «التفريق اللغوي»، وعامل «التوحيد اللغوي» فالتفريق يؤدي إلى انفصالات تزداد تعدداً مع الزمن، غير أن هذا التفريق اللغوي لا يصل إطلاقاً إلى تمامه؛ لأن سببا حيويًا يقف في طريقه، ويعمل دائماً على مناهضته، ألا وهو عامل التوحيد، الذي يعيد التوازن اللغوي. ومن صراع هذين العاملين: عامل التفريق، وعامل التوحيد، تنتج أنواع اللغات المختلفة لدى الشعب الواحد، من لغات خاصة، واجتماعية، ومحلية، ولهجات إقليمية، ولغة مشتركة^(٢).

ويذهب رمضان عبد التواب إلى أن المصلحة العملية (الاقتصادية) هي وحدها الحكم في مثل هذه الحالات وهي التي تحكم لهذه اللغة أو تلك، وللموقف السياسي كذلك أهميته الكبرى فبعض الشعوب تتمسك بلغة دون الأخرى مدفوعة بعاطفة دينية، أو محاولة نيل استقلالها، أو نظراً من دولة مجاورة لها. وإلى جانب العوامل الاقتصادية والسياسية، هناك عامل عاطفي له أثره في المحافظة على سلامة الكثير من اللغات وبقائها، وهو عامل «الهيبة» وكثيراً ما يكون هذا العامل مستمداً من القيمة الذاتية للغة. ويقرر أن الصراع اللغوي، هو وحده الذي يقضي على لغة من اللغات، أو لهجة من اللهجات عبر مراحل مختلفة، تبدأ بالمفردات في المرحلة الأولى، وتغير مخارج الأصوات في الثانية، وتنتقل إلى القواعد وقوانين الجمل، والتراكيب في المرحلة الثالثة^(٣).

(١) عبد التواب، ١٩٨٢م، ص ١٦٦.

(٢) عبد التواب، ١٩٨٢م، ص ١٦٦.

(٣) عبد التواب، ١٩٨٢م، ص ١٧٤.

وذهبت تلك الدراسات إلى أنه من الطبيعي أن يكون للعربية الفصحى لهجات تمثل صوراً نطقية تختلف من قبيلة إلى قبيلة، ومن مكان إلى مكان، وأن المراجع القديمة تشير إلى أسماء هذه القبائل، وتعزو إلى كل قبيلة خصائص لغوية تجعل من لسانها لهجة مستقلة عن لهجات جاراتها، حتى بلغ عدد اللهجات العربية المرصودة أكثر من أربعين لهجة. وتناول عبد الصبور شاهين بعض الظواهر اللهجية كالشكشة، والكسكسة، مؤكداً أنها جوانب لا أحد يشك في لهجيتها، مستدركاً أن الروايات قد أغفلت قطعاً كثيراً من الظواهر اللهجية التي كانت تميز قبيلة عن قبيلة، وليس من المعقول حسب قوله، أن يكون كل ما يميز قبيلة عن قبيلة مجرد اختلافهما في استعمال لفظة، أو تفسير معناها، فذلك مما يفرق بين فرد وفرد، لا بين لهجة ولهجة^(١).

وتشير تلك الدراسات إلى أن الأساس الذي يميز بين اللهجات هو في المرتبة الأولى الجانب الصوتي، أي أن اللهجات المختلفة تتفق في كل شيء ما عدا بعض الصفات الصوتية التي تتصل بنطق صوت معين، أو بوظيفة نطقية، كالنبر، والإيقاع، وما زال هذا هو الأساس الذي نعرف به انتماء الناطق^(٢).

قضية اللهجات العربية واللغة الفصحى، وقضية الاستخدام اللغوي للفصحى واللهجات، قضية أساسية في تلك الدراسات، حيث ذهبت إلى أن جامعي اللغة نظروا إلى هذه اللهجات وقاسوها بمعيار اللغة الفصحى، ورأوا أن أي اختلاف عنها يعدّ خروجاً على النمط الصحيح وخروجاً على الضوابط، وفسادا لغوياً؛ ومن ثم فقد أهملوا تلك اللهجات التي أصبح البون بينها وبين الفصحى شاسعاً، ولم يهتموا إلا باللهجات التي تقترب في خصائصها من العربية الفصحى، وهذه هي لهجات الحجاز وتميم وهذيل وطى^(٣). وأشارت تلك الدراسات إلى أن اللهجات القديمة عرفت مجموعة من الظواهر المعرقة في المحلية مثل الكشكشة والكسكسة والعجعة...، وأن كتب اللغة والنحو تثبت وجود اختلافات في اللهجات التي سادت في شمال

(١) شاهين، ١٩٨٥م، ص ٥٣.

(٢) شاهين، ١٩٨٥م، ص ٥٤.

(٣) حجازي، ١٩٧٣م، ص ٢٢٥.

الجزيرة العربية ووسطها في فجر الإسلام، وأن العربية الفصحى كما نعرفها في الشعر الجاهلي تختلف عن تلك اللهجات. وذهبت إلى أنه من الصعب اعتبار العربية الفصحى امتداداً مباشراً لإحدى هذه اللهجات، فالثابت أنها كانت لغة الشعر، وعلى سبيل المثال ناقش محمود حجازي تساؤل البعض هل كانت اللغة الفصحى لغة الشعر فقط، أم أنها كانت أيضاً لغة التعامل في الأمور غير اليومية، ولغة التعامل بين القبائل، وهل كان الرسول يقرأ القرآن بلهجة الحجاز، أم وفق الخصائص الصوتية للغة الفصحى التي هي لغة الشعر الجاهلي^(١).

ركزت هذه الدراسات على أنه كان من أثر الاختلاط بين قبائل العرب ومن جاوهم من الشعوب الأخرى، وانتشار اللحن والخطأ في الألسنة، نشوء لغة للتخاطب بين عامة الناس لا تتقيد بالفصحى، بل الغرض منها مجرد التفاهم فيما بينهم في شؤونهم العامة والخاصة، وهذه اللغة الناشئة كانت أول ظهورها بطبيعة الحال أقرب إلى الفصحى ثم أخذت تبتعد بالتدريج عصراً بعد عصر بحسب المؤثرات الكثيرة التي عملت في ذلك ليعبر اللحن في الألفاظ ثم الخطأ في بنية الكلمة العربية، والتسكين في أواخر الكلم، والاختصار في الجمل، ودخول ألفاظ أعجمية في الاستعمال، وبمرور الزمن اتسع نطاق هذه اللغة وكثر فيها الدخيل وتنوعت، فأصبح لكل إقليم من أقاليم العرب لغة عامية خاصة مستفاداً من الأحوال الخاصة لذلك الإقليم، وزاد هذا التباعد بين اللغات العامية في الأقطار العربية عصراً بعد عصر، وكلما بعدت الشقة بين قطر وقطر تباعدت اللهجة عن الأخرى^(٢).

ذكرت تلك الدراسات أيضاً أن الاختلافات اللغوية بين القبائل تشير إلى أن اللهجات العربية كانت ما تزال تحتفظ بعاداتها اللغوية الأولى، ولم تخضع لسلطة لهجة قريش التي فرضت سيطرتها فيما بعد على لغة التخاطب وصارت لغة العرب عامة. وأن اللهجة التي فرضت سلطانها كان قد نالها بعض التحريف على ألسنة هذه القبائل بسبب عاداتها اللغوية القديمة. وذهبت إلى أن اللهجة التي فرضت سيطرتها وصارت لغة الأدب ولغة

(١) حجازي، ١٩٧٣م، ص ٢٣٤.

(٢) آل ياسين، ١٩٨٠م، ص ٣٨.

المحادثة إلى حد ما، إنما تمثل مزيجاً موحداً من لهجات القبائل العربية، ولم تعد تمثل لهجة قبيلة بعينها هي قبيلة قريش، ذلك أنه ليس بين المطولات الجاهلية خلافات لغوية واضحة، في حين اختلف الشعراء في انتسابهم إلى القبائل، وأن مصادر الدرس اللغوي هي كلام العرب في جميع بنياته اللغوية بسماته المشتركة وخصائص أسلوبه، ولا يفترض بالدارسين أن يعزلوا قوماً عن مصادر الاستشهاد، على أنه قد استبعدت اللهجات التي جاورت الأمم الأعجمية عن مصادر الدرس اللغوي، فتلك التي جاورت الفرس والنبط والحبشة والروم وغيرها من الأمم وحتى بعض القبائل الحجازية استبعدت لتأثرها بلغات تلك الأمم^(١).

اهتم الدارسون أيضاً بموضوع الجغرافيا اللغوية، وذهبوا إلى أنها تضع حدوداً لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات، والمفردات بين اللغات المختلفة، واللهجات المتباينة، مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغة من اللغات، سواء أكانت لغة فصحي أم مشتركة، أم خاصة، أم لهجات اجتماعية، أم إقليمية، أم عاميات خاصة^(٢). وذهبت تلك الدراسات إلى أن المسح الجغرافي للهجات العربية المختلفة في البلاد العربية له فوائد جلييلة أهمها دراسة هذه اللهجات لذاتها دراسة علمية عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية، والدلالة، والتركيب؛ لمعرفة التغيرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت لآخر، وإثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها؛ لأنه يحدث بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلة بالفصحى وأبعدها عنها، كما أنه يمدنا بالمعلومات اللازمة لمعرفة امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي، ويتيح لنا فرص الدراسة المقارنة، وتحدث رمضان عبدالنواب عن طريقة عمل الأطلس اللغوي من خلال عرضه للطريقتين الألمانية والفرنسية، والفرق بينهما، ثم تحدث عن محاولة المستشرق الألماني برجشتراسر لعمل أطلس لبلاد الشام نُشر في عام ١٩١٥م.

(١) آل ياسين، ١٩٨٠م، ص ٣٦٣.

(٢) عبدالنواب، ١٩٨٢م، ص ١٤٧.

ثانياً: اللهجات العربية القديمة

تتميز هذه المرحلة بظهور كتب تخصصية لدراسة اللهجات العربية القديمة^(١) تعرّف بمفهوم اللغة، واللهجة في الاصطلاح الحديث والقديم، وتحدد العناصر التي تتميز بها اللهجة، وكيف تتكوّن اللهجات، فدرست اللهجات انطلاقاً من أن جزءاً كبيراً من رصيدنا اللغوي، وقدرنا وافراً من ميراث أمتنا يمكن الوصول إليه من خلال دراسة لهجات القبائل العربية، لما لها من اتصال وثيق بعلوم القرآن وقراءاته، وبلهجاتنا الحديثة في جميع البلاد العربية. وقد درست تلك الكتب جغرافية بلاد العرب، وتنقلات القبائل العربية ومدى الاعتماد في دراسة اللهجات العربية على أماكن القبائل، وعرضت لمصادر اللهجات في القرآن الكريم وقراءاته، وكلام العرب، والتراث اللهجي، ونظرة علماء العربية إلى اللهجات من خلال مؤلفاتهم، ودرست لهجات القبائل على المستويات الصوتية والصرفية، وبعض الظواهر العامة فيها^(٢). وناقشت تلك الكتب وضع اللغة العربية قبل الإسلام، وغموض التاريخ السياسي والاجتماعي لجزيرة العرب في العصر الجاهلي، وتشتت القبائل في اللهجات وتوحيدها في اللغة الأدبية النموذجية، وأن الأسلوب القرآني لم يكن في متناول جميع العرب، وكيفية نشأة اللغة النموذجية المشتركة قبل الإسلام، وخلوها من الصفات المحلية للهجات، وكيف كان ينظر إلى اللهجات قبل الإسلام وبعده^(٣).

تمّ تتبع رحلة الفتوحات اللغوية التي استبدلت اللغات القائمة في البلدان المفتوحة في شمال إفريقيا والعراق والشام باللغة العربية، وهو الأمر الذي قاد إلى وجود نوع من الهجين اللغوي نتج عن امتزاج اللغة العربية واللغات الأصلية لتلك البلدان، فنشأت اللهجات العربية التي نعرفها الآن في تلك الأمصار بشكلها الحضري والريفي. وأصبحت

(١) من أبرز هذه الكتب كتاب الدكتور إبراهيم أنيس «في اللهجات العربية»، وكتاب أحمد علم الدين الجندي «اللهجات العربية في التراث ١٩٧٨م»، وكتاب محمد الشرقاوي «الفتوحات اللغوية، انتشار اللغة العربية وولادة اللهجات في القرن الأول الهجري، ٢٠١٣م».

(٢) الجندي، ١٩٧٨م.

(٣) أنيس، ١٩٧٣م، ط٤، ص ٨٦ - ٨٩.

العربية بفضل تلك الهجرات مفهوما لغويا مركبا ليس فقط من لهجات وفصحى، بل يحتوي على أنماط متفاوتة من حيث التعقيد التركيبي والاستخدام العملي والوظيفي^(١).

ذهبت تلك الدراسات إلى أن السمات اللغوية الموجودة لدينا للوضع اللغوي في الجزيرة العربية قبل الإسلام يبين وجود لهجات محكية بجانب الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، وأن تلك اللهجات كانت في حالة تطور في مرحلة ما قبل الفتوحات العربية، وكانت بعض سمات ذلك التطور تشبه سمات اللهجات العربية الحضرية الجديدة ومن بينها غياب التصريف الإعرابي. وذهبت إلى أنه لم تكن اللغة الأم للعرب قبل الفتوحات العربية في شبه الجزيرة العربية هي لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، وأن نمط القرآن الكريم والشعر الجاهلي تطور بعد الفتوحات العربية إلى العربية الفصحى، ولم يكن كثير من الناس يتقنون هذا النمط بعد الفتوحات كما لم يتقنه الكثير قبلها؛ إذ إن هذا النمط لا يمثل اللغة الأم لأي شخص عربي، ومع محاولات استلهام هذا النمط ظهر ما يسمى بالعربية الوسيطة^(٢).

وناقش محمد الشرقاوي نقاطا مهمة تتعلق بتعريب المناطق المفتوحة من أهمها بناء المدن العربية، والهجرات العربية للأقاليم المفتوحة، والتواصل بين العرب وغير العرب في تلك المناطق. وقد أدت تلك الظروف في رأيه إلى اختيار العربية لغة تواصل بين العرب وغير العرب؛ لأنها كانت لغة الأغلبية السكانية ذات القوة السياسية في نفس الوقت. وقد أدت تلك الظروف أيضا إلى أن يعدّ العرب لغتهم الأم ليستطيعوا التواصل باستخدامها مع غير العرب لأهداف وظيفية^(٣). وذهب إلى أن نمط حديث الأجانب هو النمط الوحيد الذي يجب أن يكون قد أسهم بشكل أساسي في تقديم مدخل لغوي قابل للفهم في حالة تعلم لغة بشكل حر غير منظم كما في الحالة العربية. ومن بين السمات التركيبية لهذا المدخل اللغوي: التعميم، والتوسيع، والوضوح التركيبي، وقدر كبير من المرونة النحوية^(٤).

(١) الشرقاوي، ٢٠١٣م، ص ٢٥٨.

(٢) الشرقاوي، ٢٠١٣م، ص ١٠١.

(٣) الشرقاوي، ٢٠١٣م، ص ١١٨.

(٤) الشرقاوي، ٢٠١٣م، ص ٢١٥.

ثالثاً: قضايا متخصصة تدخل في نطاق اللسانيات الاجتماعية

١. المستويات اللغوية للعربية

على رأس القضايا التي تناولتها الدراسات مما يندرج ضمن قضايا اللسانيات الاجتماعية الحديثة، تأتي قضية المستويات اللغوية للعربية، التي تعني أن طبقات المجتمع الثقافية والحضارية متداخلة بصورة يتعذر معها الفصل بينها، وأن لغة المجتمع العربي متدرجة من أقصى درجات الفصحى، إلى أدنى طبقات العامية، وأنها متداخلة فيما يشبه السلم اللغوي، وأن لكل فرد مركزاً على هذا السلم تحدده خلفياته الثقافية، وأن هذا المركز يتغير تبعاً لتغير ثقافة الفرد^(١). وتعود الأصول التاريخية للمستويات اللغوية، إلى أربعة أحداث حضارية كبرى أثرت في تطور اللغة العربية أكثر من غيرها، أولها ظهور الرغبة الجماعية لدى سكان الجزيرة العربية في إيجاد مؤسسة عامة تمتد خارج حدود القبيلة، ونشأة نوع عام من اللغة يمتد خارج حدود لغة القبيلة أيضاً (الازدواج اللغوي). وثانيها مجيء الإسلام بأفكار جديدة استدعت وجود قوالب تعبيرية موازية لها. والثالث استيطان العرب خارج الجزيرة مما فرض على اللغة العربية مهمة التعبير عن مقومات حضارية ليس للعرب سابق عهد بها، وظهور الحاجة إلى مفردات إضافية، وظهور اللحن، وحركة تقعيد الفصحى التي جمّدت قوالبها، وفصلت بينها وبين العامية فصلاً حاداً، وتخصّص كل من العامية والفصحى بدور في المجتمع، وأن الفشل في تعلم الفصحى ساعد على خلق مستوى لغوي ثالث. والحدث الرابع هو مجيء الحملة الفرنسية وانفتاح المجتمع العربي وخصوصاً في مصر على صور حضارية ليس لأهلها بها عهد، واضطراب اللغة أمام الطوفان الحضاري الوافد، وظهور أشكال تعبيرية جديدة^(٢).

ويأتي كتاب "مستويات العربية المعاصرة في مصر" الذي يبحث في علاقة اللغة بالحضارة، للدكتور السعيد محمد بدوي، ١٩٧٣م، على رأس الجهود التي ناقشت هذا

(١) بدوي، ١٩٧٣م، وانظر ط ٢٠١٢م، ص ٤٢.

(٢) بدوي، ١٩٧٣م، وانظر ط ٢٠١٢م، ص ٥١.

الموضوع، حيث تحدث فيه عن المستويات اللغوية العربية في مصر المعاصرة، وضبط خمسة مستويات لغوية هي: فصحي التراث، وفصحي العصر، وعامية المثقفين، وعامية المتنورين، وعامية الأميين. وتحدث عن تحديد هذه المستويات، والعوامل التي تحكم تفاعلها وانسيابها مع بعضها، نتيجة لتصارع عوامل للفصل، وأخرى للمزج بينها، كما تحدّث عن قواعد التفريق بين المستويات، والصفات اللغوية التي تميّز كلا من المستويات الخمسة، ودرس هذه الصفات الخاصة بكل مستوى من هذه المستويات على حدة، فيما يتعلق بالأصوات، وبنية الكلمات، وبنية الجمل، وأورد نماذج لكل مستوى^(١).

المستوى اللغوي في نظرتلك الدراسات هو النموذج اللغوي الذي يحقق للناطقين به صلاتهم الاجتماعية والفكرية، ويحمل الخصائص اللغوية التي تعارف عليها أهل اللغة أصواتاً وبنية وتراكيب وإعراباً^(٢). ذهب الدكتور محمد عيد إلى بيان نظرة علماء العربية من اللغويين والنحاة لهذه المستويات، وما ترتب على نظرتهم من آراء وأفكار، وتجاوزه إلى بيان نظرة علم اللغة الحديث إلى المستوى اللغوي، والأسس التي تقوم عليها هذه النظرة. وذهب إلى أن أسس النظرة الحديثة لتحديد المستوى اللغوي تتمثل في مراعاة المستوى الاجتماعي لاستعمال اللغة، ومطابقة العرف اللغوي لنظام صحة اللغة والاقتصار في اللغة على زمن خاص وبيئة خاصة^(٣).

وذهب الدكتور مازن الوعر ١٩٨٩م، إلى أن الدراسة اللسانية للغة العربية بوجهيها المنطوق (العامية) والمكتوب (الفصحي) وفي سياقها الاجتماعي ينبغي أن تكون من خلال نظرتنا إلى الفصحي والعامية على أنهما سلسلة متصلة من العملية التواصلية ذات إستراتيجيات مختلفة^(٤).

(١) بدوي، ١٩٧٣م، ط دار السلام، ٢٠١٢م، ص ١١٩ - ١٢٥.

(٢) عيد، ١٩٨١م، ص ١٤.

(٣) عيد، ١٩٨١م، ص ١٨.

(٤) الوعر، ١٩٨٩م، ص ١٠٣.

٢. اللغة والجنس

من القضايا الأخرى المحددة التي يمكن تصنيفها من ضمن قضايا اللسانيات الاجتماعية الحديثة، هي قضية اللغة والجنس، وتهتمُّ بأثر العامل الاجتماعي في درجة الاختلاف اللغوي، وتناقش أثر اختلاف الجنس كعامل اجتماعي في السلوك اللغوي، وقد تمّ تناول علاقة اللغة بالجنس، وتصنيفات الجنس، والخصائص الصوتية والنطقية، والخصائص اللفظية والتعبيرية، والخصائص التركيبية والنحوية، والأسلوبية لكل جنس، وقد درسها الدكتور أحمد مختار عمر، في كتابه «اللغة واختلاف الجنسين»، ١٩٩٦م^(١)، وكذلك الدكتور عيسى برهومة في كتابه «اللغة والجنس» ٢٠٠٢م^(٢). وإن كان يحمّد لهذين الكتابين التطرق لهذا الموضوع المهم، إلا أن ما ينقصهما هو خلّوهما من الأمثلة الفعلية التي تعكس القضايا التي ناقشاها، ولا يزال البحث اللساني الاجتماعي في حاجة إلى اكتشافها، وإبرازها للقارئ العربي.

٣. اللغة والعمر

ويدخل في هذا الموضوع لغة الشباب، حيث تمّ تناول تسرّب المقترضات إلى الخطاب اليومي من خلال نماذج عرفها الجمهور في مطلع القرن المنصرم، وطوّعها لتلائم مخارج أصواته، واعتمدها، مقترضة لا معرّبة، في مختلف استخداماته، وتمّ دراسة إستراتيجية الاقتراض وآلياته، بما في ذلك موضوع صوغ الأفعال، ودراسة المركبات اللغوية المستخدمة بأقلام الصحفيين والسياسيين والفنانين، فضلاً عن تلك التي ينتجها الشباب ويتداولونها مشافهة. ودُرست نماذج من المقترضات الأجنبية في اللغة الشبابية، لرصد إيقاعات الحياة الشبابية. والاقتصاد في اللغة في تطبيقاته الشبابية، حيث تمّ استعراض نماذج للمختصرات الشائعة على ألسن الشباب وفي الصحف وفي المجالات التربوية والاقتصادية والسياسية.

(١) عمر، ١٩٩٦م

(٢) برهومة، ٢٠٠٢م.

وقد درسها الدكتور محمد نادر سراج في كتابه «الشباب ولغة العصر دراسة لسانية اجتماعية»^(١)، حيث تناول لغة الشباب وألفاظ الحياة العصرية في البيئة اللبنانية، باعتبارها نموذجاً لبيئات عربية أخرى، وسعى في تناوله إلى مقارنة ألفاظ الحياة العصرية، وإسهامات الشباب في خلقها وترويجها، اقتراضاً ونحتاً وابتكاراً، عبر منظومة أشكال تعبيرية، وأسلوبية مستجدة باعتبارها نموذجاً دينامياً يتصدّر واجهة المشهد اللغوي اللبناني، وتتردد أصداؤه في غير بيئة لغوية عربية، يمثل نافذة مشرعة على التنوعات والتجديدات اللغوية التي تلون الفضاء الاجتماعي والثقافي اللبناني^(٢).

سعى نادر سراج إلى قراءة التحولات البنيوية والدلالية اللاحقة بالصيغ التعبيرية التي رصدها لدى مختلف الرواة اللغويين المستهدفين، وهم الشراخ الاجتماعية الأشدّ حراكاً على الصعيد المهني، والأكثر دينامية على الصعيد التعبيري (الشباب والصحافيين، والفنانين...) في ضوء سعيهم لتوظيف حصيلتهم اللغوية للفهم والإفهام، ولمدّ جسور التواصل بعضهم مع بعض، ومع العالم من حولهم، وانتهى إلى القول بأن رصد التبادلات التي تقوم بين المتكلمين الشبان والمسنّين أوضحت تباعدات تشهد على التغيرات الحادثة بين صفوف هاتين الشريحتين الاجتماعيتين، مؤكداً أنه من الصحة بمكان القول إننا نتكلم اللغة نفسها ولكننا لا نتكلمها بالطريقة عينها، وأن لسان الضاد هو الإطار الذي تنتظم داخله تجربة أعضاء البيئة الاجتماعية الواحدة برمتهم، بمن فيهم الشريحة الشبابية، لا لجهة السن تحديداً، بل كذلك لجهة روحية الابتكار والسلوك التعبيري^(٣).

٤. الازدواجية اللغوية

من القضايا الأخرى المهمة الواقعة في قلب اهتمامات اللسانيات الاجتماعية، قضية الازدواجية اللغوية، فقد نوقشت مسألة تغير اللغة العربية وولادة لهجاتها، وظهور الازدواجية اللغوية في العربية التي اختلفت الاجتهادات العربية والاستشرافية في تحديدها التاريخي، وحاولت هذه

(١) سراج، ٢٠١٢م، ص ١٣.

(٢) سراج، ٢٠١٢م، ص ١٩.

الدراسات الإجابة عن أسئلة من نوع: متى، وكيف حدث ذلك في تاريخ اللغة؟ وتمّ تحليل تلك الآراء ووجهات النظر القائمة في الأدبيات الخاصة بظاهرة ازدواجية اللغوية في العربية عبر مراحلها التاريخية، وعرض جهود اللغويين المحدثين في التعريف بالازدواجية اللغوية، ونظريات اللسانيين في الازدواجية اللغوية^(١). وقد ذهب الدكتور إبراهيم بن صالح الفلاي في كتابه «ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق»، ١٩٩٦ م^(٢)، إلى مناقشة ازدواجية اللغة كظاهرة لغوية تتعلق بالمجتمع من خلال نظريات ثلاث، حيث ناقش نظرية ازدواجية اللغة التي أوردها فيرجسون والملاحظات التي ساقها على تعريفه لها والخصائص التي تميز هذه الظاهرة عن غيرها من الظواهر اللغوية الاجتماعية المشابهة، كما تناول منظور فيشمان لازدواجية اللغة حيث توسع فيشمان في مفهوم ازدواجية اللغة من جعلها تشمل علاقة التخصص الوظيفي للغات واللهجات بعد أن كان هذا المفهوم مقتصرًا على لهجات اللغة الواحدة، وبين الفروق بين ازدواجية اللغة وثنائية اللغة، وأوجه الشبه بين هاتين الظاهرتين، وعرض أيضاً منظور فاسولد للازدواجية والخصائص الأربع التي يرى أنه لا بد من الاعتراف بها لقبول مفهوم الازدواجية اللغوية^(٣).

ومن الجهود المندرجة تحت هذا الصنف أيضاً، كتاب «الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها العربية والاستشراقية» للدكتور عبد المنعم جدامي، ٢٠١٣ م، الذي أعطى تركيزاً خاصاً على تحليل فرضية المستشرق الأسباني كورينتي، وعرض لمفهوم مصطلح الازدواجية اللغوية، وتاريخه في اللسانيات الاجتماعية، وتصورات الباحثين للواقع اللغوي العربي القديم، وفرضية كورينتي حول الازدواجية اللغوية في العربية^(٤).

قدّمت هذه الكتب الازدواجية اللغوية بمفهومها الحديث عند أبرز دارسيها الأوائل، لكنها لم تعرض للدراسات التي اعترضت عليها وناقشت إشكالية المسافة اللغوية والتحول إلى مفهوم المستويات اللغوية التي هي مستويات وسيطة لوصف أكثر دقة

(١) المياحي، ٢٠١٧ م

(٢) الفلاي، ١٩٩٦ م.

(٣) الفلاي، ١٩٩٦ م.

(٤) جدامي، ٢٠١٣ م.

للمسافة بين التنوعين الأعلى والأدنى في اللغة العربية، مثلما نجده عند بلانك، ١٩٦٠ والسعيد بدوي ١٩٧٣، وميسيله ١٩٨٠، وأولئك الذين صوره كسلسلة متصلة من التنوعات اللغوية والتباينات اللغوية في مجتمع لغوي واحد، وبينها يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي العربي، مثلما نجده عند الأمريكي آلان كي A. Kaye، وبنيامين هيري B. Hary، أو تلك الرؤية التي تبناها الفرنسي جوزيف ديشي J. Dichy، والمعروفة بتعدد الملائس Pluriglossie والقائمة على أن الواقع يحتوي مجموعاً من التنوعات المتناظرة، ويتسم تعدده الملائسي بمجموعة من العلاقات القائمة بين المستويات التي يحتويها^(١).

زد على ذلك أنها اكتفت بتقديم مفهوم ازدواجية وعرض الآراء حياله دون إغناؤه بتحليل بأمثلة تستمد من واقع استعمال اللغة العربية ومن دراسات أجريت على هذا الواقع.

٥. التداخل اللغوي

ومن القضايا التي تناولتها الجهود العربية قضية التداخل اللغوي، الذي يصف مظاهر الاحتكاك اللغوي في العربية، وأثره في تكوين المستويات اللغوية، ويمثلها عمل الحبيب النصراوي في كتابه «العربية الحديثة في تونس» ٢٠١٤م، الذي طَبَّقَه على إقليم بعينه وهو تونس، منطلقاً من فرضية ترى أن التداخل اللغوي ظاهرة لغوية يمكن أن تكون ضرورية للاطلاع على مظاهر تطور اللغات وكشف مبادئ ذلك التطور وقواعده. وذهب إلى أن تأصيل هذه المسألة لا يعثر عليها في النصوص الفصيحة المكتوبة، بل بالعودة إلى المنطوق المنسوب إلى اللهجات أو العاميات، وذهب إلى أن الوضع اللساني في تونس يتميز بتداخل لغوي معقد، قام على مظهرين رئيسيين، أولهما ثنائية لغوية بين العربية والفرنسية خاصة، وثانيهما ازدواجية لغوية في صلب العربية ذاتها بين المستوى الفصح المستعمل خاصة في المكتوب، والعامية المستعملة في الخطاب الشفوي وفي المعاملات اليومية^(٢).

(١) جدامي، ٢٠١٣م، ص ٢٩.

(٢) النصراوي، ٢٠١٤م، ص ٤٥ - ٧٥.

وفي هذا العمل تمّ ربط الازدواج اللغوي بالاحتكاك الحضاري والثقافي، وأن للازدواجية أثراً كبيراً في مسار التطور الطبيعي للغة العربية، وأن الاتجاه العام يميل بسبب عوامل اجتماعية وثقافية واتصالية إلى تدعيم الازدواجية في جميع العصور بشكل تلقائي دون تدخل واع ومدرس يهدف إلى توحيد المستوى اللغوي العربي، كما أنّ الازدواج اللغوي ليس فقط نتيجة للوضع اللغوي الانفصامي بين اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، بل إنه راجع كذلك إلى التداخل اللغوي وأثر اللغات القوية في نشر مفاهيمها^(١).

٦. التنوعات اللغوية

موضوع «التنوعات اللغوية» هو أحد الموضوعات المهمة التي تندرج في صميم اللسانيات الاجتماعية، ويقصد به دراسة العلاقة بين مستويات اللغة باعتبارها تنوعات لغوية للمجتمع الناطق بها، فاللغة الكلاسيكية الفصحى، أو التنوع الفصحى ما هو إلا تنوع من تنوعات اللغة يتعايش معه في نفس المجتمع جنباً إلى جنب عدّة تنوعات إقليمية أو وطنية، أو اجتماعية لهجية يجمعها تعبير شامل محايد هو «التنوعات اللغوية». ونعرض هنا للجهود التي تناولت هذا الموضوع من خلال عمليتين مميزتين لحسن عبد الجواد، وفلدمير شغال. فقد ذهب الدكتور حسن عبد الجواد في دراسته المميزة «نحو مدخل عملي لدراسة اللهجات العربية المعاصرة» ١٩٨٦م، إلى استعراض بعض المناهج التقليدية في الدراسات اللهجية مبيناً مواطن الضعف فيها، وتناول بعض المعطيات الأساسية في دراسة اللهجات الحديثة التي أغفلها دارسو اللهجات، واقترح منهجاً عملياً علمياً لدراسة اللهجات العربية الحديثة يستفيد مما قدمته اللسانيات الاجتماعية الحديثة، وكان تركيزه على دراسة اللهجات في إطارها الاجتماعي والجغرافي، وتساءل بعد استعراضه للمناهج التقليدية القائمة على التطور التاريخي، عن الأهداف الحقيقية والدوافع وراء دراسة اللهجات العربية الحديثة. وذهب إلى أنّ من المآخذ على

(١) النصراوي، ٢٠١٤م، ص ٦٢.

مناهج وأساليب البحث هذه، اختيار عينات محدودة قائمة على التركيز على المناطق الريفية، مما أدى بدراسة اللهجات إلى إهمال الأنماط اللغوية التي يستعملها غالبية السكان الذين لا يقعون ضمن العينات الريفية، والوصول إلى نتائج سطحية تتصف بالعمومية والتبسيط وعدم الموضوعية، ومعاملة اللهجة على أنها ظاهرة جامدة ثابتة مرتبطة بالريف. وناقش أيضاً اختيار المخبرين اللغويين أو ما يسمى بالنماذج، وأنهم لا يمثلون تلك اللهجات المعاصرة، أو قلّ منهم من يمثل فقط جانباً بسيطاً منها، كونهم محصورين بفئة محدودة من سكان الريف، حيث يشكلون فئة قليلة جداً من مستعملي اللهجة المعاصرة^(١). ناقش عبد الجواد أيضاً التغطية الجغرافية، وأوضح أنّ بعض تلك الدراسات التقليدية تغطي مساحات جغرافية كبيرة، مما يقود إلى عدم التناسب بين النماذج القليلة، أو عدد المخبرين اللغويين القليل جداً، ومساحة المنطقة الجغرافية المغطاة، وأن الأساليب المتبعة في جميع العينات القائمة على الأسئلة المباشرة، أو الاستبانات لا تعدّ ممثلة للهجة الحقيقية. وناقش إغفال التفاعل الاجتماعي اللغوي في تلك المناهج حيث إنّ تلك المناهج لدراسة اللهجات ما تزال تهمل أو تغفل التفاعل أو العلاقة القائمة بين اللغة والعوامل الاجتماعية والبيئة المحيطة، وانتهى في هذا الشأن إلى أنه لا يمكن الادّعاء أن هناك دراسات علمية دقيقة للهجات العربية الحديثة؛ إذ إنّ اللغويين ودارسي اللهجات أغفلوا وما زالوا يغفلون الأنماط اللغوية التي يستعملها غالبية السكان في المناطق التي يدرسونها، وهم بهذا يفقدون جانباً عظيماً من المعلومات^(٢).

عرض الباحث بعد ذلك لبعض المعطيات الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند التخطيط لدراسة اللهجات العربية الحديثة بالاستفادة مما قدمته اللسانيات الاجتماعية الحديثة، يمكن تلخيصها في أنّ البحث عن حدود وفواصل جغرافية بحتة للهجات العربية أمر صعب التحقيق وغير عملي، ولا بد من ربط ذلك بالتوزيع الاجتماعي للغة، وأنّ البحث عن لهجة متّحدة السمات متجانسة لا طائل تحته، وأن

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٨٣.

(٢) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٨٥.

ما يميّز اللهجات الحديثة عربياً وعالمياً، القدر الكبير من التنوع والتغاير اللغوي الذي لا يمكن الإحاطة به ووصفه وصفاً علمياً موضوعياً، إلا بالرجوع إلى المجتمع بكامل متغيراته الاجتماعية لدراسة اللهجة في إطارها الاجتماعي والجغرافي معاً^(١).

تحدث عبد الجواد بعد ذلك عن منهج مقترح لدراسة اللهجات يرمي إلى تبني أساليب علمية تتيح دراسة اللهجة على أسس حديثة متطورة بطريقة منهجية تستند إلى ملاحظات موضوعية في إطار نظرية شاملة ومتكاملة تقوم على جمع المعلومات اللغوية المثلّة من عينات بشرية ممثلة للمجتمع، وتحليلها تحليلًا كمياً لتحديد طبيعة التوزيع اللغوي جغرافياً واجتماعياً، وتحديد كثافة هذا التوزيع، وطبيعة الانتشار اللغوي واتجاهاته ورسم صورة لهذا الانتشار، وربط هذا التوزيع والانتشار بالعوامل الخارجية المختلفة كالتغيرات الاجتماعية. وقد درس تحديد المنطقة جغرافياً واجتماعياً معتمداً عدّة مداخل مثل التقسيم إلى مناطق جغرافية اجتماعية للمدن، ودراسة ما يسمى بالشبكة أو التركيبة الاجتماعية، أو باستخدام مدخل ما يسمى بالمجموعة أو الجماعة اللغوية، وهي مداخل تلتقي في أنها جميعاً تحاول البحث عن جماعة سكانية تشترك في ملامح وطبائع اجتماعية معينة، وتتعايش مع بعضها بحيث يحصل التواصل والتبادل اللغوي ثم الاشتراك في الأنماط اللغوية^(٢).

وفي هذا المحور أيضاً، نجد دراسة نشرت باللغة العربية لفلميرشغال بعنوان «حول تنوع العربية الفصحى» ١٩٨٦م. ذهب فيها، إلى تأكيد الرأي القائل بالتنوع في اللغة العربية، وأن التباين اللغوي لا ينحصر فقط في مجال دلالة المفردات وإنما يشمل مستويات اللغة وحلقاتها المختلفة، وفي ما يتعلق بالمفردات قسّمها إلى عدة مراتب وفقاً لساحة انتشارها: المفردات المنتشرة في جميع المناطق التي تتكلم اللغة العربية وهذه المفردات تنتمي إلى الذخيرة اللغوية المشتركة والمفردات التي تنتشر في قطر معين لكنها غير معروفة في الأقطار

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦، ص ١٩٣.

(٢) عبد الجواد، ١٩٨٦، ص ١٩٩.

الأخرى والمفردات الخاصة بمنطقة واسعة تشتمل على أكثر من قطر واحد، وهو ما يظهر جلياً أثناء مقارنة مفردات المشرق العربي بمفردات المغرب العربي^(١)

وذهب إلى أن المفردات العربية المشتركة تشكّل النواة الرئيسة لمنظومة المفردات والدلالات في اللغة العربية الفصحى. أما المفردات المستخدمة في منطقة معينة ما، فإنها قليلة من حيث العدد، ولكنّها من حيث المواضيع تشتمل على مجموعة واسعة من الكلمات وخاصة في مجال الحياة اليومية والمصطلحات. ويذهب إلى أن ظهور هذا الاختلاف اللغوي ينبع من وجود اختلافات مهمة في الصلات التاريخية والثقافية التي تقوم بين مختلف البلدان العربية نفسها من جهة، وبين مختلف هذه البلدان والبلدان الأوروبية من جهة أخرى. وقيام مثل هذه الحالة في المجتمع العربي المعاصر محكوم بعوامل لغوية واجتماعية^(٢). ويذهب إلى القول بعدم تماثل اللغة الواحدة ذاتها في جميع مناطق انتشارها، وأنه مرتبط في نفس الوقت بالتصور حول وجود أشكال تنوعات اللغة العربية الفصحى في مختلف البلدان العربية؛ ولذا فإن إطلاق مصطلح التنوع الإقليمي (القطري) على كل من هذه الأشكال هو أمر مبرّر تماماً، ما دام الحديث يدور حول الشكل المحلي لنفس اللغة الذي لا يكشف عن فروقات بنيوية مختلفة، ولكنّه مع ذلك يكتسب استقلالاً ذاتياً مدعوماً ومُعترفاً به في إطار كل وحدة قطرية^(٣). يذهب شغال أيضاً إلى أنه يمكن التمييز بين هذه الأنظمة من خلال مناطق انتشارها وتصوير اللغة العربية وكأنّها نظام علويّ، وكل تنوع إقليمي لها، وكأنّه نظام خاص فرعي (التونسي مثلاً) مرتبط مع نظام خاص فرعي آخر (المصري مثلاً)، وكلّه يدخل كعنصر تابع ضمن إطار النظام اللغوي العلوي المشترك، ويمكن استخدام مصطلح نظام بالنسبة لهذا البناء اللغوي الواحد، ومصطلح "نظام متفرع" بالنسبة لأشكالها الإقليمية^(٤). ويذهب إلى أن مشكلة

(١) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٢٧.

(٢) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٢٨.

(٣) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٢٨.

(٤) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٢٩.

التنوع في اللغة الفصحى عموماً هي نظرية حديثة مازالت قيد التأسيس، ومسألة وجود وفعالية تنوعات مستقلة في نظام اللغة العربية الفصحى لم تصبح موضع بحث خاص. ويذهب إلى أن إظهار طبيعة السمات الإقليمية وتحديد جوهر الاختلافات اللغوية بين تنوعات اللغة الفصحى قد يقتضيان الابتعاد عن استخدام بعض القواعد التقليدية، والإتيان إلى التداول العلمي بوقائع تعكس التغيرات الحاصلة في اللغة العربية الفصحى نتيجة لاستعمالها بمختلف الأقطار وما يترتب على ذلك من تفسيرات وتسميات علمية ملائمة^(١). ويذهب إلى أنه خلافاً للغة العربية الفصحى المشتركة، فإن النظام الخاص المتفرع يحتفظ بطابعه الخاص الذي يميزه عن غيره، ويظهر هذا التمايز جلياً بشكل خاص أثناء الحديث الشفوي الفصيح وذلك بفعل تلقائية الحديث ذاته، ولأن اللغة الفصحى داخل كل بلد عربي متصلة مثل كل شيء باللغة الدارجة التي تضي على الفصحى الصبغة المحلية. ويذهب إلى أن تطورت تنوعات اللغة الفصحى مرهون بالتأثير المباشر فيها من جانب اللغة العربية الفصحى المشتركة واللغات الأجنبية، وتنوعات اللغة الفصحى لبقية البلدان واللغات الأجنبية المنتشرة في هذا البلد العربي أو ذاك. وأن هناك عدة عوامل تؤثر في صياغة وتطور التنوعات الإقليمية للغة العربية الفصحى، ومن أهمها عاملان هما اللغة المحلية الدارجة، لهجة القطر، واللغة العربية الفصحى المشتركة، لهما أوضاعهما الخاصة ومميزات تطورهما واستعمالتهما التي يحددها تعدد وتنوع العوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وغيرها في كل قطر عربي^(٢). ويؤكد أنه إلى جانب اللهجات الإقليمية في البلدان العربية تستخدم أيضاً التنوعات الإقليمية للغة العربية الفصحى، ويبرز أكثر فأكثر الاتجاه السائد لتكوين هذه التنوعات في داخل كل قطر عربي. ويعد التنوع الإقليمي للغة الفصحى ظاهرة تاريخية، وعنصر من عناصر الوضع اللغوي في البلد أو المنطقة، وهو يدخل ضمن إطار العوامل اللغوية الاجتماعية إلى جانب بقية

(١) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣٠.

(٢) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣١.

العناصر التي تتفاعل معه على أساس التكامل الوظيفي^(١). ويشرح وضع المتحدث العربي، بأن المتحدث باللغة العربية الذي يجيد الفصحى إلى جانب الدارجة المحلية يجد نفسه بذلك ليس جزءاً من النظام الخاص المتمثل بالتنوع الإقليمي للغة العربية الفصحى في بلده فحسب، وإنما أيضاً من نظام اللغة العربية الفصحى الواحدة المشتركة الذي يُتحدث به في جميع الأقطار^(٢). ويختتم بأن مجتمع البلدان ذات اللغة العربية يتميز ليس فقط بمواجهة اللغة الفصحى للعامة، وإنما بنظام أكثر صعوبة يشتمل على مجموعة كاملة من المظاهر الخاصة بمختلف نماذج استخدام اللغة العربية الكلاسيكية: اللغة العربية الفصحى المعاصرة المشتركة، التنوعات الإقليمية للغة العربية الفصحى، اللغة الوسطى، اللهجات القطرية ولهجاتها المحلية الفرعية، وكذلك اللغات الأجنبية^(٣). ويقرر عدم وجود تماثل تام أو تطابق كامل في الأداء اللغوي للمتكلمين بنفس اللغة في الأقطار العربية، وأن التباينات في الأنظمة الاجتماعية الثقافية للبلدان العربية هي التي تحدد خاصية كل بلد فيها في استخدام اللغة وفي طريقة مقدار استيعابه للثوابت اللغوية سوية مع القيم الثقافية الأخرى، وأن عدم تجانس التغيرات الاجتماعية السياسية الجارية في الأقطار العربية قد أدى إلى تكوّن وضع لغوي خاص في كل قطر له خواص معينة، وهذا مما يؤدي إلى تنشيط عملية تكوين اللهجات القطرية وتنوعات أو أشكال اللغة العربية الفصحى^(٤).

يتضح مما ورد أعلاه بخصوص التطرق للتنوعات اللغوية حداثة المفهوم الذي تم تناوله، واتساقه مع مفاهيم اللسانيات الاجتماعية الحديثة، والتطلع لمنهجية حديثة تتماشى مع المنهجية التي تستخدمها اللسانيات الاجتماعية المعاصرة، إلا أنها اتسمت بالتنظير المجرد دون النظر في التطبيقات العملية على المجتمع العربي، وخلت تماماً من بناء هذا التنظير بالاعتماد على تطبيقات الدراسات الفعلية لواقع الممارسة اللغوية الحقيقية لهذا المجتمع.

(١) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣٢.

(٢) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣١.

(٣) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣٢.

(٤) شغال، ١٩٨٦م، ص ٢٣٣.

رابعاً: الكتب والدراسات التي خصصت للتعريف باللسانيات الاجتماعية

نتناول هنا مجموعة من الكتب النظرية والدراسات التي عقدت للتعريف بعلم اللسانيات الاجتماعية، فقد ظهرت مجموعة من الكتب النظرية التقديمية لعلم اللسانيات الاجتماعية، سعت إلى محاولة تقديم هذا العلم إلى القارئ العربي والتعريف بمفاهيمه الأساسية، وعلى رأس هذه الكتب كتاب "علم اللغة الاجتماعي" للدكتور كمال بشر، وكتاب "علم اللغة الاجتماعي" للدكتور محمد حسن عبدالعزيز، ومن ضمنها كتاب «علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضايا» للدكتور صبري إبراهيم السيد ١٩٩٥م^(١)، وكتاب «اللسانيات الاجتماعية عند العرب» لمؤلفه الدكتور هادي نهر لعيبي ٢٠٠٩م^(٢)، ولعلّ أبرز ما جاء في هذه الكتب التقديمية مناقشة العلاقة بين اللغة والمجتمع، وتعريف اللسانيات الاجتماعية ومنهجيتها، وعلاقتها بعلم الاجتماع اللغوي، والاهتمامات المنهجية لللسانيات الاجتماعية، ومفهومي اللغة واللهجة، ومفهوم الجماعة اللغوية، وموضوعات التنوعات اللغوية، والاقتراض والامتزاج اللغوي بين اللغة العربية والكلمات الأجنبية، والحديث عن اللهجات والمقصود باللهجات الإقليمية، واللغة الفصحى، واللهجات الاجتماعية، والازدواج اللغوي، وتعدد مستويات الاستعمال اللغوي في المجتمع الواحد.

ويدخل تحت هذا الصنف محاضرة منشورة للدكتورة ريم بسيوني بعنوان: «علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي، محاور ونظريات» ٢٠١٨م، عرّفت فيها بالمقصود بعلم اللسانيات الاجتماعية الحديثة، ودرست بدايات هذا العلم وأسباب نشأته، وطرق البحث المتعارف عليها لدراسة المتغير اللغوي، كما ناقشت المحاور الحديثة لللسانيات الاجتماعية. ودرست الازدواجية اللغوية وقدمت عرضاً عاماً لدراسة الازدواجية اللغوية، وإسهام فيرجسون في دراسة الازدواجية اللغوية، والنظريات التي ناقشت

(١) السيد، ١٩٩٥م.

(٢) لعيبي، ٢٠٠٩م.

الازدواجية اللغوية من حيث مستوياتها وفكرة عربية المتعلمين المنطوقة. كما تناولت اللهجات والتنوعات في العالم العربي وناقشت مفهومي الوجهة والمعيّار، كما ناقشت تحويل الشفرة، وتحويل الشفرة والازدواجية اللغوية، والدوافع والوظائف الخطابية لتحويل الشفرة التقليدي، والعلاقة بين اختيار الشفرة ودور المتكلم في الخطابة مطبقاً كدراسة حالة على الخطابة السياسية المصرية^(١).

نجد أيضاً عدّة دراسات حديثة تسعى للتعريف باللسانيات الاجتماعية، مثلما نجد في دراسة عز الدين صحراوي «اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية»^(٢) م٢٠٠٣، وقد هدفت هذه الدراسة إلى توضيح علاقة اللغة باللسانيات، واللسانيات الاجتماعية، وأن اللسانيات الاجتماعية تدرس اللغة المستعملة من قبل المجموعة اللغوية، أي اللغة في واقعها اليومي، وأن منهاجيتها تكمن في تسجيل استعمالات المتكلمين بها في وضعيات اعتيادية؛ ومن ثمّ فهي الدراسة العلمية للأداء اللغوي دون الرجوع إلى ما تقول اللسانيات في تفريقها بين اللغة والكلام، أو الكفاية اللغوية والأداء الكلامي^(٣).

وأن اللسانيات الاجتماعية تحاول تحديد الهيمنة اللغوية لنمط لغوي على آخر، كما تحاول اكتشاف القوانين والمعايير الاجتماعية التي تحدد المواقف اللسانية ضمن المجموعة اللغوية، وأن اللسانيات الاجتماعية بهذا التصور تندمج كثيراً مع اللسانيات بمفهومها الشمولي حيث تهتم في المقام الأول بالوظائف اللسانية التي لها صلة فقط بالتطبيقات داخل المجتمع، فإذا كانت العلاقة: لغة - مجتمع، تعدّ واحدة من الإشكاليات الأساسية لللسانيات العامة، فإن اللسانيات الاجتماعية بفضل ما تتوفّر عليه من تقنية ومنهجية فعالة تجد نفسها مهتمة بذات الإشكالية اللسانية الاجتماعية.

ونجد دراسة أخرى للدكتور عز الدين صحراوي نفسه، بعنوان «العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية المعاصرة»، هدفت إلى تقديم

(١) بسيوني، ٢٠١٨م.

(٢) صحراوي، ٢٠٠٣م، ص ١٧٢.

تحليل وصفي لدور اللغة من منظور اللسانيات الاجتماعية بوصفها حلقة اهتمام لكثير من المعارف والتحقق من وظائفها اللسانية لدى المتكلمين في المجتمع الجزائري. وأشارت الدراسة إلى أن تأثير عامل اللغة في تشكيل الهوية الجماعية لا يكاد يأبه بالحتمية الجغرافية، بل يتجاوزها في كثير من المواقف مما يجعل المسافة تتلاشى عندما يتعلق الأمر بالشعور بالانتماء اللغوي، ويسهم تداخل عنصر الالتزام بين الواقع الاجتماعي والتواصل اللغوي بشكل فعال في تعزيز ثقة المتكلمين وتقودهم نحو التماسك الاجتماعي واللغوي. ويختلف الوضع في المجتمعات المتحضرة، حيث تتعدد وتنوع وتختلف الأدوار الاجتماعية؛ ومن ثم يوجد عدد من مستويات اللغة، كما توجد أنماط للكلام تتناسب مع المسافات الجغرافية والخلفيات التعليمية والمهنية للأفراد، وتذهب إلى أن الاختلاف المجسد في واقعنا الآتي يجعل الفرد غير قادر على الحديث بالطريقة ذاتها في كل المواقف الاجتماعية^(١). وتنتهي الدراسة إلى أنه يمكن التفريق بين الأفراد من خلال الرجوع إلى استخداماتهم اللغوية، حيث يبدو عنصر المفاضلة قائماً بينهما، وتشكل اللغة عنصر بناء وهدم وتشئت لغوي يتولد عنه في كل مره صراع تنافسي بين المستويات قد يؤثر سلباً أو إيجاباً في بلورة أفكار وقناعات لدى كثير من فئات المجتمع حول موقفهم من الواقع اللغوي بكل أبعاده^(٢).

من ضمنها أيضاً، دراسة «اللسانيات الاجتماعية في نمطها الكمي» للدكتور قويدر شنان، ٢٠١٨م، التي عرضت للتوجه الكمي في اللسانيات الاجتماعية، معرّفة باللسانيات الاجتماعية، مستعرضة ظهورها، ومفصلة القول في اللسانيات الاجتماعية الكمية، ومتحدثة عن التنوع الأسلوبي، والذخيرة اللغوية، وأنواعها، والتهجين والتحويل اللغوي التحويري. وذهبت إلى أن اللسانيات الاجتماعية قد تجاوزت مثالية اللسانيات البنيوية والتحويلية القائمة على الاستنباط والطابع الافتراضي المجرد بالانتقال إلى الطابع التجريبي الاستقرائي الميداني والمخبري^(٣).

(١) صحراوي، ٢٠٠٤م، ص ٤٥.

(٢) صحراوي، ٢٠٠٤م، ص ٤٩.

(٣) شنان، ٢٠١٨م، ص ١٨٣.

وأخيراً، في هذا الشأن، سعى الدكتور عبد القادر زروقي في دراسته «الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي، دراسة في المفهوم وآلية البحث» ٢٠١٨م، إلى تناول مفهوم الجماعات اللسانية من منظور اللسانيات الاجتماعية، وإلى دراسة أهم المعايير والمتغيرات التي تركز عليها اللسانيات الاجتماعية في رصد أهم التغيرات اللغوية التي تميز الجماعات اللسانية. وذهبت الدراسة إلى أن مصطلح الجماعة اللسانية من المصطلحات الشائعة في اللسانيات الاجتماعية، وهو القاعدة الأساسية للساني الاجتماعي في رصد وتحليل الظواهر اللغوية والاجتماعية في رقعة جغرافية معينة، وأن الإحاطة بمفهوم الجماعة اللسانية وتحديد هياكلها هو أمر لا مفر منه في مجال اللسانيات الاجتماعية، فبمجرد أن يتم تصور اللغة على أنها أداة للتواصل تتكيف واحتياجات الذين يستخدمونها يتولد التواصل الذي يعني الجماعة^(١).

لعلّ السمة الأبرز للكتب والدراسات في هذه الفقرة، التي خصصت للتعريف باللسانيات الاجتماعية، تظهر في عناوينها وأهدافها المعلنة، فهي بالأساس، كتب تقديمية تحاول التعريف بمفهوم اللسانيات الاجتماعية وتقديمه للقارئ العربي؛ ولذا فإن أبرز سمات تلك الكتب والدراسات هو البساطة والاختصار وعدم الشمولية في طرح القضايا والمفاهيم اللسانية الاجتماعية، إضافة إلى أنها اقتصر على العرض النظري مع انعدام الجانب التطبيقي، أو معالجة القضايا النظرية بالاعتماد على الأمثلة التطبيقية النابعة من واقع المجتمع العربي الحقيقي بناء على الدراسات التطبيقية التي ناقشت واقع هذا المجتمع. وهي معالجة لا تزال تفتقدها المقاربة العربية التي تصدّت لهذا المجال.

وأخيراً، يتضح مما عرضناه أن الأبعاد الأساسية لمعالجة الظواهر اللسانية الاجتماعية في اللغة العربية في الأدبيات التي استعرضنا محتوياتها، يمكن حصرها في أربعة محاور. تمثل محورها الأول في التطور اللغوي ودراسة اللهجات، وهو عبارة عن مباحث مبسّطة تناولها الدارسون فيما كتبوه في كتبهم التقديمية لعلم اللغة. وقد اهتمت تلك الدراسات

(١) زروقي، ٢٠١٨م، ص ٩٩٦.

بتناول حياة اللغة، والتطور اللغوي، والاحتكاك اللغوي، والصراع اللغوي، واللغة المشتركة، والجغرافيا اللغوية. ويتركز المحور الثاني حول اللهجات العربية القديمة، من خلال ظهور كتب تخصصية لدراسة تلك اللهجات العربية القديمة وكلام العرب، والتراث اللهجي، ونظرة علماء العربية إلى اللهجات من خلال مؤلفاتهم، ودراسة لهجات القبائل على المستويات الصوتية والصرفية، وبعض الظواهر العامة فيها. وذهبت تلك الدراسات إلى أن السمات اللغوية التي نُقلت إلينا عن الوضع اللغوي في الجزيرة العربية قبل الإسلام تبين وجود لهجات محكية بجانب الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم، وأن تلك اللهجات كانت في حالة تطور في مرحلة ما قبل الفتوحات العربية، وتتبع رحلة الفتوحات اللغوية التي استبدلت اللغات القائمة في البلدان المفتوحة في شمال إفريقيا والعراق والشام باللغة العربية.

يتشكّل المحور الثالث من مسائل متخصصة تدخل في نطاق اللسانيات الاجتماعية، فقد تمّ تقديم مجموعة من القضايا التي تصنف من ضمن قضايا اللسانيات الاجتماعية ودراستها من حيث علاقتها بالمجتمع، فتمّ تناول المستويات اللغوية للعربية، واللغة والجنس، واللغة والشباب، والازدواجية اللغوية، والتداخل اللغوي، والتنوع اللغوي.

وتمثّل المحور الرابع في الكتب والدراسات التي خصصت للتعريف باللسانيات الاجتماعية، حيث ظهرت مجموعة من الكتب النظرية التقديمية لعلم اللسانيات الاجتماعية، سعت إلى محاولة تقديم هذا العلم إلى القارئ العربي والتعريف بمفاهيمه الأساسية.

والسمة الأبرز في معالجة المسائل ذات الصلة باللغة العربية قديماً هي الطابع الوصفي نظراً إلى ندرة المصادر اللغوية وبعد المجتمع مدار الدراسة بعداً لا يتيح مناقشة الظواهر اللغوية العربية خاصة في المراحل الأولى للغة العربية واللهجات العربية القديمة. أما فيما يتعلق بالقضايا التي تندرج ضمن مقارنة الاستعمال المعاصر وحياة اللغة الراهنة فقد اتسمت المقاربات بعدم الشمولية، وكان الاجتزاء هو سمتها الأبرز حيث تم عرض هذه القضايا بصورة تقديمية ينقصها عمق المعالجة وعدم النظر في ارتباطاتها

مع القضايا اللغوية الأخرى. فالازدواجية على سبيل المثال، تتداخل مع ظاهرة لغوية أخرى هي التعددية اللغوية ولا تخلو المجتمعات من تداخل الازدواج مع التعدد اللغوي، وهو أمر ينبغي الإشارة إليه عند المعالجة، وهو ما لم يتحقق في تلك الدراسات.

من الناحية المنهجية اقتضت معالجة الجهود العربية للظواهر اللسانية الاجتماعية في اللغة العربية على العرض النظري مع انعدام الجانب التطبيقي، أو معالجة القضايا النظرية بالاعتماد على الأمثلة التطبيقية النابعة من واقع المجتمع العربي الحقيقي بناء على الدراسات التطبيقية التي ناقشت واقع هذا المجتمع. وقد خلت كذلك، من التطبيق الصارم للمنهجيات البحثية الحديثة التي تعتمد على الدراسات اللسانية المعاصرة في مقارنة القضايا اللغوية الاجتماعية. فهي لا تزال في مرحلة الدعوة إلى ضرورة تطبيقها على المجتمع العربي وتنوعاته اللغوية المختلفة، ولم تتجاوز هذه المعالجة بعد إلى الاتكاء على تطبيقات حقيقية عربية تنبع من واقع المجتمع العربي، وتياراته اللغوية المختلفة، لغياب هذا التطبيق وندرته، وندرة وجود دراسات عربية اعتمدت على استقراء حقيقي متعمق لهذا الواقع.

ويمكن القول إنها جهود لا تزال في مرحلة التشكّل، ولا تزال تحتاج إلى الانتقال من معالجة القضايا التراثية بصورة نظرية لا تعتمد البحث التطبيقي، ومناقشة القضايا المتشكّلة عن علاقة اللغة بالمجتمع منفصلاً بعضها عن بعض وبصورة تنظيرية لا يدعمها البحث الاختباري، إلى اعتماد منهجية تقوم على وعي كامل بمنظور حديث متّصل بالبحث الميداني التطبيقي يعالج القضايا المتداخلة بعضها مع بعض، باعتماد أدوات منهجية وتقنيات مناسبة في جمع المادة اللغوية العربية الحية، من أرض الواقع المعيش من مظانها المختلفة، ووفق تفاعلاتها الواقعية في المجتمع، وتياراتها المتعددة، وملاحظة متغيراتها الاجتماعية واللغوية المختلفة، وجمع هذا التطبيق وفق أسس علمية منهجية، وبأدوات بحثية علمية مقبولة تقوم على الجمع، والاستقراء، والتحليل، والاستنباط، وهو ما لا يزال مفقداً إليه في الجهود العربية التي تصدّت لهذا المجال.

ومع ذلك، لا يسعنا ختاماً إلا تأكيد أن ما عرضناه أعلاه جهود قيّمة ومشكورة أسست لبدايات الاهتمام بالظاهرة اللغوية في سياقها الاجتماعي العربي، وسارت في اتجاه تشكّل وعي أكبر بأهمية معالجة هذه الظواهر في سياق مشروع المقاربة اللسانية الاجتماعية دون أن يصل هذا التطور مرحلة إدراك الرهانات الكبرى المعرفية والحضارية القابعة خلف هذا المشروع. وهذا مما يشرّع لنا القول بأن الحاجة لا تزال ماسة إلى مشاريع بحثية تطبيقية تتناول الظاهرة اللغوية في سياقها الاجتماعي العربي، وإلى مشاريع بحثية تقدّم هذه القضايا بصورة نظرية شاملة تجمع كل القضايا اللغوية التي تندرج في السياق الاجتماعي وتدرس ارتباطاتها المختلفة، وتأثيراتها بعضها في بعض، أو مشاريع بحثية تجمع بين النظرية والتطبيق في معالجة هذه القضايا بين دفتي كتاب واحد، وهو الهدف الذي قصدنا إليه بهذا الكتاب.

خاتمة الفصل

جاء هذا الفصل توطئة لهذا الكتاب، لتحديد أهمية وجوده، والحاجة التي دعت إلى تأليفه، والمحتوى الذي سيضيفه في هذا المجال، حيث تم استعراض الجهود العربية التي بذلت منذ ظهور اللسانيات المعاصرة لمعالجة الظواهر اللغوية العربية في إطارها الاجتماعي، فحدّد الكيفية التي كانت عليها البدايات، والموضوعات والقضايا التي تمّ تناولها، وعرض لأهم الدراسات التي توفرت حتى اللحظة، وأوضح الطريقة التي جاءت عليها، ومنهجيتها، ليتبين لنا مدى الحاجة إلى جهد عربي ينقلنا من تلك المرحلة، إلى مرحلة جديدة تقدم لنا المنظور اللساني الحديث المنطلق مما وصلت إليه آخر النظريات اللسانية المعاصرة عند روادها الغربيين، لمناقشة أبرز الموضوعات اللسانية الاجتماعية مجتمعة مع بعضها، ومطبقة على واقعنا العربي، بالاعتماد على أمثلة عربية خالصة مستمدة من استخدامات المجتمعات العربية بتفاعلاتها المختلفة، وفق منهجية لسانية اجتماعية معتمدة. وهذا هو هدف الكتاب الذي بين أيدينا، وما سيحاول هذا الكتاب إنجازه، وهو السعي إلى تقديم لسانيات اجتماعية عربية معاصرة من النظرية إلى التطبيق.

الفصل الثاني

جذور اللسانيات الاجتماعية
في التفكير اللساني الحديث



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يسعى هذا المبحث إلى تقديم عرض مختصر لأهم سمات وخصائص المدارس اللسانية الأبرز، وتبيان وجوه الاتفاق والاختلاف بينها؛ لنتمكن من تتبع جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث، ولنترسخ لنا بوضوح الأصول التي استمدت منها اللسانيات الاجتماعية اهتماماتها؛ وعليه سيتناول هذا الفصل المختصر النظر في أهم سمات وخصائص المقاربات الثلاث الرئيسية لدراسة اللغة وهي المقاربات البنوية، والوظيفية، والتوليدية، لنستشف جذور ومنطلقات اللسانيات الاجتماعية، وأين استقت توجهاتها واهتماماتها، وأين يقع اهتمام اللسانيات الاجتماعية من بينها، وعلاقة اللسانيات الاجتماعية بالنظرية اللغوية الحديثة.

ولغرض تلمس جذور اللسانيات الاجتماعية في تلك المدارس، فإننا سنقاربها ونحن نطلق من حكم مسبق بأن اللسانيات الاجتماعية تهتم بدراسة تأثير البنيتين الاجتماعية واللغوية، إحداهما في الأخرى، وأن مدار اهتمامها ومجال بحثها هو الموضوعات التي تندرج تحت تلك العلاقة. وسينتهي الفصل إلى أن موضوع الدراسة الأساسي في المقاربة الوظيفية هو التواصل اللغوي، وما يكتسب فيها هو نظام للتواصل اللغوي؛ ومن ثم فإن الكفاية التواصلية فيها هي عنصر أساسي في الكفاية الاجتماعية، التي تعكس بشكل مناسب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي. وبما أن علماء اللسانيات الاجتماعية يعتقدون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجمل، وأن يتم ربطها بالسياق الاجتماعي؛ فإن اللسانيات الاجتماعية تجد نفسها تتفق مع منطلقات المدرسة الوظيفية، وتصدر عنها، ويتفق دارسوها مع أفكار تلك المدرسة أكثر من اتفاقهم مع منطلقات وأفكار المدارس اللغوية الأخرى.

جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث

ترمي اللسانيات النظرية إلى صياغة نظرية لبنية اللغة ووظائفها، وبدأ البحث اللغوي الحديث يأخذ طابعاً علمياً بعد توجه الدارسين للاهتمام بالدراسات التزامنية وظهور ما يسمى بالمدرسة البنيوية وارتباطها باللساني السويسري دي سوسير بعد دعوته المشهورة إلى التمييز بين الدراسات التعايقية، والدراسات التزامنية، وتشديده على مفهوم البنية، والنظام في اللغة^(١). إن التأثير في هذه المدرسة هو الذي ينشأ عن علاقة العنصر اللغوي الذي يستخدمه المتكلم بالعناصر اللغوية الأخرى ذات الصلة بالعنصر المستخدم، فنحن نتعامل مع بنية متميزة محددة ليس للعوامل الخارجية صلة مباشرة بتحديد ما يعنيه العنصر ضمنها، بل المحدد هو علاقة الجزء بغيره من الأجزاء؛ إذ إن تحديد المعنى المعجمي، أو القواعدي لعنصر لغوي معين إنما يكون بالنظر في علاقاته الاستبدالية، والائتلافية معاً، وهي التي تؤلف البنية. واللغة في منظور هذه المدرسة نظام نظري مجرد منفصل عن الواقع الخارجي، غير أن هذا النظام المجرد يمكن أن يتحقق في الواقع الفعلي عن طريق الكلام أو الاستعمال. فاللغويون يعتنون باللغة وليس الاستعمال أو الكلام الذي يعنى به علماء التخاطب^(٢).

إن بنيوية دي سوسير تعنى بدراسة بنى اللغة في حد ذاتها على نحو مستقل، ليس فقط بعزلها عن العالم الخارجي، بل أيضاً عن نسيجها الاجتماعي الذي تعيش فيه، وبينما اهتمت البنيوية الأوروبية بزعماء دي سوسير بالعلاقات الاستبدالية، كان البنيويون الأمريكيون بزعماء بلومفيلد يولون عنايتهم بالعلامات الائتلافية، ودعا بلومفيلد إلى إبعاد دراسة المعنى من الوصف اللغوي بسبب صعوبة البحث فيه بحثاً موضوعياً^(٣).

(١) خليل، ١٩٨٨م، ص ١٠١.

(٢) علي، ٢٠٠٤م، ص ٦٧.

(٣) علي، ٢٠٠٤م، ص ٦٨.

تفرع عن البنيوية أو تلاها اتجاه آخر يعرف بالمدرسة الوظيفية بقيادة فيرث وأتباعه، حيث تتلخص وجهة النظر الوظيفية في صعوبة الفصل بين البنية اللغوية، والسياق الذي تعمل فيه، والوظيفة التي تؤديها تلك البنية في السياق^(١)، وفي ذلك خروج عن المبدأ الواضح الذي أرساه دي سوسير وتبعه في ذلك البنيويون من أن البنى اللغوية ينبغي أن تدرس في حد ذاتها بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة بوصفها نظاماً مجرداً مستقلاً^(٢).

فقد ظهر فيرث وأتباعه في الأربعينيات والخمسينيات في جامعة لندن، ولقد أقام فيرث رؤيته اللسانية على البعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية في أساسها الثقافي التواصل، مما يعني قيام التحليل اللغوي على وصف العلاقة الكائنة بين اللغة والأنساق الاجتماعية، والتمييز بين العلاقة النسقية الداخلية بمستوياتها الركني والاستبدالي، والعلاقة السياقية الخارجية^(٣). ويمكن تلخيص نظرية فيرث في كونها تنظر إلى المعنى على أنه وظيفة في سياق، وهو ما عدّ تحولاً في النظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنه علاقة بين اللفظ، وما يحيل عليه في الخارج، أو في الذهن من حقائق وأحداث^(٤).

وقد رأى فيرث أن الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، والنظر إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية، وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأق إلا بعد أن يتجسّد القول في موقف فعلي معين، أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الوضعي الكامن، إلى حيّز الوجود الاستعمالي الفعلي، وهو أمر لا يتحقق - حسب رأيه - إلا في سياق الموقف. وقد اقتبس فيرث نظريته سياق الموقف من مالنوفسكي، وبدلاً من الحديث عن العلاقة الثنائية بين اللفظ والمعنى صار الحديث في المدرسة السياقية عن مركب من اللفظ والمعنى

(١) خليل، ١٩٨٨م، ص ١١١.

(٢) علي، ٢٠٠٤م، ص ٧٠.

(٣) بوقرة، ٢٠٠٩م، ص ١٢٠.

(٤) علي، ٢٠٠٤م، ص ٧٨.

في علاقته بغيره من المركبات التي يمكن أن تحل محله في نفس السياق^(١)، وبرز ما يسميه فيرث بالتوزيع السياقي contextual distribution المحكوم بمنهج الإبدال الذي يقتضي أن الكلمة مثلاً، ماهي إلا مقابل إبدال معجمي لكلمات أخرى، يمكن أن تحل محلها في ذات السياق، ويتحدد معناها بمقدار ما يحدثه هذا المعنى من تغيير^(٢).

استفاد فيرث من تراث دي سوسير لاسيما في مجال العلاقات الاستبدالية، والائتلافية التي وظفها في منهج الإبدال، حيث تدخل العناصر اللغوية في علاقات عمودية بين العنصر المذكور، وغيره مما يمكن أن يحل محله، وعلاقات أفقية بين العناصر المتجاورة^(٣).

قدم هاليداي في بداية الستينيات شرحاً وتفسيراً منفصلين لنظرية فيرث، وضَمَّنَها أبعاداً جديدة بحيث لم تعد مقصورة على مستوى الجملة، بل تجاوزتها إلى ما هو أكبر منها حتى غدا النص - وليس الجملة - الوحدة الصغرى للتحليل.

أعطت المدرسة الوظيفية أهمية كبيرة لعنصر السياق، والأبعاد الوظيفية للغة، ومهدت السبيل للتوسع في دراسات التخاطب، وسيبقى الفضل محفوظاً لفيرث في إعادة اعتبار المعنى في الدراسات اللسانية مما انعكس في عدد من الدراسات اللسانية الحديثة مثل تلك التي تعنى بدراسة المحادثة وأفعال الكلام، والافتراضات، ومناسبة الكلام للسياق^(٤). وإن ما يشترك فيه أتباع الحركة جميعاً هو الاعتقاد بأن بنية الكلام تحدها الفائدة المتوخاة من جراء استخدامها والسياق التواصل الذي تقع فيه. ويذهب جون لوينز Lyons إلى أنه يمكن القول على وجه العموم، بأن الحركة الوظيفية كانت تهدف إلى إبراز أهمية عمل اللغة في المجتمع كأداة؛ ولذلك فإننا نجد صلة طبيعية بين وجهة النظر

(١) خليل، ١٩٨٨م، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) علي، ٢٠٠٤م، ص ٨٠.

(٣) علي، ٢٠٠٤م، ص ٨٠.

(٤) بوقرة، ٢٠٠٩م، ص ١٢٢.

التي يتبناها الموظفون وتلك النظرة التي يتبناها فلاسفة يعتقدون بأن السلوك اللغوي يندرج ضمن الفكرة الأكثر شمولاً للتفاعل الاجتماعي^(١).

لم يقصر الموظفون عموماً وظيفة اللغة على التعبير عن أفكار متكلميها بل أصرّوا على تعدد وظائف اللغة سواء منها الإبلاغية، أو التعبيرية أو الاجتماعية، أو الطلبية. ويمكننا القول على وجه الإجمال: إنّ ما يميز الموظفين عن سبقتهم من البنيويين ولا سيما دي سوسير وأتباعه، عدم الفصل بين البنى اللغوية ووظائفها، وعدم إمكان عزل اللغة عن نسيجها الاجتماعي، وإغفال الفرق بين اللغة والكلام، والتشديد على التفاعل بين النظام (البنية) والسياق، وإعطاء الوظيفة أهمية أكبر من البنية نفسها، ورفض النسبية والقول بالعموميات التي تنطبق على كل اللغات، وعدم الالتزام بالتفريق الحازم بين الدراسات التعاقبية والتزامنية كما رسمه دي سوسير.

ظهرت في أواخر الخمسينيات ما يسمى بالمدرسة التوليدية على يد تشومسكي، وتعتمد هذه المدرسة في مناهجها على استخدام ما يعرف بالقواعد التوليدية، لقد رفض تشومسكي في مراجعة لاذعة المنهج السلوكي في استخدام اللغة بوصفه نتاجاً غير مقبول للتجريبية الصارمة في المدرسة السلوكية البلومفيلدية.

إنّ الفكرة الأساسية التي توجّه المنهج التوليدي هي سمة الإنتاجية في اللغة، التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أن يؤلف، ويفهم جملاً جديدة غير متناهية، لم يسبق أن سمعها من قبل، وهي السمة التي تميز الإنسان من الآلات والحيوانات^(٢). فإذا كان الأطفال قادرين على استخدام جمل جديدة يعدّها الكبار سليمة في صياغتها، فذلك يعني أن هناك شيئاً آخر يتجاوز مجرد محاكاة الجمل التي سمعوها من الكبار، وهو أنهم يولدون بقدرة لغوية تمكّنهم من ذلك، فإذا كان الأمر كذلك فعلياً أن ندرس تلك القدرة التي تمكّن المتكلم من إحداث جمل جديدة، وفهمها، بدلاً من أن نوجه اهتمامنا

(١) لوينز، ترجمة محمد العناني ٢٠٠٩م، ص ٢٠٠.

(٢) علي، ٢٠٠٤م، ص ٨٣.

إلى جمع المادة اللغوية من أفواه المتكلمين؛ لأنه مهما توسعنا في جمع المادة اللغوية من أفواه المتكلمين، فإننا نعجز عن تغطية كل المادة التي نحتاجها، بل ربما حتى القدر الكافي منها وبقدراً ما ننجح في اكتشاف القواعد التي يعتمد عليها المتكلمون في صياغة التراكيب فإننا نتمكن من تقديم تفسير مرض علمياً لخصيصة الإنتاجية في اللغة^(١).

يطلق مصطلح النحو التوليدي على "طائفة من القواعد التي تحدد أنواعاً مختلفة من أنظمة اللغة وهي" طائفة من القواعد التي تنطبق على معجم محدود من الوحدات فتولد مجموعة (إما محدودة أو غير محدودة) من الائتلافات (المكونة من عدد محدود من الوحدات) بحيث يمكن بهذه القواعد أن نصف كل ائتلاف بأنه سليم في صياغته في اللغة التي يصفها النحو^(٢).

من المهم أن ننبه هنا على أن التوليديين لا يصنعون جملاً مدونة من المادة اللغوية التي استخدمها المتكلمون، بل يصوغون جملاً مفترضة باتباع منهج التوليد، ثم ينظرون في واقع اللغة (بالرجوع إلى حدس اللغوي عادة) ويتساءلون عما إذا كانت الجملة المولدة بمنهج رياضي مطابقة لقواعد اللغة بالفعل، أي هل كان صوغها سليماً؟ ومن هنا يأتي مصطلح السلامة اللغوية، وهكذا فإنهم يعاملون اللغة الطبيعية معاملة اللغات الصورية المخترعة، وهو أمر لا يوافق عليه كثير من اللسانيين. وقد ترتب على هذا المنهج التجريدي في دراسة اللغة استخدام مصطلحات مثل المتكلم - السامع المثالي الذي ليس له وجود في الواقع اللغوي، بل يفترضه اللساني اعتماداً على حدسه وكفايته اللغوية، أي معرفته بقواعد لغته ومعجمها. ودرج النحاة التوليديون على افتراض بني عميقة للائتلافات اللغوية يحكمها منطق اللغة الذي يفترضون أن كل متكلمي اللغة يرثونه من آبائهم، ففي كل لغة يمكن افتراض بنية تعبر عن وقوع فعل ما، من فاعل ما، يقع على مفعول به، ومن الممكن أن يعبر عن هذه الفكرة المنطقية بمناويل لغوية مختلفة^(٣).

(١) اللحياني، ٢٠٢٠م، ص ١٥.

(٢) علي، ٢٠٠٤م، ص ٨٤.

(٣) علي، ٢٠٠٤م، ص ٨٦.

ومن المهم هنا أن ندرك أن عملية التوليد وتقليب الاحتمالات لا تمثل ما يقوم به المتحدث عندما يتكلم، بل هي عملية رياضية دقيقة يقوم بها اللساني عند ممارسته النحو التوليدي^(١).

قدمنا هنا عرضاً مختصراً لأهم سمات المدارس اللسانية الأبرز، ولتتبع جذور اللسانيات الاجتماعية في التفكير اللساني الحديث يمكن أن ننظر في أهم سمات وخصائص تلك المقاربات الثلاث الرئيسة لدراسة اللغة وهي كما عرضناها المقاربة البنائية، والوظيفية، والتوليدية^(٢)؛ لنستشف جذور ومنطلقات اللسانيات الاجتماعية، وأين استقت توجهاتها واهتماماتها، وأين يقع اهتمام اللسانيات الاجتماعية من بينها.

وتدرس اللسانيات الاجتماعية، التي هي أكثر قرباً إلى روح مشروع سابير، تأثير البنيتين الاجتماعية واللغوية، إحداهما في الأخرى. فتبحث دراسة لابوف ١٩٦٦م^(٣) مثلاً، تأثير الطبقة الاجتماعية في التنوع اللغوي. وثمة لسانيون اجتماعيون آخرون يدرسون العلاقة بين المكانة ضمن مجموعة معينة، والتنوع اللغوي^(٤). وهذا الاهتمام بالتنوع داخل اللغات من السمات المميزة للمقاربات الوظيفية في دراسة اللغة.

وتندرج برامج البحث الوظيفية على وجه العموم ضمن الميل الأشمل لمقاربة دراسة اللغة باعتبارها نظاماً تواصلياً قائماً على التفاعل. فوفقاً لفان فالين ١٩٩١، وهو أحد أنصار هذا الاتجاه: «تتمثل النظرة الوظيفية إلى اللغة في اعتبارها نظاماً للتفاعل التواصلي الاجتماعي... فالتركيب، بحسب هذه النظرة، ليس اعتباطياً في أصله، بل يكون مدفوعاً نسبياً باعتبارات دلالية وتداولية وعرفانية»^(٥).

(١) اللحياني، ٢٠١٧م، ص ١٩.

(٢) يمكن للقارئ أن يطلع على عرض مختصر مفيد لهذه المدارس الثلاث في كتاب لويينز، ترجمة محمد العناني ٢٠٠٩م، ص ٢٠٠.

(3) Labov, 196.

(4) Eckert 1989.

(5) Newmeyer 1991: 4.

وبحسب روس توملين ١٩٩٠، وهو لساني يتخذ مقاربة وظيفية، فإن: "التركيب ليس مستقلاً عن الدلالة والتداولية... ورفضُ استقلاله مستمد من ملاحظة أن استعمال أشكال نحوية معينة مرتبط ارتباطاً قوياً، بل ارتباطاً محتملاً أيضاً، بوجود وظائف دلالية أو تداولية في الخطاب"^(١).

والفكرة القائلة بأن الشكل اللغوي وعلى نحو أكثر تحديداً الشكل التركيبي مستقل، سمة مميزة للتوليديين. ويهدف الباحث الذي تغلب عليه الميول التوليدية إلى تحديد الخواص الذاتية للغة التي تجعلها على ما هي عليه. وذلك يعني بالنسبة إلى الغالبية العظمى من المنتمين إلى هذه المقاربة، التسليم بوجود كليات في بنية اللغة البشرية، لا تُتعلّم، بل تكون معروفة ضمناً، فتسمح للأطفال بتعلم اللغات البشرية وتساعدهم عليه^(٢). ولدى هذه النزعة التوليدية ولع بالعثور على سمات للغات مثيرة للدهشة مما لا يمكن الاستدلال عليه من بيانات الاستعمال، ولا يمكن التنبؤ به من العرفان البشري أو من متطلبات التواصل^(٣).

وبدلاً من أن يكونوا منبهرين بالتنوع اللغوي، كما هي الحال لدى الوظيفيين، يبدي التوليديون انبهاراً فائقاً بكون الأطفال الصغار جداً يكتسبون اللغة بدرجة متماثلة من الإتقان المرتفع، بغض النظر عن مستويات ذكائهم وظروف تنشئتهم الاجتماعية. ويستنتجون من ذلك أنه لا بد من وجود سمات غير متعلمة تشترك فيها اللغات جميعاً، فترفد اكتساب اللغة بطريقة ما^(٤).

ويرى عدد كبير من التوليديين المعاصرين المتبعين لمذهب تشومسكي في هذه المسألة أن الدلالة والتداولية ليستا جزءاً مركزياً من دراسة اللغة. «فدراسة المعنى والإحالة وكذلك استعمال اللغة يجب أن تستبعد من ميدان اللسانيات... فبالنظر إلى أي نظرية لسانية،

(1) Newmeyer 1991: 4.

(٢) تشومسكي، ترجمة حمزة المزييني، ١٩٩٠م، ص ٤٣ - ٤٦.

(3) Scholz, Barbara, C., Francis Jeffrey Pelletier, and Geoffrey K. Pullum, 2021.

(٤) تشومسكي، ترجمة حمزة المزييني، ١٩٩٠م، ص ٥١ - ٥٣.

تبنى المفاهيم النحوية على أساس متصورات أولية ليست دلالية (حيث يحتوي النحو على الأصوات والتركيب)، غير أن النظرية اللسانية نفسها ينبغي تحيُّرها بحيث تقدم أفضل تفسير ممكن للظواهر الدلالية، ولغيرها من الظواهر^(١).

ورغم أن تشومسكي توليدي في مقارنته للدراسة اللغوية، فإن استبعاد الدلالة من أن تكون جزءاً مركزياً في النظرية اللسانية ليس أمراً ملازماً للتوليدية اللسانية على الإطلاق، ويوجد اليوم كثير من التوليديين الذين يذهبون إلى أن الدلالة مكوّن من مكونات أي نظرية لسانية مكتملة^(٢).

سنحاول في الفقرة التالية مقارنة ما عرضناه من خصائص تلك المدارس ليتبين لنا بوضوح وجوه الاتفاق والاختلاف بينها ولتترسخ لنا بوضوح الجذور التي استمدت منها اللسانيات الاجتماعية اهتماماتها: فمن ناحية الظواهر الأولية لهذه المقاربات نجد المقاربة البنيوية تتناول الأقوال المتحققة كما ينتجها مستعملو اللغة، أما المقاربة الوظيفية فتتظّر في معطيات العرفان والتفاعل والتواصل الاجتماعي، فيما تركز المقاربة البنيوية على الحدوس التي تتعلق بالتركيب النحوية والمعنى الحرفي. وموضوع الدراسة الأساسي في المقاربة البنيوية هو الاستعمال اللغوي، والخواص البنيوية للتعبيرات واللغات، أما في المقاربة الوظيفية، فإن موضوع الدراسة هو التواصل اللغوي، والعرفان، والتنوع، والتغير، فيما نجد أن المبادئ الكلية المجردة التي تفسر خواص اللغات، هي الموضوع الأساسي للدراسة في المقاربة التوليدية^(٣).

وتهدف المقاربة البنيوية إلى وصف البنية والعلاقات المتبادلة في التعبير، والتنبؤ بخواصه. أما المقاربة الوظيفية فإن هدفها الرئيس هو تفسير الخواص البنيوية للغات بحسب آليات العرفان العامة، ووظائف التواصل. فيما تهدف المقاربة التوليدية إلى

(1) Chomsky 1977: 139.

(2) Katz 1980.

(3) Scholz, Barbara, C., Francis Jeffry Pelletier, and Geoffrey K. Pullum, 2021.

تبيين المبادئ الكلية، وتقديم التفسيرات للمستوى العميق والعابر للغات من الخواص اللغوية الثابتة. وتنظر المقاربة البنيوية إلى البنية اللغوية على أنها نظام من الأنماط، التي يمكن استنتاجها من السمات الموضوعية السانحة بشكل عام، فيما تنظر إليها المقاربة الوظيفية على أنها نظام من الابتئات التي تتراوح بين عبارات اصطلاحية جاهزة، وأنواع إنتاجية عالية التجريد، وتنظر إليها المقاربة التوليدية على أنها نظام من الشروط المجردة التي قد لا تكون جلية في خبرة مستعمل اللغة العادي^(١).

ومن ناحية القيم فهي في المقاربة البنيوية، النمذجة المحكمة للشكل اللغوي، الموافقة للبيانات التجريبية، التي تسمح بالتنبؤ بما لم يُدرس من الحالات، وهي في المقاربة الوظيفية التفسيرات العرفانية والثقافية والتاريخية والتطورية للظواهر الموجودة في أنظمة التواصل اللغوي، وهي في المقاربة التوليدية تفسير خواص اللغة بالقوانين العامة والمجردة للغاية بحسب ما يُستنتج من الحدوس اللغوية. وتنظر المقاربة البنيوية إلى لغة الأطفال على أنها شكل وليد من اللغة مختلف جداً عن الكفاية اللغوية للكبار، وهي في المقاربة الوظيفية متتالية من الأطوار في عملية تنشؤ فردي لإنماء كفاية تواصلية بالغة، أما في المقاربة التوليدية فهي مشابهة جداً للكفاية اللغوية للبالغين رغم احتجابها بحدود عرفانية ونطقية ومعجمية. وما يكتسب في المقاربة البنيوية هو فهم للخواص التوزيعية لمكونات التعبيرات اللغوية، وما يكتسب في المقاربة الوظيفية هو نظام للتواصل اللغوي، معرفي بالأساس ومتناقل تناقلاً ثقافياً، أما ما يكتسب في المقاربة التوليدية فهو جهاز توليدي مستضمر يحدد مجموعة لامتناهية من التعبيرات^(٢).

تعتمد كثير من الاختلافات المركزية بين هذه المقاربات على ما يعده مؤيدوها المشروع الرئيس للتنظير اللساني، وما يعدونه تفسيراً مُرضياً. ويمزج كثير من الباحثين - بل ربما غالبيتهم - بين عناصر مستمدة من كل مقارنة من هذه المقاربات الثلاث^(٣).

(1) Scholz, Barbara, C., Francis Jeffry Pelletier, and Geoffrey K. Pullum, 2021.

(2) Scholz, Barbara, C., Francis Jeffry Pelletier, and Geoffrey K. Pullum, 2021.

(٣) لوينز، ترجمة محمد العناني ٢٠٠٩م، ص ٢٠٠.

يمكننا الآن أن نذهب أكثر عمقا، وتحديدًا، وننظر في مفهوم الوظائف اللغوية كما عرضتها المدرسة الوظيفية، وكما تناولتها المقاربة الوظيفية للغة، وعندها سنجد أن المدرسة الوظيفية قدّمت نموذجين يعتمدان الوظائف اللغوية ويوليانها جلّ الاهتمام وهما نموذج التواصل عند جاكبسون، وكذلك نموذج الوظائف اللغوية عند هاليدي.

كان جاكبسون يركز في دراسته على العلاقة بين الدالّ والمدلول أو بين المعنى والإشارة، أي أنه كان يركّز على العلاقة القائمة بين الأشكال ويهتم بالبنى الظاهرة فقط، واهتم جاكبسون بالبعد التبليغي في نظريته عن التواصل، وعدّ التواصل والتبليغ من أهم وظائف اللغة التي تتعدّد بتعدّد الأغراض المستعملة لتحقيقها^(١). وضحّ جاكبسون بادئ ذي بدء عناصر التواصل لأي حدث لغوي، واستنبط منها ما يُسمّى نموذج وظائف اللغة عند جاكبسون. فحدث التواصل يتكون من ستة عناصر هي: المتكلّم والمخاطب والسياق والشفرة والرسالة والقناة، وكل عنصر من هذه العناصر ترتبط به وظيفة من وظائف اللغة وهي^(٢):

الوظيفة التعبيرية (أو الانفعالية) The Expressive ("emotive") Function

ترتبط هذه الوظيفة بالمتكلم، أي بمرسل الرسالة اللغوية، وعندما تُركّز الرسالة على المرسل فإن وظيفة اللغة في الرسالة تكون وظيفة تعبيرية، وتكثر هذه الوظيفة في الرسالة ذات الشحنات الانفعالية والعاطفية للمتكلّم؛ وذلك لأنه يُعبّر عن انطباعه وانفعاله وشعوره نحو شيء ما، ويكثر في هذه الوظيفة استعمال ضمائر المتكلم التي تساعد المرسل في التعبير عن ذاته، وتحقيق الوظيفة اللغوية المطلوبة.

الوظيفة التأثيرية The Conative Function

تقترن بالمخاطب (= المتقبّل) وتحققها كل العناصر اللغوية التي تجعل التواصل متركزا عليه بصفة رئيسية، وهي أداة الباث للتسلّط على المخاطب سعياً لتغيير اعتقاده أو سلوكه،

(١) موان، ترجمة نجيب غزاوي، ١٩٨٢م، ص ١٥١.

(٢) بوقرة، ٢٠٠٩م، ص ٩٦.

والوظيفة المهيمنة في الخطابين الدعوي والسياسي تقليدياً وفي الإعلان التجاري المعاصر على نحو نموذجي. ولها حوامل لغوية مضبوطة إلى حد كبير من الزاويتين البنيوية والإجرائية منذ العصور القديمة وفيها يندرج باب علم المعاني في البلاغة العربية (الخبر وأنواعه والغرض من إلقائه والإنشاء وأقسامه وأغراضه إلخ) وكل ما كتبه الجاحظ مثلاً في الخطابة (البيان والتبيين). وتقدّم نظرية الأعمال اللغوية في اللسانيات الغربية المعاصرة نماذج متعدّدة لوصف هذه الوظيفة من خلال تعريف العمل الكلامي speech act بمعايير يدور أغلبها على مفاهيم القصد وإرادة تغيير حالة المخاطب المعرفية أو المادية واتجاه المطابقة بين المطلوب بالقول وحالة الوجود؛ ولذا فإن أبنية النداء والاستفهام والأمر والنهي والمعاني التي تتحقق بها وأبنية الخبر والأغراض التي تعقد عليها وكذا متتاليات الاستدلال والحجاج تتعلّق من جوانبها الرئيسية، بالوظيفة التأثيرية وتندرج في إستراتيجياتها.

الوظيفة المرجعية The Referential Function

تربط الوظيفة المرجعية اللغة بالسياق (بالذوات والأحداث بما في ذلك الأفكار والانفعالات)، وهي أهم الوظائف التواصلية على الإطلاق، فلا يخلو عمل تواصل من إحالة على مرجع؛ لأن شرط استعمال اللغة عند المتكلم هو الحاجة إلى الإحالة بواسطة الخطاب، وتخدم الوظيفة المرجعية معظم الظواهر اللغوية. فهي تستغرق معجم اللغة (حيث تحزّن المدلولات التي هي إحالات مرجعية ممكنة)، وبها يتعلّق شكل التركيب الأبسط في اللغة أي الإسناد، والوظائف النحوية الأساسية (المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعيل إلخ). تهيمن هذه الوظيفة في الأقوال الإخبارية التقريرية كالنصوص التاريخية والأخبار الصحفية والنصوص العلمية والفكرية والتعليمية...

الوظيفة الشعرية The Poetic Function

يحقق الوظيفة الشعرية كل مظهر من مظاهر التواصل يتجه إلى التركيز على نفس الرسالة في تشكيلها المادي والصوري، في ذاتها ولذاتها، بما يجعل هذا التشكّل محور اهتمام الباث والمتقبّل ومقدّماً على المحتويات الخبرية وسائر المكونات والوظائف الأخرى. وتمكّن هذه الوظيفة من تحويل الرسالة إلى موضوع فنيّ جماليّ.

الوظيفة الانتباهية The Phatic Function

تركز الوظيفة الانتباهية على القناة (اللغة الشفهية أو المكتوبة) وتستعمل في المحافظة على العلاقة التواصلية في بعديها المادي والنفسي (أو في قطعها) وفي التثبت من وصول الرسالة إلى المخاطب (= المتقبل)، وتهدف إلى تأمين المسار لتواصل فعال. إن المثال النموذجي في هذه الحالة هي عبارة «آلو» في الاتصال الهاتفي، و«هل تسمعي؟»، ولها حوامل لغوية أخرى صوتية وتركيبية وحوامل شبه لغوية كأنواع الخطوط في الكتابة وغير لغوية في صورة أصوات غير لغوية وإشارات وحركات وأوضاع جسدية تخضع للعرف الاجتماعي، وتمثل جزءاً من الكفاية الاجتماعية الثقافية. ولئن كانت الوظيفة الانتباهية موطئة لغيرها غالباً فإنها قد تصبح في بعض أنواع المخاطبات مقصودة لذاتها عندما تستخدم اللغة ضمن روابط اجتماعية لمجرد تأمين العلاقة بين المتخاطبين، كما في أنواع الثروة التي تصاحب العمل الجماعي اليدوي دون أن تتعلق به، أو السؤال عن الصحة أو أحوال الطقس في بعض الثقافات لربط علاقة شخصية بين المتخاطبين يبدعها ويرعاها عمل تواصل عرفي محيل على ذاته مكتف بتحقيقه غير متضمن موضوعاً ولا هدفاً ولا رسالة، محض تلفظ بأقوال معهودة يكررها كل قائل.

الوظيفة الوصفية The metalinguistic (or "reflexive") Function

تتعلق الوظيفة الوصفية (التي قد تترجم بالوظيفة الميتالغوية أو الماور لغوية) باللغة (= الشفرة) وتحققها الأقوال التي تكون فيها اللغة نفسها موضوعاً للرسالة. فقد جرى في المنطق الحديث التفريق بين مستويين في استعمال اللغة: استعمال اللغة للإخبار عن الخارج أو الكون، واستعمال اللغة للإخبار عن اللغة، ويجلي هذا الفرق القولان اللاحقان:

- تشرق الشمس في الساعة الخامسة.

- تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر.

ليست اللغة الوصفة مجرد أداة علمية ضرورية للغويين والمناطقية، ولكنها بُعد أساسي في التواصل العادي اليومي، فهي التي تجعل عمليات التفاوض حول المعنى ممكنة

(ماذا تقصد بعبارة «عاد بخفي حنين»؟ «عاد بخفي حنين» مثل يُضرب لمن خاب مسعاه، كيف أقول «يضرب بوري» بالفصحى؟ «العافية» في العامية المغاربية تعني النار،...)

أما هاليدي فقد درس اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية للكشف عن أنماط العلاقات بين النظام اللغوي والتركيب الاجتماعي والثقافي لمستخدميها، وذهب إلى أنه هو أهم ما ينبغي أن يعنى به الباحثون في اللغة، فاللغة لا تفهم إلا إذا كانت في نصوص، والنصوص لا تفهم إلا إذا كانت في سياقاتها الاجتماعية والثقافية، فهو يرى أن النص والسياق جانبان لعملية واحدة^(١).

استطاع هاليدي الربط بين اللغة وكيفية توظيفها لتؤدي المعاني؛ إذ تشكل النظرة الوظيفية الإطار الذي يتمكن فيه المتكلم من توضيح الخيارات المتاحة أمامه، فيستطيع الربط بين اللغة والوظيفة التي تؤديها، أما السياق فهو عبارة عن مجموعة من العناصر الكلامية المكونة له وتربطه بالعوامل المؤثرة في البيئة حيث ذهب إلى تقييد فكرة السياق وذلك بإضافة الكلمة ذات الصلة إليها؛ لأن سياق الحال لا يعني كل صغيرة أو كبيرة في المحيط المادي فهو يعني الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل^(٢).

أسس هاليدي إطاره النظري لدراسة اللغة على ثلاثة مستويات: المادة، والشكل، والموقف. والمادة تتكون من المسموع كأصوات أو المكتوب كالحروف، والرموز الكتابية، والشكل هو النص المستخدم في التواصل اللغوي، ويتألف من النحو والمعجم. والموقف هو العناصر الثقافية والاجتماعية الخارجة عن نطاق النظام اللغوي، كظروف النص المدروس وملابساته، وزمانه، ومكانه، والوقائع التي مهدت له، وعدد المشاركين فيه، وموضوع الحديث وما صاحبه من أحداث، وما يقوم به المشاركون من إيماءات وحركات جسدية^(٣).

(١) المنيزل، ٢٠٢٠م، ص ٢٦

(٢) المنيزل، ٢٠٢٠م، ص ٢٧.

(٣) عماش، ورياض، ٢٠١٦م، ص ١٣٦.

اهتم هاليدي بشرح وظائف اللغة، ودراسة كيفية تأثير الوظائف في تركيب الجملة الأساسية في اللغة، وتظل نظرية هاليدي تطويراً لنظرية فيرث الذي استخدم مصطلح التركيب استخداماً متماسكاً في أعماله كلها، وهو عنده يتجلى على المستويين المعجمي والنحوي في ظاهرتين بارزتين هما: التلازم، والتوارد. فالتلازم، يقوم على علاقة دلالية بين الكلمات، والتوارد يقوم على علاقة نحوية بين العناصر اللغوية، لكن هاليدي لم يكتف بأفكار فيرث بل وسع دائرة معارفه، فأفاد من طروحات مدرسة براغ، وأفاد من آخرين وعلى رأسهم مالينوفسكي^(١)، فقد استثمر هاليدي ما قام به فيرث من تهيئة المكونات اللغوية لتتلاءم مع المكونات الاجتماعية والثقافية، فأفاد من سياق الحال والنظام، وتبني وجهة نظر فيرث التي تقوم على تعدد الأنظمة لتفسير تشعب الظاهرة اللغوية، وأفاد مما قدمه فيرث عن التلازم في تصويره للمعجم، وعن التوارد في تصويره عن شبكة الأنظمة. وتبنى مفهوم فيرث ومالينوفسكي من أن المعنى وظيفة في السياق، فرأى أن المعنى هو الوظيفة، والوظيفة هي الاستخدام، فاستخدامنا اللغة هو معناها، وأفاد أيضاً من مفهوم التطور اللغوي عند مالينوفسكي، وأن اللغة تتطور استجابة لحاجات المجتمع الذي يستخدم اللغة^(٢).

جعل هاليدي للغة ثلاث وظائف كبرى هي: الوظيفة الفكرية Ideational Function، والوظيفة التبادلية Interpersonal Function، والوظيفة النصية Textual Function. أما الفكرية فتتمثل في التعبير عن المحتوى، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع، بما فيه العالم الداخلي لوعيه الخاص، فتقوم بترتيب عالم الكاتب أو المتحدث الحقيقي أو المتخيل، أي أن اللغة تشير إلى الأشخاص والأفعال والأحداث، والحالات الحقيقية، والمتخيلة، ومثال ذلك ما يقوم به المرسل بإرسال رسائل ونصوص إلى المتلقي، فتتحول هذه الرسائل والنصوص إلى مجموعة من الانفعالات، والمشاعر، والأحاسيس الذاتية. أما الوظيفة التبادلية فهي الوظيفة التي تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها

(١) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٥.

(٢) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٤.

من خلال ابتكارها أدواراً اجتماعية تشمل أدوار التواصل communication roles كوسائل والمجيب مثلاً، ثم من خلال تبادل الخبرات والمنافع بين شخص وآخر. وأما الوظيفة النصّية فهي التي تجعل المتكلم قادراً على بناء النصوص، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه، وهي التي تجعل السامع أو القارئ يميز نصاً من مجموعة عشوائية من الجمل، وتقوم اللغة من خلال الوظيفة النصّية بإنتاج النصوص، والربط بين أجزاء الخطاب الواحد، بما تقدمه له من وسائل الربط، وخصائص السياق التي تستخدم اللغة فيه^(١). وتفرع عن الوظائف الكبرى الثلاث، سبع وظائف هي على النحو الآتي^(٢):

- **الوظيفة النفعية Instrumental function**، وهي اللغة المستخدمة لتلبية حاجة، مثل الحصول على الطعام أو الشراب أو الراحة، وتتضمن عادةً الأسماء الملموسة. ويلخصها هاليداي في عبارة «أنا أريد» I want.

- **الوظيفة التنظيمية Regulatory function**، وهي اللغة المستخدمة للتأثير في سلوك الآخرين بما في ذلك الإقناع أو الأمر أو الطلب، وتستعمل لإصدار الأوامر للآخرين، وتوجيه سلوكهم، (أفعل كذا ولا تفعل كذا)، ويلخصها هاليداي في عبارة «افعل كما أطلب منك» Do as I tell you

- **الوظيفة التفاعلية Interactional function**، وهي اللغة التي تُستخدم لتطوير العلاقات وتسهيل التفاعل، واستعمال اللغة من أجل تبادل المشاعر والأفكار بين الفرد والآخرين، ويمكن أن يشمل ذلك عبارات مثل «أحبك يا أمي» أو «شكراً لك»، ويلخصها هاليداي في عبارة «أنا وأنت» Me and you

(١) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٥٣.

(2) Thwaite, 2019, p44.

- **الوظيفة الشخصية Personal function** وبها تعبّر اللغة عن الآراء والمواقف والمشاعر الشخصية بما في ذلك هوية المتحدث.

- **الوظيفة الاستكشافية Heuristic function**، وتمثلها اللغة المستخدمة للاستكشاف والتعلم والاكتشاف. وهي استخدام اللغة من أجل الاستفهام عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها، ويلخصها هاليداي في عبارة «أخبرني عن السبب» Tell me Why

- **الوظيفة التخيلية Imaginative function**، وهي استخدام اللغة لرواية القصص وإنشاء بنيات خيالية، وهذا عادة ما يصاحب اللعب أو الأنشطة الترفيهية. ويستعمل فيها المتكلم اللغة للتعبير عن تخيلات وتصورات من إبداعه، وإن لم تطابق الواقع، فاللغة أداة للهروب من الواقع من خلال كتابة الشعر والقصص للتعبير عن الانفعالات الشخصية، وكذلك للترويح عن النفس من خلال الشعر والغناء، ويلخصها هاليداي في عبارة «دعنا نتظاهر أو ندعي» Let us pretend

- **الوظيفة الإعلامية Informative function** وهي اللغة المستخدمة لنقل المعلومات والحقائق أو طلبها، وتوظيف اللغة من أجل تمثل الأفكار والمعلومات، وإيصالها للآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة «لدي شيء أريد إبلاغك به I have got something to tell you»

لننظر أخيراً في مفهوم الكفاية الذي ركزت عليه المدارس اللسانية، حيث يمكن أن تتلمس بعض الخصائص التي لها علاقة بالمعالجة الاجتماعية للغة، ويرتبط مفهوم الكفاية برأي تشومسكي أن كل البنى النحوية، التي تجسد المعرفة اللغوية للبالغين موجودة في الأذهان منذ الولادة، كما يرتبط أيضاً بفكرة تشومسكي للغة على أنها «طائفة من الجمل المتناهية أو غير المتناهية»⁽¹⁾، فكل جملة متناهية في طولها، ومركبة من مجموعة متناهية من العناصر، وتؤول ظاهرة اللاتناهي infinity إلى القول بأن ما يحمله المتكلم في ذهنه من الجمل الممكنة، أكثر بكثير من المقولات التي قيلت بالفعل،

(1) Chomsky, 1957, p13.

وهذا يعني أن المهم في اللغة، إنما هو الجانب الإبداعي غير المحدود لمعرفة المتكلم السليقي للغة، كما يعني أيضاً أن الكفاية اللغوية هي التمكن من تطبيق ما يسميه تشومسكي "الكليات اللغوية" التي يزود بها الإنسان بالفطرة على جمل لغة بعينها، مع مراعاة ما تقتضيه مواضع تلك اللغة^(١).

على أي حال، فإن ثمة شعوراً متنامياً بين اللسانيين الاجتماعيين والمهتمين بالتخاطب إجمالاً ولا سيما التداوليين منهم بأن الكفاية اللغوية وحدها ليست كافية لنجاح عمليات التفاهم اللغوي، بل لابد من وجود الكفاية التخاطبية أو كفاية أشمل هي الكفاية التواصلية communicative competence، فالكثير منهم يرى أن التخاطب عملية لا تخلو من إخبار، أو استفهام، أو تسمية، أو نحو ذلك مما يسمونه بأفعال الكلام، وبذلك يتطور المفهوم الجامد للكلام كما شرحه دي سوسير إلى عمل إيجابي يأخذ طابع الاستعمال، وهو أمر يتيح إقحام مصطلحات ديناميكية أخرى تحل محل نظائرها الجامدة في تراث دي سوسير ربما كان من أهمها استخدام مصطلح القصد بدلا من المعنى، وأصبح موضوع الدراسة، تحليل المحادثة والنص، بدلا من الجملة^(٢).

تتضمن دراسة اللغة أكثر من مجرد وصف التراكيب النحوية للجملة، أو تحديد محتواها الافتراضي. ويعتقد اللسانيون الاجتماعيون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجملة، ويجب أن تربطها بالسياق الاجتماعي، ويجب أيضاً أن تتعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل التواصل الإنساني، والحالات الاجتماعية التي تستخدم فيها، وينتقل تركيز الاهتمام من الجملة إلى فعل الاتصال والحدث الكلامي^(٣).

بناء على النماذج التواصلية التي اقترحت أولاً بواسطة رومان جاكسون، وهاليداي، يقترح اللغوي الاجتماعي ديل هايمز أن الاستخدام التواصلية للغة أو الحدث الكلامي

(١) علي، ٢٠٠٤م، ص ٤٥.

(2) Wardhaugh and Fuller.2015. p.16.

(3) Wardhaugh and Fuller.2015. p.20.

يتكون من سبعة عوامل مميزة كل منها مرتبط بوظيفة مختلفة. ويستخدم مصطلح الكفاية التواصلية لوصف معرفة كيفية استخدام اللغة بطرق مناسبة ثقافياً. اقترح هذا المصطلح ديل هايمز ١٩٧٢م كمفهوم مضاد للكفاية اللغوية عند تشومسكي الذي ركز على المعرفة المثالية للمستمعين والمتحدثين بالنحو في لغتهم الأم. حافظ هايمز على تلك المعرفة اللغوية وضمنها أكثر من ذلك بكثير^(١). يوضح هايمز ١٩٧٢م هذا المصطلح على النحو التالي: بينما تغطي الكفاية اللغوية قدرة المتحدث على إنتاج جمل صحيحة نحويًا، تصف الكفاية التواصلية قدرته على اختيار مجموعة التعبيرات الصحيحة نحويًا المتاحة له والصيغ التي تعكس بشكل مناسب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك في لقاءات محددة. إن تعلم لغة ما شيء، لكن تعلم كيفية طلب مشروب بهذه اللغة شيء آخر. فللقيام بالأول تحتاج إلى كفاية لغوية محددة، لكنك تحتاج للقيام بالأمر الثاني إلى كفاية اتصالية^(٢). وكما يقول سافيل ترويك ١٩٩٦م: «تمتد الكفاية التواصلية إلى كل من المعرفة وتوقع من يتكلم، ومن لا يتكلم في بيئات معينة ومتى يتكلم، ومتى يبقى صامتًا، ومن الشخص الذي يمكن التحدث إليه، وكيف يمكن للمرء أن يتحدث إلى أشخاص في أوضاع وأدوار مختلفة، وماهي السلوكيات غير اللفظية الملائمة في سياقات مختلفة، ما هي إجراءات المحادثة، كيفية طلب المعلومات وإعطائها، كيفية الطلب، كيفية عرض المساعدة وكيفية رفضها، أو التعاون، كيفية إعطاء الأوامر، كيفية تطبيق النظام وما شابه. باختصار كل ما يتعلق باستخدام اللغة وأبعاد التواصل الأخرى في بيئات اجتماعية معينة»^(٣).

يذهب هايمز ١٩٧٢م إلى أنه عند تعلم اللغة لا يجب على الأطفال تعلم كيفية بناء الجملة في هذه اللغة فقط، ولكن يجب عليهم أيضا اكتساب معرفة مجموعة من الطرق التي تستخدم بها الجمل، فمن تجربة محدودة لأفعال الكلام وترابطها مع السمات الاجتماعية والثقافية، فإنهم يطورون نظرية عامة للتحدث المناسب في مجتمعهم،

(1) Hayms, 1972, p204.

(2) Hayms, 1972, p205.

(3) Saville - Troike. 1996, p.363.

يوظفونها مثل الأشكال الأخرى من المعرفة الثقافية الضمنية (الكفاية) في بناء وإدارة وتفسير الحياة الاجتماعية^(١). ففي تعلم التحدث نحن نتعلم أيضاً التواصل بطرق مناسبة للمجموعة التي نقوم بالتعلم فيها، وهذا يسمى أحياناً لغة التنشئة الاجتماعية، وتختلف هذه الطرق من مجموعة إلى أخرى؛ ومن ثمّ عندما تنتقل من مجموعة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى يجب أن نتعلم الطرق الجديدة إذا أردنا الاندماج في تلك المجموعة الجديدة، أو استخدام تلك اللغة الجديدة بشكل مناسب؛ لذا فإن الكفاية التواصلية هي عنصر أساسي في الكفاية الاجتماعية^(٢).

موقع اللسانيات الاجتماعية بين اللسانيات النظرية وعلم اجتماع اللغة

تندرج التوجهات المختلفة للبحوث في اللسانيات الاجتماعية بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وتتناول بنيتين مختلفتين هما البنية اللغوية والبنية الاجتماعية؛ ومن ثمّ فهي تتعاطق مع مجالين واسعين هما: اللسانيات العامة التي تهتم بدراسة النظرية اللغوية، وعلم الاجتماع ممثلاً في علم الاجتماع اللغوي The sociology of language، حيث تستكشف اللسانيات الاجتماعية اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ إذ تدرس العلاقات بين اللغة والمجتمع لأجل فهم أكثر عمقا للبنية اللغوية، وكيف تعمل اللغة في التواصل^(٣)، وهذا يعني أنها تهتم باللغة المستخدمة في التواصل بين مختلف الفئات الاجتماعية في مختلف المواقف الاجتماعية، حيث يشير ديل هايمز إلى أنه «يجب اكتشاف نقاط ارتباط محددة بين اللغة والمجتمع»^(٤). ويتم ذلك من خلال اهتمام اللسانيات الاجتماعية بالنظريات التي تلقي الضوء على كيفية تفاعل البنى اللغوية والاجتماعية.

(1) Hayms, 1972, p.279.

(2) Wardhaugh and Fuller. 2015. p.331.

(3) Wardhaugh, R. 1992. p.11.

(4) Hymes, D. 1974.

الهدف المقابل في علم الاجتماع اللغوي هو اكتشاف كيف يمكن فهم أفضل للبنية الاجتماعية من خلال دراسة اللغة، وكيف أن بعض السمات اللغوية تخدم ترتيبات اجتماعية معينة.

وانطلاقاً من طبيعة اللسانيات الاجتماعية، كونها أرضية مشتركة للغويين وعلماء الاجتماع، فقد اختلفت اهتمامات الطرح، حيث يسعى علماء الاجتماع اللغوي لفهم الجوانب الاجتماعية للغة، في حين يعنى اللسانيون الاجتماعيون بالجوانب اللغوية للمجتمع^(١).

وفيما يتعلق بعلاقة اللسانيات الاجتماعية باللسانيات النظرية، فإن الهدف في اللسانيات النظرية هو تحديد خصائص اللغة الطبيعية، ودراسة اللغة بغرض البحث عن نظرية قواعد اللغة الكلية، وفي هذه العملية يهدف المحلل أو الدارس إلى بناء قواعد نحوية للغة بعينها. وبهذه الطريقة تضع اللسانيات النظرية تركيزها على تحديد ما هي الأجزاء المكونة للغاتها وآلياتها الداخلية^(٢). ولتحقيق ذلك تميل النماذج النظرية إلى استبعاد بعض المكونات، وإحالتها إلى المكونات المعجمية أو الدلالية التداولية للغة، أو حتى خارج اللغة تماماً^(٣).

هذا التوجه للدراسات اللسانية النظرية يعد استبعاداً لدراسة اللغة كحقيقة اجتماعية، ولم يبدأ الاعتراف الحقيقي بدراسة اللغة كحقيقة وظاهرة اجتماعية إلا بعد ظهور اللسانيات الاجتماعية في الستينيات الميلادية من القرن العشرين كمشروع معروف يعتمد على الربط بين كل من الدراسة اللغوية والاجتماعية؛ إذ سعت اللسانيات الاجتماعية للجمع بين الاهتمام بالهياكل اللغوية والأبعاد المجتمعية لفهم كيفية تأثير اللغة في العمليات والعلاقات الاجتماعية وما تسهم تلك العمليات

(1) Wardhaugh.1992. p13.

(2) Hudson. 1980. p.3.

(3) Georgieva. 2014. p.4.

والعلاقات في صنعه^(١). ويؤكد هذه الرؤية كوبلاند وجاورسكي، اللذان ذهبا إلى أنه بينما تركز النظرية اللغوية على بنية اللغة دون الاهتمام بالسياق الذي تتعلم فيه اللغة، فإن علم اللسانيات الاجتماعية يركز على دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ودراسة الحياة الاجتماعية من خلال اللسانيات^(٢). وأكد تلك الرؤية أيضا جومبيرز الذي قال إن اللسانيات الاجتماعية هي محاولة للعثور على روابط بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية ومراقبة أي تغيرات تحدث^(٣). ويمكن قياس البنية الاجتماعية نفسها بالرجوع إلى عوامل ومتغيرات اجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية، والخلفية التعليمية...، ويمكننا بعد ذلك محاولة ربط السلوك اللفظي والأداء بتأثير تلك العوامل.

ومن هنا يمكننا القول إن اللسانيات الاجتماعية تهتم بقضايا اللغة «الواقعية» في السياق الاجتماعي. فبينما تبني اللسانيات النظرية لغة مبسطة وفق قواعد محددة، تحاول اللسانيات الاجتماعية التعامل مع فوضى اللغة كظاهرة اجتماعية طبيعية. ويمكن فهم اللسانيات الاجتماعية على أنها محاولة لأخذ هذه الحقيقة على محمل الجد. ويختلف مفهوم اللغة الذي تستند إليه اللسانيات الاجتماعية في طرق مميزة عن مفهوم اللسانيات النظرية. فبدلاً من النظر إلى اللغة على أنها بنية قائمة بذاتها كما هو الحال في تلك اللسانيات، تضع اللسانيات الاجتماعية تغيير اللغة وتنوعها في قلب مداولاتها^(٤).

ومن هنا ظهرت اللسانيات الاجتماعية كفرع جديد متداخل ضمن علم اللسانيات العامة، حيث يتعامل مع العلاقة التي أهملت في الدراسات اللسانية النظرية بين اللغة والمجتمع^(٥). ومنذ ظهور علم اللسانيات الاجتماعية تركز النقاش بين اللغويين فيما إذا كانت اللغة ينبغي دراستها كنظام مغلق أو نظام مفتوح: فمن ناحية ينظر دارسو

(1) Coulmas. 2008. p.564.

(2) Coupland and Jaworski 1997.p1.

(3) Gumperz, 1971

(4) Coulmas. 2008. p.563 - 564.

(5) Trudgill. 1995.

اللسانيات النظرية إلى اللغة على أنها نظام مغلق ينبغي دراسته في ذاته ولذاته؛^(١) واهتمام اللغوي النظري هو وضع نظرية قواعد اللغة، ولتحقيق هذا الهدف فإنه لابد من التغاضي عن الاختلافات بين المتكلمين، وفي هذا المعنى يقول تشومسكي ١٩٦٥م: "تعنى النظرية اللغوية في المقام الأول بمتكلم - سامع مثالي في مجتمع كلامي متجانس تماماً يعرف لغته بشكل جيد ولا يتأثر بالشروط النحوية غير ذات الصلة مثل قيود الذاكرة، والانحرافات، وتحولات الانتباه والاهتمام والأخطاء"^(٢). في حين يتناول علم اللسانيات الاجتماعية اللغة على أنها نظام مفتوح دائم التفاعل مع مجموعة من العوامل المجتمعية^(٣).

ويعتقد هـدسون أن هناك صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع وعوامله المختلفة؛ لأنه لا يمكن فصل اللغة عن المجتمع ويرى أنه ينبغي دراسة اللغة في سياقها الثقافي، انطلاقاً من أن مستخدمي اللغة يأتون من طبقات اجتماعية مختلفة؛ لذلك تتأثر لغتهم بالمعايير الاجتماعية والأنماط الثقافية المختلفة^(٤).

ويذهب لابوف إلى القول: "بالنسبة لنا، هدفنا من الدراسة هو بنية وتطور اللغة في السياق الاجتماعي الذي شكّله المجتمع اللغوي"^(٥). ويبدو أن لابوف يثبت صعوبة فصل اللغة عن المكون الاجتماعي الأساسي فيها، حيث أشار إلى أهمية ربط بنية اللغة بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغات، لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات العامة واللسانيات الاجتماعية، وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإن اللسانيات ذات بعد اجتماعي^(٦). وإذا كانت اللسانيات الاجتماعية تحاول تحديد الهيمنة

(1) Radford, A.1997. p.5.

(2) Chomsky, N. 1965. p.3.

(3) Radford, A.1997. p.5.

(4) Hudson. 1980. p. 84.

(5) Labov, 1972.p258.

(٦) زروقي، ٢٠١٨م، ص ١٠٠٦.

اللغوية لنمط لغوي على آخر، واكتشاف القوانين والمعايير الاجتماعية التي تحدد المواقف اللسانية ضمن الجماعة اللغوية، فإنها تندمج كثيراً مع اللسانيات بمفهومها الشمولي، حيث تهتم في المقام الأول بالوظائف اللسانية التي لها صلة بالتطبيقات داخل المجتمع، وإذا كانت علاقة اللغة بالمجتمع، تعدّ واحدة من الإشكاليات الأساسية لللسانيات العامة، فإن اللسانيات الاجتماعية وبفضل ما تتوفر عليه من تقنية ومنهجية فعّالة تجب نفسها مهتمة بذات الإشكالية اللسانية الاجتماعية^(١).

يدرك اللغويون النظريون العلاقة بين اللغة والمجتمع لكنهم يتجاهلون فقط من أجل الحصول على نظرة أعمق للنظام اللغوي، ومن هنا يكون تركيزهم على الكفاية اللغوية تبسيطاً ضرورياً قادهم إلى الكثير من التجريد النظري. من ناحية أخرى يدرك علماء اللسانيات الاجتماعية أهمية دراسة اللغة كنظام وكشكل ثقافي يقع في موقع اجتماعي، مع الاعتراف بتحليل الرمز اللغوي والعمليات المعرفية لتكلمها وسامعها^(٢).

إن الظهور القوي للمنظور التوليدي في اللسانيات قاد التيار الأعظم من اللغويين إلى أن يديروا ظهورهم للمجتمع. وهم يعترفون بالتنوع كحقيقة واضحة، ومع ذلك يذهبون إلى أنه لا مصلحة للنظرية اللغوية في الانكباب على ذلك^(٣). وإذا كان صحيحاً أنه لا مصلحة للنظرية اللغوية في التنوعات، فإن اللسانيات النظرية ستفشل في الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي يرغب في فهمها الكثير عن ماهية اللغة، وكيفية عملها، وتأثير تفاعلها، وكيف يمكن للغة أن تفي بوظيفة التواصل على الرغم من تلك الاختلافات (التنوع). وأسباب تغير اللغات، وماذا يعني هذا التغير؟ وما هي أهداف ودلالات ذلك التغير؟

بتجاهل مثل هذه الأسئلة، وتجاهل النظر في احتمال أن العوامل الاجتماعية يجب أن يكون لها دور في التحليل اللغوي، وباستبعاد التباين باعتباره نقصاً بدلاً من الاعتراف به

(١) صحراوي، ٢٠٠٣م، ص ١٧٣.

(2) Saville - Troike.2003.

(3) Trudgill, P.1995. p.20.

كسمة متأصلة في السلوك الإنساني، فإن اللسانيات النظرية العامة قد شيدت اللغة ككيان مجرد للغاية؛ وبذلك فإن النظرية اللغوية ستكون نظرية حول اللغة بدون بشر، ونموذجاً لعلاقة منقطعة عن الخطاب اللغوي التواصلية الفعلي. وأياً كانت مزايا هذا النموذج، فإن النموذج الذي لا يساعد على توضيح الأسس التواصلية للمجتمع سيكون ناقصاً. وبما أن جميع المجتمعات تظهر تبايناً في خطاباتها والغالبية من الناس تستخدم أكثر من لغة في حياتهم اليومية، فإنه لا يمكن فهم الظاهرة اللغوية، بدون الإشارة إلى العوامل الاجتماعية كما ذهب إلى ذلك كثير من اللغويين^(١).

(1) Romaine, S.1994. p.221.

خاتمة الفصل

يتبين لنا مما سبق أعلاه أن المقاربة الوظيفية تهتم بالمعرفة العقلية والتفاعل والتواصل الاجتماعي، وأن موضوع الدراسة الأساسي فيها هو التواصل اللغوي والعرفان والتنوع والتغير، وأن هدفها الرئيس هو تفسير الخواص البنوية للغات بحسب آليات العرفان العامة، ووظائف التواصل؛ إذ تنظر إلى البنية اللغوية على أنها نظام من الابتئات التي تتراوح بين عبارات اصطلاحية جاهزة، وأنواع إنتاجية عالية التجريد، تعتمد القيمة فيها على التفسيرات العرفانية والثقافية والتاريخية والتطورية للظواهر الموجودة في أنظمة التواصل اللغوي، وما يكتسب فيها هو نظام للتواصل اللغوي، معرفي بالأساس ومتناقل تناقلاً ثقافياً؛ ومن ثم فإن الكفاية التواصلية فيها هي عنصر أساسي في الكفاية الاجتماعية، من حيث إنها هي التي تصف قدرة المتحدث اللغوية، والصيغ التي تعكس بشكل مناسب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي. وبما أن دراسة اللغة تتضمن أكثر من مجرد وصف التراكيب النحوية للجمل، أو تحديد محتواها الافتراضي، وبما أن علماء اللسانيات الاجتماعية يهتمون بالأشياء المختلفة التي يفعلها الناس بتلك اللغة، ويعتقدون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجمل، وأن يتم ربطها بالسياق الاجتماعي، وينبغي أن تتعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل التواصل الإنساني، والحالات الاجتماعية التي تستخدم فيها، وينتقل تركيز الاهتمام عندهم من الجملة إلى فعل الاتصال والحدث الكلامي؛ فإن اللسانيات الاجتماعية تجد نفسها تتفق مع منطلقات المدرسة الوظيفية، وتصدر عنها، ويتفق دارسوها مع أفكار تلك المدرسة أكثر من اتفاقهم مع منطلقات وأفكار المدارس اللغوية الأخرى.

الفصل الثالث

المسائل الرئيسة للسانيات الاجتماعية



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يشكل هذا الفصل مدخلا نظرياً يلقي الضوء على منظور اللسانيات الاجتماعية، معرّفاً بطبيعتها، وأهميتها، وبدايات تشكلها، ومفهومها عند أبرز دارسيها، ويوضح الفرق بين اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية في تناولهما للقضايا اللغوية من منظور اجتماعي، ويناقش مجالات البحث الرئيسة فيها، ويعرض أهم الموضوعات التي تعالجها اللسانيات الاجتماعية. ويعرضها كمجال بحث متعدد التخصصات لدراسة السلوك اللفظي البشري، يتناول مجالاً واسعاً يقوم على التلاقح المتبادل لمجموعة من التخصصات المختلفة.

كما يعرض لمنهجية البحث المستخدمة في اللسانيات الاجتماعية، وهي منهجية تستهدف الحصول على معلومات عن التوزيع الجغرافي للسّمات اللغوية ومعرفة توزيعها الاجتماعي، وكثافتها، وتداخل تلك السمات وتمازجها، واكتشاف الأنماط والتنوعات اللغوية السائدة، ورسم الخريطة اللغوية التي تبين كثافة التوزيع والانتشار الطبيعي للسّمات اللغوية.

ومناقشة هذه الموضوعات توضح ماهية هذا العلم، والمقصود به، وحدوده، ومسائله الرئيسة، ومنهجيته وتعطي الدارس تصوراً يمكنه من معرفة موقع اللسانيات الاجتماعية بين فروع اللسانيات المختلفة.

منظور علم اللسانيات الاجتماعية

اللسانيات الاجتماعية كما وصفها واردهو ٢٠٠٥م هي دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع، حيث تهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي^(١)، ووفق هذا المنظور فإننا نستخدم اللغة لتعريف هويتنا والتعبير عنها اجتماعياً: من أين أتينا ومع من نتواصل،

(1) Wardhaugh. 2005. p.1.

ونحكم على شخصية ما من خلال وضع افتراضات حول خلفيتها اللغوية والاجتماعية استناداً إلى الطريقة التي تتحدث بها، حيث تدرس اللسانيات الاجتماعية الطريقة التي يتحدث بها الشخص بناءً على عوامل ومتغيرات اجتماعية مختلفة مثل العمر والجنس والعرق والطبقة الاجتماعية ومستوى التعليم والثقافة؛ إذ يهتم اللسانيون الاجتماعيون بدراسة هوية الأشخاص أو المجموعة الاجتماعية من خلال الطريقة التي يستعملون بها اللغة، ويتتبع اللسانيون الاجتماعيون الطرق التي تؤثر بها المتغيرات الاجتماعية في استعمال اللغة^(١)، كما تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة العلاقة بين استخدام اللغة وبنية المجتمع، ودراسة عوامل مثل الخلفية الاجتماعية لكل من المتحدث والمخاطب، وأعمارهما، ونوعهما، وطبقتهما الاجتماعية، وخلفيتهما المعرفية، وسياق التواصل. وهي فروع من فروع اللسانيات تتطور بسرعة كبيرة لاستكشاف الاختلافات الفردية، والاجتماعية للغة، والاختلافات المحلية، والإقليمية والوطنية، والخلفية الاجتماعية لكل من المتكلم والمستمع، والطبقة الاجتماعية والتعليم، والمنشأ الجغرافي، والخلفية الإثنية، ونوع الجنس، والعمر، وكلها عوامل ضرورية تدرس من أجل فهم اللغة، من حيث هي عوامل تؤثر في لغة المتكلمين.

وتجتهد اللسانيات الاجتماعية في البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة، استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديد ها. كما تجتهد في اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، وتوضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية. وهو التوجه الذي يؤكد بلوم وغرين بقولهما: «إن منظور اللسانيات الاجتماعية يتطلب البحث في الكيفية التي تستعمل بها اللغة لتؤسس سياقاً اجتماعياً، وفي نفس الوقت التعرف على الكيفية التي يؤثر بها السياق الاجتماعي في استعمالات اللغة، وإبصال المعنى»^(٢).

(١) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٣٢.

(2) Bloom and Green.2002. p.396.

وتنبع أهمية اللسانيات الاجتماعية من اعتبارات عملية ذات نفع كبير يعود على اللغات، وعلى مجموعات الكلام، ومنها سعيها إلى أن تمد التحليل اللغوي ببعد يتجاوز المدى الذي بلغه علم اللسانيات العامة، وذلك فيما تستدركه اللسانيات الاجتماعية على اللسانيات العامة من مسائل مثل إغفالها السياق الذي تستعمل فيه اللغة، وكيفية تفاعل اللغة مع محيطها، ويتمثل هذا البعد الأوسع في النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة، وأبرزها التشكيل الاجتماعي، والمتغيرات الاجتماعية كطبقة المتكلم، ومركزه وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه وغير ذلك^(١).

كان أول ظهور للسانيات الاجتماعية كعلم في الستينيات الميلادية على يد الرائدین باسل برنشتاين في المملكة المتحدة وويليام لابوف في الولايات المتحدة. وباسل برنشتاين عالم اجتماع بارز، قدمت نظريته في الرموز اللغوية مفاهيم ورموزاً محدّدة ومطورة، وقد بحثت هذه النظرية في العلاقات بين الطبقة الاجتماعية، والأسرة، وتكاثر نظم المعنى (يشير الرمز إلى المبادئ المنظمة لأنظمة المعنى). ويعدّ عمله الاجتماعي اللغوي إضافة مميزة حيث ناقش الاختلافات في الطبقة الاجتماعية في اللغة، وقد ميز بين المدونة المقيّدة للطبقة العاملة والشفرة المفصلة للطبقة الوسطى^(٢).

أما ويليام لابوف فهو لغوي أمريكي، معروف على نطاق واسع بأنه مؤسس اللسانيات الاجتماعية الكمية، وقدم دراسة رائدة عن تباين اللغة وتغيرها. وتهدف فرضية الاختلاف عند لابوف إلى تفسير جميع الاختلافات اللغوية الناجمة عن إشراك العوامل الاجتماعية، وأظهرت دراسته أهمية المحدّدات الاجتماعية للتغيرات اللغوية وارتباطها بالبنية الاجتماعية، واقترح نهجاً اجتماعياً للغة من خلال نموذج اللغوي الاجتماعي، الذي ترتبط فيه النظرية اللغوية بالمجتمع^(٣).

(1) Hudson. 1980. p.3.

(2) Bernstein. 1971.

(3) Labov. 1966.

هذان المفهومان اللغويان: نظرية الرمز عند برنشتاين ومفهوم التباين عند لافوف، قادا إلى أدوات منهجية مبتكرة، وإطار نظري وعملي أسس لعلم اللسانيات الاجتماعية. ولا شك أن مساهمات برنشتاين ولافوف في مجال اللسانيات الاجتماعية، قد وسعت نطاق الدراسة للجيل الذي أتى بعدهما، وشجعت أعمالهما العديد من العلماء لدراسة اللسانيات الاجتماعية مع وجهات نظر جديدة، تتعلق بدراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع، فأصبح مجالاً متعدد التخصصات تطورت دراساته لتشمل التفاعل بين اللسانيات وعدد من التخصصات الأكاديمية الأخرى، وخاصة الاجتماعية، من خلال الدور الذي تؤديه اللغة في صياغة المجموعات والمؤسسات الاجتماعية^(١).

وتبحث اللسانيات الاجتماعية في السلوك اللغوي، وكيفية تأثير البنية الاجتماعية بخائصها المختلفة في الاستخدام؛ ومن ثم تسعى جاهدة لربط المتغيرات اللغوية التابعة، بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة^(٢). ويذهب جومبيرز ١٩٧١م إلى أن اللسانيات الاجتماعية تبحث في إيجاد علاقات متبادلة بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية وملاحظة أي تغييرات تحدث^(٣)، وقد ذهب جوشوا أفيشمان ٢٠٠١م، إلى القول: "لقد مكن منظور اللسانيات الاجتماعية الباحثين من توثيق وقياس نوع الاختلاف في استخدام اللغة والسلوك اللغوي"^(٤). ويؤكد بيترترودجيل ١٩٩٥م أن بحوث اللسانيات الاجتماعية «تساعد في الحصول على فهم أفضل لطبيعة اللغة البشرية من خلال دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي، وتوفر فهماً أفضل لطبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع»^(٥).

تشير تلك الرؤى التي ذكرها اللسانيون الاجتماعيون أعلاه، إلى أن علم اللسانيات الاجتماعية هو العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع، والبحث في العلاقات

(1) Hudson. 1980. p.5.

(٢) بسيوني، ٢٠١٨م، ص: ٨.

(3) Gumperz, 1971.

(4) Fishman, 2001. p.65.

(5) Trudgill, P. 1995. p.21.

القائمة بين البنية اللغوية، والبنية الاجتماعية، بغرض فهم أفضل للسلوك اللغوي؛ إذ يدرس علماء اللسانيات الاجتماعية العلاقة بين اللغة والمجتمع، مع اهتمامهم بشرح لماذا نتحدث بشكل مختلف في سياقات اجتماعية مختلفة، ويسعون إلى تحديد الوظائف الاجتماعية للغة وطرق استخدامها للتعبير الاجتماعي، انطلاقاً من أن فحص طريقة استخدام الأشخاص للغة في سياقات اجتماعية مختلفة، يوفر ثروة من المعلومات حول طريقة عمل اللغة، وكذلك حول العلاقات الاجتماعية في المجتمع، والطريقة التي يشكل بها الناس جوانب من هويتهم الاجتماعية من خلال لغتهم⁽¹⁾.

وعليه، فاللسانيات الاجتماعية هي الدراسة التجريبية لكيفية استخدام اللغة في المجتمع، من خلال الجمع بين النظريات والأساليب اللغوية والاجتماعية، فهي حقل بحث متعدد التخصصات يعلق أهمية كبيرة على تنوع اللغة وتعدد اللغات وأشكال اللغة في مجتمع معين، ويتناول الموضوعات التي تبحث في بعض جوانب التفاعل بين اللغة والمجتمع، مثل كيفية ارتباط اللغة بالفئات الاجتماعية بمختلف أنواعها، مثل الطبقة الاجتماعية والعمر والجنس والعرق، وحالة الكلام، والشبكات الاجتماعية...⁽²⁾.

واللسانيات الاجتماعية واللغة والمجتمع مصطلحان يستخدمان في الغالب بشكل متبادل، للإشارة إلى مجال بحث متعدد التخصصات تجتمع فيه اللسانيات وعلم الاجتماع وعلوم إنسانية أخرى مع بعضها، لدراسة السلوك اللفظي البشري. ويقدم مصطلح اللغة والمجتمع معنى واسعاً يتضمن جميع مجالات البحث ويتكرر استخدامه متبادلاً مع اللسانيات الاجتماعية. ومنذ ظهور هذا المصطلح في بداية الأمر، تمّ تبني مجموعة من المعاني والتحول بينها واستمر الوضع، حيث لم يتم الاستقرار بعد على تحديد تعريف محدد. كتب ديل هايمز في هذا قائلًا: «يعني مصطلح اللسانيات الاجتماعية أشياء كثيرة لكثير من الناس، وبطبيعة الحال فإنه لا أحد يمتلك براءة أو

(1) Holmes, 1992. p.1.

(2) Coulmas. 2008. p.563.

صك اختراع على تملك تعريفه»^(١). ويبدو أن الحال استمر كما هو عليه حتى يومنا هذا. ويستخدم بوشولتز وهال ٢٠٠٨م مصطلح اللسانيات الاجتماعية الثقافية، ويؤكد أن هذا المصطلح بدأ استخدامه بشكل متزايد في مجال اللسانيات في الولايات المتحدة لتحديد دراسة كيف أن التباينات والاختلافات في اللغة يرتبط بالظاهرة الاجتماعية الثقافية وتتضمن الموضوعات التي يغطيها اللهجات، والجنس، والعمر، ونماذج الحديث الخاصة، والمصطلحات المهنية الخ^(٢)...

وتشير إيزابيلا بيولتي ٢٠١١م في دراستها التي راجعت فيها أهم مجالات البحث الرئيسة في اللسانيات الاجتماعية إلى أن مصطلح اللسانيات الاجتماعية بدأ استخدامه في الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٩٦٠م للإشارة بشكل أساسي إلى مجال واسع من الدراسات في اللغة والمجتمع تشمل اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، وإثنوجرافيا التواصل، واللسانيات الإنثروبولوجية، والتفاعل الرمزي، وتحليل المحادثة، وتحليل الخطاب، وما إلى ذلك، بغرض الإشارة إلى هذا التحالف المتعدد التخصصات في أيامنا هذه^(٣).

ويشير بوشولتز وهال ٢٠٠٨م إلى أن تطور اللسانيات الاجتماعية وانتشارها، واللسانيات الإنثروبولوجية جنباً إلى جنب مع تحليل الخطاب وتحليل المحادثة ومناهج كثيرة أخرى خلقت أساساً متعدد التخصصات لدراسة اللغة والثقافة والمجتمع. هذه المجالات لا تجتمع تحت راية تخصصية واحدة، لكن بدلاً من ذلك تشكل تحالفاً يعزز الحوار والتعاون بين المناهج بشكل تكاملي^(٤).

(1) Hymes. 1974. p.195.

(2) Bucholtz and Hall. 2008. p 404.

(3) Paoletti.2011. p.2

(4) Bucholtz and Hall. 2008. p. 403.

اللسانيات الاجتماعية الدقيقة، واللسانيات الاجتماعية الكلية

منذ أن كانت اللسانيات الاجتماعية ملتقى للغويين الذين يهتمون بشكل أساسي بالقضايا اللغوية للمجتمع، وعلماء الاجتماع الذين يسعون إلى فهم الجوانب الاجتماعية للغة، فإنه ليس من المستغرب أن يكون فيها مركزان للجذب، تعرف على التوالي باللسانيات الدقيقة واللسانيات الكلية، أو اللسانيات الاجتماعية بالمعنى الضيق وعلم اجتماع اللغة. وتمثل هذه توجهات وأجندات بحث مختلفة. فالقضايا اللغوية الدقيقة تكون أكثر تناولاً بواسطة اللغويين، ويتناول القضايا الكلية في الغالب علماء الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي.

يستخدم مصطلح اللسانيات الاجتماعية التباينية كمصطلح آخر بديل للسانيات الاجتماعية الدقيقة (الجزئية) وكانت هناك محاولات لحصر اللسانيات الاجتماعية في دراسة التنوعات في اللغة. ومع ذلك فإن الكتب المنهجية للسانيات الاجتماعية، على سبيل المثال، فاسولد، وهولمز، وهيدسون، ورومين ومجلات اللسانيات الاجتماعية، والمؤتمرات العلمية، تعالج مجموعة واسعة من هذه القضايا. وهناك الآن اتفاق عام على كلا المنظورين: اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية، وأنه لا غنى عن كليهما من أجل الفهم الكامل للغة كظاهرة اجتماعية⁽¹⁾.

لدى علم اللسانيات الاجتماعية الكثير الذي يقدمه للإسهام في شرح العلاقة بين اللغة والسياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه، ويضيف رؤيته إلى فهمنا للحالة الإنسانية، فاهتمامه الأساسي بدراسة الارتباطات بين استخدام اللغة والبنية الاجتماعية، ومحاولة إنشاء الروابط السببية بين اللغة والمجتمع؛ إذ يسعى إلى استكمال أسئلة إسهام اللغة في جعل المجتمع ممكناً، وكيف تشكل المجتمعات لغاتها من خلال استخدامها. وهذا يمثل توجهات مختلفة، وأجندات بحثية مختلفة، وقضايا متنوعة في المجالات التي تركز على

(1) Coulmas. 2008. p.566

اللغة، فليس من المستغرب أن يكون هناك ما يسمى باللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية^(١).

ويمكننا القول بأنه يمكن التحقق في القضايا التي استكشفتها اللسانيات الاجتماعية وفقاً لبعدها آخر، وهو ما إذا كانت تتعلق بأداء الكلام الفردي، أو بالسلوك اللغوي لكل التشكيلات الاجتماعية، أو شبكات الكلام، وبناء على ذلك يتم التمييز بين اللسانيات الاجتماعية الدقيقة واللسانيات الاجتماعية الكلية^(٢). فالموضوعات التي تهتم بالسلوك اللغوي، أو مجتمعات الكلام يمكن إدراجها تحت اللسانيات الاجتماعية الكلية، وعلى عكس ذلك فالموضوعات التي تندرج تحت تغير اللغة واختلاف الأساليب، والسجل اللغوي أو التباينات وفقاً للطبقة، والجنس، والتعليم، وعمر المتحدثين تعالج عموماً تحت مجال اللسانيات الاجتماعية الدقيقة^(٣).

بعبارة عامة جداً فإن اللسانيات الاجتماعية الدقيقة تبحث في كيفية تأثير البنية الاجتماعية في الطرق التي يتحدث بها الناس، وكيفية ارتباط الاختلافات اللغوية وأنماط الاستخدام بالخصائص الاجتماعية مثل الطبقة، والجنس، والعمر، والعرق؛ ومن ثم يسعى جاهد الربط المتغيرات اللغوية التابعة بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة.

ويعد «مجتمع الكلام» أحد المفاهيم الأساسية لللسانيات الاجتماعية الكلية، فهو «مصطلح يصف مجتمعاً بشرياً يمكن تحديده اجتماعياً أو إقليمياً، قابلاً للتعريف محلياً واجتماعياً، يمكن أن يعرف من خلال استعمال لغة محكية مشتركة، أو تنوع لغوي، ويمكن لهذا المجتمع أن يختلف من حيث الحجم، أي من مجموعة صغيرة من المتحدثين إلى أوطان بأكملها»^(٤)، ويشير جومبيرز ١٩٦٨م إلى أنها «أي تجمع إنساني

(1) Coulmas. 2008. p.566.

(2) Wardhaugh and Fuller.2015. p.15.

(3) Coulmas. 2008. p.566.

(4) Crystal,2008. p446.

يميزه تفاعل منتظم ومشارك عن طريق مجموعة من العلاقات اللغوية، وتغايره عن التجمعات المشابهة فروق مهمة في استعمال اللغة»^(١)، ويذهب إلى «أن اختلافات الحديث المستخدمة ضمن مجتمع الكلام تشكل نظاماً؛ لأن المتحدثين يرتبطون بتقاسم مجموعة من المعايير الاجتماعية»^(٢). ومجتمع الكلام عند هايملز «وحدة محلية يميز أفرادها موقع مشترك وتفاعل مباشر»^(٣)، ويذهب لابوف إلى القول بأنه «يتم تعريف الجماعة اللغوية من خلال اتفاق واضح فيما يتعلق باستخدام عناصر اللغة، أو من خلال المشاركة الاجتماعية في مجموعة من المعايير، وهذا يعني أنه من الخطأ تصور المجتمع اللغوي كمجموعة من المتحدثين باستخدام نفس الأشكال، فمن الأفضل وصفها بأنها مجموعة تشترك في نفس معايير اللغة»^(٤) ومجتمع الكلام عند لابوف «لا يحدده أي اتفاق ملحوظ في استعمال عناصر اللغة، وإنما يحدده الاشتراك في مجموعة من المعايير التي تلحظ في نماذج صريحة من السلوك التقويمي، وانتظام نماذج تجريدية من التغيير تكون ثابتة بالنظر إلى مستويات معينة من الاستعمال»^(٥)، ومجتمع الكلام عند محمود فهمي حجازي «الجماعة التي تتشابه فيها مجموع العبارات التي يتعامل بها أبنائها، على نحو يمكنهم من الفهم المتبادل»^(٦).

أحد الدروس المهمة في اللسانيات الاجتماعية هو أن القواعد اللغوية في هذا المعنى تتجاوز المعايير البنوية التقليدية، حيث إن اختيارات المتحدثين للتنوعات الكلامية تتم بناء على توقعات مشتركة ذات معنى. هذا السلوك له دلالاته من خلال كونه محكوما بقواعد، والقواعد تفترض إطاراً اجتماعياً يحكمها. وهذا يجب تحديده من خلال دراسات استقصائية واستطلاعات ومسوح محددة مصممة لجمع البيانات عن خصائص اللغة

(1) Gumperz, 1968. p.114 - 116.

(2) Gumperz, 1972. p. 209.

(3) Haymes, 1962. p.30.

(4) Labov, 1972. p.187.

(5) Wardhaugh, 1992. p. 118.

(٦) حجازي، ١٩٧٣م، ص ١٧.

وكذلك التعدادات التي تشمل أسئلة حول استخدام اللغة وكفائتها وهي أدوات مهمة في بحوث اللسانيات الاجتماعية الكلية، ونتائج مثل هذه الاستطلاعات تستخدم جنباً إلى جنب مع بيانات أخرى لوصف الوضع اللغوي في مجتمعات الكلام وتعيّن حدودها وتفاعلها بعضها مع بعض.

ووفق منظور مجتمع الكلام فإن اللغة هي إحدى الممتلكات الاجتماعية التي تعكس بوضوح الاختلافات الداخلية للمجتمعات البشرية، وتستخدم كرمز يعكس السمات المشتركة التي تمكن من رسم الحدود، ويمكن أن يكون ذلك أكثر وضوحاً في خطاب المجتمعات المتعددة اللغات؛ ولكن هناك أيضاً التنوعات اللغوية في المجتمعات الناطقة بلغة واحدة، تدرسها اللسانيات الاجتماعية كونها مليئة بالدلالات الاجتماعية. هذه التنوعات لا تظهر فقط التقسيمات داخل المجتمعات، وولاء المجتمعات، بل تعكس أيضاً السلوك اللغوي والمهارات اللغوية للمتحدثين الأفراد، فالمتحدثون يمكنهم عمل الكثير من الاختيارات في سلوك تواصلهم الطبيعي اليومي، ويختارون بعض العبارات ويتركون سواها للتعبير عن التقدير والامتنان، ويختارون أساليب رسمية أو أقل رسمية، من تنوعات لهجية أو أساليب فصيحة. وعدم القدرة على القيام بذلك يسم المتحدث بعدم الكفاية الاجتماعية. وعلى أساس البحث واسع النطاق داخل التنوعات اللغوية التي تراكمت يمكن القول بثقة أن الاختلافات الاجتماعية تتطلب تمايزات لغوية⁽¹⁾.

والتمايز اللغوي للفئات الاجتماعية هو حقيقة يمكن ملاحظتها في أي وقت من الأوقات، وهو لا يعكس البنية الاجتماعية فقط، وإنما هو أيضاً جزء من النسيج الاجتماعي، وهو بهذه الصفة يحدد كيف يتفاعل الأفراد والجماعات مع بعضهم⁽²⁾. فاللغة توفر المرحلة التي تعمل عليها الصراعات الاجتماعية، والناس يحظون بالتقدير

(1) Milroy, L. and Margrain, S. 1980. p. 26.

(2) Edwards, J. 1985.

بناء على الطريقة التي يتكلمون بها^(١)، ومواقفهم نحو لغاتهم الأصلية واللغات الأخرى هي قضية عاطفية تتعلق بالانتماء والهوية^(٢)، وكثيراً ما تكون هذه المواقف قوية جداً خاصة تلك المرتبطة بالمعتقدات الدينية، ولديهم أفكار نحو الصفاء اللغوي والنقاء، وكذلك ما ينتمي إلى لغتهم وما لا ينتمي^(٣).

وتستكشف اللسانيات الاجتماعية الكلية هذه الروابط وعلاقاتها مع قضايا اللسانيات الاجتماعية الدقيقة فبعضها يرتبط ارتباطاً وثيقاً، وبعضها الآخر له روابط أوسع من ذلك. بيد أنه لم يتم التحقق بشكل دقيق أو رسم حدود واضحة بين هذين الاتجاهين (الدقيق والكلي)، فالعديد من الأسئلة يمكن مناقشتها بتبرير متساو ضمن مجالي اللسانيات الاجتماعية الدقيقة والكلية. وكثير من مسائل التواصل اللغوي، والازدواجية والثنائية اللغوية تتراوح بين هذين المجالين ومن المستحيل تماماً أن نقول دون اتخاذ قرارات تعسفية ما إذا كان ينبغي أن تدرج في هذا المجال أو ذاك، أو أنها تدرس تحت موضوعات اللسانيات الاجتماعية الدقيقة أو الكلية. فالصلة غير القابلة للذوبان بين القضايا الجزئية والكلية مهمة في تداعيات أسئلة نظرية علم اللسانيات الاجتماعية.

مجالات البحث الرئيسية في اللسانيات الاجتماعية

تبحث اللسانيات الاجتماعية في السلوك اللغوي، وكيفية تأثير البنية الاجتماعية بخصائصها المختلفة في الاستخدام، لأجل اكتشاف المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي؛ ومن ثمّ تسعى جاهدة لربط المتغيرات اللغوية التابعة، بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة^(٤). وتسعى أيضاً إلى البحث في الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة.

(1) Fishman, J. A., (ed.) 1989.

(2) Williams, F. 1974. p.25.

(3) Thomas, G. 1991.

(٤) بسيوني، ٢٠١٨م، ص: ٨٠.

ويذهب جومبيرز ١٩٧١م إلى أن اللسانيات الاجتماعية تبحث في إيجاد علاقات متبادلة بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية وملاحظة أي تغييرات تحدث^(١).

إن الشاغل الأساسي للسانيين الاجتماعيين هو دراسة الارتباطات بين استخدام اللغة والبنية الاجتماعية، حيث تهتم اللسانيات الاجتماعية بوصف استخدام اللغة كظاهرة اجتماعية، وحيثما أمكن، تحاول إنشاء روابط سببية بين اللغة والمجتمع، ومتابعة الأسئلة التكميلية حول ماهية اللغة التي تسهم في جعل المجتمع ممكناً وكيف تقوم المجتمعات بتشكيل لغاتها باستخدامها^(٢).

من المتفق عليه حالياً على نطاق واسع أن اللسانيات الاجتماعية هي أحد مجالات اللسانيات العامة، يهتم بالدراسة العلمية للعلاقات بين اللغة والمجتمع بطريقة مختلفة متأثرة بشكل كبير بعمل العلوم الاجتماعية؛ إذ تعتمد اللسانيات الاجتماعية التجريب، وتقوم على الملاحظة، وتركز بشكل خاص على كيفية استخدام البشر فعليا للغة في التفاعل الاجتماعي في مواقف الحياة اليومية الواقعية، وتهتم بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي الطبيعي^(٣).

واللسانيات الاجتماعية هي فرع من فروع اللسانيات المتعددة التخصصات تم تطويره جزئياً من علم الاجتماع، وجزئياً من الأنثروبولوجيا، وجزئياً من الإثنوجرافيا، وجزئياً من علم اللهجات باعتباره تراثاً معرفياً طبيعياً، وهو الأمر الذي جعل هذا المجال مجالاً نظرياً ومنهجياً متعدد التخصصات. فأعمال ديل هايمز وصياغته المعتمدة على الأنثروبولوجيا والتراث الشعبي (الفلكلور)، وجون جومبيرز ودراساته الإثنوجرافية التفاعلية، وجوشوا فيشمان ودراساته لاجتماع اللغة، ووليام لايوف ودراساته للتنوعات اللغوية تشكل المصفوفات المتعددة التخصصات في هذا المجال.

(1) Gumperz, 1971.

(2) Coulmas. 1998. p.5.

(3) Hernández - Campoy. 2014. p.5.

إن نطاق بحوث اللسانيات الاجتماعية واسع للغاية، وهنا بعض القضايا التي تشكل جوهر دراسات علم اللسانيات الاجتماعية وتميل إلى جذب الكثير من الاهتمام:

استخدام اللغة في السياق الاجتماعي، والعلاقة بين البنى الاجتماعية واللغوية، حيث يتم دراسة اللغة دراسة قائمة على الاستطلاع والاستكشاف من واقع استخدامها الفعلي، ووصفها، وتصنيفها، وتحديد ملامحها، ورسم أنماطها العامة، ويتم التركيز على العلاقة القائمة بين المجتمع وأفراده وما يسمى مجتمع الكلام، ومعايير الاجتماعية وتأثيرها في السلوك اللغوي، وكيف يتشكل السلوك اللغوي بفعل المعايير الاجتماعية السائدة التي تحكم هذا الاستخدام، وملاحظة التغيرات التي تحدث للاستخدام اللغوي نتيجة لهذه العلاقة القائمة بين المعايير الاجتماعية واستخدام اللغة، وكيفية تأثير المواقف اللغوية، واتجاهات الناطقين، وما يمتلكونه من مواقف ورؤى وأحكام ناحية اللغة، وتأثيره في اللغة المستخدمة.

التنوعات اللغوية المختلفة، تدرس اللسانيات الاجتماعية التنوعات اللغوية المختلفة للغة، مثل اللغة واللهجة، حيث تولي الاهتمام لدراسة الفرق بين اللغة ولهجاتها وعامياتها، وتنوعاتها المختلفة المحلية، والإقليمية، والوطنية، وتدرس التنوعات الاجتماعية والجغرافية وأنواعها المختلفة وتأثيراتها في استخدام اللغة⁽¹⁾.

المتغيرات الاجتماعية، واستخدام اللغة، حيث تدرس اللسانيات الاجتماعية تأثير العوامل الاجتماعية المستقلة المختلفة مثل العمر والجنس، والتعليم، والعرق، والتحضر، على المتغيرات اللغوية، لما لها من دور مؤثر في استخدام التنوعات اللغوية المختلفة، ولتأثيرها الكبير في الاختيار اللغوي واستخدام اللغة، ويسعى الدارس اللساني من خلال دراستها واستكشافها إلى ربط المتغيرات اللغوية التابعة، بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة⁽²⁾.

(1) Wardhaugh R (ed.) 2010.

(2) Trudgill 1995.

المكانة اللغوية، وهي ذات علاقة لصيقة بالتنوعات اللغوية، وتدرس كونها أحد العوامل المؤثرة في التغيرات اللغوية، ويقصد بها المستوى الذي يُمنح عادة للغة معينة أو لهجة داخل مجتمع الكلام مقارنة باللغات أو اللهجات الأخرى. حيث يقدم مفهوم المكانة prestige في اللسانيات الاجتماعية تفسيراً لظاهرة التباين في الشكل بين المتحدثين للغة أو اللغات^(١).

الأيدولوجية اللغوية، ويمكن النظر إليها على أنها مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأهداف التي يحملها الفرد أو الجماعة^(٢). ويذهب فيركلو ١٩٩٢م إلى أن الأيدولوجيات هي تلك التركيبات من الواقع المتضمنة في أبعاد متعددة لصيغ ومعانٍ في الخطابات الاستطردادية تسهم في إنتاج وإعادة صياغة علاقات التسيّد، وأن اللغة هي إحدى الطرق التي من خلالها يتم بناء الأيدولوجيات والحفاظ عليها وأيضاً تحديدها، وأنه من غير الممكن قراءة الأيدولوجيات مباشرة من النصوص؛ لأنه يتم استنباط المعاني من خلال تفسيرات تلك النصوص^(٣). وتتناول اللسانيات الاجتماعية الآثار اللغوية والثقافية للأيدولوجيات اللغوية من حيث إن الأيدولوجية اللغوية هي رابط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية؛ إذ تؤثر الأيدولوجيات اللغوية في الجوانب الهيكلية لأصناف التنوعات اللغوية واستخدامها بشكل إستراتيجي للوصول إلى قوة تأثير الرمز اللغوي لهذه الأيدولوجيات^(٤).

المواقف اللغوية، يعتمد المجتمع اللغوي على المواقف اللغوية الجماعية، ويساعد التعرف على مواقف الأفراد على التنبؤ بسلوكهم الخاص في علاقتهم بهذه المواقف^(٥). وغالباً ما تكون المواقف تجاه اللغة انعكاساً للمواقف تجاه أفراد الجماعات

(1) Eckert & Rickford. 2002. p.2 - 4.

(٢) بيكر، وإيليج. ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٥٧.

(3) Fairclough, 1992. p 87.

(4) Stadlbaue, 2010. p.16.

(5) Labov. 1966.

المختلفة، ولها أثر في مدى فهم الأشكال والتنوعات اللغوية^(١)، ويعدّ استكشاف المواقف اللغوية في مجتمع معين أمراً بالغ الأهمية لفهم المعنى الاجتماعي للتنوعات واللهجات المختلفة ضمن المجتمع، مما يجعل لدراسة المواقف اللغوية مكاناً مهماً في اللسانيات الاجتماعية^(٢).

الهوية، وهي عامل مؤثر في فهم وتفسير الاستخدام اللغوي، والاختيارات اللغوية المختلفة، فهي تبينّ واع ومستبطن لأدوار مفروضة أو مركبة من قبل المجتمع، تعكس مفهوم الانتماء، وهي حالة نفسية ثابتة ومستقرة يبوّح بها الناس حينما يتكلمون عن «من نحن حقاً»^(٣). وتذهب وودوارد إلى أن الهوية «تعطينا فكرة عمّن نكون نحن، وكيف نرى الآخرين، والعالم الذي من حولنا. والهوية ترسم الطرق التي نكون فيها على السواء، كالآخرين الذين يشاركوننا نفس الأوضاع، والطرق التي نكون بها مختلفين عنهم، وأكثرما يحدد الهوية عادة هي الفروقات»^(٤).

وتذهب اللسانيات الاجتماعية إلى أنّ الرموز تحمل ارتباطات أو مؤشرات تتعلق بالأداء، وخاصة الأداء الشفوي والخطاب فوق اللغوي، إضافة إلى اهتمامها باستظهار مواقف الأفراد والأيديولوجيات، وهوياتهم وعلاقتها بالانتماء، عبر مختلف الطرق المباشرة، وغير المباشرة^(٥).

الحداثة والتحضر وتأثيرهما في التنوعات اللغوية، وتدرس اللسانيات الاجتماعية الدور المؤثر للهجرة الداخلية في النمو الحضري. فمثل هذا النمو له تأثير على التواصل اللهجي، والتغير والإحلال، ويؤدي التوسع الحضري إلى ظهور أو تركيز العاميات الحضرية

(1) Wolff. 1959.

(٢) فاسولد، ترجمة إبراهيم الفلاي، ٢٠٠٠، ص ٢٥٨.

(3) Gleason.1983. p.918.

(4) Woodward,1997. p. 1 - 2.

(5) Bassiouney, 2018.p.346.

وإلى تغييرات لهجية عديدة، وإلى التفاعل بين عامية تلك المدن والعاميات الأخرى التي انتقلت إليها^(١).

وتشكل المدن العربية ميداناً مهماً للدراسة اللغوية الاجتماعية بسبب الأسئلة الحاسمة مثل التمثيل المتعارض للغة، والحداثة، والعلاقة بين اللغة والسلطة، والهوية، وحالة العاميات مقابل الفصحى، والدور المحتمل للعاميات العربية وخاصة تلك التي في المدن العواصم كمعيار فوق محلي في المستويات الوطنية والإقليمية^(٢).

الازدواجية اللغوية، وهي حالة يتم فيها استخدام مستويين لغويين من قبل مجتمع لغوي واحد، إضافة إلى تنوع اللغة اليومية أو العامية للمجتمع يتم استخدام مستوى أعلى في سياقات اجتماعية محددة، ولكنها غير مستخدمة في المحادثة اليومية، ويعتمد كل سلوك لغوي ازدواجي تنوعاً عالياً، وتنوعاً أدنى / منخفصاً ويتم توظيف كل تنوع في ظروف بعينها، ويتم استخدام التنوعات العالية والمنخفضة لوظائف مختلفة^(٣).

وتتناول اللسانيات الاجتماعية الازدواجية اللغوية كواحدة من موضوعاتها الأساسية، وتركز على «المسافة اللغوية» بين التنوع الأعلى والتنوع الأدنى، لأجل تطوير مقاييس للمسافة في بنية اللغة، والاستخدام اللغوي^(٤).

الثنائية والتعددية اللغوية، وتبرز قضية الثنائية والتعددية اللغوية حيث تواجه كثير من البلدان مشكلة استخدام أكثر من نظام لغوي أو أكثر من لغة، إضافة إلى النظام اللغوي الأصلي للمجتمع؛ ولذلك فإن قضية اختيار اللغة في المجتمعات المتعددة اللغات قضية أساسية في اللسانيات الاجتماعية، حيث إن اللغة التي يستخدمها الإنسان هي رمز لهويته ولانتمائه ولعرقه ولقوميته ولأمته، والتعدد اللغوي هو اجتماع أكثر من لغة

(1) Miller. 2004. p.179.

(2) Miller. 2007. p.14.

(3) Ferguson, 1959. p. 322.

(٤) الفلاي، ٢٠١٦م.

في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل. ونقول عن دولة ما إنها متعددة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل. ويحيل مصطلح التعدد اللغوي إلى قدرة الأفراد على استعمال أكثر من لغة أو على الوضعية اللغوية لمجتمع أو أمة كاملة^(١).

التناوب اللغوي وتبديل الشفرة، يحدث تبديل الشفرة عندما يجمع المتكلم بين استخدام كلمات أو عبارات أو عناصر من لغتين أو أكثر، أو أصناف اللغة، في سياق محادثة واحدة^(٢). حيث يستخدم متعددو اللغات المتحدثون بأكثر من لغة، عناصر متعددة اللغات أحياناً عند التحدث بعضهم مع بعض^(٣). وتدرس اللسانيات الاجتماعية تبديل الشفرة لمعرفة متى يستخدم الناس هذه الظاهرة، ولماذا يفعل الناس ذلك، وفي أي ظروف يتحول المتحدثون بلغتين من واحدة إلى أخرى، ومحاولة تحديد سبب قيام الناس بذلك. ويمكن أن يحدث تحويل الشفرة بين التنوعات اللغوية داخل اللغة الواحدة، وليس فقط بين اللغات المختلفة كما أشارت إلى ذلك العديد من الدراسات^(٤). وتدرس اللسانيات الاجتماعية تحويل الشفرة للحصول على تفسيرات لأسباب التحويل بين التنوعات، واللغات المختلفة ودوافعه المختلفة^(٥).

الخطاب الصفي والسلوك اللغوي في الفصول الدراسية، ويتعلق باللغة التي يستعملها المعلمون وتلاميذهم للتواصل فيما بينهم في الفصل الدراسي، حيث يشير إلى النوع الأدبي وسياق اللغة المستعملة. وتحليل الخطاب الصفي قد لا يستعمل فيه تدوين للحديث الفعلي، ولكن قد يتضمن أيضاً الإفادات وردود مقابلات المشاركين ومناقشة النصوص الدراسية^(٦). ويتناول

(١) فاسولد، ترجمة إبراهيم الفلاي، ٢٠٠٠م.

(2) Gumperz, 1982.

(3) Grosjean, 1982. p. 152.

(4) Mejdell, 2006. And Gumperz, 1982. p. 59.

(5) Gumperz, 1982.

(٦) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٣.

الخطاب الصفي الكيفية التي يتسنى فيها لنماذج استعمال اللغة التأثير فيما يعد «معرفة» وما يعد «تعلماً»، وكيفية تأثير هذه النماذج في تساوي أو عدم تساوي الفرص التعليمية للطلاب، وتحديد الكفاية التواصلية التي تفترضها هذه النماذج أو التي تتبناها^(١).

الكفاية الاجتماعية والثقافية في تعليم اللغة، ترتبط وجود اللغة بالحاجة الاجتماعية، وبهذا تتجلى المسألة التواصلية والأداء الكلامي بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية، واللغة مرتبطة بالثقافة، وبما أن اللغة منتج إنساني ثقافي تراكمي أنتجته ضرورة تواصل أهل بيئة واحدة بعضهم مع بعض، فإن الثقافة في مجال التعليم تضي معاني خاصة على كل كلمة وكل تركيب لغوي يستخدمه أهل اللغة، إضافة للمعنى القاموسي. فمعرفة معاني الكلمات وتراكيب الجمل دونما معرفة المعنى والاستخدام الثقافي والسياقي لكل كلمة وتركيب، هي معرفة ناقصة، وإن أجاد متعلم اللغة التحدث بطلاقة. فمتعلم اللغة بحاجة إلى معرفة الجانب الثقافي والحضاري لامتلاك مهاراتها وفهمها وتداولها^(٢).

تؤكد اللسانيات الاجتماعية أن اللغة تعكس الثقافة والقيم التي يسلم أفراد تلك الثقافة بها ويلتفون حولها، ويترتب على ذلك القول بأن تدريس الثقافة جزء مهم من تدريس اللغات الأجنبية، وأن دراسة اللغة لا يتوقف على معرفة أنظمتها المعجمية والصرفية والنحوية، بل يتعدى ذلك إلى معرفة أهم خصائص ثقافة تلك اللغة، وأن تعليم اللغات الأجنبية وتعليم العربية كلغة ثانية على وجه أخص، ينبغي أن يحوي فضلاً عن إكساب المتعلم كفايات نحوية ولسانية وتواصلية، إكسابه قدرة أخرى مهمة بدونها يعجز ذلك الأجنبي عن استعمال العربية استعمالاً موفقاً في مختلف السياقات التواصلية التي يجد نفسه فيها، على نحو لا ينأى كثيراً عن استعمال من يتكلمها بالفطرة والسليقة، نعتي بذلك الكفاية الثقافية الاجتماعية التي يغدو المتعلم بفضلها ممتلكاً قدراً معيناً من المعارف المتعلقة بمعتقدات متكلمي اللغة العربية وقيمهم واحتفالاتهم

(1) Cazden. 2001. p.3.

(٢) الطاهر حسين، ٢٠١١م، ص ٢٧٧.

وعباداتهم اليومية والدينية التي تتجلى أحسن ما تتجلى ساعة التفاعلات التلقائية بين المتكلمين التي يفصح عنها ما يُعرف باللباقة والسلوك المهذب جزءاً مهماً من تلك الثقافة التي تعكسها اللغة ويتعلمها الفرد من جملة ما يتعلم لامتلاك تلك اللغة^(١).

ويكون تعليم الثقافة في دروس تعليم اللغات الأجنبية أمراً يتمّ من داخل اللغة نفسها، ومن خلال تعلم القواعد الخفية والمتحركة في استعمالها والمبادئ العامة والمجردة التي تؤمّن سير التواصل والتفاعل بين المتكلمين^(٢).

إن استحضار الثقافة في تدريس اللغة له عدّة منافع منها إثارة فضول الطلاب الذهني تجاه الثقافة الهدف، وجعلهم يتعاطون مع أفرادها. ومن ذلك أيضاً القول بأنّ تدريس الثقافة من شأنه أن يكشف عن جانب من استعمال اللغة مهمّ يتمثل في فهم ما يوجد في المعاني الاجتماعية الثقافية من ضمنيّات، ومن شأنه أيضاً أن يعمّق وعي الطالب بما يكون لمتغيرات السن والجنس والطبقة الاجتماعية والمكان الجغرافي من أثر في الطرق التي يتكلم بها الناس ويتصرفون. ومن تلك المنافع ما له بعد حضاري واتصال وثيق بطبيعة الحقبة التي يعيشها وتتسم بالدعوة إلى إشاعة روح التسامح حتى لا يتعصب أحد لملة أو مذهب أو ثقافة^(٣).

لا بدّ أن يفهم متعلم اللغة الأجنبية السياق الثقافي لمحاورة، ويستحضر نظامه القيمي ومواقفه وسلوكه، ويكون قادراً على أن يفكّ رسائله، ويتخذ ساعة التفاعل معه الموقع المناسب الذي يقتضيه السياق الثقافي لذلك المحاور. إن الكفاية بين الثقافية قدرة إذا امتلكها الفرد استطاع متكلماً كان أو سامعاً أن يفهم المعطيات بين الثقافية ويفسّرهما ويستثمرها على نحو إيجابي في إطار سياق تواصل محدد^(٤).

(١) الطاهر حسين، ٢٠١١م، ص ٢٧٨.

(٢) عبيد، ٢٠١٥م، ص ١٢٤.

(٣) الطاهر حسين، ٢٠١١م، ص ٢٨٤.

(٤) عبيد، ٢٠١٥م، ص ١٣٠.

السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، يُلتجأ إلى التخطيط اللغوي استجابة لاحتياجات سياسية واجتماعية واقتصادية عندما يعيش بلد ما تعددا لغويا يؤدي إلى توترات اجتماعية مثلما هو الحال في البلدان العربية في شمال إفريقيا، وعندما يكون اللغة الرسمية القياسية لهجة عامية أو لهجات جغرافية إقليمية مثلما هو الحال في كل بلدان العالم العربي. واللغة هي أداة النفاذ إلى مصادر المعلومات، وعندما تسعى الدولة إلى تحقيق تنمية إنسانية استجابة لمتطلبات مجتمع المعرفة، فإنها تواجه واقع اللغة بازدواجه وتعدده، وهي إشكالية تواجهها بلدان العالم العربي بشكل عام. وفي مثل هذه الحالات تتدخل الدول أو ينبغي لها أن تتدخل لإعادة ترتيب المشهد اللغوي^(١)، فتلجأ إلى التخطيط اللغوي لتحقيق العدالة بين الناطقين باللغات الوطنية المختلفة، عن طريق تقنين العلاقة بين هذه اللغات أو بين اللغة الرسمية ولهجاتها.

والعلاقة بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي علاقة تلازم حيث يرتبط كل منهما بالآخر، ويذهب فيشمان ١٩٧٠م، إلى أن التخطيط اللغوي هو تطبيق سياسة لغوية ما^(٢). ويشير التخطيط اللغوي إلى الجهود الموجهة من قبل الحكومات أو الهيئات الرسمية وشبهها، أو الأفراد؛ للتأثير في السلوك اللغوي للمجموعات اللغوية الكبيرة أو الصغيرة فيما يتعلق باكتساب اللغة، أو بنيتها، أو وظيفتها، أو مكانتها داخل مجتمع ما^(٣).

وتتناول اللسانيات الاجتماعية العربية موضوع السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في ضوء الموضوعات التي تتشابه مع قضية اللسان العربي الموحد مثل قضية العرق وتأثيره في رسم السياسة اللغوية في العالم العربي، ومطالبة الأقليات العرقية بحقوقها اللغوية والاعتراف بهويتها الثقافية واللغوية ودور القومية العربية في رفع لواء المناداة بسياسة التعريب ورسم مشهد السياسة اللغوية في العالم العربي المعاصر^(٤).

(١) القاسمي، ٢٠٠٩م، ص ١٣.

(2) Fishman, 2001.

(٣) المحمود، ٢٠١٨م، ص: ١٢.

(4) Miller, 2003.

أسهمت بعض وجهات النظر في علم الاجتماع والفلسفة إلى حد كبير في خلق الاهتمام باللغة ضمن العلوم الإنسانية وخصوصاً فيما يتعلق بالأهمية المعطاة للخطاب والممارسات الواقعية، حيث كان علم اللسانيات الاجتماعية في المرحلة المبكرة مجالاً بحثياً متعدد التخصصات وغير محدد التعريف، حيث طُوّر الدارسون وخصوصاً اللغويون وعلماء الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، والتربية، وغيرها مجموعة متنوعة من خطوط البحث تركز على اللغة وبشكل أساسي على الحديث والتفاعل. بعض من خطوط البحث هذه ولدت في حدود تخصصات مختلفة في العلوم الإنسانية مشكّلة مجالات محددة من البحث مترابطة بشكل وثيق مثل الإثنوبولوجيا اللغوية، إثنوجرافيا التواصل، التداولية، تحليل المحادثة، تحليل الخطاب^(١)؛ ولذلك تناولت اللسانيات الاجتماعية إضافة إلى الموضوعات المركزية التقليدية التي استعرضناها أعلاه، موضوعات أكثر حداثة ومعاصرة نتيجة للتفاعل والتلاقح مع الدراسات الإنسانية المختلفة، نعرضها في الأسطر التالية:

اللغة والتفاعل، ويعكس التفاعل اللفظي قدرة المتحدثين على تصنيف المواقف والمحاورين والعلاقات الاجتماعية ثمّ تقديم الاستنتاجات والأحكام، حول المناسب وأشكال الحديث ذات الصلة بالإنتاج اللغوي. وتقترح الدراسات التفسيرية أن البحث الإثنوجرافي ضروري لتحديد الكفاية التي يتعامل بها المتفاعلون مع العلاقات اللغوية للحصول على أهدافهم العادية في الحياة اليومية.^(٢) وتتمثل مهمة المحلل في إجراء دراسة متعمقة لحالات مختارة من التفاعل اللفظي، ومراقبة ما إذا كان الممثلون يفهم بعضهم بعضاً أم لا، واستخراج تفسيرات المشاركين لما يجري، ثم استنتاج الافتراضات الاجتماعية التي يجب على المتحدثين فعلها من أجل أن يبدووا كما فعلوا، وتحديد التجريبي لكيفية تواصل العلامات اللغوية في عملية التفسير^(٣).

(1) Paoletti.2001. p.3.

(2) Gumperz. 1982. p 35 - 36.

(3) Maynard & Perakyla, 2003. p. 240.

أصبحت الدراسات التباينية والمناهج الكمية سائدة في حقل اللسانيات الاجتماعية في الولايات المتحدة، حيث كانت الإثنوجرافيا الحضرية هي نقطة البداية في عمل لابوف ١٩٧٢م، ٢٠٠١م عن التنوع اللغوي وكان منهجه كمياً إلى حد كبير؛ ومن ثمّ فهو منهجياً كان مختلفاً إلى حد كبير عن معظم المناهج في اللسانيات الاجتماعية^(١). فاللغة والسياق الاجتماعي عنده، هما كيانان منفصلان تربط اللسانيات الاجتماعية فيها الحقائق اللغوية (الأصوات، والصرف، والنحو) بالحقائق الاجتماعية (الطبقة، الجنس، والعمر)، حيث درس لابوف كيفية تغير اللغة وفق استخدامات وظيفية محددة وفي علاقتها بأنماط ثقافية معينة. ويذهب لابوف إلى أن التنوعات التي ليس لها أهمية لغوية، لها معنى اجتماعي وتأثيرات مهمة، ويمكنها تمييز الشخص على أنه ينتمي إلى طبقة اجتماعية بعينها أو مجموعة عمرية أو فئة جنسية^(٢). ويظل الجانب الأكثر ابتكاراً في عمل لابوف هو تحديد حدود التنوعات في عينات مختلفة للكلام باستخدام دراسات كمية واسعة النطاق تعتمد بشكل أساسي على بيانات المقابلات.

تعتمد دراسة التنوعات اللغوية في الوقت الحاضر على طرق نظرية ومنهجية مثل تحليل الخطاب، وتحليل المحادثة تم تطويرها من أجل إظهار كيف تكون الأشكال اللغوية مضمّنة اجتماعياً وسباقياً. ويقع هذان الحقلان (تحليل الخطاب وتحليل المحادثة) في الوقت الحاضر ضمن إطار حقل اللسانيات الاجتماعية، بل إنها جزء من برامج اللسانيات الاجتماعية العامة. وأصبحت معظم البحوث المتعلقة بالتنوعات حالياً تستخدم مناهج نوعية (كيفية)، وغدت اللسانيات التباينية مكوّناً رئيساً في دراسات اللسانيات الاجتماعية^(٣). يشير بوشولتز وهال ٢٠٠٨م إلى أنه بحلول منتصف الثمانينيات لم يكن مصطلح اللسانيات الاجتماعية يشير بالضرورة إلى نطاق المجال الواسع الذي تصوره في الأصل هايمز وآخرون، وبدلاً من ذلك كان المصطلح يستخدم

(1) Labov. 2001.

(2) Labov. 1972.

(3) Coupland and Jaworski, 2009b. p. 8

غالباً في أقسام اللسانيات للإشارة إلى المنهج الكمي لدراسة اللغة والمجتمع، ومع ذلك تم تحديد هذا المصطلح خارج أقسام اللسانيات في الولايات المتحدة بشكل متزامن للدلالة على نهج ثقافي اجتماعي واسع متعدد التخصصات للغة^(١).

ويتناغم مع الرأي أعلاه ما ذكره جامبرز وكوك جامبرز ٢٠٠٨م من أن اللسانيات الاجتماعية التباينية ظهرت كقوة رئيسة في تشكيل بحوث اللسانيات الاجتماعية الأمريكية، مع تقديرهم في الوقت نفسه للدور المهم للسانيات الإنثروبولوجية وإنثوجرافيا التواصل في مساهماتها في اللسانيات الاجتماعية المعاصرة^(٢).

إنثوجرافيا التواصل، القيمة الرئيسية لإنثوجرافيا التواصل في اللسانيات الاجتماعية هي وضع نهج للغة يتجاوز بكثير محاولة تفسير الجمل الفردية المكتوبة أو المنطوقة^(٣)، حيث يعتقد اللسانيون الاجتماعيون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجمل، وتربطها بالسياق الاجتماعي، وأن تتعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل التواصل الإنساني والحالات الاجتماعية التي تستخدم فيها، وينتقل تركيز الاهتمام من الجملة إلى فعل الاتصال والحدث الكلامي.

أوضحت إنثوجرافيا التواصل عدّة اهتمامات مركزية للسانيات الاجتماعية التفاعلية، فكان هناك البحث عن نظرية قادرة على معالجة اللغة كجزء لا يتجزأ من العملية الاجتماعية الثقافية، إضافة إلى الحاجة إلى تطوير طرق ومفاهيم تقنية مناسبة لوصف ذلك. وإنثوجرافيا التواصل نهج ومنظور وطريقة لدراسة معاني التواصل ووسائله التي تميزه ثقافياً. وقد تم استخدام هذا النهج لإنتاج المئات من التقارير البحثية حول أنماط ممارسات التواصل المحلية، وركزت الانتباه في المقام الأول على الاستخدامات المحددة للغة، كما تم تطبيقه على إنتاج مختلف وسائل التواصل الأخرى بما في ذلك

(1) Bucholtz and Hall. 2008. p. 402

(2) Gumperz and Cook Gumperz. 2008. p. 535.

(3) Spolsky.1998.

الأدب الشفوي والمطبوع ووسائل الإعلام المذاعة، وأنظمة الكتابة، والإشارات المرئية، والإنترنت، وما إلى ذلك.

وإثنوجرافيا التواصل مجال بحث يهدف إلى وصف كيفية انعكاس جوانب معينة من الخبرة وفهم العالم في طرق الحديث المختلفة. ويذهب علماء إثنوجرافيا التواصل إلى أن مجموعات ثقافية محددة تختص بأنماط مختلفة من الحديث، فالتواصل له أنماطه المحددة التي تمارس داخل تلك المجموعات، وهو يسير على شاكلة البناء هذه في كل المجتمعات الاجتماعية والثقافية. يتحدث هايمز ١٩٧٤م عن الكفاية التواصلية بقوله: "يكتسب الطفل، نظام استخدامه التواصلية المتعلق بالأشخاص والأماكن، وجميع مكونات الأحداث التواصلية، مع المواقف والمعتقدات المتعلقة بها، ضمن المصفوفة الاجتماعية التي يكتسب فيها النظام النحوي"^(١).

ينفذ البحث الإثنوجرافي بشكل عام من خلال مراقبة المشاركين؛ إذ تستند الإثنوجرافيا إلى الملاحظات المباشرة للسلوك لمجموعة من الأشخاص في بيئتهم الطبيعية. والإثنوجرافيا هي منهج واسع للبحث في القواعد والمعايير الثقافية والقيم المتشابهة مع استخدام اللغة؛ إذ يقوم الدارسون بتوضيح ما يسمعونه ويرونه أثناء مراقبتهم ما يجري حولهم^(٢).

وأسهمت إثنوجرافيا التواصل قبل كل شيء في فهم الثقافة كظاهرة تواصل ضرورية تشكلت محلياً من خلال الحديث^(٣). وتم تطبيق دراسات الإثنوجرافيا في ثقافات مختلفة وفي مجموعة متنوعة من الأوساط الاجتماعية والمؤسسية (قاعات المحاكم، الخدمات الصحية، المدارس،...) لوصف ممارسات تواصلية محددة^(٤). ويركز هذا

(1) Hymes. 1974. p. 75.

(2) Duranti 1997. p. 85.

(3) Gumperz and CookGumperz. 2008.

(4) Bauman. 2004.

المجال بشكل رئيس على الاستخدامات المحدودة للغة، ويصف الأنماط المتشكلة محلياً للممارسات التواصلية بما في ذلك الديناميكيات الإيمائية المختلفة، ومواقف الصمت، والعلامات المرئية، والتواصل عبر الوسائل التكنولوجية وما إلى ذلك.

يعد كثير من الدارسين دراسة التواصل اللغوي جزءاً من اللسانيات الاجتماعية (كولماس ٢٠٠٥م، كوبلاند وجاروسكي ٢٠٠٩م، هولمز ٢٠٠٨م، واردهو ٢٠١٠م. ويبحث هذا المجال مجموعة متنوعة من الموضوعات المختلفة مثل التعددية اللغوية، واللغات الهجين، التناوب اللغوي أو تبديل الشفرة، والحقوق اللغوية، وسياسات اللغة / السياسة اللغوية. ويوضح ماتراس ٢٠٠٩م أهمية التواصل بقوله: «مركز التواصل المناسب هو أدوات معالجة اللغة في التفاعل التواصلية؛ ولذلك فتفاعل المتحدث المتعدد اللغات والعوامل والدوافع التي تشكل ذلك تستحق اهتمامنا في دراسة التواصل اللغوي»^(١).

كان هناك اهتمام مشترك بالطرق الإثنوجرافية لجمع البيانات وطرق تحليلها وتفسيرها، وتمت مشاركة جمع البيانات من خلال المقابلات والملاحظة الإثنوجرافية أو ملاحظة المشاركين بواسطة طرق عديدة في علم الاجتماع، واللسانيات، والإنثروبولوجيا، وغيرها. وتم الاعتراف بشكل متزايد بأن طرق تفسير التحليل أصبحت قادرة على الوصف والفهم بشكل أفضل للتجربة البشرية المعقدة^(٢). فنظرة اللسانيين الاجتماعيين لدراسة اللغة كما يتم إنتاجها في التفاعل تتوافق مع التزام قوي باستخدام العمل الميداني وخصوصاً الأساليب الإثنوجرافية لجمع البيانات وعلى وجه الخصوص في تحليل المحادثة «فالإصرار على استخدام المواد التي تم جمعها من مناسبات طبيعية تحدث في تفاعل طبيعي في الحياة اليومية»^(٣). ومن منظور لساني،

(1) Matras. 2009. p. 3.

(2) Atkinson et al. 2001.

(3) Atkinson and Heritage. 1984. p. 2.

فإن التركيز كما أشار إلى ذلك جومبرز^(١) ٢٠٠٨، تحول إلى اللغة كإنتاج لتفاعل مستمر، وهو «حديث وأداء فعليين»^(٢).

دراسة الخطاب اللغوي، وتحليل الخطاب، ويشير مصطلح الخطاب إلى أي نوع من اللغة المستعملة، أو اللغة السائدة، أو اللغة المتحدث بها^(٣)، أو إلى سياقات محددة لاستعمالات اللغة^(٤)، فمثلاً يمكننا تصور الخطاب السياسي (نوع اللغة التي تستعمل في السياقات السياسية) أو الخطاب الإعلامي (استعمال اللغة في وسائل الاتصال الجماهيري) أو الخطاب البيئي، أو الخطاب الاستعماري. وعرفه فوكو على نحو أيديولوجي باعتباره "الممارسات التي تؤسس الموضوعات التي تتحدث عنها بانتظام"^(٥). ويعرفه بيرمتوسعا في تعريف فوكو بأنه "مجموعة من المعاني، والمجازات، وألفاظ التمثيل والتساوير والقصص والتصريحات ونحو ذلك، من شأنها أن تنتج مع بعضها رؤية معينة للأحداث.. تحيط بأية شيء بعينه أو حدث أو شخص...، قد يكون حيالها مجموعة متباينة من الخطابات، كلا مع قصة مختلفة ليرويها عن عالمه، وكلا منها بطريقة مختلفة لتمثيلها في ذلك العالم"^(٦).

وعلى غرار ما للخطاب من معان متعددة، توجد بالتساوي تصورات كثيرة لتحليل الخطاب. فبراون ويول يشيران إليه باعتباره "الكيفية التي يستعمل الناس بها لغتهم للتواصل"^(٦) ويشير إليه ستابس باعتباره "محاولات لدراسة تنظيم اللغة فوق الجملة التامة والجملة ثم دراسة الوحدات اللغوية الضخمة مثل التبادلات المحادثية أو النصوص

(1) Gumperz and CookGumperz. 2008. p.536.

(2) Brown and Yule, 1983.

(3) Stubbs, 1983. p. 1.

(4) Foucault, 1972. p. 49.

(5) Burr, 1995. p. 48.

(6) Brown and Yule, 1983. p. ix

المكتوبة^(١). ويركز بعض محلي الخطاب على الكيفية التي يكون بها المعنى والمبنى قد تمّ استيفاؤهما في النصوص. في حين ذهب آخرون لاستعمال تحليل الخطاب في شكل نقدي أكبر لدراسة المواضيع ذات الصلة بالسلطة واللامساواة، والأيديولوجية. وتحليل الخطاب النقدي هو نهج مدفوع بالتحول الاجتماعي الذي يركز على طرق إعادة إنتاج الهيمنة الاجتماعية والسياسية عن طريق النص والحديث. فمجال التعددية اللغوية والحقوق اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً جداً بسعي الناس وعلى وجه الخصوص الشعوب الأصلية إلى طلب الاعتراف بحقوقهم اللغوية والثقافية^(٢). ومع ذلك، فإن كل أشكال تحليل الخطاب أثرت إيلاء أهمية لدراسة النصوص المتوفرة بطبيعة الحال، في ضوء أخذ التناسق ومناهج الإنتاج والتلقي والسياق التاريخي والاجتماعي في الاعتبار. ويزعم بير أن المصطلح بمنزلة «مظلة تغطي تباينات واسعة من الممارسات البحثية الحقيقية التي لها أهداف وخلفيات تاريخية مختلفة، وكلها تتخذ من اللغة مرتكزاً لها»^(٣)، وتظل اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، وجميع أضرب تحليل الخطاب النقدي كلها أشكالاً من تحليل الخطاب^(٤).

التداولية اللغوية، وتهتم التداولية بدراسة الاستعمال اللغوي، حيث تدرس اللغة في سياقاتها الفعلية، وهي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. حيث تهتم بدراسة لغة الخطاب اليومي المباشر، بغرض الكشف عن المقدرة الخطابية، ودراسة معاني القول في المقامات التخاطبية. وتبحث في العناصر الإشارية أو الإحالية، والاستلزام الحوارية، والأفعال الكلامية، ومتضمنات القول^(٥).

(1) Stubbs, 1983. p. 1.

(2) Fairclough. 1995.

(3) Burr, 1995. p. 163.

(٤) انظر في هذا، بيكر، وإيليج. ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢٩ - ٣٢.

(٥) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٣.

وتهدف التداولية إلى دراسة اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة حدود الواقع الأصلي المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة في الكلام، بل يقصد المعنى السياقي غير المباشر؛ إذ إن الوضع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى، ولا يمكن الوصول لهذه المعاني إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال السياقي الذي يحدد قصد المتكلمين، فبعض المعاني الثانوية للتعبير كالسخرية والاستنكار والمدح والذم، تستفاد من علاقته بالسياق الخارجي^(١).

وتُعنى التداولية بدراسة المعنى الذي يقوم المتكلم بإبلاغه من جهة، ويقوم السامع بتأويله والتقاطه من جهة أخرى استناداً إلى خلفية معرفية وثقافية مشتركة. فمدار الأمر هنا على تحليل ما يقصده ويعنيه المتكلمون من الملفوظات والتعابير التي يستعملون، لا على ما تدلّ عليه الكلمات والتراكيب داخل تلك الملفوظات في حدّ ذاتها. فالمعنى الذي تتناوله التداولية بالدرس ليس من صنوتك المعاني التي تحرص المعاجم على التنصيص عليها، وتضبطها قواعد اللغة وتكفي القدرة اللغوية لفهمها، بل هو معنى ينزله المتكلم في سياق ثقافي، ويشاركه السامع في بنائه والتفاوض فيه^(٢).

فالبحث هنا موجّه إلى الاهتمام بتأويل ما يقصده المتكلمون من ملفوظاتهم داخل سياق بعينه من جهة، وما يكون لذلك السياق من أثر في أقوال أولئك المتكلمين من جهة أخرى. فالتداولية توجّه اهتماماً واضحاً إلى الكيفية التي يُبلغ بها المتكلم ما يريد قوله وفقاً للأطراف التي يخاطبها ومختلف الظروف التي تحفّ بعملية القول. وهذا ما يجعل من مهامّ التداولية دراسة المعاني السياقية، والكشف عن وجوه الاستدلال التي يقوم بها السامع ليصل إلى المعاني التي يقصدها المتكلم انطلاقاً مما قيل. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ ما لم يقع التصريح به في ظاهر اللفظ هو جزء من عملية التواصل ومما يقوم المتكلم بإبلاغه إلى السامع. فالتداولية تُعنى بتلك المعاني غير المصرح بها، لتبيّن لنا

(١) علوي، ٢٠٠١م، ص ٣، ص ١٨.

(٢) عبيد، ٢٠١٥، ص ١٣٢.

من خلال ذلك كيف أننا ننطق بالقليل لنقول الكثير، وأن مقاصدنا ونياتنا تفوق حجم ما يجري على ألسنتنا^(١).

وإذا نظرنا إلى ما يتم نشره فعليا على أنه دراسات في اللسانيات الاجتماعية في الوقت الحاضر، فإن الانطباع العام هو أن اللسانيات الاجتماعية ظلت إلى حد كبير كما هي مجالا واسعا متعدد التخصصات، ومجالات البحث التي تحدثنا عنها أعلاه هي التي تم تطويرها في الستينيات، حيث لا تزال حاضرة وتحظى بالاهتمام والدراسة حتى يومنا هذا، وهناك بعض المجالات التي ظهرت حديثا وهي مجالات ناشئة مثيرة للاهتمام مثل اللسانيات الاجتماعية الشرعية (ايدز. ٢٠١٠م)، ودراسات المشهد اللغوي (لاندرى وبورهيس ١٩٩٧م)، والدراسات اللسانية الاجتماعية للعولمة (بلوميرت ٢٠١٠م)، واللسانيات الشعبية (بريستون ١٩٩٣م).

مجال اللسانيات الاجتماعية الشرعية، هو مجال بحث جديد اهتمت به اللسانيات التطبيقية لدراسة اللغة والنظام القانوني وموضوعاته الرئيسية تشمل لغة القانون المكتوبة، ولغة إجراءات المحكمة، واستجابات الشرطة، وتقديم الأدلة، والترجمة القانونية، والترجمة الفورية، ويناقد كيف يمكن للمعرفة اللغوية الاجتماعية أن تسهم في العملية القانونية ويبحث في دور اللغة في إدامة عدم المساواة خلال العملية القانونية^(٢).

أما مجال دراسات المشهد اللغوي (لاندرى وبورهيس ١٩٩٧م، ليفين وسكولن ٢٠٠٤م، باكهاوس ٢٠٠٧م، جورترا ٢٠٠٦م)، فيشير بشكل أساسي إلى وجود لغة ما في منطقة بعينها، وعلاقة اللغات في تلك المنطقة، وكيف أن لغة إشارات الطرق العامة، واللوحات الإعلانية، وأسماء الشوارع، وأسماء الأماكن، ولافتات المحلات التجارية، واللافتات العامة في المباني الحكومية، تتحد لتشكيل المشهد اللغوي لمنطقة معينة أو إقليم بعينه،

(١) عبيد، ٢٠١٥م، ص ١٣٣.

(2) Eades. 2010.

أو تكتل حضري قائم^(١). ويشير المشهد اللغوي غالباً إلى السياق الاجتماعي الذي توجد فيه أكثر من لغة واحدة، وتستكشف الدراسات كيف أن المشهد اللغوي يمكن أن يوفّر المعلومات عن قوة ومكانة المجتمعات اللغوية الساكنة في منطقة معينة وكيفية ارتباطها بالحيوية اللغوية. وتسعى دراسة المشاهد الطبيعية المتعددة اللغات إلى تقديم منظور جديد إلى نظريات وسياسات التعددية اللغوية وإلى توفير بيانات أساسية عن سياسة اللغة. وتعدّ دراسة المشهد اللغوي تطوراً جديداً يحظى باهتمام متزايد في اللسانيات الاجتماعية واللسانيات التطبيقية^(٢).

وقد ظهر مصطلح «المشهد اللغوي» أوّل مرّة سنة ١٩٩٧ في مقال تأسيسي للباحثين الكنديّين ريتشارد بورهيس ورودريك لاوندري (Landry & Bourhis, 1997)، وقد أطلقاه على اللغة في المحيط، أي على كلّ أشكال الحضور اللغوي في البيئة الحضرية بالخصوص من خلال لافتات المرور، وأسماء الطرقات والشوارع والميادين، ولافتات المؤسسات العموميّة، والمحلات التجاريّة، واللوحات الدعائيّة، والكتابة على الجدران (الغرافيتي) وكلّ الإشارات اللغويّة التي تنتمي إلى المشهد العامّ في حيّ أو مدينة أو منطقة.

يعكس المشهد اللغوي التركيبة الاجتماعية واللسانيّة للمجموعة البشريّة المقيمة في منطقة معيّنة. واللوحات سواء أكانت أحاديّة اللغة أم ثنائيّة اللغة أم متعدّدة اللغات، تعكس مظاهر التنوّع والتعدد اللغويّ، ومدى سيطرة لغة معيّنة على المشهد اللغوي وعلى الثقافة والمجتمع والإدارة.

من هذا المنظور تمثّل اللوحات المكوّنة للمشهد اللغوي تعبيراً عمّا يسمّيه لاوندري وبورهيس الحيويّة اللسانيّة الإثنية، أي قدرة جماعة لغوية معيّنة على التعبير عن هويّتها، كما تمثّل اللافتات مخزوناً لغوياً وسميائياً وثقافياً على قدر كبير من الأهميّة؛ لهذه الأسباب لا يتعامل الدارسون للمشهد اللغويّ مع اللافتات باعتبارها مجرد دوالّ

(1) Landry and Bourhis. 1997. p. 25.

(2) Paoletti. 2011. p.8.

لغوية مرتبطة عرفياً بمدلولات، وإنما يتوسّع وصفهم وتحليلهم، في بعض المقاربات، ليشمل كلّ مظاهر التشفير اللغوي والسميائي المتعلّقة بأماكن عرض اللوحات، وأنواع الحوامل، وأشكال الخطوط وأحجامها وألوانها، وأنواع الرموز والصور المصاحبة لها؛ لأنّ كلّ تلك المكونات تتفاعل مع المكوّن اللغوي فتشكّل الرسائل التي يريد مصمّمو اللافتات تبليغها للجمهور^(١).

أما اللسانيات الاجتماعية للعوّلة فتسعى إلى نقد جوهري للمفاهيم الأساسية للسانيات الاجتماعية فيما يتعلق بالواقع المتغير في زمن لم تعد لغة العوّلة مرتبطة بالمجتمعات المستقرة حيث يتنقل الأشخاص في جميع أنحاء العالم مما يقود إلى تغير اللغة. وتجبر العوّلة اللسانيات الاجتماعية على إعادة النظر في تميزاتها الكلاسيكية وتحيزاتها وإعادة النظر في نفسها كلسانيات اجتماعية لمصادر متحركة، تصاغ في علاقاتها بتدفقات وشبكات عبر السياقات وتتصف بالتدفق والحركة^(٢). ويتم استكشاف مبادئ عامة موجودة في العلوم الاجتماعية مرتبطة بالعوّلة من أجل استنتاج التضمنات والآثار النظرية والمنهجية لدراسة اللغة.

وتهتم اللسانيات الشعبية^(٣) بالتركيز على "ركام" الأحكام والانطباعات والمعتقدات والأساطير والتصورات التي تحملها الجماعة اللغوية حول اللغة، وتمظهراتها لدى الأفراد إمّا صراحة في منظوماتهم، أو ضمناً في ممارساتهم التواصلية، وتحيزاتهم اللغوية الاجتماعية. انطلاقاً من أن تلك التصورات هي طيف واسع جداً يبدأ من الشعور الميتا - لغوي الملازم للملكة اللغوية الطبيعية لدى كل إنسان، مروراً بما لدى الجماعات

(1) Landry & Bourhis, 1997.

(2) Blommaert. 2010. p. 1.

(٣) حرّر الدكتوران عقيل الشمري، ومنصور ميغري في عام ٢٠١٧م، كتاباً عن «التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات»، ضم مجموعة مميزة من الدراسات لمجموعة من الباحثين حول التصورات الشعبية عن اللغة في الأدبيات اللسانية، وصور العربية في التصورات الشائعة، والتصورات الشعبية والوعي اللغوي نحو اللغة العربية.

اللغوية المختلفة من اعتقادات وقناعات تمسّ اللغة وتتقاطع معها، حتى تصل إلى بعض الآراء التي تدخل في باب الخرافة. فالاهتمام بالتصورات الشعبية ونقدها، يساعد على تبين الحدود الفاصلة بين الخطابات المعرفية المختلفة، وتدرجاتها، إضافة إلى فهم الشروط الموضوعية لتكوّن هذه الخطابات وتعارضاتها^(١).

ويذهب الدارسون إلى أن تنظيم المعطيات داخل الكم الهائل من الآراء والاعتقادات والمواقف والممارسات اللغوية الموسومة بالشعبية من شأنه أن يفتح حقل بحث في غاية الثراء أمام اللسانيين الذين يشغلهم ما ينتجه المتكلمون من تصورات عفوية، وما يحملونه من تمثّلات حول الظواهر اللغوية من كل صعيد. وعادة ما توسم المعارف الشعبية بأنها «معارف تقريبية» وتصورات واعتقادات عامة هي عبارة عن أدلة للفعل والممارسة الاجتماعيين، وغالبا ما تختزل في الحكم والأمثال الشعبية والأقوال السائرة. وبهذا المعنى تنتمي الآراء والمعتقدات والممارسات الشعبية المتعلقة باللغة إلى دائرة اللاعلم، وتقابل اللسانيات باعتبارها علما^(٢).

ويشير مصطلح "التصورات الشعبية للغة" إلى مجموعة من المفاهيم والتعريفات والتعليقات والممارسات الاجتماعية والمواقف النفسية تجاه لغة أو لغات بعينها وطريقة استخدامها التي يتبناها الشخص غير المتخصص في اللسانيات، وهذه المفاهيم الشعبية للغة يمكن أن تتعارض أو تتقاطع مع المفاهيم والتصورات العلمية للغة في مجال اللسانيات^(٣). وينصبّ اهتمام اللسانيات الشعبية على دراسة التعريفات الثقافية لمفاهيم مثل اللغة والكلمة والجملة، وكذا دراسة مواقف غير المتخصصين في اللسانيات من جهة ظاهرة التصويب اللغوي أو الملاءمة اللغوية، وأفكارهم حول اللهجات المرتبطة بالهويات الريفية والاجتماعية، وبيان مدى تأثير هذه المواقف والأفكار الشعبية في عملية

(١) الشمري، وميغري، ٢٠١٧م، ص ١٧.

(٢) الشمري، وميغري، ٢٠١٧م (٢)، ص ٤٦.

(٣) عبد الجي، ٢٠١٧م، ص ١٢٠.

اكتساب اللغة الأولى أو الأجنبية، كما تهتم اللسانيات الشعبية بدراسة السياسات اللغوية التي يضعها ويتبناها ويراعي تنفيذها الأشخاص أو المجموعات التي لم تتلق تدريباً في مجال اللسانيات أو غير المؤكول إليها رسمياً هذا الأمر. وبهذا المنظور تعد التصورات الشعبية أحد مكونات الثقافة السياسية للمجتمع، والوسيلة التي تعبر بها الثقافة عن نفسها داخل المجتمع، انطلاقاً من أن الأفكار الشعبية حول اللغة تتجسد في السلوك أو الممارسة اللغوية، وهو الأمر الذي يجعلها تتأثر وتؤثر في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع^(١).

وينتج غير اللسانيين، توصيفات وتنظيرات لغوية بدائية، كالأقوال حول علاقة الأسماء بالمسميات، والعلاقة بين الشفوي والمكتوب، وقواعد اللغة، والتعدد اللغوي، واكتساب اللغة، والعلاقة بين اللغات، وأصل اللغة وحياتها وموتها، والمفاضلة بين اللهجات أو المستويات اللغوية، والأعمال اللغوية، وأنواع الخطاب، كما ينتجون وصفات للسلوك اللغوي السوي، تصدر عادة عن مواقف معيارية، عن عشاق اللغة، تدين في الغالب ظواهر تسيء إلى صفاء اللغة كالمقترضات بأنواعها، والاشتقاقات المتعسفة والمولدات المشوهة التي غالباً ما تعزى إلى قصور لغوي لدى منتجيها ومستهلكيها. ويبدو هذا الإنتاج أيضاً في تدخلات التصويب اللغوي أو الملاءمة اللغوية، تنصب على الصواب اللغوي بمستوياته المختلفة، وتنتمي إلى تقليد خطابي تكوّن الجهود المبذولة للتنبيه على ما تلحن به العامة، أو الأخطاء الشائعة في الصحافة المكتوبة والمرئية^(٢).

إن دراسة التصورات والأنماط الشعبية للغة، هو وسيلة لربط اللغة بقضايا ثقافية وسياسية معيشة، تهدف إلى «تسييق» اللغة في فضاءها الاجتماعي والتاريخي لمحاولة فهم الطريقة التي ينظر بها «رجل الشارع» إلى طبيعة الموارد اللغوية المتاحة وغير المتاحة لخدمة وتوفير احتياجاته التعليمية والاقتصادية في بيئة اجتماعية معينة، ومقارنة

(١) عبد الحجي، ٢٠١٧م، ص ١٢١.

(٢) الشمري، وميغري، ٢٠١٧م (٢)، ص ٤٦.

السياسات اللغوية الرسمية بالأنماط الشعبية على أرض الواقع، تلك التي تقوّم توزيع استخدام هذه الموارد اللغوية ومعرفتها وتحكمه. وتأثير هذا التقويم والمعرفة في إنتاج أنماط متباينة من التمايز الخطابي الذي يعد علامة إحالية لأشكال مختلفة ومعقدة من التراتبية واللاعلاقة الاجتماعية. فما يحدد خيارات الفرد اللغوية ليس هو طبيعة التركيب الداخلي لمتن اللغة، بل الوظيفة التي يستخدم من أجلها هذا المتن، فالوظائف الاجتماعية للغة تحكمها وتؤثر فيها مجموعة من التوقعات والتصورات الشعبية، وهو الأمر الذي يستوجب النظر إلى هذه التصورات الشعبية ليس باعتبارها «صوراً ذهنية» فردانية، بل ضرباً من ضروب «الفعل الاجتماعي» باعتبار أن الرؤى الشعبية تتجسد في الممارسة اللغوية، وأن الممارسة أو السلوك اللغوي هو النقطة التي يتقاطع فيها متن اللغة مع المجتمع؛ إذ إن الأيديولوجيات الشعبية هي الساحة التي تلتحم فيها اللغة مع قضايا الهوية والسلطة والحقوق الثقافية والمادية، كفعل خطابي وممارسات اجتماعية، مما يجعلنا نركز على الأبعاد الرمزية للتصورات الشعبية للغة، ودورها في تشكيل علاقات القوة والتضامن على مستوى التفاعل الاجتماعي^(١). ويظل المنظور اللساني الاجتماعي لظاهرة التصورات الشعبية عن اللغة بعداً تكوينياً في الحدث اللغوي لا يمكن اختزاله^(٢).

هذه هي بالضبط الاهتمامات الشائعة في العمل الميداني أثناء التفاعل والمنهجيات النوعية /الكيفية التي خلقت أرضية مشتركة تلاقت فيها طرق ومناهج مختلفة بأساليب أصبحت ممكنة، وأثبت فيها التعاون والحوار على الحدود المختلفة للعلوم اللغوية والاجتماعية والإنسانية أنه مثمر للغاية، حيث تتشارك معظم هذه المناهج عبر حدود التخصصات في بعض الملامح المشتركة، على وجه الخصوص الاهتمام بالعمل الميداني والتركيز على التفاعل. ويمكن هنا أن نبرز أهم ما ذكرناه حول موضوعات البحث ومجالاته التي تضمّنتها اللسانيات الاجتماعية كما ورد في مجموعة كتب منهجية متنوعة وعند مجموعة كبيرة من الدارسين، بأنها تدور في فلك مداره المناهج الكمية والنوعية (الكيفية)

(١) عبد الحي، ٢٠١٧م، ص ١٢٢.

(٢) الشمري، وميغري، ٢٠١٧م (٢)، ص ٥٥.

لدراسة اللغة، واللسانيات التباينية، والمناهج الإثنوجرافية والإنثروبولوجية لدراسة اللغة، والتواصل اللغوي: دراسة اللغات الهجين، تبديل الشفراء، موت اللغة وبقائها، الحقوق اللغوية، سياسة اللغة، والمناهج الخطابية لعلم الاجتماع والعلوم الإنسانية الأخرى.

وبمتابعة ما نشرته أهم مجلات اللسانيات الاجتماعية نستنتج أن فلك الارتكاز لدراسات اللسانيات الاجتماعية يدور حول المجالات المذكورة، ولتمثيل على ذلك ننظر في تعريف اثنتين من أهم مجلات اللسانيات الاجتماعية لنفسها، وهما مجلة اللسانيات الاجتماعية ^(١) The Journal of Sociolinguistics، ومجلة اللغة في المجتمع ^(٢) Language in Society، حيث نقرأ في تحديد مجلة اللسانيات الاجتماعية بأنها "مجلة للسانيات الاجتماعية تقدّم اللسانيات الاجتماعية باعتبارها مسعى لغوياً ومسعى علمياً اجتماعياً شاملاً" ^(٣)، وتهتم المجلة باللغة في جميع أبعادها الكلية والجزئية كسمات رسمية أو خطابات مجردة كما يقع الحديث أو النص المكتوب. ونقرأ في تحديد مجلة اللغة في المجتمع لهويتها ما يأتي: "اللغة في المجتمع مجلة دولية للسانيات الاجتماعية تهتم باللغة والخطاب كجوانب للحياة الاجتماعية..." ^(٤)، وكلا المجلتين تقدم اللسانيات الاجتماعية كمشروع واسع متعدد التخصصات.

(١) مجلة اللسانيات الاجتماعية هي مجلة أكاديمية تغطي موضوعات في اللسانيات الاجتماعية. يشمل نطاقها مجموعة واسعة من اللغات التي يتم التعامل معها من وجهة نظر متعددة التخصصات. تأسست في عام ١٩٩٧م، وتنشرها دار نشر وايلي بلاكويل، أربع مرات في السنة، وترأس تحريرها حالياً مونيك هيلر.

(٢) اللغة في المجتمع هي مجلة دولية للسانيات الاجتماعية، تأسست في عام ١٩٧٢م وتنشر خمس مرات في السنة من قبل مطبعة جامعة كامبريدج. ويرأس تحريرها حالياً، سوزان إرليش، وتوماسو ميلاني، تهتم باللغة والخطاب كجوانب من الحياة الاجتماعية. تنشر المجلة مقالات تجريبية ذات أهمية نظرية عامة أو مقارنة أو منهجية للطلاب والعلماء في اللسانيات الاجتماعية والإنثروبولوجيا اللغوية والمجالات ذات الصلة.

(3) The Journal of Sociolinguistics.

(4) Language in Society.

وبمتابعة المقالات التي نشرت بالمجلتين منذ صدورهما يتبين أن معظم المقالات يمكن تصنيفها في المجالات التي تحدثنا عنها أعلاه - مع اختلاف بينهما في عدد المقالات بحسب المجال -، ففي مجلة اللسانيات الاجتماعية نجد أن مقالات التباين اللغوي هي أكثر بكثير من تلك المتعلقة بإثنوجرافيا اللغة، أو تلك المتعلقة باللغة في التواصل، ومع ذلك تتضمن هذه المجلة عددا كبيرا من المقالات التي تركز على مجال المناهج الخطائية لعلم الاجتماع وغيره من العلوم الإنسانية الأخرى⁽¹⁾. من جهة أخرى فإن المقالات التي نشرت في مجلة اللغة في المجتمع، المتعلقة بدراسة التباين اللغوي ليست بكثرة المقالات التي نشرت عن إثنوجرافيا اللغة، والإنثروبولوجيا اللغوية. ومجال اللغة في التواصل ممثل فيها بشكل جيد، ولكن نسبة كبيرة من المقالات يمكن تصنيفها في مجال المناهج الخطائية للعلوم الإنسانية: تحليل الخطاب، تحليل الخطاب النقدي، التداولية، تحليل المحادثة، التحليل السردي، اللغة والتعليم، اللغة والجنس...⁽²⁾ مع ملاحظة أن تصنيف المقالات داخل هذه المجالات ليس واضحا دائما؛ لأن العديد من هذه المجالات غالبا ما تكون مترابطة ومتداخلة.

نحصل على نفس النتائج من خلال فحص نصوص الكتب المنهجية الرئيسية المصادر التي قدمت وعرفت باللسانيات الاجتماعية المنشورة أو المعاد طباعتها منذ العام ٢٠٠٠م حتى تاريخنا هذا (هدسون ١٩٩٦م، ترودجيل ٢٠٠٠م، رومين ٢٠٠٠م، كولماس ٢٠٠٥م، جاورسكي وكوبلاند ٢٠٠٦م، هولمز ٢٠٠٨م، تشامبرز ٢٠٠٩م، كوبلاند وجاورسكي ٢٠٠٩م، بلوميرت ٢٠١٠م، واردهو ٢٠١٠م) حيث تتراوح موضوعاتها في المجالات التي ذكرناها أعلاه، وهي موجودة في كل الكتب المذكورة مع استثناءات قليلة فقط، فهي تتضمن فصولا عن التباين اللغوي وهي موجودة غالبا، ومجال المناهج الخطائية في العلوم الإنسانية كثيرا ما يتم تضمينها، كما أن مجال إثنوجرافيا اللغة، والإنثروبولوجيا اللغوية موجودة أيضا، وإن كانت أقل إلى حد ما، في حين نجد أن مجال اللغة في التواصل ممثل فيها بشكل جيد،

(1) The Journal of Sociolinguistics, see also, Paoletti, 2011. p.7.

(2) Language in Society, see also, Paoletti, 2011, p.7.

ونجد أن موضوعات اللغات الهجين، وتبديل الشفريات، واللهجات، وموت اللغة وبقائها، والحقوق اللغوية، ودراسات سياسة اللغة حاضرة في معظم هذه المصادر.

وبالنظر أيضاً إلى الندوة الأوروبية للسانيات الاجتماعية^(١)، نجد أن هذه الندوة دائمة الترويج لمصطلح اللسانيات الاجتماعية كمجال واسع متعدد التخصصات، وربما يكون هذا أحد الأسباب الرئيسة للنمو السريع لهذا المصطلح بعلامح متعددة المشارب والمصادر.

ومن خلال هذا الفحص التجريبي يتضح أن دراسات اللسانيات الاجتماعية تتناول بشكل متسق مجالا واسعا متعدد التخصصات مشابه لتلك الدراسات التي تم تطويرها قبل ٦٠ عاما، مع ظهور بعض المجالات الجديدة الناشئة. مما يقودنا إلى القول بتعدد مجالات اللسانيات الاجتماعية، وأن القوة الرئيسة لها تكمن في أنها مجال بحث يعتمد على التلاقح المتبادل لمجموعة من التخصصات المختلفة.

منهجية البحث في اللسانيات الاجتماعية

يسعى الباحثون في اللسانيات الاجتماعية إلى دراسة موضوعاتهم، انطلاقا من أساس تخصصي بيئي واسع يتضمن جميع المجالات الاجتماعية. فيعمدون إلى اختيار منهجيات البحث وطرائقه التي تناسب دراسة تلك الموضوعات انطلاقا من حزمة أدوات جمع البيانات التي تتضمن: الاستبانات المسحية، وبيانات الإحصاء والبيانات الديموغرافية والمدونات اللغوية، والمقابلات، والملاحظة بالمشاركة، والبحث الإجرائي التشاركي، وحزمة تحليل البيانات الإحصائية والتجريبية، والإثنوجرافية. فاللسانيات الاجتماعية

(١) الندوة الأوروبية للسانيات الاجتماعية The European Sociolinguistics Symposium يقيمها منذ السبعينيات (١٩٧٦م) مجموعة من اللسانيين الاجتماعيين في بريطانيا بعنوان (المؤتمر الدولي حول اللغة في المجتمع) وتعد واحدة من أهم المؤتمرات الدولية للسانيات الاجتماعية، وندوة اللسانيات الاجتماعية هي التجمع العالمي الرئيس لعلماء اللسانيات الاجتماعية على مستوى العالم. ينعقد هذا الحدث كل عامين ويعد فرصة فريدة ومنتدى لتطوير وتبادل الأفكار ونتائج البحث حول اللغة والمجتمع في صلاته ومظاهره المتعددة.

علم تجريبي يعتمد على مجموعة واسعة من المصادر، وتتطلب العلوم التجريبية مطالب صارمة فيما يتعلق بجمع البيانات وتحليلها، وتقنيات جمع المعلومات، وتقدير الأخطاء، ومستوى الثقة ومستوى الدلالة التي يمكن بها إصدار بيانات معينة^(١).

وتركز البحوث التجريبية على المشكلات الإنسانية والاجتماعية في محاولة لإيجاد حلول للمشكلات الواقعية، وتتراوح البحوث في العرف البحثي بشكل عام بين بحوث كمية وبحوث كيفية؛ إذ تنظر البحوث الكمية إلى الحقيقة بطريقة موضوعية تكون وظيفة الباحث فيها الملاحظة والقياس والتحكم في المتغيرات. ويتمثل هدف البحث فيها في التعميم والتنبؤ والكشف عن العلاقات السببية، ويتم صياغة الأسئلة في البحوث الكمية بطريقة استنتاجية مصممة لاختبار الفرضيات^(٢).

أما البحوث الكيفية فتنتقل من أن الحقيقة متعددة؛ ومن ثم فهي تدرس بطريقة شمولية، لا يستطيع فيها الباحث أن يتحكم في المتغيرات، ويكون الهدف فيها هو ربط الظاهرة بسياقها مع تفسيرها، وتفسير ما شوهد ولوحظ في هذا السياق على وجه التحديد. وتصاغ أسئلة البحوث الكيفية بطريقة استقرائية يتم فيها توظيف البيانات التي تجمع للوصول إلى خلاصة عامة. وحالما يتم جمع البيانات يبدأ الباحث بتتبع الأنماط الظاهرة، مستخدماً التحليل التفسيري للبيانات مع تقسيمها إلى فئات مستخلصة ليتمكن الباحث من عرضها بلغة وصفية^(٣).

لا تخرج مناهج البحث المستخدمة في اللسانيات الاجتماعية عن مناهج البحث المستخدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، إلا بمقدار نوعية وطبيعة وخصوصية الدراسة وأهدافها، ولكن إذا أردنا تخصيص الاهتمام بمنهجية البحث باللسانيات الاجتماعية، فإنّه يمكننا القول بأنّ باحثي اللسانيات الاجتماعية يعنون

(1) Fasold, R. 1990.

(٢) بالتريخ، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ١٥.

(٣) بالتريخ، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ١٦.

برصد الوضع اللغوي في سياقات معينة يسعون إلى فهمها وإيضاحها، وباللغات بوصفها ممارسات تواصلية وذخيرة قائمة. وتهتم منهجية اللسانيات الاجتماعية بسلطة الباحث في تفسير البيانات أثناء تقرير نتائج البحث. وتتبنى المنهجية اللسانية الاجتماعية وجهة النظر البنائية الاجتماعية التي ترى أن الواقع الإنساني يعاد إنتاجه ويتشكل مجدداً بشكل مكثف في أنشطة محددة اجتماعياً وتاريخياً من الحياة اليومية، وذلك له آثار في كيفية دراستنا للسياق الاجتماعي^(١).

قدّم فيشمان ١٩٧١م نموذجاً استدلالياً للتحليل الاجتماعي اللغوي يتناول من الذي يبحث؟ ومن الذين يبحثهم؟ وماذا يبحث؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟ والقضية الجوهرية في هذا النموذج هي احترام المفحوصين والتعامل معهم بوصفهم مركز الاهتمام^(٢). وقد رفع كاميرون ١٩٩٢م شعار «إجراء البحث على المشاركين، ولهم ومعهم»؛ لتحقيق التوازن بين حاجات الميدان المعرفية والاهتمام بالناس الذين يجري عليهم البحث وتمثيل حياتهم، واستخدامهم اللغوي من خلال استخدام التفاعل والأساليب الحوارية وإشراك المفحوصين في ردود الفعل، والتشاور وتطوير أخلاقيات العلاقة معهم^(٣).

ويهتم دارسو اللسانيات الاجتماعية عادة بدراسة التنوعات اللغوية، والازدواج اللغوي، والتعددية اللغوية في السياق المجتمعي، وأماكن العمل، والفصول الدراسية، ويجرون دراساتهم على المستوى المحلي والإقليمي والوطني، وفي الأوضاع المؤسسية والعائلية والمجتمعية، وهي أوضاع وحالات سمتها الأساسية التنوع والتغير وعدم التجانس، مما يجعل إحدى النقاط المهمة في منهجية الدراسة، هي كيفية التعامل مع الحالات النمطية والمتغيرة. وغالباً ما تكون الحالات النمطية مجال اهتمام الباحثين الذين يسعون إلى التعميم من خلال أبحاثهم، غير أنها ليست دائماً الهدف الوحيد؛

(1) Rrompton, 2000, p.10

(2) Fishman, 1971, p.219.

(3) Cameron, 1992.

إذ يمكن أن تكون الحالات المتغيرة مجالاً لاستكشاف الرؤى المحتملة التي تعرضها. ويعدّ التغير وعدم التجانس من النقاط المهمة منهجياً، فالجوهر بالنسبة للسانيين الاجتماعيين هو الطبيعة المتغيرة، والفهم العميق لمجتمع الخطاب بوصفه بيئة بحثية للدراسة اللسانية الاجتماعية ولاستخدام اللغة، مما جعل التحليل اللساني الاجتماعي لمجتمع الخطاب يتحرك نحو إقرار أكبر للموارد اللغوية المتحركة حيث ينظر إلى الموارد اللغوية على أنها متحركة عبر النطاقات، مع التحول في الوظيفة والبنية والمعنى، من خلال اختلاف الترتيب، وهو أمر أحدث تحوُّلاً في طريقة المعالجة، حيث تحوّل الاهتمام من التركيز على مجتمع الخطاب، وتجاوزه إلى التركيز التكاملي على مجتمعات الممارسة والممارسات التواصلية بتنوعاتها وعدم تجانسها وطبيعتها المتغيرة^(١).

إن النقطة المهمة في المنهجية اللسانية الاجتماعية تبرز حيال الطبيعة المتباينة والمتغيرة للغة، كما تبرز حيال تلك المجموعة المتنوعة للنطاقات التي تجرى فيها الدراسات اللسانية الاجتماعية. ولمواجهة هذه النقطة الناشئة عن عدم التجانس والتحريك والتنوع، والنطاق الطبقي، والدلائل، والتعددية المركزية لنطاقات البحث، فإن اللسانيات الاجتماعية تتجه نحو نزعة أكثر محلية تأخذ بعين الاعتبار حدة التوتر والغموض، ومفارقات الانتماءات اللغوية، والهويات اللغوية الاجتماعية سعياً للفهم ووصف الواقع بطريقة ملائمة^(٢).

وبالنسبة للكيفية التي تعتمد عليها منهجية اللسانيات الاجتماعية لجمع البيانات البحثية وتحليلها وتفسيرها، فإن البيانات تجمع من خلال استجابات الاستبانات، وإحصاءات التعداد والبيانات الديموغرافية، وقواعد البيانات اللغوية، ونصوص المقابلات، والوثائق، والملاحظات الميدانية، والتسجيلات الصوتية والمرئية وغير ذلك. وفي كثير من الحالات تكون البيانات الأولية جزءاً مقتطعاً من لغة منطوقة أو مكتوبة

(١) هولت وجونسون، ٢٠١٥، ترجمة محمود المحمود، ٢٠١٨م، ص ١٩.

(٢) هولت وجونسون، ٢٠١٥، ترجمة محمود المحمود، ٢٠١٨م، ص ٢٠.

تشكل نصوصاً وخطابات وممارسات لغوية، ويتم جمع هذه البيانات في المقام الأول من خلال الملاحظة، والتسجيل والاستنباط وجمع الوثائق^(١).

وأيًا كانت أساليب جمع البيانات وتحليلها، أو الأطر المفاهيمية المستخدمة، فإن النقطة المنهجية المهمة تبرز بانتظام حيال كفاية البيانات البحثية بوصفها أساساً للاستدلال، كما تبرز حيال العلاقة الاستنتاجية بين النظرية والبيانات، وهي قضايا مركزية في جميع منهجيات البحث. وتظهر خاصة في حجم البيانات التي يحتاجها الباحث لاستخلاص استنتاجات ذات مصداقية، وكيفية تنقل الباحث ما بين النظرية والبيانات والعكس؛ إذ إن أسس عمليات الاستنتاج هي موضع دائم للنقاش في منهجيات البحث^(٢).

إن الاستجابة للقضية أعلاه وللطروحات التفسيرية والاستقرائية التي تعالجها، تكمن في النظرة الداخلية والنهج الشمولي، ويعدّ ذلك النهج داخلياً حيث إن اللسانيين الاجتماعيين يحاولون استنتاج وجهة النظر المحلية لوصف طرق المعرفة، والعمل، والمواقف، والأحداث كما يفهمها الأفراد ويشاركون فيها، وتحمل معنى بالنسبة لهم. كما أنه شمولي حيث إن اللساني الاجتماعي يسعى لإيجاد صورة كاملة تزيل الغموض وتحاول أن تكشف عن الارتباط القائم بين جميع المكونات. إن من القضايا الحاسمة للدراسة اللسانية الاجتماعية هي الضلوع الذاتي للباحث اللساني الاجتماعي في الوساطة بين النظرية والبيانات، وذلك حاسم في تحقيق النظرة الشمولية والداخلية في عمليات الاستدلال والتفسير والاستقراء، وفي نهاية المطاف فإن النهج النوعي الشمولي والداخلي للباحث اللساني الاجتماعي يأخذ في الحسبان أنه أساس التفسير ويتيح قابلية التعميم^(٣).

وكما هو الحال في جميع منهجيات البحث، فإن القابلية للتعميم من الاعتبارات المهمة التي تسعى لها بعض البحوث من خلال نهج بعض التقاليد البحثية باستخدام

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٧٧.

(٢) هولت وجونسون، ٢٠١٥، ترجمة محمود المحمود، ٢٠١٨م، ص ٢٠.

(٣) هولت وجونسون، ٢٠١٥، ترجمة محمود المحمود، ٢٠١٨م، ص ٢١.

عينة بحث كبيرة، واستخدام عينات عشوائية أو ممثلة، أو الضوابط الإحصائية المحكمة. ويسعى الباحثون إلى القابلية للتعميم من خلال القابلية للنقل (transferability) والخصوصية (particularity)، حيث تسند القابلية للنقل المسؤولية إلى القارئ لتقرير ما إذا كانت النتائج تنطبق على سياق آخر^(١).

إن المتغيرات عبر السياقات أمر مفروغ منه، لكن إن قدم الباحث اللساني الاجتماعي ما يكفي من الوصف المكثف الثري والمفصل والتحليل لسياق معين، فإنه من الممكن للقارئ المطلع على سياق آخر أن يحدد ما يمكن وما لا يمكن نقله من نتائج. وفي هذا الصدد فإن زيادة التخصيص للوصف والتفسير هو ما يساعد القارئ على أن يكون لديه قدرة لتحديد ما إذا كانت تلك النتائج المحددة يمكن تطبيقها على سياق آخر^(٢).

ونعرض هنا لبعض المعطيات الأساسية التي ينبغي أن تتوفر في المنهجية المستخدمة في اللسانيات الاجتماعية لدراسة القضايا اللسانية الاجتماعية كما أكدتها عملياً الدراسات اللسانية الاجتماعية الحديثة ومن أهمها:

أولاً: ضرورة الحصول على معلومات لغوية دقيقة وممثلة لضمان نتائج موضوعية.

ثانياً: اعتبار المتغيرات الاجتماعية عند وصف السلوك اللغوي ودراسة التوزيع اللغوي جغرافياً؛ إذ إن اللغة ظاهرة اجتماعية تتغير بتغير المجتمع وتتأثر بما يتأثر به، فهي انعكاس للتطورات والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، وهو الأمر الذي يحتم ربط الاختلاف اللغوي والاجتماعي والجغرافي والتاريخي، فكل فرد في المجتمعات البشرية له وضعه وموقعه الجغرافي، وهذان أيضاً يحددان الأنماط اللغوية التي يستعملها. فقد أدى انتهاء العزلة الجغرافية للمجتمعات البشرية إلى انتهاء العزلة اللغوية، وخاصة داخل المجتمع الواحد الذي يشترك في تنوع لغوي واحد، وأصبح

(1) Duff, 2006, p.75.

(٢) هولت وجونسون، ٢٠١٥، ترجمة محمود المحمود، ٢٠١٨م، ص ٢٢.

من الصعب تحديد مجتمعات لغوية متجانسة ذات حدود مميزة، فقد أدت المتغيرات الاجتماعية إلى تغيير في معالم الخريطة اللغوية والحدود والفواصل اللغوية وزاد الاتصال والتمازج اللغوي، وهذا يؤدي إلى انتشار السمات اللغوية من مجتمع إلى مجتمع عبر تلك الحدود اللغوية^(١).

ثالثاً: التقارب اللغوي ونشوء التنوعات اللغوية في المدن كنقاط التقاء للتنوعات اللغوية المحلية، وقد بينَ لا بوف أنه تبعاً للمتغيرات الاجتماعية كهجرة كثير من سكان الريف إلى المدن، أصبحت التنوعات المحلية الجغرافية تتحول إلى تنوعات مدنية اجتماعية "Social urban dialect"^(٢)، ويصاحب ذلك كثير من التنوع والتغاير اللغوي "Linguistic variation" فالريفي مثلاً يحاول التكيف مع البيئة الجديدة ويتم ذلك من خلال إخفاء سماته اللغوية وتبني السمات اللغوية للتنوع اللغوي في المدينة^(٣).

وما يحدث في كثير من المدن والعواصم العربية مثال واضح على ذلك، حيث يصبح التنوع اللغوي المحكي في تلك المدن والمتميز بكثافة التنوع والتغاير، الأرقى اجتماعياً لارتباطه بمركز الحضارة والثقافة والحركة الاجتماعية، ويدفع ذلك المهاجرين الجدد إلى تقليد أو تبني ذلك التنوع اللغوي على حساب تنوعاتهم اللغوية المحلية، وهذا يؤثر بشكل مباشر في خارطة التوزيع اللغوي الجغرافي^(٤).

عموماً إن البحث عن حدود وفواصل جغرافية بحتة للتنوعات اللغوية العربية أمر صعب التحقيق، ولا بد من ربط ذلك بالتوزيع الاجتماعي للغة، كما أن البحث عن تنوع لغوي متجانس متحد السمات لا طائل تحته، فما يميز التنوعات اللغوية الحديثة القدر الكبير من التنوع والتغاير اللغوي الذي لا يمكن الإحاطة به ووصفه وصفا علمياً

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٨٧.

(2) Champers & Trudgill, 1980.

(٣) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٨٨.

(٤) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٨٩.

موضوعياً إلا بالرجوع إلى المجتمع بكامل متغيراته الاجتماعية لدراسة التنوع اللغوي في إطاره الاجتماعي والجغرافي معاً^(١).

ومن هنا تسعى منهجية اللسانيات الاجتماعية إلى البحث في أساليب جديدة لوصف الأنماط اللغوية السائدة وتحليلها، واكتشاف الأنظمة اللغوية المتوفرة والمتاحة للأفراد عموماً، وفي الأوضاع الموصوفة بأنها ذات ازدواج، أو تعدد لغوي، وما إذا كانت الأنظمة اللغوية متلازمة أم أن هناك سلسلة من التنوع والتغير اللغوي داخل النظام الواحد، وكيفية استعمال الأفراد لمثل هذا التنوع والتغير داخل النظام الواحد، وكيفية استعمال الأفراد لمثل هذا التنوع والتغير اللغوي لتحسين التواصل.

تنقسم البحوث فيما يتعلق بطرق البحث على وجه العموم، إلى بحوث مسحية كمية تستخدم الاستبانات والمقابلات، وبحاث كيفية تعتمد على دراسة الحالة، والمنهج الإثنوجرافي:

١ - البحوث المسحية

البحوث المسحية هي كل دراسة يجمع فيها الباحث بيانات تتعلق بخصائص المفحوصين وأرائهم التي تتصل بطبيعة اللغة من خلال استعمال الاستبانات التحريرية، أو المقابلات الشفهية.

١ - ١. الاستبانات التحريرية

تزودنا البحوث المسحية المتمثلة في الاستبانات التحريرية بمعلومات حقائقية حول إشكالية الدراسة، ومعلومات سلوكية ومعلومات تتعلق بالمواقف والتوجهات، وتعد هذه الطريقة وسيلة فعالة في جمع عدد كبير من المعلومات في وقت قصير وتكلفة محدودة^(٢).

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٩٣.

(٢) مكاي، ترجمة صالح الشويرخ، ٢٠١١م، ص ٥٨.

وهناك نوعان رئيسان للأسئلة التي تستعمل في الدراسات المسحية: الأسئلة المطلقة، التي تتيح الفرصة للمجيب أن يصوغ إجاباته بطريقته الخاصة، من خلال ملء الفراغ، والإجابات القصيرة التي تستعمل لتشجيع المفحوص على تقديم معلومات مفصلة عن مشكلة الدراسة. والأسئلة المقيدة، التي يطلب فيها من المفحوص اختيار إحدى الفئات المحددة أمامه، إما بواسطة وضع دائرة حول الجواب المختار أو وضع علامة "صح" أمام الفئة التي اختارها^(١).

تتمثل الخطوة الأولى في التحليل، بعد الانتهاء من تجميع وعرض نتائج المسح، في تحديد فئات الترميز، بحيث يعطي الباحث لكل إجابة قيمة رقمية، وبعد أن يحدد الباحث الرمز الرقمي للبيانات، يختار طريقة ما لتسجيل هذه البيانات. وبعد جمع المعلومات يتم عرضها بعدة طرق من أبرزها: تسجيل عدد مرات تكرار كل إجابة Frequency، ووصف النتائج من خلال النسب المئوية Percentages. وعرض النتائج في أشكال بيانية باستعمال الأعمدة البيانية أو الرسوم الدائرية^(٢).

ومن طرق عرض المعلومات أيضاً، وصف البيانات في المقاييس الفئوية باستعمال النزعة المركزية Central tendency، ومن أكثر أنواع النزعة المركزية شيوعاً الوسط الحسابي Mean، والمنوال Mode، والوسيط Median، وينبغي في هذه الحالة استخراج درجة التشتت Dispersion عن المتوسط الحسابي، بحساب الانحراف المعياري Standard deviation الذي يقصد به متوسط مسافة جميع الإجابات عن المتوسط الحسابي^(٣).

٢ - ١. المقابلات

تهدف المقابلة إلى تحقيق أغراض متعددة، من خلال أسئلة تهدف إلى الكشف عن سلوك المفحوصين، وآرائهم حول قضية ما، وتوجهاتهم، ومشاعرهم. وتطرح في المقابلة

(١) بالتريخ، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ١٠٧.

(٢) بالتريخ، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ١٦.

(٣) مكاي، ترجمة صالح الشويخ، ٢٠١١م، ص ٥٨.

أسئلة مطلقة تتيح للمجيب أن يردّ بطريقته الخاصة وتمكّنه من طرح رأيه حول المسألة، يتم فيها تجنب الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا؛ لأنها لا تعطي الفرصة للمجيب لتفصيل إجابته.

وهناك طريقتان لتحليل المقابلة: الأولى تحليل كل حالة على حدة، أي وضع حالة دراسية لكل شخص تمت مقابله. وهذه الطريقة مناسبة إذا كان الباحث يرغب في إبراز الأفراد الذين شملتهم دراسته والوقوف عند الاختلافات فيما بينهم. أما الطريقة الثانية فهي التحليل المتقاطع، بحيث يتم تنظيم إجابات عدّة مفحوصين وفقاً للموضوعات التي أثّرت في المقابلات. ويسهل تنفيذ هذه الطريقة في حالة استعمال المقابلة المعيارية، وهي كذلك مناسبة لمن يرغب في إبراز جوانب معينة من موضوع البحث.

يبدأ تحليل المحتوى التفصيلي، ويشمل هذا تحديد الموضوعات الرئيسة التي تضمها البيانات وترميزها. ولتنفيذ ذلك ينبغي على الباحث قراءة البيانات عدة مرات، للبحث عن الأفكار والموضوعات الأساسية وعنونة هذه الأفكار للوصول إلى قائمة بعدد من الفئات مستقاة من البيانات، وضبط الأفكار التي تضمّها البيانات بصرف النظر عن الطريقة المختارة للتحليل^(١).

٢ - البحوث الكيفية

يهدف البحث الكيفي إلى التفتيش عن أغنى بيانات ممكنة، والوصول إلى أعماق ما يجري في جميع جوانب السلوك الاجتماعي، وينزع إلى أن يقوم بذلك في بيئات اجتماعية مخصوصة، مما يعد بمنزلة ثقافات لأنشطة معينة^(٢). ومن أمثلتها دراسة الحالة Case study والمنهج الإثنوجرافي Ethnography approach

(١) مكاي، ترجمة صالح الشويخ، ٢٠١١م، ص ٧٩.

(٢) بالترج، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ٦٢.

٢ - ١. دراسة الحالة

يعد منهج دراسة الحالة من أكثر منهجيات البحث العلمي صعوبة في تعريفها، بسبب تفاوت دراسات الحالة فيما تركز عليه وفي البيانات التي تنتج منها. والحالة عبارة عن مثال منفرد يمثل نظاماً مقيداً، وهذا المثال قد يكون فرداً أو فصلاً أو مدرسة، بل قد يكون مجتمعاً بأكمله^(١). أما البيانات التي يتم جمعها في دراسات الحالة فتشمل المقابلات، والحكايات السردية، والملاحظة الصفية، وأدوات التلطف، والوثائق المكتوبة، حيث يختار الباحث نوع البيانات التي يرغب في جمعها وفقاً للأساس النظري الذي يوجه البحث، فيختار الباحثون منهج دراسة الحالة إذا كانوا يؤمنون بأن للظروف السياقية علاقة بموضوع البحث؛ إذ يساعد منهج دراسة الحالة في الحصول على وصف غني ودقيق للأحداث ذات الصلة بالحالة المدروسة، ويقدم سرداً زمنياً للأحداث ذات الصلة بها، ويمزج وصف الأحداث بتحليلها، ويركز على اللاعبين الأساسيين في الحدث من الأفراد والمجموعات ويسعى إلى فهم إدراكهم للأحداث، ويبرز منهج دراسة الحالة أحداثاً معينة ذات صلة بالحالة المدروسة، ويحاول أن يصور الحالة تصويراً غنياً أثناء صياغة النتائج^(٢).

٢ - ٢. الدراسة الإثنوجرافية

يسعى الباحث في البحوث الإثنوجرافية إلى تفسير ما يحدث وفقاً لرؤى الأشخاص الذين ينتمون إلى السياق أو الثقافة المدروسة من خلال الاندماج والاتصال الطويل مع المفحوصين والسياق المدروس. ويمكن تمييز البحوث الإثنوجرافية عن بقية أنواع البحوث الكيفية من عدة زوايا. أولاً، يعتمد المنهج الإثنوجرافي على التصاق الباحث بسياق الدراسة فترات طويلة، بحيث يتمكن من الحصول على فهم عميق لما يلاحظه.

(١) بالترجيح، وفاكين، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١، ص ١٤٧.

(٢) مكاي، ترجمة صالح الشويخ، ٢٠١١، ص ١٠٨.

ثانياً، يعد الباحث مشاركاً نشطاً في البيئة المفحوصة؛ ولذا فهو ملاحظ مشارك. إن أسئلة البحث في البحوث الإثنوجرافية كغيره من البحوث الكيفية تكون أسئلة عامة، يلجأ فيها الباحث الإثنوجرافي إلى استعمال مصادر متعددة ليستقي منها البيانات^(١).

ويسعى الباحث الإثنوجرافي عند دراسة ثقافة ما أو سياق اجتماعي وثقافي معين للحصول على رؤية داخلية ونظرة شمولية للظاهرة الخاضعة للدراسة. والرؤية الداخلية تعني مشاهدة الثقافة أو المجتمع محل الدراسة من الداخل. فيسعى الباحث الإثنوجرافي أيضاً، إلى دراسة أي سياق اجتماعي على نحو شمولي، من خلال فحص ما يقوله الناس وما يفعلونه في سياق محدد، وكذلك في سياقات أخرى للوصول إلى رؤية وصورة كاملة عما يحدث^(٢).

ويعد القياس الثلاثي من أهم مكونات المنهج الإثنوجرافي، وهو يعني استعمال طرق أو مصادر متعددة للبيانات بغرض المصادقة على تفسير الباحث للمجتمع المدروس. فإذا أراد الباحث على سبيل المثال دراسة مجموعة محددة من متعلمي اللغة، يمكنه ملاحظة الطلاب في فصولهم، ومع أقرانهم خارج الفصول، ومع عائلاتهم في منازلهم، كما يمكنه أيضاً إجراء مقابلات متعمقة معهم ومع معلميه وأولياء أمورهم وأقرانهم؛ كل ذلك لأجل الحصول على مصادر متعددة يبني عليها الباحث تفسير الظاهرة المدروسة^(٣).

وتستفيد اللسانيات الاجتماعية من منهجية البحث المتبعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية في جمع المعلومات وتسخيرها لدراسة المتغيرات اللغوية المختلفة وربطها بالمجتمع ومتغيراته الاجتماعية، وبذا تدرس التنوعات اللغوية في إطارها الاجتماعي الصحيح. ومن أهم معالم تلك المنهجية اتباع أسلوب التحليل الكمي في دراسة المتغيرات اللغوية، وهو منهج اقترحه سانكوف، واستخدمه معظم العاملين في حقل اللسانيات الاجتماعية مثل لابوف وتروجيل وغيرهم كثير^(٤).

(١) مكاي، ترجمة صالح الشويخ، ٢٠١١م، ص ١١٧.

(٢) بالتريج، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ١٦٧.

(٣) مكاي، ترجمة صالح الشويخ، ٢٠١١م، ص ١١٧.

(4) Sankoff, 1974, pp 47 - 79.

والمنهجية الأساسية التي تتبناها اللسانيات الاجتماعية منهجية تعتمد أساليب علمية تتيح دراسة التنوعات اللغوية على أسس حديثة متطورة بطريقة منهجية استناداً إلى ملاحظات موضوعية وفي إطار نظرية شاملة ومتكاملة. وتعتمد منهجية اللسانيات الاجتماعية هذه، على جمع المعلومات اللغوية من عينات بشرية ممثلة للمجتمع وتحليلها تحليلًا كميًا لتحديد طبيعة التوزيع اللغوي جغرافياً واجتماعياً وتحديد كثافة هذا التوزيع لمعرفة طبيعة الانتشار اللغوي واتجاهاته ورسم صورة لهذا الانتشار، وربط هذا التوزيع والانتشار بالعوامل الخارجية المختلفة كالتغيرات الاجتماعية، مما يعني دراسة التوزيع ضمن الإطار الاجتماعي للغة إضافة إلى الإطار الجغرافي^(١).

ولتوضيح المنهجية اللسانية الاجتماعية المستخدمة في دراسة التنوعات اللغوية يمكن تقسيمها إلى العناصر التالية:

أولاً: تحديد المنطقة جغرافياً واجتماعياً

تختلف الحدود من منطقة إلى أخرى، ففي الريف مثلاً يمكن اعتبار القرية بأبعادها الجغرافية وحده واحدة، واختيار عينة منها على هذا الأساس، وقد تكون هذه الوحدة مكونة من أكثر من قرية تقع ضمن منطقة جغرافية واحدة تربطها علاقات اجتماعية مختلفة، وأحياناً تشكل نفس القرية وحدتين أو أكثر. أما في المدن فإن الأمر أكثر تعقيداً، لاختلافها في طبيعة تركيبها وعدم التجانس الاجتماعي والسكاني^(٢)، مما خلق أكثر من مدخل يتبعه الدارسون اللسانيون الاجتماعيون ومن أبرز تلك المداخل:

مدخل المجموعة أو الجماعة اللغوية Speech Community، وتعني تلك المجموعة السكانية التي يشترك أفرادها في استعمال تنوع لغوي ما، ويشتركون في استعمال قواعده اللغوية، وبجانب ذلك يشتركون في نفس الأنماط الثقافية والحضارية والاجتماعية

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٩٥.

(٢) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٩٦.

ولهم نفس العادات والتقاليد ويتشابهون في تقويمهم ومواقفهم من الأنماط اللغوية السائدة^(١). ويختلف حجم تلك المجموعة حيث يمكن اعتبار أحد أحياء المدينة مثلاً جماعة لغوية، وقد يتم توسيع ذلك واعتبار المدينة بأكملها جماعة لغوية كما فعل لافوف في دراسته على مدينة نيويورك^(٢).

الشبكة أو التركيبة الاجتماعية Social Network الذي اعتمدته ميلروي حيث يتم اتخاذ الفرد الواحد مركز انطلاق بحث، ورسم خارطة لعلاقاته واتصالاته الاجتماعية، وينتج عن ذلك شبكة اجتماعية بشرية تربطها علاقات اجتماعية مميزة، وهذا ما يجعل أفراد تلك المجموعات أكثر تجانساً وأقرب إلى بعضهم، ويجعلهم يشتركون في استعمال الأنماط اللغوية المتشابهة وتفسيرها، ومثل تلك الشبكة اللغوية الاجتماعية كثيراً ما تتعدى الحدود الجغرافية للتنوعات اللغوية^(٣).

تقسيم المدينة إلى مناطق جغرافية حيث يتلازم التوزيع الجغرافي للسكان وتوزيعهم الاجتماعي، وقد يتم تقسيم المنطقة المراد دراستها إلى مساحات جغرافية منتظمة (أشكال هندسية) مثلما فعل ترودجيل الذي افترض أن المناطق المتجاورة سكنياً تتشابه اجتماعياً ولغوياً^(٤).

وتلتقي كل هذه المداخل في نقطة أساسية وهي أنها جميعاً تحاول البحث عن جماعة سكانية تشترك في ملامح وطبائع اجتماعية معينة وتتعايش مع بعضها بحيث يحصل التواصل والتبادل اللغوي ثم الاشتراك في الأنماط اللغوية.

(1) Hudson, 1980.

(2) Labov, 1966.

(3) Milroy, 1980.

(4) Trudgill, 1980.

ثانياً: تحديد المتغيرات الاجتماعية

وبعد تحديد الجماعة اللغوية المراد دراستها جغرافياً واجتماعياً، يقوم الباحث بتحديد المتغيرات الاجتماعية المختلفة التي قد تؤثر في السلوك اللغوي وتؤدي إلى الاختلاف والتنوع اللغوي. وتختلف تلك المتغيرات الاجتماعية باختلاف المجتمعات ومن أبرز المتغيرات المؤثرة في البحث اللساني الاجتماعي، الجنس فقد أثبتت الدراسات أن هناك فروقا واضحة بين الأنماط اللغوية السائدة بين النساء والرجال؛ إذ إن النساء أكثر حساسية للضغوط الاجتماعية واهتماماً بالمظهر الاجتماعي؛ ولذا فإنهن يملن دائماً إلى استعمال السمات اللغوية ذات المكانة الاجتماعية كاستعمال التنوع الفصيح الذي يعد الأرقى اجتماعياً، أو التنوعات اللهجية المدنية ذات المكانة^(١).

العمر كذلك، متغير مهم في الدراسات اللسانية الاجتماعية المهتمة بالتنوع والتوزيع اللغوي ودراسة التغير وتحديد مساره، فكبار السن مثلاً يمكن اعتبارهم مصدراً من المصادر لمحافظتهم على السمات الأصلية للتنوعات اللغوية واعتبارهم المعيار لقياس التغير والتنوع اللغوي، ويعكس الشباب التغيرات اللغوية أكثر من غيرهم، ويمثلون مسار التغير في دراسات التنوع اللغوي^(٢).

وكذلك الطبقة الاجتماعية، التي تعني تقسيم المجتمع إلى فئات أو طبقات اجتماعية حسب الوضع الاجتماعي، كالطبقة العليا أو الوسطى، ويختلف الباحثون في تحديد المعايير المستعملة في التقسيم الاجتماعي، لاختلاف هذه المعايير باختلاف المجتمعات، وأنماطها الحضارية، والثقافية، وتقاليدها. وعلى الباحث تحديد طبيعة التقسيم الاجتماعي في المجتمع المراد دراسته، واتخاذ القرار فيما إذا كان مثل هذا التقسيم ينعكس على السلوك اللغوي. وقد وجدت الدراسات الحديثة في اللسانيات الاجتماعية علاقة وثيقة بين

(1) Labov, 1966.

(٢) جيسلين، ويم لونج، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١٢٦.

الفئة التي ينتمي إليها الفرد وأنماطه اللغوية، فعلى سبيل المثال كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية زاد استعمال التنوع الفصيح^(١).

التعليم كذلك له أثر في السلوك اللغوي؛ إذ تحدد درجة التعليم الوظيفة التي يحصل عليها الفرد، وكثيراً ما يملئ المركز الوظيفي على صاحبه أسلوباً ونمطاً اجتماعياً معيناً، وعلى الفرد أن يعيش ضمن ذلك الإطار الجديد ويتكيف معه، واللغة غالباً ما تكون أحد مظاهر التكيف؛ لأنها غالباً ما تعكس الوضع الجديد، والمتعلمون أكثر احتكاكاً بالتنوعات الفصيحة والمدنية؛ ومن ثمّ فهم أكثر استخداماً لها، ويقود ذلك إلى ظهور أنماط لغوية تميزهم عن غيرهم^(٢).

يمثل العرق أو الأصل أحد المتغيرات الاجتماعية، ويعدّ هذا المتغير مهماً في دراسة التنوعات اللغوية في المجتمعات ذات التركيبة السكانية المعقدة التي تتكون من أفراد من جنسيات وأصول مختلفة مثلما نجد في شمال إفريقيا، والعراق، وسوريا، ولبنان. وقد أثبتت دراسات لابوف المختلفة العلاقة الوثيقة بين هذا المتغير والتغير والتنوع اللغوي، ويمكننا في العالم العربي اعتماد تقسيمات كثيرة حسب الأصل والخلفية الحضارية مثل التقسيم إلى حضري وريف وبدو^(٣).

وتبرز كذلك العوامل السياسية والاقتصادية التي تسيّرهما وتحكمها العولمة، كمتغيرات مهمة في دراسة التنوع والتغير اللغوي وخصوصاً في ظواهر التعدد اللغوي، ومثال ذلك الانفصال الاجتماعي والثقافي والانقسام السياسي في الوطن العربي، وتأثير اللغة الإنجليزية في الدول العربية الشرق أوسطية ودول الخليج العربي، أو اللغة الفرنسية في الدول العربية في شمال إفريقيا.

(1) Trudgill. 1983.

(2) Al - Wer.2009. p. 634.

(3) Eckert,2000. p. 35.

ثالثاً: تحديد المتغيرات اللغوية

وتحديد المتغيرات اللغوية يكون بتحديد أشكال التنوعات اللغوية المختلفة، المراد دراستها، وتحديد موقعها في الكلام والسمات اللغوية المجاورة، وتحديد وظيفتها اللغوية، ومدلولها اللغوي والاجتماعي والأسلوبي، فالتنوعات اللغوية تتعايش في المجتمع، مما يجعل للفرد الخيار في استعمال التنوع والشكل اللغوي الذي يتلاءم مع وضعه الجغرافي والاجتماعي أو مع الأسلوب أو الموقف^(١).

رابعاً: اختيار العينة الممثلة

الركيزة الأساسية في المنهجية اللسانية الاجتماعية هي اختيار العينات الممثلة للدراسة، وتحديد حجم العينة البشرية وعدد الأشخاص، ويعتمد هذا الاختيار على تحديد وتعريف المجتمع المراد دراسته جغرافياً واجتماعياً، وتحديد وتعريف الأبعاد الجغرافية، والمتغيرات والاجتماعية التي تؤثر في اللغة، وتصنيف تلك المتغيرات^(٢)، مع مراعاة أن تكون العينة ممثلة لكل المتغيرات الاجتماعية والجغرافية المؤثرة، ولا بد هنا من رسم خارطة لتوزيع أفراد العينة بحيث يضمن الباحث التغطية الكاملة والسليمة للمجتمع المراد دراسته. وأن يكون عدد المخبرين اللغويين مناسباً بحيث يتمكن الباحث من إجراء المقابلات اللازمة معهم، وجمع المعلومات بكميات كافية بحيث يضمن قدرته على تحليلها.

ينبغي كذلك، ضمان تأثر المخبرين اللغويين بالعادات والأنماط الاجتماعية السائدة في تلك المنطقة وأن تتوفر فيهم سمات التنوعات اللغوية المراد دراستها، وتوفّر شروط الموضوعية والابتعاد عن التحيز في اختيار العينة، وأن يكون اختيارها عشوائياً بحيث

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٤.

(٢) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٩٥.

تكون الفرصة متساوية لاختيار أي فرد من نفس الفئة الاجتماعية في المنطقة^(١). ويختلف الباحثون في تحديد حجم العينة الممثلة، وينتهي لابوف إلى أن حجم العينة اللازمة لدراسة السلوك اللغوي لمجتمع ما، هي أصغر من العينة اللازمة لدراسة أنماط السلوك الاجتماعي الأخرى^(٢).

خامساً: جمع المعلومات

تبدأ مرحلة جمع المعلومات، من خلال تطبيق الأدوات البحثية المختارة، وإجراء المقابلات بشروطها المنهجية، ويستطيع الباحث أن ينوع مصادر جمع معلوماته بأن يحاول الحصول على معلومات إضافية من البرامج التلفزيونية والإذاعية المحلية، وتسجيل الأحاديث التي تدور في المجالس الجماعية، والأمثال والقصص الشعبية.

سادساً: التحليل

وبعد أن ينتهي الباحث من جمع المعلومات اللغوية اللازمة، يبدأ بتحليلها وذلك باستعمال أسلوب التحليل الكمي، ويقضي ذلك بإيجاد نسب تكرار المتغير الواحد من كل المتغيرات اللغوية وربط ذلك بالمتغيرات الاجتماعية. ويستطيع الباحث تحديد المتغيرات اللغوية بشكل فردي ودراسة توزيع كل منها جغرافياً واجتماعياً في جميع أقطار الوطن العربي، مما يساعده على دراسة التنوع والتغير اللغوي واتجاهاته ومعرفة أثر التنوعات اللغوية وتفاعلها بعضها مع بعض.

وبعد ذلك يرصد الباحث النسب المئوية التي تبين توزيع المتغيرات اللغوية وكثافتها وعلاقتها بالعوامل الاجتماعية المختلفة وعرض النتائج في أشكال بيانية، ووصف البيانات في المقاييس الفئوية باستعمال النزعة المركزية كالوسط الحسابي والمنوال

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٥.

(2) Labov, 1966.

والموسيط ومعرفة درجة التشتت عن المتوسط الحسابي بحساب الانحراف المعياري^(١). وهذا يساهم في إعطاء صورة حقيقية ودقيقة للتنوعات اللغوية السائدة في مجتمع ما، ويساعد الباحث في كتابة وصفه لتلك التنوعات والحديث عن كل المتغيرات اللغوية والتنوع والتغير اللغوي المميز لذلك المجتمع.

إن منهجية البحث في اللسانيات الاجتماعية، تمكن الباحث من اكتشاف الأنماط السائدة وتمكّنه من المقارنة مع الأنماط السائدة في المجتمعات الأخرى، وتمكّنه من رسم الخريطة اللغوية المنشودة التي تبين كثافة التوزيع والانتشار الطبيعي للتنوعات والسمات اللغوية، وتداخل وتمازج تلك السمات، وتصنيف التنوعات ووضعها في مكانها الصحيح على الخريطة اللغوية. ويذهب ترودجيل إلى أن مثل هذه المنهجية هي الطريق الوحيد للحصول على معلومات عن التوزيع الجغرافي للسمات اللغوية بشكل دقيق ذي قيمة، فنحن لا نريد أن نحدد فقط الموقع الجغرافي للسمات اللغوية، بل نحتاج أيضاً إلى معرفة توزيعها الاجتماعي وكثافتها^(٢).

وختاماً، يمكن رصد الملامح العامة لمنهجيات البحث في اللسانيات الاجتماعية الحديثة فيما يسمى بموجات اللسانيات الاجتماعية الثلاث: ففي الموجة الأولى استخدمت الدراسات المسحية والأساليب الكمية لفحص العلاقة بين التنوع اللغوي والفئات الديموغرافية الرئيسية (الطبقة، العرق، التعليم، العمر، الجنس). وقد تضافرت نتائج هذه الدراسات لتتطور «الصورة الكبيرة» للانتشار الاجتماعي للتغير اللغوي، حيث يشكل التسلسل الهرمي الاجتماعي خريطة للفضاء اللغوي الاجتماعي، وينتشر التغير اللغوي من الطبقة ذات الأساس المحلي إلى الخارج^(٣).

(١) بالترجيح، وفاكيني، ٢٠١٥، ترجمة د. عقيل الشمري، ٢٠٢١م، ص ٤٠.

(2) Trudgill, 1980, p.62.

(3) Eckert, 2012. p. 87 - 90.

وتستخدم الموجة الثانية من دراسات التنوع الأساليب الإثنوجرافية للبحث عن العلاقة بين التنوع والفئات والتشكيلات المحلية. تعطي هذه عادةً المعنى المحلي للفئات الديموغرافية الأكثر تجريدًا والموضحة في الموجة الأولى. وتركز كل من دراسات الموجة الأولى والثانية على نوع مجتمع الكلام، وتدرس الخصائص اللغوية المعتمدة في التمييز بين التنوعات اللغوية: تنوعات محلية، وإقليمية، ووطنية. وتعرض هذه الدراسات دلالات المتغيرات كعلامات هوية مرتبطة مباشرة بالمجموعات الأكثر استخداماً لها^(١).

بناءً على نتائج الموجات الأولى والثانية من دراسات التباين، تركز الموجة الثالثة على المعنى الاجتماعي للمتغيرات. وهي تنظر إلى الأنماط، وليس المتغيرات، باعتبار ارتباطها بشكل مباشر بفئات الهوية، وتستكشف مساهمات المتغيرات في الأنماط^(٢). ويمكن الملاحظة أن دراسات اللسانيات الاجتماعية العربية، لا تزال في نطاق الموجتين الأولى والثانية من موجات دراسات اللسانيات الاجتماعية المعاصرة، التي تدرس مجتمع الكلام، والخصائص اللغوية المعتمدة في التمييز بين التنوعات اللغوية، والعلاقة بين التنوع اللغوي والمتغيرات الاجتماعية، ورسم صورة الانتشار الاجتماعي للتغير اللغوي، ولم تتجاوزها بعد إلى نطاق الموجة الثالثة التي تركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي وعلى الممارسة اللغوية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديده وتمييزه.

(1) Eckert, 2012. p. 90 - 93.

(2) Eckert, 2012. p. 93 - 100.

خاتمة الفصل

تناول هذا الفصل المسائل الرئيسية للسانيات الاجتماعية، فألقى الضوء على منظور السانيات الاجتماعية، وأوضح مجال اهتمامها، وبدايات تشكلها، ومفهومها، والمقصود بعلم السانيات الاجتماعية الدقيقة وعلم السانيات الاجتماعية الكلية، معرّفًا بمجالات وموضوعات السانيات الاجتماعية، موضحاً منهجية علم السانيات الاجتماعية.

ويتضح أن السانيات الاجتماعية تعنى من بين علوم السانيات باللغة المستخدمة في التواصل بين مختلف الفئات الاجتماعية في مختلف المواقف الاجتماعية، وتسهم السانيات الاجتماعية في شرح العلاقة بين اللغة والسياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه، فاهتمامها الأساسي هو دراسة الارتباطات بين استخدام اللغة والبنية الاجتماعية، ومحاولة إنشاء الروابط السببية بين اللغة والمجتمع. وهي مجال بحث متعدد التخصصات لدراسة السلوك اللفظي البشري، وتتناول بشكل متسق مجالاً واسعاً تكمن قوته في أنه مجال بحث يعتمد على التلاقح المتبادل لمجموعة من التخصصات المختلفة.

وتدور السانيات الاجتماعية في فلك مداره المناهج الكمية والكيفية لدراسة اللغة، واللسانيات التباينية، والمناهج الإثنوجرافية والإثنوبولوجية، والتواصل اللغوي، والمناهج الخطابية لعلم الاجتماع والعلوم الإنسانية الأخرى. وهي منهجية تسهم في الحصول على معلومات عن التوزيع الجغرافي للسّمات اللغوية بشكل دقيق، ومعرفة توزيعها الاجتماعي وكثافتها، وتمكّن من اكتشاف الأنماط والتنوعات اللغوية السائدة، ومقارنتها مع الأنماط السائدة في المجتمعات الأخرى، وترسم الخريطة اللغوية المنشودة التي تبين كثافة التوزيع والانتشار الطبيعي للسّمات اللغوية، وتداخل وتمازج تلك السّمات. وهو أمر له انعكاساته ودلالاته على التطبيق حيث يفسر التغيرات التي تحدث للغة ويفسر تطورها، وما يحدث لها، ويوضح كيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في اللغة وانعكاسها على استخدامها، وتطبيقاتها المختلفة.

الفصل الرابع

الأبعاد الاجتماعية للتنوعات اللغوية



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يشير "التنوع اللغوي" إلى الاختلافات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمع الحديث الواحد أو منطقة جغرافية محددة. ومن هذا المنطلق، يعد مفهوم "التنوع اللغوي" أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات الاجتماعية، تدرسه كأحد قضاياها الرئيسة، محققة في التنوعات اللغوية، وفي العوامل المختلفة التي تؤثر في كيفية التحدث باللغة.

ويتناول هذا الفصل اللغة من حيث هي تنوع لغوي، فيقابل بين مصطلحي اللغة واللهجة ويبين مفهومهما، وعوامل نشوئهما، ثم يحاول التحرر من حملتهما المعيارية التي تقود إلى شحنات تقييمية أيديولوجية لا تتفق مع نهج الدراسات اللسانية الاجتماعية الحديثة، وذلك من خلال النزوع إلى مصطلح وصفي محايد يتحرر من الحمولة المعيارية، وهو مصطلح التنوعات اللغوية، فيعرّف أولاً بالمقصود بالتنوعات اللغوية والقضايا المتصلة بها والمؤثرة فيها، ثم يشرح المقصود بالتنوع اللغوي القياسي والتنوعات اللغوية غير القياسية، ويناقش التنوع في اللسانيات الاجتماعية العربية من الإرهاصات الأولى إلى المرحلة الراهنة، يعرض بعد ذلك للعوامل الفاعلة والمؤثرة في التنوعات اللغوية، فيناقش دور المكانة فيها، كما يناقش تأثير الحداثة والتحضر في التنوعات اللغوية، وتأثير المواقف اللغوية في استخدامها، ويدرس أخيراً العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية والتنوعات اللغوية^(١).

(١) يستخدم هذا الكتاب عدة مصطلحات تشير إلى التنوعات اللغوية، تتداخل في كثير من الأحيان وإن كان بينها اختلافات دقيقة. ولعله من الضروري أن نبينها هنا، لتكون واضحة للقارئ الكريم.

التنوع اللغوي (Language variety): يستخدم مصطلح التنوع اللغوي للإشارة إلى اللغة المنطوقة من قبل مجموعة خاصة من المتكلمين، والاختلافات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمع الحديث الواحد أو منطقة جغرافية محددة. وهو مفهوم يسمح لنا بالتعامل مع لغات المتكلم الفرد، أو الجماعة متعددة اللغات على أنها تنوعات لغوية متماثلة. فالتنوع اللغوي من منظور اللسانيات الاجتماعية مفهوم وصفي محايد يمكن استخدامه للخروج من النظرة المعيارية للغة، وتجنب الشحنات المعيارية ذات الدلالات التقييمية عند الحديث عن مستويات اللغة مثل اللغة واللهجة. والتنوع اللغوي يمكن أن يكون شيئاً أكبر من اللغة أو شيئاً أقل من اللهجة، فنسمي اللغة

برمتها تنوعا لغويا، ونسعى مجموعة الاستعمالات اللغوية التي ترتبط بها منطقة خاصة أو جماعة اجتماعية تنوعا لغويا.

الرمز اللغوي (Language code): مصطلح يستخدم في اللسانيات الاجتماعية في تسمية التنوعات اللغوية وهو استعمال محايد بشكل مقصود فلا يحدد ما إذا كان التنوع لهجة معينة (على سبيل المثال، "التنوع الحجازي، أو التنوع النجدي") أو فئة أوسع (على سبيل المثال، العربية، أو الإنجليزية).

الصنف اللغوي (Language variety)، يستخدم اللسانيون الاجتماعيون الأصناف كمصطلح بديل للتنوعات اللغوية، يقصدون به الأشكال اللغوية فيتحدثون عن الأصناف القياسية وغير القياسية للغة، والأصناف اللهجية، وذهب لادوف على سبيل المثال إلى أن الرجال يستخدمون أصنافاً أكثر من اللغة غير القياسية، في مقابل النساء اللاتي يستخدمن التنوعات القياسية أكثر من نظرائهم الرجال، وجميع أصناف اللغة من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية، منهجية في استخدامها، ولديها عدد كبير من المتحدثين؛ ومن ثم لها الحق في الوجود. والصنف أو النوع (genre) من مصطلحات تحليل الخطاب، ويقصد به الجانب الخطابي من طرق الفعل والتفاعل في مسيرة الأحداث الاجتماعية. فالمقابلة والمحاضرة، والتقرير الإخباري على سبيل المثال كلها أصناف. وتبني الأصناف النصوص بطرق محددة، فالتقارير الإخبارية على سبيل المثال، بناء عام يميزها: كالعنوان، ومقطع التوطئة الذي يلخص القصة، إضافة إلى مقاطع تعطي التفاصيل. ونحن عندما نحلل نصاً أو تقاعلاً من حيث هو صنف / نوع لغوي، نتساءل عن كيفية حضوره ضمن الفعل والتفاعل الاجتماعيين في الأحداث الاجتماعية، وإسهامه فيهما بخاصة، وهنا يتم الاهتمام بالأصناف وسمات النصوص اللسانية، والعلاقات الاجتماعية وتقنية التواصل، والبنية العامة، والحوار، والأفعال التواصلية والإستراتيجية، وتحظي الرسميات الاجتماعية، ونطاق الحياة العامة، والتغير الاجتماعي، والأيدولوجية.

السجل (register): السمات اللغوية المرتبطة بمهنة أو مجموعة نشاط معينة، ويستخدم للتمييز بين الاختلافات في اللغة وفقاً للمستخدام، والاختلافات وفقاً للاستخدام، بمعنى أن لكل متحدث مجموعة متنوعة من الخيارات والاختيارات فيما بينها في أوقات مختلفة، وينصب التركيز في استخدام هذا المفهوم على طريقة استخدام اللغة في مواقف معينة. والسجل في اللسانيات الاجتماعية مجموعة متنوعة من الاستخدامات اللغوية لغرض معين، أو في موقف تواصل معين، فعند التحدث رسمياً أو في مكان عام، قد يكون المتحدث أكثر ميلاً لاتباع القواعد الإلزامية للاستخدام الرسمي أكثر من الوضع غير الرسمي، واختيار الكلمات التي تعد أكثر "رسمية"، والامتناع عن استخدام الكلمات التي تعد غير قياسية.

النوع (genre): هذا المصطلح جزء من بحوث إثنوجرافيا التواصل، وهو نوع من الممارسات اللغوية يستحضر حدثاً أو وظيفة معينة في الكلام. ويشير المصطلح إلى أنواع محددة بوضوح من الكلام، مثل القصائد والأحاجي، والخطب، والصلوات، والمحاضرات، والافتتاحيات، يتم تمييزها بطرق محددة على عكس الكلام العادي. وتصبح خصائص تلك الأنواع الرسمية ذات صلة بتحليلها؛ إذ يمكن فهم الممارسة كنوع محدد من الكلام، ويتم تحليلها وفقاً لذلك.

اللغة (language): يستخدم مصطلح اللغة عادة للإشارة إلى "المعيار" المثالي لمجموعة متنوعة من الكلام، وهي تلك الرموز ذات المعنى والدلالة التي تلتزم بقواعد معينة في التعبير، مما يجعل منها وحدة ذات خصائص مشتركة، ولا ترتبط لدى المتحدثين بها، بمنطقة جغرافية معينة، أو طبقة اجتماعية خاصة. واللغة أوسع وأشمل من اللهجة، فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

اللغة القياسية (standard language): تنوع لغوي محدد يعد متفوقاً على التنوعات اللغوية الأخرى من نفس اللغة. وتنشأ اللغات القياسية عندما يبدأ استخدام تنوع لغوي معين في شكل كتابي، عادةً في منطقة أوسع من مساحة التنوعات اللهجية نفسها. ويقصد بتقييس اللغة إخضاعها لمليارات تهينة وتنميط وتقعيد استجابة لحاجات المجتمع والمؤسسات الرسمية، وهي العمليات التي تنتقل بهذه اللغة من وضعية التنوعات اللهجية التي تتداول في إطار التقليد الشفوي، إلى مستوى اللغة القياسية المستخدم في الكتابة، والمدرسة، والمؤسسات.

اللغة المشتركة (lingua franca): لغة مشتركة يتم التحدث بها على نطاق دولي واسع، وتعمل كلغة مشتركة عالمية، تستخدم للتواصل في المواقف التي يتفاعل فيها متحدثو لغات مختلفة لجعل التواصل ممكناً بين مجموعات من الأشخاص الذين لا يتشاركون اللغة الأصلية. وقد تطورت اللغة المشتركة في جميع أنحاء العالم عبر التاريخ لأسباب تجارية، ولأغراض ثقافية، ودينية، ودبلوماسية، وإدارية، وكوسيلة لتبادل المعلومات بين العلماء من جنسيات مختلفة، وغيرهم.

اللغة الهجين (pidgin language): وسيلة اتصال، تعمل كلغة وسيطة تتطور بين مجموعتين أو أكثر لا تشتركان في لغة، وعادةً ما تكون مفرداتها، وقواعدها، ومحدودة، وغالباً ما يتم استخلاصها من عدة لغات، ويتم إنشاؤها للتواصل بشكل مبسط من مجموعة من الأصوات، والكلمات من العديد من اللغات، إضافة إلى استخدام لغة الجسد، والمحاكاة الصوتية. ويتم استخدامها بشكل شائع في مواقف مثل التجارة، والأعمال المهنية، أو حيث تتحدث المجموعات بلغات مختلفة عن لغة البلد الذي يقيمون فيه، ولا توجد لغة مشتركة بينهم. وتعد اللغة الهجين وسيلة مبسطة للتواصل اللغوي؛ لأنها مبنية بشكل ارتجالي، أو عن طريق العرف، بين الأفراد أو مجموعات من الناس، وهي ليست اللغة الأم لأي مجتمع حديث، ولكن يتم تعلمها كلغة ثانية.

اللغة واللهجة:

يستخدم مصطلح اللغة عادة للإشارة إلى «المعيار» المثالي لمجموعة متنوعة من الكلام، مثل العربية، أو الإنجليزية، أو التركية، أو السويدية، أو السواحيلية، أو الأوردو. وعادة ما تعد اللغة غير مفهومة للمتحدثين بلغة أخرى. وغالباً ما يتم تطبيق كلمة لهجة على مجموعة فرعية تابعة للغة، والافتراض الشائع هو أنه يمكننا فهم شخص يتحدث لهجة أخرى بلغتنا.

اللهجة (dialect): اللهجة طريقة في الاستعمال اللغوي لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، وهي تنوع لغوي تنقسمه مجموعة من الناس ترتبط بنطاق جغرافي معين أو طبقات اجتماعية مختلفة، وتحتوي على بعض الأنماط النحوية والكلمات التي تختلف عن اللغة القياسية، إضافة إلى النطق غير القياسي. وتتميز اللهجة بشكل رئيس عن اللهجات الأخرى لنفس اللغة من خلال ملامح البنية اللغوية صوتياً وقواعدياً وكذلك على مستوى الوحدات المعجمية. وتعد اللهجات من صور التنوع اللغوي؛ إذ إن هناك نوعين من اللهجات: لهجات جغرافية أو محلية، ولهجات اجتماعية. هذه اللهجات التي يمتلكها أو يعرفها إنسان ما، من شأنها أن تحدد هويته المحلية ووضعه.

اللهجات العرقية (ethnic dialects): الشكل المميز للغة التي يتحدث بها أعضاء مجموعة عرقية معينة، وتسمى أيضاً باللهجة الاجتماعية الإثنية. وهي ليست مجرد لهجات أجنبية للغة الأغلبية؛ لأن العديد من المتحدثين بها قد يكونون متحدثين أحادي اللغة للغة الأغلبية.

اللهجة الاجتماعية (social dialect): اللهجة الاجتماعية هي مجموعة متنوعة من الكلام المرتبط بطبقة اجتماعية معينة أو مجموعة مهنية داخل المجتمع، وتعد اللهجة الاجتماعية في اللسانيات الاجتماعية شكلاً من أشكال اللغة (لهجة غير قياسية، سجل مقيد) أو مجموعة من العناصر المعجمية المستخدمة من قبل طبقة اجتماعية اقتصادية، أو مهنية، أو فئة عمرية، أو فئة اجتماعية أخرى.

اللهجة الإقليمية (regional dialect): طريقة التحدث التي ترتبط بسكان منطقة جغرافية معينة، وهي شكل مميز للغة منطوقة في منطقة جغرافية معينة.

العامية (vernacular): التنوع اللغوي الذي يتحدث به الأشخاص الذين يسكنون بلداً أو منطقة معينة، وعادةً ما تكون اللغة العامية هي اللغة الأم، ويتم التحدث بها بشكل غير رسمي بدلاً من التنوع اللغوي القياسي المكتوب. واللغة العامية نوع من تنوع الكلام، يستخدم عمومًا للإشارة إلى لغة أو لهجة محلية، على أنها مختلفة عما يُنظر إليه على أنه لغة قياسية. وهي لغة لم تطور صنفًا معيارياً ولم تخضع للتدوين وليس لها تقليد أدبي. ويتم استخدام المصطلحين "العامية" و "اللهجة العامية" أيضاً كتسميات بديلة لـ "اللهجة غير القياسية".

واللغة هي تلك الرموز ذات المعنى والدلالة التي تلتزم بقواعد معينة في التعبير، مما يجعل منها وحدة ذات خصائص مشتركة، ولا ترتبط لدى المتحدثين بها، بمنطقة جغرافية معينة، أو طبقة اجتماعية خاصة. أما اللهجة فهي رموز ذات معنى ودلالة ترتبط بنطاق جغرافي معين أو طبقات اجتماعية مختلفة، واللهجة تميز منطقة جغرافية عن الأخرى. واللهجة في أبسط تعريف لها هي تنوع لغوي تتقاسمه مجموعة من الناس (عادة ما تكون محددة من حيث المنطقة أو العرق) وتحتوي على بعض الأنماط النحوية والكلمات التي تختلف عن اللغة القياسية، إضافة إلى النطق غير القياسي^(١)، مما يجعلك كما يقول رالف فاسولد تعتقد أن اللهجات نطق خاطئ^(٢)، كما أنها تشير إلى المصدر الذي جاء منه الشخص، فعادة ما تفسر هذه الفكرة جغرافياً (لهجة إقليمية) ولكن لها أيضاً بعض التطبيقات فيما يتعلق بالخلفية الاجتماعية للشخص (لهجة طبقية) أو مهنية (لهجة مهنية) وتتميز اللهجة بشكل رئيس عن اللهجات الأخرى لنفس اللغة من خلال ملامح البنية اللغوية صوتياً وقواعدياً وكذلك على مستوى الوحدات المعجمية.

واللغة أوسع وأشمل من اللهجة، والعلاقة بينهما هي علاقة الخاص بالعام، فاللهجة هي جزء من اللغة التي هي بيئة أوسع وأشمل، حيث تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر اتصال أفراد هذه اللغة بعضهم ببعض فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات^(٣).

واللهجة طريقة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، وهي العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.

(1) Ingham, 1982.

(2) Fasold, R. 1990.

(٣) أنيس، ١٩٧٣م، ص ١٦.

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان، من ذلك لهجات العرب القديمة كالنعنة، وهي قلب الهمزة المبدوء بها عين، وكذلك الكشكشة، وهي إضافة الشين بعد كاف الخطاب في المؤنث، وكذلك الجعجعة، وهي جعل الياء المشددة جيما، وهذه الظواهر ما تزال متحققة في أغلب اللهجات العربية، في كل مناطق العالم العربي. وقديماً كان يطلق على اللهجة مسمى اللغة ولم تستعمل اللهجة بمعناها الاصطلاحي السابق إلا حديثاً فكان يقال «لغة» القبيلة بدلاً من «لهجة» القبيلة فيقال لغة قريش ولغة طبري ولغة تميم وهكذا.

وتختلف اللهجات المحلية بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في المساحة التي يشغلها كل منها، وتعمل كل لهجة على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها فتقوم بمحاربة عوامل التغيير داخل منطقتها نظراً لترابط الناطقين بها بعضهم ببعض داخل مجتمعهم. وتعد اللهجات من صور التنوع اللغوي؛ إذ إن هناك نوعين من اللهجات: لهجات جغرافية أو محلية، ولهجات اجتماعية. هذه اللهجات التي يمتلكها أو يعرفها إنسان ما من شأنها أن تحدد هويته المحلية ووضعه، أي أننا عندما نقابل هذا الإنسان لأول مرة نستطيع أن نحدد موقعه في مجتمعه.

وهناك معايير تميز اللغة من اللهجة، فالأولى لغة الأدب والكتابة، وكذلك من ناحية المنزل الاجتماعية، فاللغة هي لغة المجتمع الرفيع، واللغة هي المرتبطة بالدين والسياسة، وهناك فرق من ناحية الحجم، حيث تكون اللغة أضخم من اللهجة، وكلماتها ومصطلحاتها أكثر، وهناك فرق يتعلق بالمنزلة، حيث تكون اللغة منزلة عليا تفتقر إليها اللهجة، فالفصحى تحترم اجتماعياً وتحترم قواعدها عند المثقفين، وهو ما لا يتوفر للهجة، ويمكن التمييز بين اللغة واللهجة من حيث التوحيد اللغوي، والحيوية، والتاريخ، والاستقلالية، والاختصار، والامتزاج، والمعايير^(١).

(١) السيد، ١٩٩٥م، ص ٤٤.

وتنشأ اللهجات عن اللغات المختلفة وتنحرف عنها شيئاً فشيئاً، وعندما يصبح هذا الانحراف كبيراً عن اللغة الأم ترتقي اللهجة لتصبح لغة قائمةً بحد ذاتها، وهكذا تنشأ اللغات المختلفة عن اللغات الأم، مروراً بمرحلة كانت تسمى به لهجاتٍ مختلفة. وتتأثر اللهجات واللغات بالعديد من العوامل المختلفة، كتأثر اللغة بالبيئة التي يسكنها أهلها، إلا أن العديد من العوامل المختلفة تؤدي إلى تغيير اللغة وتطورها وتطور اللهجات أيضاً.

والأمر نفسه ينطبق على العربيات المختلفة فالعربيات السعودية، والعراقية، والمصرية والسورية، والمغربية ما هي إلا تنوعات لغوية للتنوع الفصيح أو القياسي، وداخل هذه التنوعات تنوعات إقليمية أخرى أصغر، ولهجة الرياض والقصيم والحجاز والجنوب ما هي إلا تنوعات عربية للتنوع القياسي الفصيح، وعربية الدار البيضاء ودكالة، وفاس ومراكش، ووجدة والداخلية وطنطان...، هي تنوعات لغوية للتنوع القياسي كذلك، ومن يعتقد عكس هذا يناقض حقيقة لغوية ثابتة.

التنوعات اللغوية:

يفضّل فيشمان استخدام مصطلح "التنوع اللغوي Varity"، بدلا من المصطلحات التقليدية المعروفة. ومفهوم التنوع اللغوي يعني الاعتراف بنوعيات مختلفة ومتعددة من اللغات باختلاف وتعدد المناطق الجغرافية داخل البلد الواحد. ويهتم اللسانيون الاجتماعيون بالتنوع اللغوي بين جميع المتكلمين، ولا يربطون التنوع بأي تقويم معياري لطريقة معينة لاستعمال اللغة، فالمتكلمون يختلفون في كلامهم من موقف إلى آخر، والتمكّن من اللغة غير الرسمية لا يقل عن أهمية التمكن من اللغة الرسمية حسب ما يقتضيه الموقف. ويستخدم مصطلح التنوع اللغوي ليشير إلى اللغة المنطوقة من قبل مجموعة خاصة من المتكلمين دون أن يحمل دلالات معيارية أو شحنات تقويمية⁽¹⁾.

(1) Fishman,1997, p.25 Wardhaugh and Fuller.2015. p.33.

وتذهب اللسانيات الاجتماعية إلى أن التنوع اللغوي يعود إلى الأسلوب الذي نستخدم به اللغة ضمن نطاق مجموعة اجتماعية معينة، وتنظر إلى التنوعات اللغوية الاجتماعية على أنها محكومة بعوامل ذات صلة بخصائص الفرد وخصائص المجموعة وخصائص التفاعل ذاته، وتنظر أيضاً إلى التنوع اللغوي على أنه لا يمكن وصفه إلا من خلال عوامل متعددة لكل منها تأثيرها في استعمال اللغة، وأنه ينبغي النظر إلى السياق اللغوي الاجتماعي بصفة كلية وشمولية بحيث يضم عددا من العوامل الاجتماعية والفردية واللغوية^(١).

يقصد بالتنوع اللغوي مجموعة من المواد اللغوية ذات توزيع مماثل، وهو مفهوم يسمح لنا بالتعامل مع لغات المتكلم الفرد، أو الجماعة المتعددة اللغات على أنها تنوعات لغوية، مادامت كل المواد اللغوية المعنية ذات توزيع اجتماعي مماثل. فالتنوع اللغوي من منظور اللسانيات الاجتماعية مفهوم وصفي محايد يمكن استخدامه من الخروج من النظرة المعيارية للغة، وتجنب الشحنات المعيارية ذات الدلالات التقويمية عند الحديث عن مستويات اللغة مثل اللغة واللهجة، فمصطلح لغة فصحي على سبيل المثال مصطلح مشحون بدلالات معيارية توحى بأنه الأصفى والأنقى والأوضح والأبلغ، وعلى عكس ذلك يحمل مصطلح اللهجة دلالات موسومة بالدونية، وهو توجه لا يتسق كثيراً مع منظور اللسانيات الاجتماعية؛ ولذلك فالتنوع اللغوي يمكن أن يكون شيئاً أكبر من اللغة أو شيئاً أقل من اللهجة، فنسمي اللغة برمتها تنوعاً لغوياً، ونسمي مجموعة الاستعمالات اللغوية التي ترتبط بها منطقة خاصة أو جماعة اجتماعية تنوعاً لغوياً^(٢).

إن مفهوم التنوع اللغوي مفهوم أساسي في اللسانيات الاجتماعية، حيث تختلف اللغة على المستويات الفردية، والإقليمية والوطنية، والعالمية. ويعد فهم الاختلاف داخل اللغة والدراية باللهجات الاجتماعية والإقليمية المختلفة، وأنواع مختلفة من اللغة، أمراً مهماً لكل فرد من أفراد المجتمع. وتحقق اللسانيات الاجتماعية في كل هذه التنوعات

(١) جيسلين، ويم لوخ، ترجمة إبراهيم أبوحيمد، ١٤٤٠هـ، ص ٨٤.

(٢) السيد، ١٩٩٥م، ص ٣٣.

اللغوية، وفي العوامل المختلفة التي تؤثر في كيفية التحدث بلغة ما داخل البلد؛ إذ يمكن أن تكون هذه العوامل، عوامل إقليمية (جغرافية)، وعوامل إثنية (قومية وعرقية)، وعوامل اجتماعية (فئة، عمر، جنس، حالة اجتماعية اقتصادية وتعليم).

يشرح البحث في التنوع اللغوي لماذا يتحدث الناس من مناطق مختلفة بطرق مختلفة، مثل لماذا يتحدث الشعوب العربية بطرق تختلف بعضها عن بعض، ولماذا يتحدث الناس في الولايات المتحدة بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يتحدث بها الشعب البريطاني؟ حيث إن هناك عدداً من العوامل التي تخلق التنوعات اللغوية المختلفة.

ويشير التنوع اللغوي إلى الاختلافات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمع الحديث الواحد أو منطقة جغرافية محددة. ويتحقق التنوع اللغوي والتغير عبر الممارسات اللغوية للمتحدثين ضمن إطار اجتماعي معين، وهؤلاء غالباً يتأثرون بالمواقف اللغوية للمتحدثين وأيديولوجياتهم، إضافة إلى ذلك يتفاعل هذا التنوع والتغير مع الفئات الاجتماعية التي تحدد الهويات الفردية والاجتماعية للمتحدثين، كأفراد وكأعضاء في الجماعات الاجتماعية. وتعمل العوامل الاجتماعية مجتمعة وليس بشكل مستقل؛ ولذلك فإنه ليس من السهل عزل تأثير أحد المتغيرات عن العوامل الأخرى. ومن المضلل أحياناً التنبؤ بالتنوع الاجتماعي والتغير اللغوي من خلال فصل المتغيرات الاجتماعية وعزل بعضها عن البعض، وهذا مرده أن حقيقة الواقع الاجتماعي معقدة جداً وفي تطور دائم؛ ولذلك فإن الفهم السياقي للتنوع اللغوي يعتمد على كشف العوامل الاجتماعية والتاريخية والسياسية المحيطة بالتطور اللغوي والاستخدام. وقد أوضح العديد من علماء اللسانيات الاجتماعية أن بعض هذه المتغيرات قد لا تعمل بشكل منفصل وتكون متأثرة بعوامل اجتماعية أخرى، انظر في هذه النقطة (هولز ١٩٩٥م^(١)، وأوينز ٢٠٠١م^(٢)، والوهر ٢٠٠٧م^(٣)).

(1) Holes, 1995.

(2) Owens, 2001.

(3) Al - Wer, 2007.

وهناك عدة عوامل رئيسة يعزى إليها تكون التنوعات اللغوية في العالم، وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة من اللغة الواحدة نتيجة للانعزال في بيئات الشعب الواحد، والصراع اللغوي نتيجة الغزو أو الهجمات الأجنبية. فحين تتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصلت بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، نستطيع الحكم بإمكان تشعب التنوع الأساسي إلى تنوعات لهجية عدة. ويترتب عن هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزالهم بعضهم عن بعض^(١).

ويتبع هذا الانعزال في البيئات اللغوية أن لغة الشعوب أو القبائل التي كانت من أصل واحد لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور وتصبح مستقلة على مستوى نطق الأصوات وصفاتها، مما يشعب اللغة الأم إلى تنوعات لغوية هي ما يسميه عامة الناس «لهجات» أو تنوعات لغوية حسب مفهوم اللسانيات الاجتماعية. فمن طبيعة الكلام التطور والتغير مع مرور الزمن، ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى، ما يعطينا في النهاية تنوعات لغوية عديدة للغة الأم نفسها^(٢).

ومن العوامل التي يعزى إليها تكون التنوعات اللغوية في العالم، اختلاف البيئات الجغرافية: حيث تؤثر التضاريس الطبيعية كالجبال والبحيرات، والبحار والأنهار والجزر في طرق الهجرة ومواقع الاستيطان، وكذلك العزلة النسبية للمستوطنات. فلا يزال الناس في بعض المناطق الجبلية وفي بعض الجزر معزولين نسبياً عن غيرهم من المتكلمين لسنوات عديدة وما زالوا يتحدثون تنوعات لهجية تبدو قديمة جداً مقارنة بالتيار الرئيس ولعل القبائل في المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية أحد الأمثلة على ذلك؛ إذ لازالت تلك القبائل تحافظ على كثير من السمات الأصلية للقبائل القديمة. ومن تلك العوامل التفاعلات مع مجموعات لغوية أخرى، حيث يواصل سكان الريف استخدام تعبيرات قديمة مقارنة بسكان الحضر، الذين لديهم اتصال أكثر مع أنماط الحياة المعاصرة ومجتمعات الكلام المتنوعة^(٣).

(١) أنيس، ١٩٧٣م، ص ٢١.

(٢) أنيس، ١٩٧٣م، ص ٢٢.

(٣) زروقي، ٢٠١٨م، ص ١٠٠٠.

وليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون التنوعات اللهجية، بل يجب أن نضم إليه الانعزال الاجتماعي، واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة داخل الأمة الواحدة. وهناك عوامل تشترك بينهما جميعاً وقد ترجع إلى رابطة سياسية أو قومية أو اتجاه خاص في التفكير. إن عوامل الانفصال وعوامل الاتصال بين الشعوب هي ما أدى في الأصل إلى تنوعات لغوية من لغة أم واحدة، لكن الغلبة في جميع الأمثلة التاريخية - كما يشير إبراهيم أنيس - كانت دائماً لعوامل الانفصال في آخر الأمر، فتتشعب اللغة أو التنوع الأساسي إلى تنوعات لهجية وتستقل بنفسها ويتميز بعضها عن بعض^(١).

وبالنسبة للتنوعات الاجتماعية فإن نشأتها تعود إلى ما يوجد بين طبقات الناس من فروق في الثقافة والتعليم ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والعادات والتقاليد... وقد تتشعب التنوعات اللهجية وتختلف كل منها عن أخواتها في المفردات وأساليب التعبير وتكوين الجمل ودلالة الألفاظ... وما إلى ذلك. ولا تظل هذه التنوعات اللهجية جامدة على حالة واحدة، بل تسير في سبيل الارتقاء ذاته الذي تسير فيه التنوعات اللهجية المحلية فيتسع نطاقها باتساع شؤون الناطقين بها، ومبلغ نشاطهم واحتكاكهم بأهل الطبقات الأخرى من مواطنيهم^(٢).

ومن العوامل أيضاً الهجرة والاستيطان: ويمكن أن نجد أمثلة على ذلك من رحلات القبائل العربية المختلفة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وكذلك مع الفتوحات الإسلامية. والاستيطان في الوقت الحاضر يأخذ أشكالاً مختلفة من أبرزها توطين التجمعات الجديدة بسبب عوامل اقتصادية وصناعية وتعليمية عديدة^(٣)، ويمكن التمثيل على ذلك بالاستيطان في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية في الدمام والخبر ورأس تنورة بعد اكتشاف النفط وتأسيس شركة الزيت أرامكو؛ إذ انتقل كثير من

(١) أنيس، ١٩٧٣م، ص ٢٢.

(٢) زروقي، ٢٠١٨م، ص ١٠٠٠.

(٣) زروقي، ٢٠١٨م، ص ١٠٠٠.

سكان القرى في مناطق المملكة المختلفة للعمل هناك ثم الاستيطان؛ مما خلق تنوعات لغوية مختلفة بسبب تلاقي وتلاقح التنوعات اللهجية المختلفة لهؤلاء الساكنين الجدد. ومن الأمثلة على الاستيطان أيضاً أن جلب المستوطنين الإنجليز الأوائل إلى أمريكا الشمالية تنوعاتهم اللهجية معهم. وتحدث المستوطنون من أجزاء مختلفة من الجزر البريطانية بتنوعات لغوية مختلفة (وما زالوا يفعلون ذلك)، وكانوا يميلون إلى التجمع في وطنهم الجديد. ولا تزال إلى يومنا هذا التنوعات اللهجية النموذجية لأشخاص في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة، مثل نيوانجلاند وفرجينيا ونيوجيرزي وديلاوير، تعكس مواقع التوطين الأصلية هذه، على الرغم من أنها بالتأكيد تغيرت عن أشكالها الأصلية.

ومن العوامل التي تقود إلى التنوعات اللغوية أيضاً اختلافات الطبقة الاجتماعية وتأثيراتها المختلفة، ومرجعياتها مثل هوية المجموعة والعرق والأصل القومي. وهذه العوامل لا تعمل في عزلة، فأى اختلاف في اللغة هو نتيجة لعدد من العوامل الاجتماعية والتاريخية واللغوية التي قد تؤثر في الأداء الفردي بشكل جماعي.

التنوع اللغوي القياسي والتنوعات اللغوية غير القياسية

إحدى الخصائص المحددة حول التمييز بين «اللهجة» و«اللغة» لها علاقة بالتوحيد القياسي؛ ومن ثم فإن عملية التوحيد القياسي والأيدولوجية المتضمنة في الاعتراف بمعيارها، هي جوانب رئيسة لكيفية تفكيرنا في اللغة واللغات بشكل عام؛ إذ يميل الناس إلى التفكير في اللغة كنظام شرعي وثابت يمكن وصفه بموضوعية واعتبار اللهجات انحرافات عن هذه القاعدة. هذه هي أيدولوجيا اللغة المعيارية، إنها طريقة واحدة فقط يمكننا من خلالها التفكير في اللغة وأنواعها⁽¹⁾.

من الخطأ التفكير في لغة معيارية على أنها تنوع محدد بوضوح يمكن تحديده بشكل موضوعي. كتبت ليبي قرين ٢٠١٢، عن «أسطورة اللغة القياسية»، أن معظم الناس

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.33.

يشعرون بقوة أنهم يعرفون ما هي اللغة القياسية إلى حد كبير بالطريقة نفسها التي يمكن أن يرسم بها معظم الناس تصوراتهم للأشياء. وذهبت إلى أننا نرى المعيار على أنه طريقة موحدة للتحدث؛ على الرغم من أنه قد يُسمح ببعض الاختلافات الإقليمية. وغالباً ما يُنظر إلى الصنف القياسي أيضاً على أنه لغة طبيعية ومناسبة لأولئك الذين يستخدمونها - أو يجب أن يستخدموها - إنه جزء من تراثهم وهويتهم، شيء يجب حمايته، وربما حتى تبجيله^(١). ويتحدث ميلرروي ٢٠٠١م عن هذه الأيديولوجية، بأن الشكل القانوني للغة هو ميراث ثمين تم بناؤه عبر الأجيال، ليس من قبل الملايين من المتحدثين الأصليين، ولكن من قبل قلة مختارة ممن أغدقوا المحبة على هذه التنوعات اللغوية، واهتموا بها وبحمايتها وبصقلها وإثرائها حتى تصبح أداة تعبير جيدة. هذه وجهة نظريتناها الناس في العديد من مناحي الحياة، ومن المعتقد أنه إذا لم يكن التنوع القانوني مدعوماً ومحمياً، فستراجع اللغة حتماً وتتلاشى^(٢).

هذا الارتباط بالمعيار باعتباره هدفاً متزامناً لجميع المتحدثين وشيئاً تم إنشاؤه بواسطة النخبة المتعلمة فقط، التي يمكنها الوصول إليه، تم ملاحظته أيضاً بواسطة ليجي قرين، التي أشارت إلى أن المقصود بكلمة «متعلم» لم يتم تحديده أبداً في الواقع، وهو في نظرها عملية دائرية تماماً؛ لأن المعيار يتحدث به المتعلمون، ونعدّهم متعلمين؛ لأنهم يتحدثون المعيار^(٣).

ويسير اتصال التقييس بالتعليم في كلا الاتجاهين؛ لأنه بمجرد توحيد اللغة يكون التنوع الذي يتم تدريسه لكل من المتحدثين الأصليين وغير الناطقين باللغة، يأخذ أبعاداً أيديولوجية - اجتماعية وثقافية وأحياناً سياسية - تتجاوز الأبعاد اللغوية البحتة، وتصبح «جزءاً من عملية أوسع بكثير من التوحيد الاقتصادي والسياسي والثقافي»^(٤).

(1) Lippi - Green. 2012: p. 57.

(2) Milroy. 2001. p. 537.

(3) Lippi - Green. 2012: p. 57.

(4) Fairclough. 2001, p. 47.

ومن أجل تطوير نموذج معياري، يجب قبول المعيار، هذا المعيار هو معيار مثالي، يُطلب من مستخدمي اللغة أن يطمحوا إليه بدلاً من معيار يتوافق بالفعل مع سلوكهم الملحوظ. ومع ذلك، يُنظر إليه على أنه مجموعة محددة بوضوح. وقد يكون اختيار القاعدة أمراً صعباً؛ لأن اختيار تنوع لغوي واحد كقاعدة، يعني تفضيل أولئك الذين يتحدثون هذا التنوع. فلا يمكن النظر إلى اللغة على أنها مجرد انعكاس للنظام الاجتماعي، ولكن باعتبارها شيئاً يساعد في إنشاء التسلسلات الهرمية الاجتماعية؛ ومن ثم لا يقتصر الأمر على اختيار مجموعة متنوعة كنموذج للمعيار؛ لأنها مرتبطة بهوية اجتماعية مرموقة، ولكنها أيضاً تعزز المكانة القوية لأولئك الذين يتحدثون بها، في حين تقلل من جميع الأصناف الأخرى، التي يتم الحديث بها، وأي قواعد منافسة محتملة^(١).

ونظراً لأن المعيار هو تجريد، فإن المواقف تجاه الأشكال المعيارية والارتباط بها كلها مهمة. وتكون المجموعة التي تشعر بالتضامن الشديد على استعداد للتغلب على الاختلافات اللغوية الكبيرة في وضع معيار، في حين أن المجموعة التي ليس لديها هذا الشعور قد تكون غير قادرة على التغلب على الاختلافات الصغيرة نسبياً وتكون غير قادرة على الاتفاق على مجموعة متنوعة ومعيار واحد^(٢).

تؤدي عملية التقييس نفسها مجموعة متنوعة من الوظائف، إنه يوحد الأفراد والجماعات داخل مجتمع أكبر؛ لذلك يمكن توظيفها لتعكس وترمز إلى نوع من الهوية: إقليمية، أو اجتماعية، أو عرقية، أو دينية. ويمكن أيضاً استخدام مجموعة متنوعة موحدة لمنح مكانة المتحدثين، وتمييز أولئك الذين يستخدمونها من أولئك الذين لا يستخدمونها، أي أولئك الذين يستمرون في التحدث بمجموعة متنوعة غير قياسية؛ لذلك يمكن أن يكون بمنزلة نوع من الهدف لأولئك الذين لديهم معايير مختلفة إلى حد ما^(٣).

(1) Heller, 2010.

(2) Wardhaugh and Fuller. 2015. p.35.

(3) Mathiot & Garvin. 1975.

التوحيد القياسي هو أيضاً مسألة مستمرة، وعملية التقييس هي بالضرورة عملية مستمرة للغات الحية. فعملية التقييس هي عملية تحاول إما تقليل التنوع أو إزالته. ومع ذلك، يبدو أن هذا التنوع "طبيعي" لجميع اللغات، كسمة من سمات حيويتها؛ ولذلك يفرض التوحيد ضغوطاً على اللغات، أو إن لم يكن على اللغات نفسها، فعلى أولئك الذين يتولون مهمة التوحيد. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي جعلت العديد من الأكاديميات والمجامع اللغوية تواجه العديد من الصعوبات في عملها: فهم يحاولون دائماً «إصلاح» عواقب التغييرات التي لا يمكنهم منعها، ويضطرون باستمرار إلى القيام بذلك، وإصدار قوانين جديدة في المسائل اللغوية. ولسوء الحظ، غالباً ما يكون أولئك الذين يعتقدون أنه يمكنك توحيد لغة ما و"إصلاحها" في كل الأوقات مؤثرين جداً من حيث المواقف الشائعة حول اللغة. مثل هذه المواقف حول اللغات لا تتماشى مع نظرة علماء اللسانيات الاجتماعية إلى اللغة؛ الذين يذهبون إلى أن التباين الداخلي متأصل في جميع اللغات، وكل اللغات تتغير باستمرار. ويظل التباين الاجتماعي غير مستساغ ضمن أي نظرة معيارية⁽¹⁾.

إن محاولة تحديد ما إذا كان شيء ما، لغة أم لا، يمكن أن يكون أمراً مزعجاً للغاية. ومع ذلك، فإننا عادة ما نواجه مشاكل أقل من نفس النوع فيما يتعلق بالتنوعات اللهجية. فعادة ما يكون هناك القليل من الجدل حول حقيقة أنها إما تنوع إقليمي أو اجتماعي لشيء معترف به على نطاق واسع على أنه لغة. وهذا يعني أن التنوعات اللهجية عادة ما ترتبط بسهولة بالتنوع القياسي بسبب بروز عدة عوامل اجتماعية وسياسية⁽²⁾.

يدرك بعض الناس أيضاً أن التنوع القياسي لأي لغة هو في الواقع فقط التنوع اللهجي المفضل لتلك اللغة: الفرنسية الباريسية أو الإيطالية الفلورنسية أو مجموعة متنوعة من اللغة السواحيلية الزنجبارية في تنزانيا. إنه التنوع الذي تم اختياره لسبب ما، ربما

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.37.

(2) Wardhaugh and Fuller.2015. p.37.

سياسي، أو اجتماعي، أو ديني، أو اقتصادي، أو لبعض الأسباب الأخرى، لتكون بمنزلة النموذج أو القاعدة للأصناف الأخرى. إنه الصنف الممكن؛ نتيجة لذلك، لا يُطلق على المعيار في كثير من الأحيان لهجة على الإطلاق، ولكن يُنظر إليه على أنه اللغة نفسها؛ إذ يأخذ بعداً أيديولوجياً ويصبح اللغة «الصحيحة» و«المناسبة» لمجموعة من الناس، للتعبير عن كيانهم. إحدى النتائج هي أن جميع الأصناف الأخرى أصبحت مرتبطة بهذا المعيار ويُنظر إليها على أنها لهجات من هذا المعيار، ولكن ليس لها من قوتها⁽¹⁾.

نرى مثلاً جيداً لهذه العملية في اللغة الإنجليزية الحديثة. يعتمد المعيار الجديد على التنوع اللهجي للمنطقة المحيطة بلندن، التي كانت مجرد واحدة من عدة لتنوعات لهجية في اللغة الإنجليزية القديمة، وليست الأكثر أهمية حيث كانت كل من التنوعات اللهجية الغربية والشمالية على نفس القدر من الأهمية. ومع ذلك، في العصر الحديث، أصبح التنوع اللهجي المستخدم في هذه المنطقة هو الأساس لما نعتقد الآن أنه اللغة الإنجليزية القياسية، ويرجع ذلك إلى أن لندن كانت مقر المحكمة العليا، وجامعتي أكسفورد وكامبريدج، وهي المنطقة التي كانت تعيش فيها أكبر نسبة من السكان الإنجليز في ذلك الوقت، إضافة إلى ذلك، كانت منطقة إيست ميدلاندز منطقة زراعية وتجارية مهمة، وكانت لندن مركزاً للتجارة الدولية والصادرات إلى كاليه. وكانت أيضاً مركز الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في إنجلترا. وبصفته التنوع المستخدم في العاصمة، فقد أخذ الشكل القياسي، وبدأ هذا التنوع اللهجي يمارس تأثيراً قوياً في جميع التنوعات اللهجية الأخرى في إنجلترا⁽²⁾.

يوضح تطوير اللغة الإنجليزية القياسية المعايير الأساسية التي تميز اللغة المعيار: لقد كان التنوع المستخدم في العاصمة لندن تنوعاً مؤثراً أو مرموقاً، وقد تم تدوينه واستقراره واستخدامه في الوظائف العليا، حيث تم استخدامه للتواصل في المحكمة وللأدب

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.38.

(2) Holmes.2013. p. 79.

وللإدارة. ويتضح أيضاً أن ما نشير إليه كلغة قياسية هو تنوع لغوي معين اكتسب مكانته الخاصة نتيجة للتأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. هذا التنوع القياسي لا يتمتع بمزايا لغوية معينة تميزه عن سائر التنوعات اللغوية الأخرى، سواء في المفردات أو القواعد أو النطق، سوى إنه ببساطة التنوع اللغوي لأولئك الذين يتمتعون بالسلطة السياسية والمكانة المرموقة اجتماعياً. وبمجرد أن يتم اتخاذه لغة قياسية، فإنه يصبح لغة معياراً للتنوعات اللغوية الأخرى، ويصبح من المرجح أن تطور مفرداته اللازمة للتعبير عن الوظائف الجديدة المطلوبة للخدمة^(١).

معيار أي لغة هو شكل مصطنع مثالي للغة، وقضية اللغة المعيارية مقابل مجموعة متنوعة من اللغات غير المعيارية ليست قضية لغوية، بل هي قضية سياسية، حيث ترتبط التنوعات اللغوية القياسية مع مفهوم المكانة في المجتمع. وهذا هو السبب في أن الكثير من الناس يفضلونها على الأنواع الأخرى غير القياسية. حيث يحاول الكثير من الناس استخدام التنوع القياسي الذي يتوافق مع قواعد المجتمع. فيما يفضل بعض المتحدثين بتنوع غير قياسي استخدام تنوعهم اللهجي لإظهار إحساسهم بالانتماء إلى مجتمعهم أو جماعتهم العرقية^(٢).

واللغة القياسية هي طريقة استخدام اللغة في الوضع الرسمي كما هو الحال في الصحف والخطب العامة، والصنف القياسي عموماً هو النوع المكتوب الذي خضع لدرجة معينة من التنظيم أو التدوين، يتم التعرف عليه على أنه تنوع أو رمز مرموق من قبل المجتمع، ويتم استخدامه لوظائف عليا، جنباً إلى جنب مع مجموعة متنوعة من أصناف دنيا^(٣).

والفكرة الأساسية للغة المعيارية هي تدوين لغة عامة، خاصة اللغة المكتوبة بحيث يكون في متناول كل متحدث باللغة استخدامها في التعليم والإعلام والعلوم، ويشير

(1) Holmes.2013. p. 79.

(٢) مورو، ٢٠١٥م، ص ١٦٠.

(3) Holmes.2013. p. 79.

التوحيد القياسي إلى العملية التي يتم من خلالها تدوين اللغة بطريقة ما. تتضمن هذه العملية عادة تطوير أشياء مثل القواعد اللغوية، وكتب التهجئة، والقواميس، وربما الأدب. يمكننا في كثير من الأحيان ربط عناصر أو أحداث معينة بالتوحيد القياسي.^(١) وعادة ما يتحقق التدوين من خلال القواعد النحوية والقواميس التي تسجل، وأحياناً تصف الأشكال القياسية للغة. ويتعين على مؤلفي القاموس (أو مؤلفي المعاجم) تحديد الكلمات التي سيتم تضمينها في القاموس كجزء من الصنف القياسي، وأياً يتم تمييزها على أنها تنوع لهجي غير قياسي، وأياً يجب حذفها تماماً. وعادة ما يُتخذ استخدام أعضاء المجتمع المتعلمين والمرموقين اجتماعياً كمعيار لهم^(٢).

تنشأ اللغات القياسية عندما يبدأ استخدام تنوع لغوي معين في شكل كتابي، عادةً في منطقة أوسع من مساحة التنوعات اللهجية نفسها. الطرق التي تستخدم بها هذه اللغة - على سبيل المثال، في المسائل الإدارية والأدب والحياة الاقتصادية - تؤدي إلى تقليل التباين اللغوي. إن المكانة الاجتماعية المرتبطة بخطاب موحد يحول لغتهم إلى نموذج للآخرين؛ كما أنه يساهم في القضاء على الأشكال اللغوية الأخرى. إحدى الطرق الشائعة لإنشاء لغة قياسية هي الترويج لتنوع لغوي واحد لهذا المنصب، ففي كثير من الأحيان يكون المرتكز الأساسي للغة القياسية للبلد هو التنوع اللغوي الأصلي للمنطقة المهيمنة (العاصمة) مثل لندن في إنجلترا، وباريس في فرنسا، وموسكو في روسيا، أو قد يكون التنوع اللغوي للمركز الاقتصادي والثقافي القوي كفلورنسا في إيطاليا، وعادة ما يكون التنوع اللغوي المستخدم بين الطبقة العليا، وقد تكون اللغة عبارة عن مزيج من عدة تنوعات لهجية إقليمية^(٣).

ويقصد بتقييس لغة ما ومعيرتها إخضاعها لعمليات تهيئة وتنميط وتقييد استجابة لحاجات المجتمع والمؤسسات الرسمية، في سياق تاريخي معين، وهي العمليات التي

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.33.

(2) Holmes.2013. p. 79.

(3) Holmes.2013. p. 79.

تنتقل بهذه اللغة من وضعية التنوعات اللهجية التي تتداول في إطار التقليد الشفوي، إلى مستوى لغة الكتابة والمدرسة والمؤسسات^(١).

وتتم عملية المعيرة اللغوية على مستويين، الأول يرتبط بتهيئة وضع هذه اللغة عبر إصدار قوانين تحدّد وضعها ووظائفها في مؤسسات الدولة وفي الحياة العامة، أما المستوى الثاني فيتعلق بتهيئة متنها. ويتولى التهيئة على المستوى الثاني أخصائون في نحو ومعجم وأصوات تلك اللغة وكل التخصصات ذات الصلة بعلم اللغة. كما تتمّ هذه العمليات داخل مؤسسة من مؤسسات الدولة، وبميزانية من المال العام، إشارة إلى أنّ الدولة ترعى رسمياً هذه اللغة وتتبنّى ما تصير إليه، وتحدّد لها وظائف جديدة لا تنحصر في الوظائف التقليدية للتنوعات اللهجية المنطوقة المتداولة بين عامة الناس في الحياة اليومية^(٢).

لا توجد لغة معيار نشأت بمعيرة منذ البداية، بل لا بد من تلك العمليات المذكورة التي يتولاها بها أهل الاختصاص في إطار مشروع سياسي محدّد تقرّه الدولة وتتبناه، فكل اللغات بما فيها اللغات المعروفة على الصعيد الدولي كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية والعربية، هي في الأصل تنوعات لغوية خضعت لمسلسل طويل من التهيئة عبر معاهد رسمية، وما زالت تخضع لمراجعات وتدقيقات من طرف الأخصائيين حتى يومنا هذا^(٣).

والمعيرة لا تعني صنع لغة «مختبرية»، أي لغة يتم طبخها على استعجال بشكل مفارق كلياً وبالمطلق لواقع الناس ولأشكال التعبير المنطوقة، بل يُقصد بها مسلسل طويل المدى من عمليات التحويل والتهيئة التدريجية، التي تنطلق من الجذع المشترك بين الفروع والتنوعات اللهجية، الذي يجعل عملية التوحيد ممكنة، وصولاً إلى جمع وتدوين اللغة

(1) Trudgill.1995, 5-6.

(2) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٣) مورو، ٢٠١٥م، ص ١٦١.

من كل المناطق وبكل فروعها، مع الاستعانة بالمعاجم المتوفرة واستعادة الكلمات المنسية أو المهملة بسبب تضرر التنوعات اللهجية وتراجعها وانمحائها، مروراً عبر استخراج القواعد وتدقيقها وتوضيحها باستعمال لغة واصفة، أي الاشتغال على الجانب الفونولوجي لتحديد الاختلافات السطحية ثم الجانب المورفولوجي بالغ التعقيد، وابتداءً إلى الإبداع المعجمي، الذي لا غنى عنه لأية لغة تريد الاستجابة للحاجات المستجدة للعصر والمجتمع^(١).

ويتم تطوير مجموعة متنوعة قياسية من مجموعة من التنوعات اللهجية عن طريق رفع تنوع لهجي واحد، مثل التنوع المحلي لمركز الحكومة أو الثقافة. وعادةً يتم إنشاء إملاء ثابت لكتابة الصنف. كما يجري تدوينها في القواميس المعيارية والنحوية، أو من خلال مجموعة متفق عليها من النصوص النموذجية، وسواء أكانت هذه القواميس والقواعد منجزة من قبل أفراد عاديين (مثل قاموس ويبستر) أو من قبل مؤسسات الدولة، فإنها تصبح قياسية إذا تمت معاملتها كسلطات «لتصحيح» اللغة. إن الشكل المكتوب الثابت والتدوين اللاحق يجعل المصطلح القياسي أكثر استقراراً من الأصناف المنطوقة، ويوفر قاعدة لمزيد من التطوير، ويصبح هذا التنوع هو القاعدة للكتابة، ويستخدم لأغراض رسمية، وفي الإعلام، وهو النموذج الذي يتم تدريسه للمتعلمين غير الأصليين^(٢).

من خلال هذه العملية، يكتسب الصنف القياسي مكانة وأهمية وظيفية أكبر من الأصناف اللهجية الأخرى. وقد تتم هذه العملية على مدار فترة طويلة دون تدخل من الحكومة. وفي حالات أخرى، قد يتم توجيهها عن عمد من قبل المؤسسات الرسمية، مثل الجامعات اللغوية، والأكاديميات المتخصصة مثل الأكاديمية الفرنسية.

أحد الأسباب المشتركة لسوء فهم المتحدثين بلغة ما، عدم فهم مسألة الأصناف القياسية وغير القياسية للغة. حيث يعدون الأشخاص الذين يتحدثون بالأصناف

(١) الملائكة، ١٩٩٠م، ص ٥٠.

(٢) الملائكة، ١٩٩٠م، ص ٤٩.

غير القياسية أقل شأنًا من المتحدثين بمجموعة متنوعة قياسية. وتفسر ذلك، أن بعض التنوعات اللغوية أقرب إلى المعيار من غيرها، ويتمتع الأشخاص الذين يمتلكون مستويات تعليم عالية بإمكانية أكبر للوصول إلى المعيار، لكنهم عادة ما يعودون إلى تنوعهم اللهجي الأول كسجل مناسب في سياق وضع غير رسمي مع الأصدقاء والعائلة، بما يعني أنه لا يوجد تنوع لغوي أفضل أو أسوأ بطبيعته، وأن التصنيف يعتمد على المواقف الاجتماعية، حيث يصنف الناس بعض الأصناف اللغوية على أنها «الأفضل» أو «الأكثر مناسبة». وترتبط التنوعات اللغوية غير القياسية غالبًا بالناس الذين لديهم مستويات تعليمية متدنية مما يحول بينهم وبين الوصول إلى اللغة المعيارية القياسية، وهو الأمر الذي يجعلها تبدو في الغالب مرتبطة مع مجموعات من الناس لديهم قدر أدنى من المكانة الاجتماعية المرتبطة بالتعليم والمراكز الوظيفية⁽¹⁾.

إنه من الخطأ من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية الاعتقاد أن التنوع القياسي هو «الصحيح»، حيث إن لكل لغة من اللغات تنوعاتها اللغوية، ولا يوجد تنوع لغوي دون المستوى في التنوعات اللغوية الأخرى، فكلنا نتكلم تنوعات لغوية، ولدينا جميعًا تنوعاتنا اللهجية الخاصة بنا؛ وعليه فإن جميع أصناف اللغة من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية، منهجية في استخدامها، ولديها عدد كبير من المتحدثين؛ ومن ثم لها الحق في الوجود.

التنوع في اللسانيات الاجتماعية العربية من الإرهاصات الأولى إلى المرحلة الراهنة

علم اللهجات dialectology مجال فرعي للسانيات الاجتماعية يدرس التنوعات اللهجية، والاختلافات في اللغة القائمة أساسًا على التوزيع الجغرافي والاجتماعي والملاصق المرتبطة بها، ويعالج مواضيع مثل اختلاف لهجتين من أصل واحد والتغير المتزامن لهما⁽²⁾. وقد بدأ

(1) Lippi - Green. 2012: p. 57.

(2) Trudgill, 1983.

علم اللهجات في الظهور ك تخصص في القرن التاسع عشر مع تطور دراسة القواعد اللغوية والقواميس للهجات الإقليمية في أوربا الغربية، وتكوّن معظم العمل في اللهجات من جمع المعلومات حول ضروب التنوع التي تحدث في اللهجات المختلفة وبناء الأطالس اللغوية التي تبين أنماط التوزيع لسلسلة من الملامح المتنوعة للغة^(١).

قبل ذلك كان هناك دراسات عديدة تناولت نشوء اللهجات العربية في مرحلة مبكرة، وبحث في أسباب تكونها وفي خصائص تلك اللهجات. ويمكننا أن نختصر مجمل ما تناولته الدراسات في مجال لغات العرب ونشوء لهجاتها، بالقول إن الباحثين يتفقون على أن اللغة العربية في العصر الجاهلي كانت على مستويين: مستوى شعبي يتمثل في لهجات الخطاب السائدة بين أبناء الجزيرة في بيئاتهم المختلفة، ومستوى رفيع يتمثل في لغة أدبية فصّح اتخذها الصفوة من شعراء العرب وبلغائها، فصيّغت بها قصائدهم وحيكّت خطبهم وحكمهم. وعندما نزل القرآن الكريم بالمستوى الأدبي الرفيع المسمى بالمستوى الفصيح ازدادت هذه اللغة الرفيعة رسوخاً في أذهان الناس واحتراماً في نفوسهم، فعاشت لغة للثقافة والعلم والأدب ووسيلة من وسائل التواصل بين العرب، إلى جانب تنوعاتهم اللهجية الأخرى التي يتكلمونها في بيئاتهم المحلية. وبينما كان التنوع الفصيح يتقيد بنظامه الخاص، وقانونه المنظم، كانت التنوعات اللهجية للخطاب تتطور في بيئاتها المحلية المختلفة، وتتشكل بتشكيل الأوعية التي تصب فيها، وتتأثر بما يقابلها أو يفد عليها من ظروف حضارية، واجتماعية وسياسية وطبيعية وغيرها^(٢). وعندما انطلق الفاتحون الأوائل من الجزيرة إلى الأقطار المجاورة حملوا لغتهم معهم، وكان من الطبيعي أن تتأثر هذه اللغة بالبيئة التي تنتقل إليها، وأن يكون لها في كل قطر وجه يختلف قليلاً أو كثيراً في ملامحه عن وجهها في القطر الآخر^(٣). ولعل من أسباب هذه التغيرات، أنها استقرت في بلدان ذات تراث قديم وحضارة عريقة لها لغاتها وعاداتها الكلامية وطرق

(1) Preston, 1988.

(٢) الضبيب، ١٩٧٥م، ص ٥.

(٣) ابن خلدون، ص ١٠٨٠.

معيشتها، فكان لابد للعربية أن تمتص آثار هذه الموروثات وتتمثل العوامل الحضارية التي وجدتها، متأثرة بهذه الحضارات، في العراق، وبلاد الشام، ومصر، وبلاد شمال إفريقيا، ولهذا وجدنا اختلافات واضحة بين التنوعات اللهجية للخطاب في كل قطر من أقطار العروبة في هذه المناطق^(١). وبينما كانت التنوعات اللهجية في هذه البيئات تتطور بفعل هذه المؤثرات، كانت التنوعات اللهجية داخل الجزيرة العربية تتطور أيضاً في مهدها الأصلي وتتفاعل فيما بينها تطوراً لا يتركز على تأثير دخیل، فقد كانت إلى عهد قريب معزولة عن العالم عزلة تامة، فكانت بمنأى عن التأثيرات الأجنبية. فكانت هذه التنوعات اللهجية في معظمها وثيقة الصلة بالعربية الأم، قريبة العلاقة بالتنوع الفصيح، فهي لم تخلف حضارات أجنبية، ولم تتطور في بيئات مغايرة، ولم تصادف تأثيرات مضادة كتلك التأثيرات التي لقيتها العربية في البيئات الأخرى^(٢).

بدأت دراسة التنوعات اللهجية في العصر الحديث على أيدي الغربيين، حيث أخذ عدد منهم منذ القرن التاسع عشر يسجلون ويدرسون نماذج للتنوعات اللهجية العربية الحديثة في مناطق مختلفة من العالم العربي، وقد حظيت أقطار الشمال الإفريقي، وسوريا، وفلسطين والعراق بالجهد الأكبر من هذه الدراسات، ولعل أول أطلس ظهر عن التنوعات اللهجية في العالم العربي هو ذلك الذي ألفه برجس ستراسر بعنوان "أطلس لهجات سوريا وفلسطين"، والمستشرق الفرنسي كاتينوالذي أصدر كتاباً عن اللهجة العربية في تدمر، وكتاب آخر عن لهجة حوران.

أعقب ذلك قيام مجموعة من الدارسين العرب بدراسة التنوعات اللهجية العربية في الجامعات الغربية الأوروبية والأمريكية؛ وذلك لوفرة الاستعدادات في هذه الجامعات مما يعين على الدراسة في هذا المجال، فقدم مجموعة من الدارسين أطروحاتهم في تلك الجامعات عن لهجات بلادهم، فقدم إبراهيم أنيس ١٩٤١م، وعبد الرحمن أيوب سنة ١٩٤٩م، والسعيد بدوي سنة ١٩٦٥م، رسائل علمية إلى جامعة لندن، وتوالت الرسائل

(١) الضبيب، ١٩٧٥م، ص ٦.

(٢) الضبيب، ١٩٧٥م، ص ٧.

والأطروحات بعد ذلك، ثم بدأ التأليف في التنوعات اللهجية العربية خارج نطاق الرسائل الجامعية.

وقد بدأت دراسات التواصل اللهجي وتبايناته المختلفة منذ الستينيات في كثير من البلدان مع تطور مهم في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات حيث أجريت دراسات وصفية عديدة، واستبانات وأنجزت أطالس في كل من مصر، وسوريا، وتونس، واليمن...، أعطت هذه الجهود صورة أفضل لحالة التنوع اللهجي في العالم الناطق باللغة العربية بما في ذلك المناطق الهامشية مثل مالطا، ومناطق جنوب الصحراء بإفريقيا، وآسيا الوسطى، إضافة إلى تنوعات العربية المحكية للأقليات العربية في أوربا وتركيا، وإفريقيا، والولايات المتحدة، وأمريكا الجنوبية وغيرها^(١). وفي المقابل، تناولت الدراسات الغربية التنوعات اللهجية العربية من عدة زوايا حيث درس بيتر بهنستيدت ٢٠٠٦م^(٢)، جغرافية اللهجات العربية مستعرضاً أطالس اللهجات العربية وحدودها ومفسراً خرائطها ورأساً جغرافية لمفرداتها، كما تحدثت عنها كاثرين ميلر ٢٠٠٦م^(٣)، في عصورها الأولى والحالية، ودرست هامفري ديفس ٢٠٠٦م^(٤)، اللهجات في مصر في الماضي وفي العصر الحاضر في الدراما المصرية، وفي الشعر العامي وكذلك درست اللهجات في لبنان وتونس والمغرب، كما درسها حقي بالفا ٢٠٠٦م^(٥)، مقابلاً بين لهجات الشرق والغرب العربيين واللهجات البدوية والحضرية رأساً بعض الملامح المميزة لها، وكذلك اللهجات المستقرة في المجموعة الشرقية للعالم العربي مثل اليمن وبلاد ما بين النهرين وسوريا الكبرى، ومصر، وصنّف اللهجات العربية وفقاً للتنوعات الدينية، وحدّدها وفقاً للحدود الشرقية والغربية، ووفق معياري التحضر والتمدن، مع اهتمام باللهجات المعزولة كتلك المحكية في تشاد.

(1) Palva, 2006.p.605.

(2) Behnstedt, 2006. p. 583 - 593

(3) Miller, 2006.p. 593 - 597.

(4) Davies, 2006.p. 597 - 604

(5) Palva, 2006.p. 604 - 613.

هذا التطور في الدراسات اللهجية كان قويا بشكل خاص في أوروبا بفضل أسماء مشهورة مثل: بروس انجهام في بريطانيا وبالفا في فنلندا والسويد وآلن كاي، وباركنسون، وأوينز في الولايات المتحدة وعدد من العلماء العرب الذين وصفوا اللهجات العربية مثل محمد حسن باكلدا في المملكة العربية السعودية، وابن ياسين، ومحمد إبراهيم، وحسن عبد الجواد في الأردن، والسعيد بدوي، والجبالي في مصر، وعبد العزيز مطر في الكويت، والمسعودي، واليوسفي في المغرب، والطيب البكوش في تونس.

وُفرت هذه الدراسات صورة متجانسة لكل تنوع من التنوعات اللغوية ويمكن الاطلاع على أمثلة لهذه الدراسات الواصفة في موسوعة اللغة العربية واللسانيات لفريستيج ٢٠٠٦م^(١)، حيث وصفت دراسات التنوعات اللهجية الملامح الصوتية والصرفية والنحوية التي ميزت كل لهجة ومهدت الطريق للتحليل اللساني الاجتماعي لدراسة استخداماتها من قبل المتحدثين المختلفين في سياقات مختلفة، وبشكل خاص داخل المراكز الحضرية. ولا شك أن الكم المتزايد من البيانات أسهم بشكل أفضل في فهم التاريخ الاجتماعي لظاهرة العربية المتحدثين والتواصل اللهجي.

ولا يزال علماء اللسانيات الاجتماعية العربية في أيامنا هذه يعتمدون بشكل كبير على عمل علماء اللهجات، ذلك أن علم اللهجات العربية لا يزال نابضا بالحياة مع عدد مهم من البحوث الجديدة التي تنشر على أساس منتظم في جميع أنحاء العالم الناطق بالعربية. فعلى سبيل المثال سعت ليلي السبعان ٢٠٠٠م، في دراستها إلى رصد أهم التغيرات التي طرأت على بنية اللغة العربية الفصحى التراثية والمعاصرة، في مستوياتها المختلفة، بتأثير التنوعات اللهجية العربية قديما وحديثا^(٢)، وسعى بيهنستيدت وودش ٢٠١٣م^(٣)، لتأسيس حدود للتنوعات اللهجية العربية المعاصرة، ومناطق انتقالها، وتركزها،

(1) Versteegh, 2006.

(٢) السبعان، ٢٠٠٠م، ص ١٦٩.

(3) Behnstedt & Woidich. 2013.

والاستمرار اللهجي من خلال تتبع وجمع الملامح اللغوية في مناطق جغرافية ودراسة تلك الملامح بحسب توزيعها.⁽¹⁾ ويظهر الاعتماد في اللسانيات الاجتماعية العربية على التقاليد اللهجية في استخدام النصوص والأوصاف النحوية التي تم جمعها قبل عدة عقود. وهذا صحيح على وجه الخصوص عندما يعمل علماء اللغة على أصناف العربية المختلفة التي لم تكن مرتكزا لاهتمام العلماء لوقت طويل. ولكن النتيجة هي إجبار علماء اللسانيات الاجتماعية على الاعتماد على مصادر وصفية قديمة بشكل مأساوي، وقد تكون غير متوفرة، وقد نتج عن ذلك أن العديد من التنوعات العامية العربية بقيت غير موصوفة. وعلى الرغم من ذلك، فإن كثيرا من العمل الذي تم إنجازه في السنوات الأخيرة حول التنوع والاختلاف في العربية يعتمد بشكل كبير على بيانات جديدة تم جمعها بواسطة الدارسين من خلال المقابلات اللغوية الاجتماعية والإثنوجرافيات الموسعة، وما شابه ذلك من الطرق المعاصرة.

لقد تطوّر وصف التنوعات اللهجية العامية العربية بشكل هائل في العقود الأخيرة متنقلا من الوصف الثابت للأنظمة ليشمل الاهتمام بالتفاعلات الاجتماعية، وأتّبع اللسانيات الاجتماعية العربية الاتجاهات العامة للسانيات الاجتماعية مع تحول من البنى إلى المعاني، ومن المنظورات التطورية إلى المقاربات السياقية والتفاعلية. وذهبت كاثرين ميلر ٢٠٠٧م^(٢)، في دراستها للهجات الحضرية العربية من حيث التطور والتغير، إلى أنه لا يزال يتعين التحقق في العديد من المجالات، فعلى المستوى البنيوي قليلة هي الدراسات التي تتناول النحو وبناء الجملة، وهناك أيضا حاجة للنهج الإثنوبولوجي الذي يهتم بدور بنية الأسرة والمكان، ودور الفرد مقابل المجموعة، وتقويم حالة الجنس، ووضع المرأة في المجال العام، وقضية المعيارية والتمثيل المتضارب للحضرية والمدنية، والاتجاه نحو العولمة.

(1) Behnstedt, & Woidich. 2013.

(2) Miller, 2007. p. 49.

وقد بدأت الدراسات اللسانية الاجتماعية العربية تنحو نحو دراسة التحول اللهجي، وتقترح مايرز سكوتون ٢٠١٠م^(١)، منهجاً جديداً لدراسة التحول اللهجي، وتجادل في أن التحول اللهجي بين العربية القياسية والعاميات أصبح مألوفاً أكثر من ذي قبل في وسائل الإعلام، وتحاول تقديم نموذج يمكن تطبيقه على تبديل الشفرة والتحول بين عدة لغات مختلفة، وعلى التبديل اللهجي بين العاميات. هذا النموذج يضبط ويشرح قواعد التبديل بين التنوع القياسي الفصيح والتنوعات العامية المختلفة. وتعتمد هذه القواعد على العناصر الصوتية التي تحضر في الكلام في المادة التي يتم دراستها. ومن خلال إحصاء الملامح الصوتية يمكن للمرء أن يقرر أساس التنوع اللغوي المستخدم من حيث انتسابه للتنوعات العامية أو للتنوع القياسي المسمى الفصيح.

وتهتم دراسة نجلاء الغامدي ٢٠١٤م، «بالتواصل اللهجي في الجزيرة العربية: المهاجرون الغوامد في مكة»^(٢)، فتتظّر في التغيرات التي تحدث في حديث المهاجرين من قبيلة غامد في إطار التواصل اللهجي. فالغوامد المعنيون بالدراسة هاجروا من منطقة قروية في الإقليم الجنوبي الغربي للمملكة العربية السعودية إلى مدينة مكة في إقليم الحجاز، وتم استخدام ثلاثة متغيرات اجتماعية هي الجنس والعمر والمنطقة، وتم فحص خمسة متغيرات لغوية تمثل بعض السمات البارزة التي تميز بين التنوع اللهجي التقليدي الغامدي للمهاجرين والتنوع اللهجي لمنطقة مكة. وأظهرت النتائج أن هناك تغيراً حدث للتنوع اللهجي الغامدي على مستويات عدة حيث خلت من ملامح الإدغام الغامدية لصالح المقطع الصوتي الواحد الخاص بأهل مكة. وتدافع الدراسة عن ظهور تنوع لهجي سعودي يتم فيه القضاء على جميع الملامح الإقليمية تقريباً.

وضمن إطار الاتصال بالتنوع اللهجي، تبحث دراسة فاطمة خرياش ٢٠١٧م في "التواصل اللهجي والإقامة في بني سنوس بالجزائر"^(٣)، وتنتظّر في النتائج اللغوية للاتصال

(1) Myers - Scotton, 2010. p.82.

(2) Alghamdi, 2014.

(3) Kherbache, 2017. p. 238.

طويل المدى بالتنوعات اللهجية لثلاث مجموعات ريفية مهاجرة استقرت في قرية بني حمو. كشفت النتائج أن التغيير تجلّى في اختلاط بعض المتغيرات المحلية وغير المحلية والاتجاه نحو التبسيط وأن النساء يحافظن على خطابهن الأصلي في حين يتبنى الرجال بعض السمات الجديدة، وأن المواقف اللغوية تؤثر في هذا التغيير.

وضمن إطار التحول اللهجي وتبديل الشفرة، تناولت الدراسات مناقشة التحول اللغوي من التنوع اللهجي البدوي إلى التنوع اللهجي الحضري ومعرفة المجالات التي يُحدث فيها بالتنوع اللهجي البدوي وتلك التي يتم فيها التحويل إلى التنوع اللهجي الحضري والمواقف تجاه تبديل الشفرة إلى التنوع اللهجي البدوي والأسباب التي تؤدي إلى تبديل الشفرة ومثال ذلك دراسة عبدالله المهيرات ٢٠١٥م^(١)، عن "التحول اللهجي من اللهجة البدوية الأردنية إلى اللهجة الحضرية في عمّان"، حيث ذهب إلى أن المتحدثين بالتنوع اللهجي البدوي يتنقلون بينه وبين التنوع اللهجي الحضري في معظم المجالات في عمّان، إضافة إلى أن البدوي يحولون تنوعهم اللهجي في مكان العمل ومع الجيران ومع الأصدقاء والأقارب، في حين أنهم أقل تحولاً مع أعضاء الأسرة في البيت وأثناء التعبيرات العاطفية الشعورية. وذهب إلى أن النساء يعمدن إلى التحول اللغوي وتغيير الشفرة أكثر من الرجال، وأن المتحدثين البدوي في عمّان يعتقدون أن التنوع اللهجي البدوي يتحول إلى التنوع اللهجي الحضري والعكس أقل، كما ذهب إلى أن العلاقة القوية بين المتحدثين والزواج والهجرة هي أهم العوامل التي تساعد على حدوث هذه الظاهرة.

في هذا الإطار أيضاً، درس إبراهيم أبو شهاب ٢٠١٥م^(٢)، "قضية اللهجة والتواصل الثقافي بين الأردنيين الذين يعيشون في مدينة إربد"؛ لمعرفة مقدار التحول الثقافي واللهجي فيما بينهم في ضوء متغيرات العمر والجنس والخلفية التعليمية. وأظهرت نتائج دراسته أن الأردنيين يمارسون تحولاً متواصلاً في تنوعاتهم اللهجية وثقافتهم نحو التنوعات اللهجية

(1) Almhairat, 2015.p. 69.

(2) Abushihab, 2015.p. 84.

الحضرية نتيجة لتمازج اللهجات والعناصر الثقافية المستخدمة في إربد. وهذا يظهر أن بعض التنوعات اللهجية الأصلية المستخدمة في مدينة إربد تم التخلي عنها وقد يصل بها الأمر في نظره إلى حد الانقراض بعد وفاة كبار السن الذين لازالوا يستخدمونها.

في نطاق الاتصال بين التنوعات اللهجية القروية والحضرية، درس شريف الربابعة ٢٠١٨م^(١)، التراجع في استخدام الكاف مقابل القاف في التنوع اللهجي الريفي في ضواحي إربد بالأردن وذهب إلى أن التغيرات لم يكن لها تأثير يذكر في المتحدثين القرويين.

يمكن الرجوع بالدراسة المنهجية للتنوع اللغوي إلى الستينيات عندما قام وليام لابوف ١٩٦٣م^(٢)، بإجراء عدد من الدراسات عن العلاقة بين الملامح اللغوية والمتغيرات الاجتماعية مثل الطبقة والعمر ونوع الجنس. لم يربط لابوف الاختلافات في الشكل اللغوي بالعوامل الاجتماعية وتأثيراتها فقط، ولكنه أوضح بأن الوقت يؤثر في العمليات اللغوية بمعنى أن لابوف له الفضل في تطوير مجالين مترابطين في اللسانيات الاجتماعية: التنوع اللغوي، والتغير اللغوي. فبينما يتركز التنوع اللغوي غالباً على طريقة بحث تزامنية لأشكال اللغة المختلفة وسابقتها الاجتماعية، فإن التغير اللغوي يركز على ظهور وانتشار الأشكال اللغوية بشكل مرتبط بالزمن. فالتغير اللغوي دائماً يتضمن التنوع، ولكن ليس كل التنوع يعد تغيراً^(٣). والتنوع اللغوي في العالم العربي هو نتيجة لعوامل اجتماعية، وتاريخية، وسياسية وديموغرافية مختلفة.

بعد عمل لابوف ركّز عدد كبير من الباحثين على دراسة العلاقة بين الجوانب الرسمية للغة العربية والمتغيرات الاجتماعية، وقد اعتمدت معظم دراساتهم نهجاً كمياً لدراسة التنوع والتغير اللغويين مستكشفة الارتباطات الممكنة بين المتغيرات اللغوية والمتغيرات الاجتماعية مثل نوع الجنس، والطبقة الاجتماعية، والعمر، والعرق، والهوية

(1) Alrabab, 2018.p. 59.

(2) Labov, 1963.

(3) Chambers, 2013. p. 7.

الدينية، والمكان، فقد ذهب ثيودوربولو ٢٠١٨م^(١)، إلى أن الوضع الاجتماعي عامل ضروري في فهم التنوع اللغوي الاجتماعي فيما يتعلق بالعالم العربي وهو يركز في نقاشه على التفاعل بين التنوع والأيدولوجيا والموقف في سياق العولمة. وناقش بعض القضايا والموضوعات المهمة التي تشكل أبعاداً مهمة للسياق الاجتماعي السياسي الأوسع في العالم العربي تفسر العلاقة بين اللغة، والمجتمع كالاستعمار، والعولمة، والتحضر. وذهب إلى أنه يمكن البحث في الأصناف المختلفة للغة العربية بطريقتين مختلفتين: عمودية وأفقية، فناقش الوضع الاجتماعي والتنوع الاجتماعي اللغوي العمودي حيث تختلف السياقات والوظائف للازدواج اللغوي بين الفصحى والعاميات، وكذلك الوضع الاجتماعي والتنوع الاجتماعي اللغوي الأفقي حيث الاختلافات الجغرافية التي تشكل اللهجات المشرقية والمغاربية التي تتأثر باقترانها بظواهر الاستعمار والعولمة والتحضر.

وقدمت فيسنتي ٢٠١٨م^(٢)، لمحة عامة عن البحوث الحالية حول تنوع اللغة في العالم العربي من خلال تسليط الضوء على المناهج النظرية والأنماط المستخدمة لفهم تنوع وتغير اللغة في سياقات الناطقين بالعربية، وأن هناك حاجة لدراسة التنوع اللغوي في السياقات الشفوية والمكتوبة معاً وأن العوامل اللغوية وما فوق اللغوية يجب أن يتم اعتبارها عند دراسة التنوع، وقد اعتمدت أمثلة من المغرب لتوضيح مناقشتها.

ودرس ياسر جمعة ٢٠١٥م^(٣)، عامية الشباب السعودي محللاً العوامل الاجتماعية المؤثرة في استخدامها، وملقياً الضوء على المصادر التي يكتسب منها الشباب السعودي التعبيرات العامية الجديدة، والموضوعات الرئيسة التي يركز عليها الشباب السعودي، والأسباب التي دعتهم إلى استخدامها. وخلص إلى أن العمر وعاميات الشباب السعودي مطردة عكسياً، فكلما كان الشخص أصغر سناً ارتفع مستوى استخدامه للتنوع العامي، كما أن الرجال يستخدمون التعبيرات العامية أكثر من النساء. ويقرر جمعة أن التنوع

(1) Theodoropoulou, 2018.p. 371 - 382.

(2) Vicente, 2018.p. 359 - 367.

(3) Gomaa, 2015.p.105.

العامي يؤدي وظائف تساعد على تنمية الشباب السعودي، وتزودهم بقواعد اللغة الخاصة بهم، وبالعالم الشخصي، فهو يساعد على تنمية شعور الفردانية والانتماء معاً، ويستخدمه الشباب السعودي لرسم صورة حية لعواطفهم حتى يتمكن المستمعون من فهم ما يشعرون به؛ ولذلك يمكن أن يعد استخدامه إشارة هوية ودليلاً مهماً على عضويتهم في المجموعة الاجتماعية.

وفي نطاق التغير، تأتي دراسة هند البلوي للتغيرات في التنوع اللهجي لقبيلة البلوي العربية البدوية في المملكة العربية السعودية بين ١٩٨٥ - ٢٠١٥م^(١)، من خلال مجموعتين عمريتين هما فئة الشباب والكبار، وقد رصدت تغيرات في الوجهات الصوتية والصرفية والمعجمية دون البنى النحوية التي تظل ثابتة بين متحدثي المجموعتين العمريتين. وبشكل عام فإن معظم التغيرات حدثت في العناصر المعجمية، وكثير منها تم اقتراضه من تنوعات عربية مختلفة خارج نطاق القبيلة، وتوصلت إلى أن التنوع اللهجي البلوي ليس متغيراً فقط، ولكنه متأثر أيضاً بمجموعة من التنوعات اللغوية الحديثة.

لقد جرى تحليل عدة متغيرات صوتية في نفس نطاق التغير فيما يتعلق بالمتغيرات الاجتماعية: كالعرق والعمر والجنس والشبكات الاجتماعية والارتباط بين الهوية والمستوى اللهجي في دراسة حنان تاجي ٢٠١٠م^(٢)، للتباين الصوتي والتغير في الكويت في حديث ثلاثة أجيال في مجموعتين عرقيتين كويتيتين (نجدية وعجمية)، فالمتغير الصوتي الجيم عادة ما يتحقق في نطق المجموعة العرقية ذات الأصول النجدية في حين تنطقها المجموعة ذات الأصول الأعجمية الإيرانية (ي). ظهر التغير الأكثر عبر أجيال مجموعة العجم وخصوصاً الشباب حيث يتجنبون تحققات العجمي الأصلية بسبب دلالاتها الاجتماعية، وظهر أن جيل الشباب من العجم يستخدمون اللفظة النجدية الأكثر شيوعاً، والأنثى العجمية هي في طليعة هذا التغير، يليها الشباب العجمي من الذكور. وانتهت

(1) Albalawi, 2015.p. 71 - 81.

(2) Taqi, 2010.p. 225.

إلى أن اللكنة النجدية هي عموماً أكثر استقراراً من العجمية، وأن اللهجة العجمية تتجه نحو اللهجة النجدية.

وفي ضوء التغير الصوتي اللساني الاجتماعي، درس عبد المحسن دشتي ٢٠١٧م^(١)، تحول الصوت الساكن (جش) إلى صوت الكاف في حديث الكويتيين ودرس الاختلاف بين البدو والسكان المستقرين الحضر، وفحص العينات من خلال متغيرات الجنس والعمر ومستوى التعليم وحللها نوعياً وكمياً، وقد أشارت نتائج دراسته إلى أن المتغير (جش) يشهد تغيراً بسبب التغيرات والمؤشرات الاجتماعية المرتبطة بالمكانة.

المتغير الصوتي نفسه درسه قعدان وشهاب ٢٠١٦م^(٢)، في حديث مجتمع الجاروشية بفلسطين في علاقته بمتغيرات الجنس والعمر ومستوى ومجال التعليم ومستوى الدخل، وأشار إلى أن النساء يملن إلى استخدام أشكال صوتية أكثر من اللغة القياسية، وأن الجنس هو المجتمع الرئيس الأكثر تأثيراً الذي يحكم اختيار الكاف ومتغيره (جش) لأنه يتداخل مع حالة المتحدث الاجتماعية والاقتصادية والمخاطب والعمر وتأسيس أنماط معقدة من الطبقات الاجتماعية.

ونجد دراسة أخرى عن نفس المتغير في نفس النطاق أجراها محمد سلمان ٢٠١٦م^(٣)، على التنوع اللهجي لقبيلة عنزة البدوية في المملكة العربية السعودية، وأوضح أن صوت (جش) يستخدم بشكل قاطع في حديث أعضاء هذه القبيلة داخل نطاق القبيلة، ظهر هذا في كثير من الأحيان في نسبة عالية في حديث الأكبر سناً وكذلك الشباب، وبيّنت الدراسة أن استخدامه انخفض بشكل كبير لصالح متغير الكاف في المجتمعات المستقرة.

وفي نفس النطاق أيضاً، ناقشت نوره أبوعين ٢٠١٦م^(٤)، التنوع في ملمحين نطقيين

(1) Dashti, 2017.p. 27.

(2) Qadan, & Shehab.2016.

(3) El Salman, 2016.

(4) Abu Ain, 2016.p. 161.

حورانين تقليديين في لهجة سحام في شمال الأردن في علاقة مع ثلاثة عوامل اجتماعية: العمر والجنس، وكمية الاتصال، وثلاثة عوامل لغوية هي: مركز المقطع، والبيئة السابقة، والبيئة التالية وحللت مادتها في إطار نموذج التنوع باستخدام المنهج الإحصائي Rbrul، وتوصلت إلى تنوع وتغير واسع في التطور في استخدام كلا الملمحين مقيدة بالعوامل الاجتماعية. وفي الملمحين وجدت أن الإناث الصغيرات يقدن التغيير نحو التنوع المحلي مفسرة ذلك بالتغيرات التي مارسها المجتمع المحلي كنتيجة للتحضر والتمدن.

ودرست غالبية المبارك، ٢٠١٦م التنوع اللساني الاجتماعي في عريية الإحساء^(١)، حيث ركزت على كيفية تأثير عوامل اجتماعية مثل الانتماء الطائفي، والعمر، والجنس، والتعليم على التنوع اللغوي في المستويين الصوتي والصرفي في حديث عينة من متحدثي منطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية، ووجدت أن بعض التغيرات هي مؤشر يحدد الطبقات الاجتماعية في حين أن بعضها هو علامة على القيمة الاجتماعية، وأن بعض التغيرات يُقيد استخدامها بحسب الجنس وخاصة الذكور لارتباطها بالمكانة في حين أن الإناث يستخدمن نمطا لغويا يميل إلى التحضر، كما أن هناك اختلافات لغوية مرتبطة بالمجموعات الطائفية وخاصة عند كبار السن.

من خلال استخدام منهجية التنوع والطرق اللسانية الاجتماعية الكمية لفهم التطورات اللغوية التاريخية عمدت خيرية القحطاني ٢٠١٥م، في دراستها اللسانية الاجتماعية للتنوع اللهجي لتهامة قحطان في عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية^(٢)، إلى إجراء تحقيق اجتماعي لغوي يدرس الاختلاف في استخدام ملمحين صوتيين ساميين قديمين احتفظ بهما التنوع اللهجي لتهامة قحطان في قريتي الجوه في المرتفعات والفرسة في الأراضي المنخفضة في عسير وهما (الضاد) وأداة التعريف (إم) وهما من الملامح السامية القديمة، وتم ذلك في إطار نموذج التنوع اللساني الاجتماعي باستخدام النموذج الإحصائي Rbrul

(1) Al - Mubarak, 2016. p. 410 - 412.

(2) Alqahtani, 2015.p. 224 - 228.

إضافة إلى البيئة اللغوية والعمر والجنس كمتغيرات مستقلة. وقد حلت الدراسة تأثير الموقع الجغرافي في بنية ومسار تغيير اللغة وأظهرت أن هناك اختلافاً كبيراً في استخدام كلا المتغيرين، حيث تأثرت بنية هذا التنوع بالعوامل الاجتماعية واللغوية والمكانية، كما أظهر التحليل الكمي أن هذا التغيير تقوده النساء الأصغر سناً في كلا المجتمعين في حين تخلف الرجال بشكل عام والنساء الأكبر سناً إلى الوراء في هذا التغيير، واقتصرت التغيير في أداة التعريف (إم) على الأراضي المنخفضة فقط وكانت القيادة أيضاً فيه للنساء الأصغر سناً. وأظهر التحليل الكيفي أن الطموح، والمواقف والهوية القبلية، والتنقل تؤثر في الاختلاف في استخدام السمات اللغوية التقليدية.

تقودنا نتائج دراسات التنوع اللغوي أعلاه إلى ملاحظة أن اختيار التنوعات اللغوية للمتغيرات الاجتماعية ليست عشوائية، حيث تعتمد على التفاعل بين التنوع اللغوي والموقف، والأيديولوجية، والمكانة والهوية، والشعور بالانتماء، والحدثة والتحضر، وأن أنماط التنوع اللغوي تحدث على وجه التشابه وليس التطابق بالضرورة في المجتمعات والمناطق العربية، ومثل هذه الأنماط تعرض اتجاهات التقارب والاختلاف ليس بحسب المتغيرات اللغوية الاجتماعية فقط، ولكن أيضاً بحسب العوامل السائدة التي يبدو أنها تؤثر في تشكيل الحالة اللغوية في العالم العربي (الحالة السياسية، الحروب، الاحتلال، السلام، النزاعات الداخلية، تغير السلطة، الربيع العربي، العرقيات، الجوانب الاجتماعية كالتحضر، والهجرة، والحالة الاقتصادية، والعوامل الثقافية، والإعلام، والعولمة)، وعلى الرغم من الدور البارز الذي تؤديه هذه العوامل في تحديد طبيعة الأرضية اللغوية في العالم العربي، فإنها لا يمكن أن تقود بسهولة إلى تحليل كمي قياسي؛ ولذلك فإن هناك حاجة إلى تفسيرات نوعية تسير جنباً إلى جنب مع المؤشرات الكمية والارتباطات عند دراسة طبيعة التنوع اللغوي في العالم العربي. وتتوافق هذه الرؤية مع طرح حسن عبد الجواد وعادل أبو رضوان ٢٠١٣م، حيث يريان أن المتكلمين يمتلكون عدة طبقات من العناصر اللغوية التي يمكنهم الاختيار منها والمزج فيما بينها وفقاً لمجموعة من العوامل الاجتماعية واللغوية والأسلوبية، كما أن اختيار هذه العناصر اللغوية وترتيبها يتم وفق

التسلسل الهرمي بحسب الحساسية الاجتماعية، والطبيعة اللغوية؛ ولذلك يدعوان إلى إعادة الاعتبار لمفهوم المجالات كما اقترحه فيرجسون ١٩٥٩م، من خلال تقسيم فرعي للمجالات المختلفة إلى وحداتها التفاعلية الصغرى للتحليل باتباع وحدات تحليل هائمز ١٩٧٤م، (الحالة، الحدث، الفعل) محتجين بأن طبيعة التنوع واتجاهه تحددهما غالباً هذه التقسيمات الفرعية^(١). ويمكن القول إن نموذج التنوع اللغوي الذي يتوخاه عبد الجواد ورضوان ٢٠١٣م، يقترح وجود طبقات منفصلة تحددها قواعد حدوث صارمة مختلفة وظيفياً، ووجود متغيرات إضافية تحددها التنوعات والعناصر اللغوية؛ وعليه فإنه يبدو أن كل متغير لغوي له حياته الخاصة به، ولديه عادةً مجموعة من القيم حيث إنه يتضمن تكرار الحدوث لتنوعات فردية في الخطاب الموسع.

نقطة أخرى مهمة ينبغي الإشارة إليها في المنهجية النظرية التي اعتمدتها الدراسات أعلاه في قياس متغير التنوع والتغير اللغويين بالتقاطع مع المتغير الاجتماعي وهو الطبقة الاجتماعية، فالطبقة الاجتماعية في الدراسات اللسانية الاجتماعية الغربية تختلف في مفهومها عن نظام الطبقة الاجتماعية القائم في عالمنا العربي الذي يعتمد على القبيلة؛ ومن ثم فإن التحضر في مفهومه العربي قائم على الانتقال من البداوة إلى المدنية في حين يحمل في العالم الغربي دلالات أيديولوجية أخرى مختلفة مما يجعل التغير مختلفاً، حيث إن قضية الأيديولوجية وتأثيرها في تشكيل الطبقة الاجتماعية قضية مؤثرة في موضوع التنوع والتغير اللغويين من حيث إن الإيديولوجية اللغوية هي رابط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية.

وقد حاولت بسيوني ٢٠١٤م^(٢)، البحث في العلاقة بين اللغة والهوية في مصر وذهبت إلى أن اللغة والهوية لا يمكن فهمهما بالكامل عبر دراسة الممارسات اللغوية فقط. فاللغة عبارة عن مستخلصات وهي تعامل على أنها متغير اجتماعي خالص دون اعتبار

(1) Abdeljawad, & Abu Radwan, 2013. p. 24

(2) Bassiouney, 2014.

وظيفتها. فينظر إلى التنوع العامي المصري كرمز واحد مترابط وينظر إلى التنوع العربي القياسي كرمز مثالي صاف، في حين تشكل الأيدولوجيا في العادة نمطاً معقداً خاصة في المواقف المتناقضة في بعض الأحيان والعادات اللغوية المختلفة. وتجادل بأن تمثيل المصدر اللغوي يتم في عمليتين مختلفتين: عملية التجريد وعملية التجلي، وتذهب إلى أن عملية التجريد تمثلت في شكل الحديث عن اللغة في الخطاب العام، والصراع للوصول إلى اللغة بشكل مثالي مجرد. وتشير عملية تجلي اللغة إلى كيفية استخدام اللغة للربط بين الأفراد في كيان قوي ومترابط يمثل الهوية.

يمكننا أن نستخلص من العرض السابق أن اللسانيات الاجتماعية العربية بدأت وصفية من خلال جمع التنوعات اللهجية، وتسجيلها، واستعراضها، وتحديد أنماطها، وحدودها؛ ومن ثم بدأت التحول إلى منهجية أكثر حداثة من خلال الانتقال إلى دراسة التحول اللهجي والثقافي في المجتمعات وقياس متغير التحضر والتأثيرات التي نشأت بفعله هذه التنوعات اللهجية.

ويتضح من الدراسات التجريبية السابقة التحول الذي يطرأ على التنوعات اللهجية العربية بفعل متغير التحضر لصالح ملامح التنوعات اللهجية المدنية وخاصة في المستويات الصوتية. وهو ملمح عام للتنوعات اللهجية العربية حيث إن هذه الدراسات أجريت في بلدان عربية مختلفة.

عموماً يمكننا أن نستخلص مما مررنا به في هذا البحث أنه تحفّ باستخدام اللغة عوامل ومتغيرات اجتماعية تؤثر في التنوع اللغوي الذي ينبّه على الاختلافات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمع الحديث الواحد أو منطقة جغرافية محددة. ويتحقق التنوع عبر الممارسات اللغوية للمتحدثين ضمن إطار اجتماعي معين، إضافة إلى ذلك يتفاعل هذا التنوع والتغير مع الفئات الاجتماعية التي تحدد الهويات الفردية والاجتماعية للمتحدثين، كأفراد وكأعضاء في الجماعات الاجتماعية^(١). ولعل المبحث القادم يلقي

(١) الغالي، ٢٠١٨، ص ١١٣٨

الضوء على هذا بتركيز شديد على العوامل الفاعلة في التنوعات اللغوية، وعلاقة التنوع اللغوي بالمتغيرات الاجتماعية وتحديد الطبقة الاجتماعية، والتعليم، والعمر، والجنس.

العوامل الفاعلة في التنوعات اللغوية

١. المكانة في التنوعات اللغوية

يقدم مفهوم المكانة prestige في اللسانيات الاجتماعية تفسيراً لظاهرة التباين في الشكل بين المتحدثين للغة أو اللغات. والمكانة هي المستوى الذي يُمنح عادة للتنوع اللغوي داخل مجتمع الكلام مقارنة بالتنوعات الأخرى^(١). وتتجلى المكانة اللسانية الاجتماعية في الحالات التي تُستخدم فيها لغتان مختلفتان أو أكثر، وفي مناطق حضرية ذات طبقات اجتماعية متنوعة حيث من المحتمل أن يكون هناك متحدثون بتنوعات لغوية تتفاعل بشكل دائم. إنّ الرأي السائد بين اللغويين الاجتماعيين المعاصرين هو أنه - بغض النظر عن التصورات بأن تنوعاً لغوياً ما أفضل أو أسوأ من نظيراته - عندما يتمّ تقويم التنوعات اللغوية على أسس لغوية بحتة، تكون لكل التنوعات اللغوية نفس القيمة^(٢). فليس هناك تنوع لغوي أفضل من تنوع آخر سواء نُظر إليه على أنه تنوع لغوي قياسي أو تنوع غير قياسي؛ لأن كل تنوع يخدم غرضه بما يسمح به من تواصل بين مستخدميهِ^(٣). ولكنّ هذا الرأي السائد بين مجتمع اللغويين الاجتماعيين ليس هو الرأي المفضّل لدى عموم جمهور المتحدثين؛ إذ إنّ تنوعات المكانة - في نظرهم - هي التي يعدها المجتمع، الأكثر صواباً أو الأكثر تفوقاً عن غيرها من التنوعات اللغوية الأخرى. فالتنوع ذو المكانة في كثير من الحالات، هو الشكل القياسي للغة مع وجود استثناءات وخصوصاً في حالة المكانة الخفية covert prestige، عندما يكتسب التنوع غير القياسي قيمة خاصة^(٤).

(1) Eckert & Rickford. 2002. p. 2 - 4.

(2) Fasold & Connor - Linton. 2006. p.387.

(3) Wardhaugh. 2006. p.335.

(4) O'Grady et all. 2001. p.70.

وتخضع شروط المكانة المعطاة للتنوع اللغوي وأحكامها للتغير حسب المتحدث، والحالة، والسياق. فالتنوع الذي يعد ذا مكانة في سياق معين، لا يحمل نفس الوضع في سياق آخر^(١)، فالوضع النسبي للتنوعات اللغوية وفقاً للجمهور، والحالة، والعناصر السياقية الأخرى هو محلي بدرجة كبيرة. وتشير المكانة الخفية إلى القيمة الخاصة الموضوعية في الشكل غير القياسي للغة^(٢). وتمنح اللغات المختلفة المكانة لتنوعاتها اللغوية على أساس عوامل تتضمن: التراث الأدبي الغني، الدرجة العالية لحدثة اللغة، المكانة الدولية الكبيرة، أو مكانة متحدثيها^(٣)، ووجود مثل هذه الصفات من المحتمل أن يعني أنّ هذا التنوع اللغوي يمكن النظر إليه على أنه تنوع لغوي ذو مكانة عالية. وبالمثل فإن التنوع اللغوي الذي له القليل من هذه الصفات أو ليس له شيء منها سوف يعد ذا مكانة أقل، فهناك علاقة قوية بين مكانة مجموعة من الناس والمكانة الممنوحة للتنوعات اللغوية التي يتحدثون بها أو يستخدمونها حيث تتداخل اللغة مع الثقافة^(٤).

وتعد التنوعات غير القياسية عادة ذات مكانة منخفضة، ولكنها في بعض الحالات تتمتع بمكانة خفية بين الذكور في الطبقة الدنيا العاملة^(٥). وتحدث هذه الحالات عندما يريد المتحدث اكتساب التميز، أو القبول، أو التضامن مع مجموعة معينة، وتبيان انتمائه لتلك المجموعة^(٦).

ويعد وليام لافوف أول من قدم فكرة المكانة الخفية. فقد لاحظ أن المتحدثين الذين يستخدمون تنوعات غير قياسية يعتقدون غالباً أن تنوعاتهم سيئة أو رديئة مقارنة بالتنوعات القياسية ورغم ذلك يتمسكون باستخدامها ويصرون على ذلك. وأدرك لافوف أنه يجب أن يكون هناك بعض الأسباب الكامنة وراء تمسكهم باستخدامهم لهذه التنوعات،

(1) Trudgill.1972. p. 194.

(2) Labov.2006. p. 58.

(3) Kloss.1966. p. 143 - 144.

(4) Kahane.1986. p. 498.

(5) Leith.1997. p. 96.

(6) Chambers.1998. p. 85.

وذهب إلى أن ذلك يتمثل في رغبتهم في الإشارة إلى هوية المجموعة وبيان الانتماء إليها. وعلى نحو مماثل لاحظ بيتر تروودجيل أن أغلب النساء من الطبقة العاملة يتحدثن التنوع القياسي البريطاني أكثر من الرجال^(١). وفي سياق العربية ذهبت أبو حيدر أيضاً إلى أن النساء يستخدم التنوع القياسي البغدادي أكثر من الرجال^(٢). ويفسّر تروودجيل ذلك بأنه، بالنسبة للرجال، هناك مكانة خفية مرتبطة بالحديث بالتنوع اللغوي للطبقة الدنيا أو العاملة. ووفقاً لهذا التفسير فإن المرأة تستخدم التنوع القياسي المرتبط بالمكانة الصريحة المتفقة مع ترتيب النظام الاجتماعي اللغوي المألوف، في حين ينحرف الرجال عما هو متوقع مستخدمين نوعاً آخر من المكانة التي ترتبط بملامح يرغبون في إبرازها.

٢. الحداثة والتحضر وتأثيرهما في التنوعات اللغوية

أحد الملامح الرئيسة لاتجاهات التحضر في العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين هو الدور المؤثر للهجرة الداخلية في النمو الحضري. لقد تمت الهجرة من القرى والمناطق القروية والبدوية إلى المدن الرئيسة والمناطق الحضرية بسبب التعليم، ومركزية الوظائف، والصناعات النفطية والتطور الاقتصادي، واللجوء من الدول المجاورة. وظهرت الهجرة في البداية موجهة نحو العواصم، أو المدن والمراكز المهيمنة اقتصادياً، ثم بعد ذلك بدأت في التوسع والانتشار في العديد من المراكز الحضرية الإقليمية والثانوية. ومثل هذا النمو له تأثير في التواصل اللهجي، والتغير والإحلال، ويؤدي التوسع الحضري إلى ظهور أو تركيز التنوعات العامية الحضرية وإلى تغييرات لهجية عديدة، وإلى التفاعل بين التنوعات العامية لتلك المدن والتنوعات العامية الأخرى التي انتقلت إليها.

وتشكل المدن العربية ميداناً مهماً للدراسة اللغوية الاجتماعية بسبب الأسئلة الحاسمة مثل التمثيل المتعارض للغة والحداثة والعلاقة بين اللغة والسلطة والهوية،

(1) Trudgill.1972. p.179.

(2) Abu - Haidar.1989. p. 471.

وحالة التنوعات الموسومة بالعامية مقابل التنوع القياسي الموسوم بالفصح، والدور المحتمل للعاميات العربية وخاصة تلك التي في المدن العواصم كمعيار فوق محلي في المستويات الوطنية والإقليمية. ومن بين حجج الذين دافعوا عن حيوية العاميات الحضرية ومكانتها، فكرة أن التنوعات العامية الحضرية في المدن العواصم تمثل معياراً لغوياً وطنياً، يؤثر في التنوعات العامية المحلية الأخرى أكثر من تأثير التنوع القياسي الموسوم بالفصح^(١).

لقد كانت الدراسات في الستينيات تركز على الاتصال بين التنوعات العربية القياسية والتنوعات اللهجية غير القياسية أكثر منه على الاتصال بين التنوعات اللهجية الوطنية والإقليمية^(٢).

وابتداءً من الثمانينيات شرع عدد من الدراسات في التركيز على التواصل اللهجي في السياقات الحضرية وخصوصاً في فلسطين والأردن (عبد الجواد ١٩٦٨م) وفي البحرين (هولز ١٩٨٧م). وتوسعت دراسة الملامح اللغوية في التواصل وتم تطوير نماذج وطرق منهجية في المغرب والمشرق، وبشكل عام فإن الدراسات الفرنكفونية في مدن شمال إفريقيا فضّلت طريقة تاريخية لهجية، ركّزت على تشكيل اللغات الحضرية^(٣)، أما في مدن الشرق الأوسط فإن معظم الدراسات اتبعت منهجية التباين ودرست التباين اللغوي بناءً على العمر والجنس والطبقة الاجتماعية والتعليم مع تحول حديث إلى الطريقة الإثنية^(٤) مع التركيز على سياق التفاعل والتباين كممارسة اجتماعية^(٥).

(1) Miller. 2004. p. 179.

(2) Miller. 2007. p. 14.

(3) Miller. 2007. p. 17.

(٤) المقصود بالدراسة الإثنية دراسة لغات المجموعات العرقية التي تشكل مجموعة يعرف بعضها بعضاً على أساس أوجه الشبه مثل السلف، اللغة، المجتمع، الثقافة، وعادة ما تكون الإثنية حالة موروثية على أساس المجتمع الذي يعيش فيه الفرد.

(5) Miller. 2007. p. 17.

ويتفاوت الأثر اللغوي للهجرة في المشرق بسبب أنواع مختلفة للتحضر يتعايش بعضها مع بعض. من ذلك، على سبيل المثال، هجرة البدو ليصبحوا جماعة مهيمنة في بغداد (بلانك ١٩٦٤م)، وسيطرة الجماعات القبلية السنية على الجماعات الحضرية الشيعية في البحرين (هولز ١٩٨٧م)، وفي فلسطين والأردن قادت الهجرة واللجوء إلى تداخل التنوعات اللهجية البدوية مع الحضرية. وقد خَلَف كل ذلك أنماطاً معقدة من التنوع مرتبطة بالجنس والعرق والدين إضافة إلى استخدامات سياقية مختلفة. ومن بين الاتجاهات المختلفة التي تَمَّ تسجيلها أن النساء يملن إلى استخدام التنوعات الحضرية في حين يتحول الرجال إلى التنوع القياسي المسمى الفصح (أمارة ٢٠٠٥م)، أو المحافظة عليها خاصة عند المجموعات الريفية والبدوية الأردنية (عبدالجواد ١٩٨٦م)، ومحافظة المسيحيين على التنوعات الحضرية كما في بيت لحم (أمارة ٢٠٠٥م). وتذكر الوعر أن موجات الاستيطان جلبت نخبة حضرية من المدن الفلسطينية والسورية المجاورة، أعقبها قدوم سكان ريفيين عددهم أكبر بكثير إضافة إلى الأردنيين المحليين. وتوضَّح الكيفية التي قاد بها تطور الهوية الأردنية في الحياة السياسية إلى إعادة تعريف المعاني الاجتماعية للملامح اللغوية المحلية. فبينما كانت الملامح الحضرية الفلسطينية تسيطر في العقود الأولى، أصبحت الملامح الريفية البدوية الأردنية مرتبطة بالنفوذ السياسي والهوية الأردنية؛ ولذلك بدأ رجال الحضر الفلسطينيون في استخدام خصائص وملامح التنوعات اللهجية الأردنية في الأماكن العامة^(١). وفي بيروت حوّلت ديموغرافية التوازن السكاني وقسمتها إلى خطوط دينية طائفية: شرق بيروت شيعي وغربها مسيحي ووسطها سني^(٢).

في المملكة العربية السعودية ذهب نجل الغامدي ٢٠١٤م، إلى القول بظهور تنوع لغوي سعودي يتم فيه القضاء على جميع الملامح الإقليمية تقريباً، من خلال التغير الذي وجدته في مستويات عدة حدثت للتنوع اللهجي الغامدي^(٣). ومثل ذلك أيضاً

(1) Miller. 2007. p. 29.

(2) Miller. 2007. p. 30.

(3) Alghamdi. 2014.

اللهجة البلوية السعودية، فهي ليست متغيرة فقط، ولكنها متأثرة بمجموعة من التنوعات اللغوية الحديثة، وذلك باقتراض كثير من العناصر المعجمية من تنوعات عربية مختلفة خارج نطاق القبيلة^(١). وفي التنوع اللهجي لقبيلة عنزة البدوية في المملكة العربية السعودية أيضاً يظهر أن استخدام صوت [ts] قد انخفض بشكل كبير لصالح متغير الكاف في المجتمعات المستقرة^(٢). وذهبت غالبية المبارك، ٢٠١٦م التي درست التنوع اللساني الاجتماعي في عربية الإحساء، إلى أن بعض التغيرات التي طالت هذا التنوع هي مؤشر يحدد الطبقات الاجتماعية في حين أن بعضها هو علامة على القيمة الاجتماعية، وأن بعض التغيرات يُقيد استخدامها بحسب الجنس وخاصة الذكور لارتباطها بالمكانة في حين أن الإناث يستخدمون نمطاً لغوياً يميل إلى التحضر^(٣). وفي الكويت درس عبد المحسن دشتي ٢٠١٧م، تحول الصوت الساكن [ts] إلى صوت الكاف في حديث الكويتيين ودرس الاختلاف بين البدو والسكان المستقرين الحضر، وأشارت نتايج دراسته إلى أن المتغير (جش) يشهد تغيراً بسبب التغيرات والمؤشرات الاجتماعية المرتبطة بالمكانة^(٤).

ويبدو أن الإناث الصغيرات يقدن التغير نحو التنوع المحلي، وتفسر نورة أبو عين ٢٠١٦م ذلك بالتغيرات التي يمارسها المجتمع المحلي كنتيجة للتحضر والتمدن^(٥). ويشرح عبد الله المهيرات ٢٠١٥م، التحول اللهجي من اللهجة البدوية الأردنية إلى اللهجة الحضرية في عمّان، بأن المتحدثين بالتنوع اللهجي البدوي يتنقلون بينه وبين التنوع اللهجي الحضري في معظم المجالات في عمّان، إضافة إلى أن البدو يحولون تنوعهم اللهجي في مكان العمل ومع الجيران ومع الأصدقاء والأقارب، في حين أنهم أقل تحولاً مع أعضاء الأسرة في البيت وأثناء التعبيرات العاطفية الشعورية^(٦).

(1) Albalawi. 2015. p. 71 - 81.

(2) El Salman. 2016.

(3) Al - Mubarak. 2016. p. 410 - 412.

(4) Dashti. 2017.p.27.

(5) Abu Ain. 2016.p. 161.

(6) Almhairat. 2015.p. 69.

وذهب إبراهيم أبو شهاب ٢٠١٥م، إلى أن الأردنيين الذين يعيشون في مدينة إربد يمارسون تحولا متواصلا في لهجاتهم وثقافتهم في اتجاه التنوعات اللهجية الحضرية بسبب الاتصال المباشر وهو نتيجة لتمازج التنوعات اللهجية والعناصر الثقافية المستخدمة في إربد. ويميل معظم الشباب إلى استخدام التنوعات اللهجية المدنية الحضرية؛ لأنها تتمتع بمكانة مرموقة عليا وبمزيد من الاحترام، حيث أوضح أن معظم المشاركين الشباب في المقابلات صرحوا أن التنوعات اللهجية الحضرية المدنية تمنحهم الثقة، بسبب مكانتها الاجتماعية المرموقة^(١).

وعلى نحو مماثل يبدو أن التغيير في التنوعات اللهجية في الجزائر تجلّى في اختلاط بعض المتغيرات المحلية وغير المحلية والاتجاه نحو التبسيط، وأن المواقف اللغوية والمكانة تؤثر في هذا التغيير^(٢). ويتّضح من الدراسات التجريبية السابقة التحول الذي يطرأ على التنوعات اللهجية العربية بفعل متغير التحضر لصالح ملامح التنوعات اللهجية المدنية وخاصة في المستويات الصوتية^(٣).

وتشكل الحداثة عاملا أيديولوجيا قويا في تشكيل مواقف المتكلمين وتحديد المواقع، ففي المغرب تم تقديم قضية الحداثة بصورة بديهية في تحفيز المواقف تجاه اللغة الفرنسية ولغات محلية أخرى. ويعد عمل بن تاهيلا ١٩٨٣م، أساسيا حول مواقف اللغة الصريحة والخفية فيما يتعلق بالثنائية اللغوية في المغرب من حيث تحديد الدوافع الموقفية التي توجه حضور العربية القياسية واللغة الفرنسية في المغرب. يبدو أن التوزيع التواصلي للعربية القياسية والفرنسية يتمحور ضمن إطار الحداثة؛ إذ ترتبط العربية القياسية بنطاقات وظيفية منخفضة وبأهداف اتصالية تمثل الثقافة والهوية العربية، في حين ترتبط الفرنسية بالمؤسسات والمجالات الوظيفية العالية، وتلخص النظرة الحديثة للمجتمع، والدافعية الفعّالة، وتعكس العادات الثقافية الغربية^(٤).

(1) Abushihab. 2015.p. 84.

(2) Kherbache. 2017.p. 238.

(٣) انظر في هذا الغالي، ٢٠١٨، ص ١١٤٢.

(4) Bentahila.1983. p. 165.

وظهر التقسيم الطبقي للمواقف اللغوية الصريحة في أعمال العديد من الباحثين في مجال اللسانيات الاجتماعية بشكل مشابه، فأعمال الناجي ٢٠٠٥م^(١)، ومارلي ٢٠٠٤م^(٢)، على سبيل المثال أظهرت التفاعل بين العربية القياسية والفرنسية كرمزين لغويين يحكمهما الإصرار القديم على الحفاظ على الأصالة الثقافية والحاجة الحديثة لاحتضان التقدم، وإملاء الضرورة لتحقيق حراك اجتماعي. ونجد خطأ مماثلاً عند محسن ١٩٩٥م^(٣)، التي وجدت في دراستها مواقف متناقضة تجاه العربية القياسية، في مقابل اللغة الفرنسية التي جسدت المعاصرة^(٤). وذكر الناجي ١٩٨٨م، أنه تم التركيز في المغرب على اكتساب العربية القياسية، وكان التعريب مدفوعاً بالانتماء الثقافي أكثر من اكتسابه بوصفه أداة لغوية، وأن محاولات التعريب في المغرب فشلت بسبب تركيزها على عناصر من الماضي، في حين أن الطريق للمعاصرة تركت من غير منازع للغة الفرنسية^(٥).

٣. المواقف اللغوية وتأثيرها في التنوعات اللغوية العربية

يعتمد المجتمع اللغوي على المواقف اللغوية الجماعية، فإذا عرفنا مواقف الفرد فسنكون قادرين على التنبؤ بسلوكه الخاص في علاقته بهذه المواقف^(٦). فتغير الصوت أثناء الكلام مثلاً، يتأثر بما يفضلُه المجتمع اللغوي^(٧). والمواقف تجاه اللغة غالباً ما تكون انعكاساً للمواقف تجاه أفراد الجماعات المختلفة، ولها أثر في مدى فهم التنوعات اللغوية^(٨)، وإذا كانت هذه الارتباطات بين المواقف والظواهر الاجتماعية الأخرى حقيقية، فإن لدراسة المواقف اللغوية مكاناً مهماً في اللسانيات الاجتماعية^(٩).

(1) Ennaji.2005.

(2) Marley.2004.

(3) Mouhssine.1995.

(4) Mouhssine.1995. p. 53.

(5) Ennaji.1988. p. 35.

(6) Labov. 1966.

(7) Cooper & Fishman,1974. p.5.

(8) Wolff. 1959.

(٩) فاسولد، ترجمة إبراهيم الفلاي، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٨.

ويعد استكشاف المواقف اللغوية في مجتمع معيّن أمراً بالغ الأهمية لفهم المعنى الاجتماعي للتنوعات اللغوية المختلفة ضمن المجتمع، وقد أشار أوبيولس ٢٠٠٢م إلى أهمية البحث في المواقف اللغوية في اللسانيات الاجتماعية التي تشمل التنبؤ بسلوك له ارتباط باختيار لغة معينة في مجتمعات متعددة اللغات، أو بالولاء اللغوي، أو بالمكانة اللغوية^(١). وذهب لامبرت وآخرون ١٩٦٠م إلى أن الموقف تجاه أعضاء مجموعة لهجية معينة يجب أن يعمم إلى اللغة التي يتحدثونها حيث إن "اللغة المحكية هي ملمح مميز لأعضاء مجموعة قومية أو ثقافية"^(٢). وعرف البريني ٢٠١٦م المواقف اللغوية بأنها "ردود فعل تقييمية اجتماعية ونفسية نحو لغة معينة، أو تجاه متحدثي تلك اللغة"^(٣).

واهتم اللسانيون الاجتماعيون بالمواقف اللغوية؛ لأن اعتقادات المجموعة حول اللغة هي دائماً في قلب الإحساس بهوية المجموعة^(٤). وغالبية البحث الحديث في هذا الموضوع يقع ضمن أيديولوجيا اللغة^(٥)، التي يعرفها إيرفن ١٩٨٩م، بأنها «النظام الثقافي للأفكار حول العلاقة اللغوية الاجتماعية جنباً إلى جنب مع تضميناتها الأخلاقية والسياسية»^(٦). ويلقي تعريف إيرفن الضوء على عدة جوانب مهمة للأيديولوجيات اللغوية، فهي لا تمثل مواقف منفصلة أو معزولة، ولكنها تعمل كأنظمة وتربط جوانب اللغة مع التنظيم الاجتماعي. وهكذا فإن أعضاء مجتمع ما يمكن أن يسود بينهم اعتقاد بأن لغة معينة أو تنوعاً لغوياً ما، هو الأنسب لوظائف بعينها أو سياق معين، وعلى نحو مشابه يمكن أن يروا أن تنوعاً لغوياً بعينه يقود إلى الحداثة أو الوحدة في كيان معين، مما دعا اللسانيين الاجتماعيين إلى الاهتمام بأنظمة الاعتقادات حول بنية اللغات وكيفية تنظيم المجتمع لها^(٧). وقد أوضحت جاريت

(1) Obiols.2002. p. 1.

(2) Lambert, et al. 1960. p. 80.

(3) Albirini. 2016. p. 28.

(4) Kroskrity.2004. p. 511.

(5) Walters. 2006. p. 651.

(6) Irvine.1989. p. 255.

(7) Walters. 2006. p. 651.

٢٠١٠م أن الموقف اللغوي يكون حاضراً في تواصلنا اليومي لصياغة ردود أفعالنا نحو متحدثي اللغات الأخرى، ويساعدنا لتوقع ردود فعل أخرى نحو اختياراتنا اللغوية^(١).

وللمواقف دور مهم في مساعدتنا على فهم ما يشعر به المتحدثون باللغة، حيث إن الموقف اللغوي يقربنا أكثر إلى فهم الأيديولوجيات اللغوية للمتحدثين وكيف تؤثر هذه الأيديولوجيات في اللغة. فعندما تكون وجهة نظر متحدثي اللغة إيجابية أو سلبية فإن الباحثين - كاللسانيين الاجتماعيين - يشيرون إلى وجهات النظر هذه كمواقف لغوية، وفي بعض الأحيان كأيديولوجيات تلقي الضوء على القيم التي يمتلكها المتحدث نحو اللغة التي يتحدثها أو اللغات الأخرى. وتشير هيري ١٩٩٧م، إلى أهمية الموقف اللغوي عند دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي بقولها «إن جزءاً مهماً من دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي هو استقراء مواقف المتحدثين من تنوعات الحديث المتاحة في الذخيرة اللغوية في مجتمعاتهم»^(٢). ويتضمن الموقف اللغوي كل القيم غير الواعية التي يربطها المتحدث باللغة، وهذه القيم تقود المتحدثين لصياغة آرائهم حول ما يعد ملائماً أو غير ملائم من طرق الحديث. وهكذا، فإن استقصاء مواقف الناس حول اللغة هو مجال مثير للاهتمام، يمكننا من خلاله فهم التوزيع الاجتماعي للتنوعات اللغوية واتجاهات تطور اللغة، كما أنه أيضاً يقربنا لطبيعة قابلية التغير اللغوي في مجتمع بعينه، حيث إن الاتجاهات نحو التنوعات اللغوية المختلفة يمكن أن تكون على سبيل المثال السبب وراء استخدام تنوعات بعينها في مجالات معينة، كما أن وجهات نظر المتحدثين حول اللغة تربط أيديولوجياتهم اللغوية بسلوكهم اللغوي، مما يعني أن تعليم اللغة والنجاح وحتى الفشل يمكن أن تكون نتيجة مباشرة للكيفية التي يشعر بها المتعلمون باللغة^(٣).

(1) Garrett. 2010.

(2) Haeri.1997. p.193.

(3) Walters. 2006. p. 652.

والمواقف اللغوية موضوع متشابك في البلدان الناطقة بالعربية بسبب الطيف الكبير من التنوع اللغوي الذي تحكمه مجموعة من الأفكار والأيدولوجيات؛ ولذا انصرفت عناية اللغويين الاجتماعيين إضافة إلى التركيز على التنوع اللغوي إلى دراسة مواقف الناس من الأشكال والتنوعات اللغوية، والأيدولوجيات التي ينمونها حولها. ويقسم أوينز (2001م) في مراجعته للدراسات اللسانية الاجتماعية العربية، الدراسات حول المواقف في اللغة العربية إلى قسمين: مجموعة شرق البحر الأبيض المتوسط ومصر حيث تنمو المواقف اللغوية ويتم التحقيق فيها في إطار العلاقة بين التنوع العربي القياسي الموسوم بالفصح والتنوعات العربية المنطوقة العامية، والمجموعة الأخرى تضم الدراسات في شمال إفريقيا وغرب البحر الأبيض المتوسط حيث تسيطر اللغة الفرنسية فتطغى على العربية القياسية والعربية المنطوقة؛ ومن ثم توصل إلى أن مشاكل اللغة التي نوقشت في المجموعتين مختلفة جداً⁽¹⁾.

إن الظاهرة اللغوية الأكثر بروزاً ضمن الحالة اللغوية في العالم العربي هي تعايش التنوع العربي القياسي الموسوم بالفصح جنباً إلى جنب مع العديد من التنوعات اللهجية الوطنية والتنوعات الإقليمية التي تسمى في العربية بالتنوعات العامية. ولقد أولى اللغوي الاجتماعي الأمريكي المعروف تشارلز فيرجسون (1959م)، اهتماماً خاصاً بالتنوع اللغوي والمواقف في العالم العربي، فعمله المميز حول الازدواجية شرع الأبواب واسعة للباحثين من بعده لإجراء المزيد من الدراسات في هذا الحقل.

ورسم فيرجسون تمييزاً ثنائياً بين الصيغة القياسية العالية، واللهجة الدنيا المنخفضة ودرس المواقف اللغوية وآراء الناطقين بالعربية واصطلح على هذه الآراء والمواقف بالأساطير (myths)، وأوضح المواقف العامة تجاه اللغة العربية التي يمكن تمييزها بمشاعر أثيرة نحو العربية القياسية بسبب جمالها، وثرأ مفرداتها بشكل استثنائي، وبنيتها النحوية المتناسكة، وقدسيتها كونها لغة للقرآن. أما بالنسبة لمختلف أشكال اللغة العربية اللهجية

(1) Owens.2001. p. 455.

وتنوعاتها العامية الأخرى، فقد أشار فيرجسون إلى طبيعتها الموصومة بالدونية، والطريقة التي ينظر بها المتحدثون إليها، مقارنة بالتنوع القياسي الفصحى.

ويمكننا أن نذهب إلى أن الازدواجية التي وجدت في العربية تمثل التجسيد الكامل لأيديولوجيا اللغة المتمثل في تبجيل اللغة القياسية. فالفصحى مشبعة بقوة عاطفية وأيديولوجية، حيث إن هناك قلقاً دائماً من التلوث اللغوي بسبب الاقتراض المعجمي من اللغات الأخرى، ومن التنوعات اللغوية لغة نفسها، ومن التأثير البنوي والأسلوبي المجلوب من تلك اللغات ومن تنوعات العربية نفسها. وهذا القلق يوفر دليلاً قوياً على الرغبة في إيقاف التنوعات اللغوية وقمعها. من جهة أخرى ولّد هذا الموقف العام ردة فعل لدى مستخدمي هذه التنوعات أو المدافعين عنها، تذهب إلى الدفاع عن اللهجات والتنوعات اللغوية المختلفة، والدعوة إلى تطويرها كطريقة للتغلب على التحديات العملية الحقيقية التي جاءت بها الازدواجية العربية سواء من حيث تقييس التنوعات اللهجية وتعلّمها، أو جعلها لغة تعزّز الحياة اليومية والثقافة الوطنية المعاصرة^(١).

وفهم مثل هذه التشكيلات البنوية للمواقف والأيديولوجيات يساعد على معرفة النتائج في البحث عن المواقف من اللغة العربية وتنوعاتها اللغوية، فاستطلاعات المواقف المستندة على الاستبانات سواء باستخدام الأسئلة المباشرة أو الأداء المقارن بين التنوع القياسي المسمى الفصحى والتنوعات العربية الأخرى غير القياسية تظهر نتائج لصالح الأول. ويمكن التمثيل على ذلك بدراسة حسين والعلي ١٩٨٩م التي صنفت عينتها العربية القياسية أعلى وضعاً في مقابل ثلاث لهجات عربية محلية متحدثة^(٢). وكذلك دراسة السواعي ١٩٩٤م، التي صنفت عينتها المتغير المرتبط بالفصحى (ك) بالأكثر أناقة مقارنة بتلك المرتبطة بثلاثة تنوعات لهجية محلية للعربية^(٣). وأظهرت دراسة عبد الحق ١٩٩٨م أن تنوع الفصحى كان رائعاً بالنسبة

(1) Walters. 2006. p. 655.

(2) Hussein & El - Ali. 1989.

(3) Sawaie. 1994.

للتنوعات الأخرى بسبب جمال المستوى الفصيح وأنه يشير إلى أن الشخص متعلم بشكل جيد، ممّا قاد عبد الحق ليستنتج أن "استخدام العامية يعدّ وظيفياً ولا يستلزم التعلّق والولاء"^(١). وقد علّق كيث والترز ٢٠٠٦م، على هذا الاستنتاج بأنه مفرط في التبسيط وبأنه من خلال النظر إلى نتائج البحوث الأخرى، يتبيّن أنّ العرب عموماً يفضّلون لهجاتهم الوطنية أكثر من اللهجات العربية في مناطق أخرى، وهو دليل واضح على التعلّق والولاء عند الكثيرين^(٢).

أمّا ما يتعلّق بالمواقف من الاختلافات الإقليمية والتنوعات الاجتماعية للعربية المنطوقة، فإن الناطقين الأصليين في كل بلد من بلدان العالم العربي يبدون مواقف قوية من كيفية نطق التنوعات اللغوية الأخرى، والمجموعات الاجتماعية، ومجتمعات الحديث داخل بلادهم والناطقين في الأقاليم المختلفة. وكثيراً ما تصبح المواقف اللغوية مكونات لأنماط موقفية وصوراً نمطية يكوّنونها حول هذه المجموعات المختلفة، وفي هذا السياق تأتي دراسة هيربلش ١٩٧٩م، التي قارنت الاستجابات للتنوعات اللهجية المصرية والسورية والسعودية والليبية، من خلال عيّنة من ثمانين مقوّمًا من الذكور والإناث من الدارسين بالجامعات المصرية. وقد رتّبوا التنوعات اللهجية على النحو التالي: المصرية، فالسورية، فالسعودية، فالليبية. وأوضح هيربلش أن المقوّمين غالباً ما يحدّدون هوية المتكلمين بشكل غير صحيح؛ وعليه كان تصوّر المتحدث نحو الهوية المتصورة يؤثر في موقفه ثمّ في الترتيبات المختلفة، أكثر من الهوية الحقيقية أو التنوع اللهجي الأصلي الحقيقي^(٣)، وهذا يعني أنّ المقوّمين تقوّدتهم افتراضاتهم حول ما تبدو عليه مجموعة معينة بدلاً مما يبدو عليه أعضاء هذه المجموعة في الحقيقة. ووجدت زينب إبراهيم ٢٠٠٠م في دراستها المطبقة على سبعين من الذكور والإناث تخرجوا من الجامعة في مصر

(1) Al - Haq.1998. p. 35.

(2) Walters. 2006. p. 657.

(3) Herbolich.1979. p. 317.

والمغرب، أن المصريين وبأغلبية ساحقة صنفوا تنوعهم اللهجي على أنه الأجل^(١).

ودرست العيسى ٢٠٠٩م التنوع اللغوي لمتحدثي المجتمع النجدي الذين رحلوا إلى الحجاز، فوجدت أن النساء النجديات الكبيرات يحافظن على التنوعات النجدية أكثر من الرجال. وفي مقابل ذلك فإن المشاركات من النساء الصغيرات يستخدم التنوع الحجازي أكثر مما يفعل الرجال. وبررت هذا الاختلاف بتأكيد أن الجيل الأصغر من المتحدثين في المجتمع النجدي يتميّز بتواصل أكبر مع التنوع اللهجي الحجازي^(٢).

ودرست حسينة العبدلي ٢٠١٧م، المواقف تجاه اللهجة الجنوبية بين المتحدثين من المنطقة الجنوبية الذين يعيشون في جدة، وتكونت عينتها من ٥١ شخصاً ملاًوا استبانة بشأن مواقفهم من لهجتهم الجنوبية، كما تحققت الدراسة من استخدامهم لتنوعهم اللهجي الجنوبي أثناء اتصالهم بالتنوع اللهجي الحجازي، وبيّنت الدراسة أن الجنوبيين أظهروا مواقف إيجابية نحو تنوعهم اللهجي الخاص وكان هناك ترابط إيجابي بين مواقفهم من تنوعهم اللهجي ومستوى استخدامهم الذي أفصحوا عنه. وذهبت إلى أن التنوع اللهجي الجنوبي يمثل علامة قوية لهوية المتحدثين الجنوبيين عند اتصالهم مع التنوع اللهجي الحجازي، وأنهم فخرون بخلفيتهم وتنوعهم اللهجي الذي ينتمون إليه. وهي تفسر ذلك بانتشار التضرر في المنطقة الجنوبية، وبتقديرهم للأصالة والتراث الذي تمثله هذه المنطقة، كما أنهم يشعرون بالأمن اللغوي لقرب تنوعهم اللهجي الجنوبي من التنوع العربي القياسي لا سيما في الجانب المفرداتي. وقد ذهبت إلى أن النتائج لم تكشف عن اختلاف كبير في المواقف من التنوع اللهجي الجنوبي بين المشاركين الجنوبيين الذين ولدوا في المنطقة الجنوبية أو في جدة، لكنها أشارت إلى أن المشاركين الذين ولدوا في جدة أبلغوا عن استخدام أقل للتنوع اللهجي الجنوبي من أولئك الذين ولدوا في منطقة الجنوب، وتعزو ذلك إلى الاتصال المكثف بالتنوع اللهجي الحجازي الخاص بالمنطقة المضيفة^(٣).

(1) Ibrahim.2000. p. 24.

(2) Al - Essa.2009. p. 218.

(3) Alabdali.2017. p. 49 - 50.

٤. المتغيرات الاجتماعية وارتباطها بالتنوعات اللغوية

عندما نستخدم اللغة فنحن نكشف عن خصائص تتعلق بعمرنا وجنسنا ومستوانا التعليمي، وطبقتنا الاجتماعية وعرقنا وغير ذلك. وكل من هذه الخصائص تكشف أيضاً عن خصائص ثقافية أو تاريخية، أو اجتماعية معينة للمجتمعات والمناطق والفترات الزمنية التي شكلت هويتنا، وهذه الخصائص الفردية ذات صلة بالمجموعة التي ينتمي إليها الفرد. واللغة بهذا المفهوم تحدد المجموعات التي ننتمي إليها والتي نحن على اتصال بها، إضافة إلى المناطق التي عشنا بها سابقاً، فالتنوعات الإقليمية التي تتمثل في التنوعات اللغوية الفردية تعكس هوية المتكلم وتعكس عدداً من الخصائص الاجتماعية الأخرى^(١). وبمقارنة أنماط الاستعمال في المجموعات المنتجة للتنوعات اللغوية يستطيع اللغويون الاجتماعيون التعرف على الفروق طبقاً للعوامل الاجتماعية ووصف الفروق وفقاً لذلك، مما ينتج التعرف على التغيرات التي تحدث، والمجموعات التي تقود ذلك التغير. ومجموعات المتكلمين التي يتم دراستها لاكتشاف تلك الفروق وتلك التغيرات هي مجموعات ممثلة للمجتمع الكلامي، وأعضاء المجتمع الكلامي يتمثلون في مجموعة الناس الذين يشتركون في أعراف التواصل ذاتها، مع إدراك أنه لا ينبغي القول بأن كل المتكلمين في مجتمع الكلام يستخدمون الصيغ اللغوية بالطريقة نفسها، فالفكرة هي أن أعضاء المجتمع الكلامي يشتركون في الأعراف نفسها لتقويم استعمال تلك الصيغ^(٢). وتعميد مفهوم مجتمع الكلام دعا بعض الباحثين لتغيير الاهتمام من دراسة الخصائص الاجتماعية الكبرى المكونة له، إلى الاهتمام بالنوع ومدى القوة التي تربط الأفراد في مجتمع كلامي واحد، هذه الروابط أو العلاقات تعرف بالشبكات الاجتماعية عند جيم وميلروي، اللذان يعتقدان أن هناك صيغاً متنوعة للاستعمال موجودة في المجتمع الواحد، وأن متنوعاً واحداً لا يكفي لشرح تلك العلاقة المعقدة من التفاعل بين العلاقات الاجتماعية والتنوع اللغوي. ونقلوا الاهتمام من التركيز على

(١) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١١٠.

(٢) انظر تفصيلاً أكثر لذلك، في حديثنا عن مجتمع الكلام في اللسانيات الدقيقة والكلية في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

مقارنة مجموعات المتكلمين، إلى الاهتمام بالتركيز على العلاقات أو الصلات الاجتماعية مع أعضاء المجتمع الآخرين، لكل متحدث منفرداً، ويدعون إلى البحث في إطار الشبكات الاجتماعية وتقديم تفصيلات عن أنواع التفاعلات التي يمارسها الفرد وقوة الروابط بين الفرد ومجموعته الفرعية في مجتمعه، فكلما كانت العلاقة أقوى عكست قيم المجموعة الكلامية^(١).

يذهب ايكرت، ٢٠٠٠م، في دراسته للشبكة الاجتماعية، إلى التركيز على ما يسميه بمجتمعات الممارسة «communities of practice»، ومجتمع الممارسة هو مجموعات أصغر للشبكة الاجتماعية، يتكون من مجموعات تفاعل معينة، يحدث فيها تصنيف للمعاني الاجتماعية من خلال العناصر اللغوية والعوامل الاجتماعية بواسطة أفراد كل مجموعة، وقد لا يشمل هذا المجتمع جميع العوامل الاجتماعية المؤثرة مثل الجنس والعمر والطبقة الاجتماعية، والفئات العرقية المؤثرة في المجتمع الكلامي^(٢).

بغض النظر عن طريقة دراسة مجتمع الكلام، فالثابت أن هناك عوامل اجتماعية متعددة في هذا المجتمع سوف تؤثر في استعمال اللغة، وهذا يتضمن الخصائص الاجتماعية الكبيرة، والعلاقات الاجتماعية المتعددة التي لدى مستعمل اللغة، إضافة إلى خصائص هوية المتكلم الفردية؛ ولذا ينبغي أن نكون مدركين أن العوامل الاجتماعية تؤثر في استعمال اللغة بطرق متعددة^(٣).

ويهدف اللسانيون الاجتماعيون إضافة إلى دراسة التنوع اللغوي، إلى تحليل التغير اللغوي كذلك، ومن أجل ذلك كان هناك اهتمام كبير بدور الخصائص الاجتماعية، مثل العمر والطبقة الاجتماعية والجنس، والتعليم في دراسة تغير اللغة. وإضافة إلى أن التغير في التنوعات اللغوية يتصل بعوامل اجتماعية مثل العوامل السياسية الاجتماعية، والاجتماعية التاريخية وطبيعة الهجرة واستقرار المجتمع، فإنه يتصل بمجموعات اجتماعية محددة، وعلاقات داخل الشبكة

(١) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١١٤.

(2) Eckert, 2000. p. 35.

(٣) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١١٧.

الاجتماعية على أيدي المجموعات الشبابية، والمجموعات ذات المكانة العليا في المجتمع، والنساء، والمتقنين. ويستخدم هؤلاء صيغاً محددة على نحو أكثر تكراراً من غيرهم. ولا ينبغي النظر إلى هذه العوامل التي تقود التغيير بشكل منفصل أو أنها الأسباب الوحيدة للتغيير، ولكن بوصفها واحداً من العديد من العوامل التي تتفاعل لتحديد مسار تغيير اللغة، ولا ينبغي النظر إلى الطبقة الاجتماعية أو العمر أو الجنس بأنها السمة المميزة الوحيدة التي تقود التغيرات اللغوية، ولكن بدلاً من ذلك نعتزف بأهمية تأثير مجموعة من العوامل الاجتماعية يسهم كل منها بدوره، وتتفاعل مع بعضها كمجموعة من العوامل الاجتماعية التي تسهم في هذا التغيير^(١).

٤ - ١ الطبقة الاجتماعية

الطبقة الاجتماعية عامل مهم لتفسير الخطاب اللغوي، ويمكن فهم الطبقة الاجتماعية للشخص من طريقة استخدامه للغة، حيث إن هناك طبقتين رئيسيتين مستخدمتي اللغة، ولاسيما الطبقة التي حظيت بتعليم أفضل وتسمى «الطبقة العليا» في حين أن الطبقة التي تؤدي أعمالاً يدوية وحظيت بتعليم أقل تسمى «الطبقة الدنيا» وغالباً ما يستخدم هذان المصطلحان من أجل تقسيم الطبقات الاجتماعية؛ ولذلك يمكن مقارنة الاختلافات اللغوية بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا، ومن الجدير بالذكر أن الناس يدركون تماماً الاختلافات في أنماط الكلام التي تميز فئتهم الاجتماعية وغالباً ما يكونون قادرين على ضبط أسلوبهم بما يتوافق مع أسلوب طبقتهم الاجتماعية. وعلى الرغم من صعوبة تعريف الطبقة الاجتماعية، فإنه يمكن النظر إليها باعتبار قيامها على خصائص متعددة ذات صلة مثل مستوى التعليم، ونوع الوظيفة والدخل ومكانة السكان المجاورين ونوعيتهم^(٢).

وقد وجد العاملون في مجال اللسانيات الاجتماعية أن الوضع الاجتماعي مهم في التغيير والتنوع اللغوي، فقد وجدوا مثلاً أنه كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية زاد

(١) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبوحيمد، ١٤٤٠هـ..، ص ١٢٠.

(٢) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبوحيمد، ١٤٤٠هـ..، ص ١٣٤.

استعمال التنوع الأعلى الموسوم بالفصح. أي أن الأفراد من الطبقات الوسطى والعليا يميلون إلى استعمال سمات لغوية من سمات التنوع الفصح. وبشكل عام فقد وجدت الدراسات الكثيرة الحديثة علاقة وثيقة بين الفئة التي ينتمي إليها الفرد وأنماطه اللغوية، ويعد هذا المتغير من الأهمية بمكان لدراسة التنوع والتغير اللغوي؛ إذ تكمن فيه الإجابة على تحديد الطبقة المعنية بالتجديد اللغوي، وكيفية الانتشار. وغالباً ما تبدأ الأنماط أو السمات اللغوية الجديدة في الانتشار بين أفراد الطبقات العليا، ومنها يقترضها أفراد الطبقات الأدنى، وإن وجدت بعض الدراسات أن بعض أفراد الطبقات العليا أكثر محافظة على الأنماط اللغوية القديمة، وأكثر معارضة للأنماط اللغوية الجديدة التي تميز اللهجات المحكية^(١). وتشير دراسة سكوايرز ٢٠١٣م، إلى أنه عندما يكون هناك ارتباط قوي بين صيغة ومجموعة اجتماعية معينة، فإن هناك دليلاً اجتماعياً قوياً للفهم، وأن الطبقة الاجتماعية لها دور في تحديد ردودهم، ولها تأثير في استجاباتهم. فأولئك الذين يصنفون من الطبقة العليا أظهروا استجابة لمتنوعات غير معيارية، كما تشير إلى العلاقة المعقدة بين صيغ لغوية معينة معيارية كانت أم غير معيارية، وبين الطبقة الاجتماعية للمتحدث والمشارك^(٢).

لا يمكن مناقشة دراسة التنوعات اللغوية والمواقف اللغوية نحوها، والأيديولوجيات التي تحكم استخدام تلك التنوعات دون استكشاف الدور الذي تؤديه الطبقة الاجتماعية أو ما يسمى بالوضع الاجتماعي في تشكيل الممارسات اللغوية المختلفة وتأسيس معايير الاستخدام اللغوي. ففي حين أن بعض الاختلافات بين التنوعات اللهجية ذات طابع إقليمي، توجد أسباب اجتماعية للاختلافات في التنوعات اللهجية. ففي كثير من الأحيان تختلف التنوعات اللهجية للنخبة في المجتمع الطبقي عن التنوعات اللهجية الخاصة بالطبقات الدنيا (الطبقة العاملة وغيرها)^(٣). والعلاقة

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠١.

(٢) جيسلين، ويم لوخ، ترجمة إبراهيم أبوحيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١٣٦.

(3) Kroch.1978. p. 17.

بين طريقة استخدام المتحدثين للغة ومكانتها الاجتماعية هي أداة معترف بها منذ زمن طويل. فقد ذهب رافين ماك ديفيد إلى أن أهمية اللغة كمرآة للثقافة يمكن إظهارها من خلال الاختلافات اللهجية^(١)، ولاحظ جومبرز ١٩٥٨م أن المجموعات الأدنى مكانة تسعى إلى تقليد أنماط الكلام لدى المجموعات ذات المكانة العليا ومع مرور الوقت تتسبب في تطور المكانة بعيداً عن المعيار الإقليمي، حيث تسعى مجموعات المكانة العليا إلى تمييز نفسها عن المجموعات الأدنى مكانة^(٢).

وتعتمد أعمال لابوف ١٩٧٢م^(٣)، وتروجيل ١٩٨٣م^(٤)، عن الطبقة اللغوية على بنية الطبقة وكون الملامح اللغوية علامات أسلوبية لتوزيع الطبقات الاجتماعية ضمن مكانة الطبقة الوسطى والطبقة العاملة غير ذات المكانة. فقد ذكر لابوف أنه لا يمكن تحقيق تقدم واضح في فهم اتجاهات التغير اللغوي بدون الاهتمام الجاد بدور الطبقة كأحد العوامل الاجتماعية التي تحفز تطور اللغات، وبوجود معايير تحكم الحديث في الطبقات الاجتماعية المختلفة تميل إلى تشكيل المعيار المسيطر الذي يصنف المتحدثين في درجات مختلفة فيما يتعلق بسمات المكانة الصريحة overt prestige مثل التأدب والتطور، والملاءمة الوظيفية. وهو يذهب أيضاً إلى أن شكل حديث الطبقة الدنيا العاملة تتوافر فيه عناصر للمكانة الخفية covert prestige، أو معايير خفية تنسب القيم الإيجابية إلى العامية، مثل الصلابة، والمتانة والخشونة، والصداقة التي يشترك فيها أعضاء هذه الطبقة. ويؤكد لابوف أنه على الرغم من أن الموضوعات في الطبقات المختلفة تختلف في إنتاج تنوعات المكانة هذه، فإنها تتلاقى بشكل موحد من حيث أنماط تحويل أساليبهم، فكلما كانت أساليب الحديث أكثر رسمية زادت احتمالية استخدامهم لتنوعات المكانة الخاصة بحديث الطبقة الوسطى، وهم يافراطهم في استخدام هذه التنوعات في حديثهم،

(1) McDavid.1946. p.168.

(2) Gumperz.1958. p. 670.

(3) Labov. 1972.

(4) Trudgill. 1983.

يظهرون انعدام الأمن اللغوي في استخدام تنوع المكانة الذي يختلف عن الطبقات الدنيا، التي ترى في هذه التنوعات المعيار الذي ينبغي التلاقي والتقارب معه^(١). وهو الأمر الذي يعني أن التنوع اللغوي للطبقة الوسطى يشكل المعيار حيث يسعى متحدثو الطبقة العاملة إلى التلاقي معه. وبالمثل ذهب ترودجيل ١٩٨٣م إلى أن تنوع الحديث غير القياسي يتضمن عناصر للمكانة الخفية التي تمنحها الطبقة العاملة لنفسها^(٢)، مما يعني أن الناس في الطبقة العاملة يبنون أنماطاً للاستخدام داخل رموز وتنوعات مجموعتهم.

إن أكثر المتعلمين تعليماً عالياً وهؤلاء غالباً ما ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية العليا يميلون إلى استخدام ملامح تنتمي إلى اللغة القياسية، في حين أن خطاب الطبقات الدنيا الأقل تعليماً تحافظ على اللهجات الأصلية لتحديثها.

إذن يعد هذا المتغير مهماً في دراسات التنوع اللغوي، وهو يتداخل أحياناً بصورة أو بأخرى مع متغير آخر هو العرق أو الأصل، وخاصة في المجتمعات ذات التركيب الاجتماعي المعقد، التي تتكون من أفراد من جنسيات وأصول مختلفة مثلما نراه في دول شمال إفريقيا، والسودان، والعراق، وسوريا، والأردن، ولبنان. ويمكننا في العالم العربي اعتماد تقسيمات كثيرة حسب الطبقة أو العرق، أو الأصل، والخلفية الحضارية، وأكثر هذه التقسيمات شهرة وأهمية هو التقسيم إلى حضر، وريف، وبدو، وقديماً مَيَز علماء اللغة العرب بين لهجات أو لغات البدو والحضر والريف، ووصفوا لهجات البدو مثلاً بالنقاء أو المحافظة، على عكس اللهجات الحضرية التي تتميز بأنها خليط ومزيج من لهجات ولغات مختلفة^(٣).

(1) Labov. 1972. p.198.

(2) Trudgill. 1983.

(٣) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٢.

٤ - ٢ التعليم

يستخدم مستوى التعليم كمتغير اجتماعي حيث يشير مستوى تعليم الشخص إلى وضعه وطبقته الاجتماعية. وقد افترضت إنعام الوعر ٢٠٠٩م أن المستويات العليا للتعليم تقود إلى التغير اللغوي والسلوك اللغوي الأقل محافظة، وبررت الارتباط بين التغير اللغوي والمستوى العالي للتعليم، بأنه من الشائع في العالم العربي أن ينتقل طلاب الجامعة في كثير من الحالات إلى مدينة أخرى، تاركين مسقط رؤوسهم وعائلاتهم ومجتمعات الحديث الخاصة بهم. ومثل هذه الحركة تؤدي إلى التوسع في الاتصالات الاجتماعية ومجتمعات الكلام ثمّ التعرض للمتغيرات الاجتماعية المختلفة، والمواقف التي من المرجح أنها ستقود إلى تغير اللغة^(١)، لكنها ترى أن التعليم في حد ذاته ليس عاملاً حاسماً، ولكنه يقود غالباً إلى اتساع شبكة الأفراد والتنقل من طبقة إلى طبقة^(٢).

وأشار والترز ١٩٩٦م، إلى أنه نتيجة لانتشار التعليم في دول العالم العربي تغيرت الشعوب العربية بشكل كبير، فقد وفّر التعليم للمجتمعات العربية إمكانية للوصول إلى اللغة العربية التراثية، والعربية الفصحى المعاصرة، وأن استخدام الفصحى التراثية والفصحى القياسية المعاصرة وتحديثها بالتناوب يشير إلى تدريب معين وخبرة حياتية إضافة إلى الالتزام باعتقادات سياسية ودينية واجتماعية مفادها أنّ العرب يجب عليهم الالتزام بالفصحى التراثية والفصحى المعاصرة^(٣). ويتفق رأيها هذا مع ما ذهب إليه إنعام الوعر، أعلاه، مقدمة الوضعية التونسية مثلاً على دور التعليم في التغير اللغوي حيث إن وزارة التربية الوطنية تفرض على المدرسين المتخرجين حديثاً للعمل كمدرسين في المرحلة الثانوية العمل في المناطق الريفية لمدة عامين على الأقل مع الأخذ في الاعتبار أن هؤلاء المعلمين قد قضوا بعض الوقت في المدن الحضرية الكبرى أثناء الدراسة الجامعية. وتوجيههم للعمل في المناطق الريفية وتفاعلهم بلغتهم المختلفة نوعاً ما مع

(1) Al - Wer.2009. p. 634.

(2) Al - Wer. 2002.

(3) Walters.1996. p. 525.

الطلاب، قاد إلى ما أسماه والترز «اللغة العربية التونسية المرتفعة». وذهب الأصلح ٢٠١٨م، إلى أن أصحاب المستوى التعليمي فوق الجامعي، والجامعي، يستخدمون التنوع الفصيح أكثر من نظرائهم الأقل تعليماً من المستوى الجامعي^(١). وكذلك ذهب الغالي ٢٠١٩م، إلى أن أصحاب المستوى التعليمي فوق الجامعي يستخدمون المستوى الفصيح أكثر من أصحاب المستوى التعليمي الجامعي الذين أظهروا استخداماً للتنوع العامي أكثر من نظرائهم أصحاب المستوى التعليمي فوق الجامعي^(٢).

وكثيراً ما يرتبط هذا المتغير بمتغير الوضع الاجتماعي، ويعدّ مثل هذا المتغير من الأهمية بمكان وخاصة في اللغات التي يوجد فيها ما يسمى بالازدواجية اللغوية، كالعربية؛ إذ يكون جيل المتعلمين في تلك المجتمعات أكثر احتكاكاً بالتنوع الفصيح؛ ولذا فهم أكثر استعمالاته، وهذا ما يؤثر في حصيلتهم اللغوية ثمّ ظهور أنماط لغوية تميزهم عن غيرهم، ويؤدي ذلك إلى اختفاء تنوعات لهجية قديمة وظهور تنوعات لهجية حديثة أو على الأقل تضعف الحدود والفواصل اللغوية القديمة ويحل محلها فواصل وحدود من نوع جديد. وكثيراً ما تحدد درجة التعليم الوظيفة التي يحصل عليها الفرد، وهذه بالضرورة لها أثرها في السلوك اللغوي. فكثيراً ما يملئ المركز الوظيفي على صاحبه أسلوباً ونمطاً اجتماعياً معيناً وعلى الفرد أن يعيش ضمن ذلك الإطار الجديد ويتكيف معه، واللغة غالباً ما تكون أحد مظاهر التكيف؛ لأنها غالباً ما تعكس الوضع الجديد^(٣).

٤ - ٣ العمر

يتضح تأثير العمر جلياً في الأنماط الاجتماعية اللغوية عند مقارنة حديث الكبار مع الأطفال. ومن المعروف أن الاختلافات في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء أو العمر البيولوجي هي المسؤولة إلى حد كبير عن هذه الاختلافات، ولكن الاختلاف الموجه

(1) Al Alaslaa. 2018. p. 191.

(٢) الغالي، ٢٠١٩م، ص ٣٣.

(٣) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٢.

اجتماعيا يحدث أيضا في سياق الحياة. وعند مناقشة هذه الاختلافات يمكن الحديث عن ثلاث مراحل تعطي نتائج مهمة وهي مرحلة الطفولة، والمراهقة، والبلوغ، ففي مرحلة الطفولة المبكرة ينظر إلى الأنماط اللفظية غير الناضجة نسبيا على أنها نتيجة للتعلم المستمر للغة، والنمو غير المكتمل للأعضاء الصوتية عند الأطفال ومع ذلك تبدأ أشكال النطق المحلية تتبلور في هذه المرحلة من الاكتساب اللغوي. فالأطفال يبدؤون تطوير كفايتهم الاجتماعية اللغوية في هذه المرحلة المبكرة ويبدؤون في الانخراط في التباينات اللغوية المعقدة ويصبحون على بينة من العلاقة بين الأدوار الاجتماعية والاختلافات اللغوية. ويتعلمون الوظائف الاجتماعية للمتغيرات ويستخدمونها في مواقع بعينها كعلاقات واعية وخصوصا العناصر المعجمية منها.

أما في مرحلة المراهقة فإن مجموعات الأقران تؤثر لغويا عليهم وخصوصا في المتحدثين ويغلب تأثير هذه المجموعات في تأثير البيئة المحلية. ويبدأ الضغط في سن الثانية عشرة بالتعاظم ليقضي على جل الاختلافات اللغوية المكتسبة سابقا، وهذا يخلق نمطا لهجيا محليا يمكن ملاحظته يحصل فيه التغير اللغوي من الأسفل وينخرط المراهقون في بعض المجتمعات في بناء هويات معارضة لمن هم أكبر منهم سنا، وكذلك والديهم.

أما في سن الشيخوخة فمن المفترض أن المتحدث يكون متمسكا بالبنية الصوتية للغة حيث يستخدم المتحدث لغة قياسية بناء على طموحه الشخصي أو ظروفه. ويمكن تمييز بعض المتغيرات الاجتماعية اللغوية خلال هذه الفترة. وعليه يمكن ملاحظة أن فارق السن يشير إلى خصائص تغير اللغة طول الحياة⁽¹⁾.

يعد العمر من المتغيرات الاجتماعية المهمة في الدراسات اللغوية واللهجية والتوزيع اللغوي وخاصة إذا كان الباحث مهتما بدراسة التغير وتحديد مساره وأسبابه ويهتم بالتراث القديم. فكبار السن مثلا يمكن اعتبارهم مصدرا من المصادر اللغوية الأصلية حيث يحتفظ كثير منهم بالسمات اللهجية الأصلية. ويمكن أيضا اعتبارهم المعيار

(1) Holmes, 1992, p159.

لقياس التغير والتنوع اللغوي. فلو أخذنا عينة ممثلة للأعمار لأمكننا اعتبار التنوع اللهجي لكبار السن نقطة البداية التي منها نقيس مقدار مدى التغير والتنوع اللغوي^(١). وخلصت دراسات أخرى إلى أن هناك اطرادا عكسيا بين العمر واستخدام التنوعات العامية، فكلما كان الشخص أصغر سنا ارتفع مستوى استخدامه للتنوعات العامية، وأظهر التحليل الكمي في هذه الدراسات أن هذا التغير تقوده النساء الأصغر سنا في حين يتخلف الرجال بشكل عام والنساء الأكبر سنا إلى الوراء في هذا التغير، وهو ما يشير إلى نوع من التداخل بين عاملي العمر والجنس.

وتتيح الملاحظة المنتظمة لمجموعات الأعمار المختلفة أن نستنتج حقائق حول تنوع اللغة وتغيرها، وبصفة أساسية تحديد مدى ثبات متغير معين في مجتمع لغوي محدد، فقد ذهبت الدراسات إلى أنه إذا كان الشباب هم من يبدأ بالتغير في أصوات اللغة، فإن هذا يعني أن كبار السن لن يقوموا بمثل تلك التغييرات الصوتية أو سوف يستخدمونها بصورة أقل، وهذا يعني أننا نتوقع من خلال أي دراسة تقابلية للكبار مع الصغار أن تقول لنا شيئا عن التغير اللغوي؛ إذ تدل لغة الشباب على اتجاه اللغة المستقبلي وتدل لغة الكبار على الحالة التي كانت عليها اللغة، على الأقل في حالة التغييرات القائمة^(٢). وهذا النوع من التقابل يطلق عليه التقابل الوقي الواضح، وهناك في نفس الوقت اختلافات مردها العمر يمكن أن تشير إلى أنماط من التنوع الثابت؛ إذ نجد صيغا بعينها ترتبط بكبار السن، ويستخدم الشباب صيغا لغوية معينة ثم يقل استخدامها مع مرور الزمن. ويمكن أن نعتقد أن هناك تدرجا عمريا في الحالات التي فيها تنوع مستقر، فهناك اختلافات مردها عمر المتكلم تشير إلى أنماط من تغيرات الاستعمال لتنوع لغوي معين. تمتحدث واحد خلال سنوات حياته^(٣). وقد لاحظ واقرنوسا نكوف ٢٠١١م، أن المتكلمين البالغين يظهرون تغيرا في أنماطهم اللغوية في مرحلة البلوغ، وأن التدرج العمري يمكن

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦، ص ٢٠١.

(2) Labov, 2001.

(٣) جيسلين، ويم لوغ، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١٢٥.

أن يقوم بمنزلة كايخ في طريق تغيير اللغة؛ لأن المتكلمين يميلون إلى استخدام أنماط لغوية محافظة كلما تقدموا في العمر^(١).

وقد ذهب كامبرون ٢٠١١م، إلى أنه من الأفضل دراسة العمر من خلال تفاعله مع عوامل أخرى مثل الجنس والعرق والطبقة الاجتماعية والشبكة الاجتماعية والدين وغيرها من التصنيفات الاجتماعية الأخرى^(٢). ويذهب جيسلين ويم لونغ إلى أنه من المهم التنبيه إلى أن العمر قد يكون له علاقات متعددة مع استعمال اللغة وتغيرها باختلاف طبيعة تعرّف العمر ودراسته، وأن العمر مثل الجنس يمكن أن يتفاعل مع تصنيفات اجتماعية أخرى بحيث إن دراسة العمر وحده لن تظهر لنا على نحو جلي أنماط استعمال اللغة أو تغيرها المرتبطة بلغة معينة أو بمجموعة من المتحدثين^(٣).

٤ - ٤ الجنس

شغلت اللسانيات الاجتماعية نفسها بدراسة تنوعات اللغة بوجه عام في السلوك اللغوي، وأدخلت في دراسة اللغة عوامل مثل العرق، والجنس، والطبقة الاجتماعية، والمكانة أو المركز الاجتماعي وغيره من العوامل المختلفة. وظهر فريق من الدارسين يركز على التنوع اللغوي ذي العلاقة بجنس المتكلم، يدرس الاختلافات في حديث الرجال والنساء، ويرد هذه الاختلافات إلى الدور الاجتماعي المنوط بكل منهما، وتشكيل الهوية الاجتماعية لدى النساء^(٤). وقام اللسانيون الاجتماعيون ببناء قاعدة بيانات لعدة دراسات توضح أن الرجال يميلون إلى استعمال التنوعات اللغوية غير القياسية (اللهجات) بصورة أكثر من النساء، بمعنى أن النساء يستخدمن الأعراف المعيارية وذات المكانة بشكل أكثر من الرجال، وقد جاء ذلك في دراسة ترودجيل ١٩٧٢م لمتحدثي الإنجليزية

(1) Wagner and Sankoff. 2011.

(2) Cameron, 2011.

(٣) جيسلين، ويم لونغ، ترجمة إبراهيم أبوحيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١٢٦.

(٤) عمر، ١٩٩٦م، ص ٣٣.

البريطانية في مدينة نورج، حيث أظهرت تميز النساء باستخدام عدد من المتنوعات الفونولوجية والفونيمية في المناطق الحضرية أكثر من الرجال، وأن النساء يقدن هذا التغيير سواء أكان ذلك بوعي منهن أو بدون وعي. مع ملاحظة أنه ليس هناك قواعد مطلقة لتأثير الجنس في استعمال اللغة، وأن إحدى العلاقات المهمة بين الجنس والتغيير اللغوي هو التفاعل بين الجنس والعمر؛ ومن ثم فإنه من المهم أن نتذكر أنه لا ينبغي أن ننظر إلى عامل الجنس بوصفه مستقلاً عن غيره من العوامل، ولكن ننظر إليه مقابل ذلك على أنه جزء من مؤثرات متعددة تتمثل في سياق لغوي واحد. لكن، وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن للجنس دوراً في التغيير اللغوي يستحق الدراسة، وأن تغيير اللغة يفهم بصورة أفضل عندما ندرس تأثير هذا العامل الذي هو الجنس ضمن عوامل اجتماعية أخرى مثل العمر^(١). وأثبتت الدراسات أن هناك فروقاً واضحة بين الأنماط اللغوية السائدة بين النساء والرجال. فالنساء أكثر حساسية للضغوط الاجتماعية واهتماماً بالمظهر الاجتماعي؛ ولذا فهن يملن دائماً إلى استعمال السمات اللغوية التي تقوم اجتماعياً بأنها أرقى. وقد وجد الباحثون الغربيون أن النساء في المجتمعات الغربية أكثر استعماً للتنوع الفصيح الذي يعد الأرقى اجتماعياً. أما في المجتمعات العربية فإن النساء أكثر استعماً للسمات المميزة للتنوعات اللهجية المدنية حيث تعد الأرقى اجتماعياً^(٢). وقد ربط عدد من الباحثين بين مركز النساء في المجتمع، والاختلافات بين طريقتيهن في الكلام وطريقة الرجال بأنه يعد انعكاساً لدورهن الهامشي في المجتمع ورغبتهم في أن يظهرن اختلافهن عن المعايير الذكورية، ومنافسة الرجال، والبحث عن المكانة، والتحول من الطبقة التابعة إلى الطبقة المتبوعة^(٣). وقد لاحظ الدارسون أن مجموعة بعينها من النساء، وخصوصاً أولئك المشتغلات بالإعلام والسياسة والوظائف العامة العليا يخرن لأنفسهن إستراتيجية لغوية معينة تقوم على اختيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً

(١) جيسلين، ويم لوخ، ترجمة إبراهيم أبو حيمد، ١٤٤٠هـ، ص ١٢٤.

(٢) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ٢٠٠.

(٣) عمر، ١٩٩٦م، ص ٣٥.

من ملامح الرجال، وتفضيل الأسلوب الأكثر جزمًا في التفاهم داخل المجموعة، والميل نحو استخدام أسلوب الكلام غير المعياري، وهي إستراتيجيات تحقق لهن التقارب أو التماثل مع لغة المجموعة المسيطرة وهي لغة الرجال^(١). هناك إذن علاقة متأصلة بين اللغة والجنس؛ إذ يؤدي الجنس دوراً محورياً في دراسة التعبيرات اللغوية التي يستخدمها المتكلمون، ويلاحظ أن لغة الإناث تختلف عن طريقة نظرائهن من الذكور. وبعبارة أخرى، فإن أنماط استخدام اللغة للرجل تختلف عن الأنماط اللغوية التي تستخدمها النساء من حيث كمية الكلام، ومن حيث الطريقة، على الرغم من كون الرجال والنساء ينتمون لنفس الطبقة الاجتماعية وينتسبون إلى نفس المجتمع الكلامي، وقد ذهب الدكتور أحمد مختار عمر للحديث عن مجموعة من الخصائص الصوتية والنطقية، وبعض الخصائص اللفظية والتعبيرية، وبعض الخصائص التركيبية والأسلوبية التي تميز لغة النساء عن لغة الرجال^(٢).

وبصفة عامة أنشأ لابوف وتروودجيل أطراً مماثلة لتوصيف الفروق بين الجنسين. فقد ذهب لابوف إلى أن الرجال يستخدمون أصنافاً أكثر من اللغة غير القياسية، في مقابل النساء اللاتي يستخدمون التنوعات القياسية أكثر من نظرائهن الرجال؛ إذ يعتمدن استخدام هذا التنوع كرمز يمنحهن المكانة^(٣).

ولا يختلف تروودجيل (١٩٧٢م، ١٩٨٣م) كثيراً في نهجه عن لابوف، حيث لاحظ في دراسته للغة نوريج في بريطانيا بأن الرجال يستخدمون أشكالاً غير قياسية أكثر من النساء، وكما هو الحال مع لابوف يقول تروودجيل ١٩٧٢م إن "الوضع الاجتماعي للمرأة في المجتمع أقل أماناً من الرجل"؛ ولذلك تسعى المرأة لتأمين وضعها الاجتماعي عن طريق اللغة^(٤).

(١) عمر، ١٩٩٦م، ص ٣٧.

(٢) عمر، ١٩٩٦م، ص ٨٥ - ١٢٦.

(3) Labov. 1990.

(4) Trudgill. 1972.

وفي السياق العربي ذهبت دراسات عديدة إلى أن الرجال يختلفون في لغتهم عن النساء اللواتي يملن إلى الاستخدام الحضري للغة (عبد الجواد ١٩٨٧م^(١)، وهيري ١٩٩٥م^(٢)، وضاهر ١٩٩٩م^(٣)). هذا الاختلاف بين الرجال والنساء كان هو السبب الذي دفع إبراهيم ١٩٨٦م^(٤)، إلى التفريق بين المعيار والمكانة وتبسيط الضوء على تأثير الكلام الحضري حتى بين المتحدثين من المتعلمين. وترى الوعر ٢٠٠٢م^(٥)، أن التعليم في حد ذاته ليس عاملاً حاسماً، ولكنه يقود غالباً إلى اتساع شبكة الأفراد والتنقل من طبقة إلى طبقة، وفي حالة المرأة الأردنية فإنه يؤدي إلى استخدام أعلى للمتغيرات الحضرية. ويشير كل من والترز ٢٠٠٣م^(٦) وميجدل ٢٠٠٠م^(٧) إلى وجود نزعة بين النساء المتعلمات لاستخدام العديد من المتغيرات القياسية في الحديث الرسمي.

وناقشت ريم بسيوني ٢٠١٢م، الافتراض القائل بأن النساء بشكل عام أكثر تهذيباً من الرجال حيث يبدن اهتماماً بالتضامن، في حين يهتم الرجال بالسلطة. وفي دراستها عن النساء والتأدب في البرامج الحوارية المصرية ناقشت لغة النساء والرجال المتعلقة بأساليب التوكيد التي يستخدمها الرجال والنساء في البرامج الحوارية في مصر وأكدت أن النساء يتنافسن مع الرجال على مستوى مهني ويعدن تعريف هويتهن بناء على السياق، الذي يمنح القوة^(٨). وقد ذهبت بسيوني ٢٠١٠م، إلى أن هناك علاقة مباشرة بين اختيار الرمز اللغوي والهوية، وأنه من غير الممكن قياس تكرار ملامح العربية الفصحى المعاصرة في حديث النساء في المجال العام بدون فهم أي جزء من هويتهن التي يروق لهن إظهارها والدور الذي يردن أن يؤديه. فالنساء يظهرن في البرامج العامة كمتعلمات،

(1) Abdel - Jawad, 1987.

(2) Haeri, 1995.

(3) Daher, 1999.

(4) Ibrahim, 1986.

(5) Al - Wer, 2002.

(6) Walters, 2003.

(7) Mejdell, 2000. p. 19.

(8) Bassiouney, 2012. p. 134.

ويستخدم العربية القياسية المعاصرة مثل الرجال تماماً وليس لديهم أدنى مشكلة في استخدام العربية الفصحى. والنساء المصريات المتعلّقات يستخدمن الفصحى القياسية المعاصرة كرمز للسلطة. ولا يظهرن الجزء القروي من هويتهن، ولكن يعمدن إلى إظهار الجزء المهني المسؤول^(١).

ويبدو أن النساء والرجال يمتلكون أساليب لغوية مختلفة تميز جنس كل منهما في المحادثة، حيث تشير نتائج الدراسة التجريبية للتنوع اللغوي في العربية الأردنية لمحمد العلي وهبة عرفة ٢٠١٠م، إلى أن اختلاف الجنس والمستوى التعليمي يؤثران في استخدام المتغيرات اللغوية، وأن الرجال والأفراد ذوي التعليم في المدارس الثانوية لديهم ميل أعلى إلى الحفاظ على استخدام المتغيرات المحلية، في حين أن النساء والأفراد ذوي التعليم الجامعي لديهم ميل أعلى إلى استخدام متغيرات غير محلية وذات مكانة، ويذهبان إلى أن نوع الجنس له تأثير أكبر في تنوع نمط الحديث أكثر من وضع التعليم وعلى عكس الرجال الذين يميلون إلى استخدام المتغيرات المحلية، فإن النساء يستخدمن المتغيرات المتحضرة غير المحلية. وأحد الدوافع المحتملة للاختلاف في نمط خطاب الإناث هو البحث عن المكانة^(٢). فقد بدت النساء أكثر استخداماً لإستراتيجيات التأدب من الرجال في دراسة أحمد الحراشة ٢٠١٤م، حيث أظهرت الدراسة وجود اختلافات مميزة بين الأنماط اللغوية للنساء والرجال، ذلك أن النساء يملن إلى تجنب الخلاف المباشر، وهن يملن إلى الحفاظ على العلاقة الاجتماعية مع الطرف الآخر، إضافة إلى ذلك فإنهن يملن إلى استعمال المزيد من الإستراتيجيات التفسيرية لجعل المحاور الآخر مشاركاً في المحادثة؛ لذا فهن محاورات محترفات أكثر من الرجال^(٣).

أظهرت دراسة لابوف^(٤)، أن النساء يملن إلى المحافظة أكثر من الرجال وهن يفضلن استخداماً أكثر للغة القياسية وأشكال المكانة. ويتوافق مع ذلك ما ذهبت إليه أبو حيدر

(1) Bassiouney, 2010. p. 119.

(2) Al - ali, & Arafa, 2010.

(3) Al - Harahsheh, 2014.

(4) Labov.1972.

١٩٨٩م من أن النساء يستخدمن ملامح من العريية القياسية المعاصرة أكثر تكراراً من الرجال اعتماداً على البيانات التي جمعتها من رجال ونساء عراقيين في بغداد^(١). ويتوافق معها في ذلك الغالي ٢٠١٩م، الذي ذهب إلى غلبة استخدام المستوى الفصيح عند النساء في مقابل الرجال^(٢).

وقد ذهبت بعض الدراسات في العالم العربي مثل إبراهيم ١٩٨٦م^(٣)، وعبد الجواد ١٩٨١م، ١٩٨٧م، إلى أن لابوف ربما لم يأخذ في اعتباره الفرق بين تنوع المكانة والتنوع القياسي. فقد وجدوا أنه في بعض المناطق المدنية هناك مكانة للتنوعات العامية تختلف عن التنوع القياسي، فعلى سبيل المثال العامية القاهرية في مصر تعد تنوعاً ذا مكانة عند غير القاهريين؛ ولذلك ذهب عبد الجواد ١٩٨١م إلى أن «الرجال أكثر حساسية لما نسميه «المكانة الوطنية» في حين نجد النساء أكثر حساسية للمكانة المحلية»^(٤). ولاحظ إبراهيم ١٩٨٦م أن النساء لا يفضلن تنوعات المكانة في اللغة في مجموعاتهن الكلامية بنفس مقدار ما يفضلها الرجال. وبدلاً من ذلك تعتمد النساء التنوعات اللغوية القياسية. وخلصت دراسات أخرى إلى أن هناك أطراداً عكسياً بين العمر واستخدام التنوعات العامية، فكلما كان الشخص أصغر سناً ارتفع مستوى استخدامه للتنوعات العامية، وأن الرجال يستخدمون التنوعات العامية أكثر من النساء^(٥). وربطت بعض الدراسات قابلية التغيير بالرجال أكثر من النساء، فذهبت العيسى ٢٠٠٩م إلى أن النساء النجديات الكبيرات يحافظن على التنوعات النجدية أكثر من الرجال، في المقابل فإن النساء الصغيرات أكثر قابلية للتغيير من الرجال، فقد وجدت أن النساء النجديات الصغيرات في مجتمع الحجاز يستخدمون التنوع الحجازي أكثر مما يفعل الرجال^(٦). ويتوافق مع ذلك ما ذهبت إليه

(1) Abu - Haidar.1989.

(٢) الغالي، ٢٠١٩. ص ٣١.

(3) Ibrahim.1986.

(4) Abd - El - Jawad.1981. p.351.

(5) Gomaa. 2015. p. 105.

(6) Al - Essa.2009. p. 218.

نوره أبوعين ٢٠١٦م، من أن الإناث الصغيرات يقدن التغيير نحو التنوع المحلي مفسرة ذلك بالتغيرات التي مارسها المجتمع المحلي نتيجة للتحضر والتمدن^(١)، وتؤكد ذلك أيضاً غالية المبارك ٢٠١٦م التي ذهبت إلى أنّ الإناث يستخدمن نمطا لغويا يميل إلى التحضر وأن بعض التغيرات يقيد استخدامها بحسب الجنس وخاصة الذكور لارتباطها بالمكانة^(٢). وذهبت القحطاني ٢٠١٥م، إلى أن هذا التغيير تقوده النساء الأصغر سناً في حين يتخلف الرجال بشكل عام والنساء الأكبر سناً إلى الوراء^(٣). وفي نفس سياق متغير العمر ذهب الرجيعي ٢٠١٣م إلى ميل المتحدثين الكبار بغض النظر عن جنسهم إلى المحافظة على استخدام التنوع المحلي [ts]، في المقابل فضّل المتحدثون الأصغر سناً المتعلمون وخصوصاً النساء استخدام التنوع فوق المحلي [k]^(٤).

ويسمح التباين الملحوظ للعوامل الاجتماعية واللغوية دائماً بأكثر من تفسير واحد، وهذا يشهد على التعقيد الكبير للحقائق التي تتعامل بها اللسانيات الاجتماعية، ونظراً لتعقيد المتغيرات في أشكال الحديث وصيغته، والطبقة الاجتماعية فإنه قد يكون من المستحيل أن نفعل أكثر من صنع التعميمات الإحصائية حول التباين؛ ومن ثم هناك أسباب وجيهة للبحث عن طرق بديلة لاكتشاف العلاقات بين التنوعات اللغوية والأنظمة الاجتماعية. ومن هنا، تقودنا نتائج دراسات المتغيرات الاجتماعية أعلاه إلى ملاحظة أن أنماط التنوع اللغوي في المجتمعات والمناطق العربية تعرض اتجاهات التقارب والاختلاف ليس بحسب المتغيرات اللغوية الاجتماعية فقط، ولكن أيضاً بحسب العوامل السائدة المؤثرة في تشكيل الحالة اللغوية في العالم العربي. وتؤثر هذه المتغيرات في التوزيع اللغوي والتنوعات اللغوية، ولا يعني هذا قصر المتغيرات على المتغيرات المذكورة أعلاه، فلا يمكن استثناء العوامل الأخرى كالانتماءات السياسية، والدينية،

(1) Abu Ain. 2016. p. 161.

(2) Al - Mubarak. 2016. p. 410 - 412.

(3) Alqahtani. 2015. p. 224 - 228.

(4) Al - Rojaie. 2013. p. 58.

والعوامل الاقتصادية والحضارية، وهي كلها غالباً ما تؤثر في الخريطة اللغوية؛ ولذلك ينبغي "أن تدرس اللهجات العربية على مدى اختلاف طبقات المجتمع العربي، باختلاف مظاهر الحياة الاجتماعية في البيئة يؤدي إلى التمييز في اللهجة، ولا شك أن مظاهر الحياة الاجتماعية واسعة متشابكة متداخلة فمنها ما يرجع إلى البداوة والحضارة، وما يتصل بذلك من الأنظمة الاقتصادية، وشؤون الحياة المادية، ونظام السياسة والتشريع.

خاتمة الفصل

يستخدم مصطلح التنوع اللغوي بدلا من المصطلحات التقليدية المعروفة. ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى اللغة المنطوقة من قبل مجموعة خاصة من المتكلمين. ومفهوم التنوع اللغوي يعني الاعتراف بنوعيات مختلفة ومتعددة من اللغات باختلاف وتعدد المناطق الجغرافية داخل البلد الواحد.

وتذهب اللسانيات الاجتماعية إلى أن التنوع اللغوي يعود إلى الأسلوب الذي نستخدم به اللغة ضمن نطاق مجموعة اجتماعية معينة، وتنظر إلى التنوعات اللغوية الاجتماعية على أنها محكومة بعوامل ذات صلة بخصائص الفرد وخصائص المجموعة وخصائص التفاعل ذاته، وتنظر أيضا إلى التنوع اللغوي على أنه لا يمكن وصفه إلا من خلال عوامل متعددة لكل منها تأثيرها في استعمال اللغة، وأنه ينبغي النظر إلى السياق اللغوي الاجتماعي بصفة كلية وشمولية بحيث يضم عددا من العوامل الاجتماعية والفردية واللغوية.

ويتبين أن اللغة هي عبارة عن تنوعات لغوية مختلفة، وهو أمر له انعكاساته على التطبيق، فليس هناك لغة ثابتة محددة لا تتعرض لعوامل التغير والتأثير والتأثر. فالدارس سيواجه في المجتمع تنوعات لغوية مختلفة، تستخدم بحسب السياق الاجتماعي تؤثر فيها عدة عوامل منها مدى قياسيتها، والمكانة الممنوحة لها، ويتفاوت استخدامها بحسب تلك المكانة، ويؤثر فيها عدة عوامل كثيرة متعددة مثل الحداثة والتحضر، والمواقف تجاهها، ويختلف استخدامها بحسب خلفية المتحدث الاجتماعية، وطبقته الاجتماعية، وعرقه، ومنطقته الجغرافية، ومستوى تعليمه وجنسه وعمره، وحالته الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الخامس

اللغة والتفاعل في الخطاب



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يتناول هذا المبحث موضوع اللغة والتفاعل في الخطاب من منظور اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، وتركيزها على تفاعلات المشاركين، وسعيها للحصول على مجموعة بيانات غنية للتفاعلات التي تحدث بشكل طبيعي، من خلال التركيز في التفاعلات والتفاصيل اللغوية الناتجة عن الممارسة اللغوية والتعمق في تفاصيل المشاكل الاجتماعية، واستخدام المنهجيات المتوفرة في التخصصات الفرعية التي تركز على اللغة. ويعرض منهجية إثنوجرافيا التواصل كأحدى المقاربات المعمقة للتفاعل اللغوي، كما يناقش موضوعات تحليل الخطاب والتداولية باعتبارها مجالات قائمة على دراسة التفاعل اللغوي في الخطاب.

اللسانيات الاجتماعية التفاعلية

كان علماء اللسانيات الاجتماعية الذين يتبعون علماء أمثال فيرث ١٩٣٥م، وما لينوفسكي ١٩٢٣م، وغيرهم، غير راضين تماماً عن الاتجاه البنيوي السائد الذي كان ينظر إلى البنية اللغوية على أنها موجودة خارج الزمان والمكان ولا تخضع للتأثير الاجتماعي، فقد سعى هذا الاتجاه إلى إزالة سياق الظواهر اللغوية لصالح إيجاد خصائص مثالية معينة للجمل المجردة.

وذهب هايمز ١٩٧٤م^(١)، إلى أن إطار مرجعية التحقيق العلمي الاجتماعي للغة لا يمكن أن تكون أشكالا لغوية في نفسها، ويجب أن تستبدل بسياق المجتمع كإطار، ويشمل المكون الاجتماعي القيم الثقافية والمؤسسات الاجتماعية وتاريخ المجتمع والبيئة وما إلى ذلك^(٢).

وبينما يتفق علماء اللسانيات الاجتماعية على أن التأثير الاجتماعي أمر حاسم لفهم البنى اللغوية، فإن هناك وجهات نظر مختلفة حول العلاقة بين المجتمع واللغة، كما أن هناك إستراتيجيات مختلفة لدراسة هذه العلاقة^(٣).

يعدّ التنوع في الأنماط اللغوية أحد الموضوعات البارزة في اللسانيات الاجتماعية؛ ولذلك استخدمت دراسات اللسانيات الاجتماعية الاستطلاعات لدراسة تنوع الكلام بين الشبكات الاجتماعية، والمجتمعات، ووجدت أن المتغيرات اللغوية كانت مقياساً

(١) مختص في اللسانيات الاجتماعية، أمريكي الجنسية، طوّر أسلوباً في اللسانيات الاجتماعية يعتمد على أن مستعملي اللغة لا يحتاجون إلى تعلم الكلمات والنحو في لغة محددة فحسب، وإنما يتعين عليهم الأخذ بالاعتبار لعدد من المكونات جمعها اختصاراً في الحروف المكونة لكلمة Spoeaking، وأصبح هذا الأسلوب ذا تأثير في كونه يوطئ للسياق الاجتماعي الذي يعد إحدى ركائز تحليل الخطاب، وقدّم كذلك مصطلح الكفاية التواصلية في مقابل مفهوم تشومسكي عن الكفاية اللغوية.

(2) Hymes, 1974. p. 3.

(3) Grimshaw, 1974.

ممتازا لكل من الطبقة الاجتماعية والهوية العرقية^(١)، مما قاد علم اللسانيات الاجتماعية إلى أن ينشغل بالعديد من الموضوعات المتعلقة بالتنوعات اللغوية والتفاعل اللفظي، وبالتبادل اللغوي وتبديل الشفرة، وعلاقة استخدام التنوعات اللغوية بمفهوم الذات، والهوية، والشخصية، والأيديولوجيا، والمواقف، والمكانة^(٢).

يجادل علماء اللسانيات الاجتماعية التفسيرية بأن التفاعل اللفظي والتبادل اللغوي يعكسان قدرة المتحدثين على تصنيف المواقف والمحاورين والعلاقات الاجتماعية ثم تقديم الاستنتاجات والأحكام حول المناسب من أشكال الحديث^(٣). وتتمثل مهمة المحلل في إجراء دراسة متعمقة لحالات مختارة من التفاعل اللفظي، ومراقبة ما إذا كان الممثلون يفهم بعضهم بعضاً أم لا، واستخراج تفسيرات المشاركين لما يجري، ثم استنتاج الافتراضات الاجتماعية التي يجب على المتحدثين صياغتها من أجل أن يبدووا كما فعلوا، والتحديد التجريبي لكيفية تواصل العلامات اللغوية في عملية التفسير^(٤).

تتوافق هذه الإستراتيجيات مع مخطط هايمز الشامل «إثنوجرافيا التواصل» وهو طريقة لجمع وتصنيف وتحليل الأحداث اللغوية الموجهة في مجتمع معين للإجابة عن الأسئلة الأساسية حول ماهية هذه الأحداث، وكيفية عملها^(٥).

(1) Gumperz & Hymes. 1972. p. 12.

(2) Maynard & Perakyla. 2003. p. 240.

(3) Gumperz. 1982, p 35 - 36.

(4) Maynard & Perakyla, 2003. p. 240.

(5) Hymes. 1974. p.3.

تطورت اللسانيات الاجتماعية التفاعلية كتعبير عن نهج جون جومبيرز^(١) في البحث، الذي كان شخصية مؤسسة لللسانيات الاجتماعية المعاصرة (التفاعلية)، إلى جانب ديل هايمز، وهو يركز عادة على التفاعلات وجها لوجه التي توجد فيها اختلافات كبيرة في المصادر اللسانية الاجتماعية للمشاركين. وتعتمد منهجية اللسانيات الاجتماعية التفاعلية على الإثنوجرافيا، وتحليل المحادثة عند غوفمان، وتحليل الخطاب، والتداولية، للحصول على مجموعة بيانات غنية للتفاعلات التي تحدث بشكل طبيعي. ويسير التحليل في اللسانيات الاجتماعية التفاعلية عبر مجموعة واسعة من مستويات التنظيم، تسهم في تشجيع الباحثين على التركيز في التفاعلات والتفاصيل اللغوية الناتجة عن الممارسة اللغوية والتعمق في تفاصيل المشاكل الاجتماعية والاستفادة من أطر الدراسة المتوفرة في التخصصات الفرعية التي تركز على اللغة^(٢).

قام ديل هايمز بتأسيس مجموعة التواصل اللفظي التي جمعت في الواقع المساهمين معاً، من خلفيات مختلفة جداً في اللسانيات والإثنوبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، وتحليل المحادثة، وتحليل الخطاب، والتداولية. واستطاع هايمز جذب كثير من الدارسين إلى الاهتمام باللسانيات الاجتماعية التفاعلية، مما نتج عنه العديد من المنظورات التي عُدت مجالات فرعية منفصلة، كاللسانيات الاجتماعية التباينية عند لافوف Labov وعلم اجتماع اللغة لفيشمان Fishman، ومنظور تحليل المحادثة عند

(١) لغوي اجتماعي أمريكي درس قضايا التواصل اللغوي، وأصبح في السبعينيات أكثر اهتماماً بتحليل الخطاب والمحادثة، مركزاً على ثنائية اللغة والاتصال بين الثقافات. اشترك مع ديل هايمز في إصدار كتاب اتجاهات في اللسانيات الاجتماعية Directions in Sociolinguistics في عام ١٩٧٢م، وأكثر ما اشتهر به جومبيرز تطويره لمذهب أطلق عليه اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، وفيه يوظف للكيفية التي يدل بها المتحدثون على المعنى ويجعلونه مقبولا في تفاعلاتهم اليومية، ويضم هذا المذهب تحليلاً مقارياً للتفاعلات. وكان يسلم بأننا نبلغ الأطر التفسيرية عبر «الروابط السياقية» مثل التنغيم والخيارات المعجمية والظواهر المرئية والإيجائية، وتلك الإشارات تعيننا على تفسير المحتوى المقترح للأقوال. انظر كتاب بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٦٣.

(2) Auer & Roberts. 2011. p. 381.

ساكس وشيغلوف Sacks & Schegloff، وكذلك عند غوفمان، ومنظورات المهتمين بتحليل الخطاب، والتداولية، وبقي هايمز على اتصال بهذا التنويع، وعزز هذا التخصيب المتبادل، من خلال موقعه كمحرر لمجلة اللغة في المجتمع من الفترة ١٩٧٢م - ١٩٩٤م.

إضافة إلى جهود دل هايمز تلك، أنشأ جومبيرز في عام ١٩٨٢م سلسلة كتب ودراسات في اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، وشاركه في النشر فيها بول درو Paul Drew، وديبورا شيفرين Deborah Schiffrin، وتانين Tannen، وكولبير مايرز Culpepper Myers، وسيلنتق Selting، وسيدنل Sidnell، وهي سلسلة دراسات بحثت في الديناميكيات الاجتماعية للحديث في البيئات اليومية والمؤسسية (العيادات، المدارس، أماكن العمل، قاعات المحاكم، المقابلات الإخبارية).

تعتمد «النظرية العامة للتواصل اللفظي» المرتبطة باللسانيات الاجتماعية التفاعلية المبنية على النظرة الحاسمة لجامبيرز وهايمز التي اتخذت "الحدث الخطابي وحدة للتحليل بدلا من المعايير اللغوية والثقافية الواسعة للمجتمع، على نحو لا تظل معه الثقافة عالما مائلا خارج الحديث، ولكنها تتشكل فيه من خلال ممارسات التحدث الموجودة^(١).

تتضمن هذه النظرية عدة مجموعات من المصادر الرئيسة: فهناك إثنوجرافيا التواصل التي هي طريقة لجمع وتصنيف وتحليل الأحداث اللغوية الموجهة في مجتمع معين للإجابة على الأسئلة الأساسية حول ماهية هذه الأحداث، وكيفية عملها^(٢). وهناك تحليل الخطاب الذي يوفر نظرة مؤقتة للإمكانات التواصلية للمصادر اللغوية التي يعتمد عليها المشاركون في التواصل الموجود. وهناك تحليل المحادثة ضمن إطار غوفمان الذي يسلط الضوء على البناء المترابط للبنى اللغوية، ودور المناسبة الاجتماعية في توجيه الخطاب، وقدرة الفاعلين الاجتماعيين على التوافق المرن مع القواعد. وهناك

(1) Auer & Roberts. 2011. p. 385, Gumpers & Cook Gumpers. 2008. p. 536

(2) Hymes. 1974. p. 3.

التداولية، التي تهتم بكيفية أخذ مستخدمي اللغة للسياق الاجتماعي بعين الاعتبار عند إنتاج أشكال الكلام وفهمها.^(١)

وتبدو اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، من خلال بحوث ودراسات مجموعة التواصل اللفظي التي أسسها هايمز، وعززت التنوع والتفاعل المتبادل بين المنظورات المختلفة لهذه التخصصات الفرعية، ومن خلال النظر في الموضوعات التي شارك بها العلماء في سلسلة جومبيرز، والمقاربات التي تم تمثيلها في هذه السلسلة وكأنها مجموعة فضفاضة نسبياً من المنظورات الواضحة المتبادلة، بدلاً من التحالفات القوية المترابطة. وقد احتفى هايمز بالتلاقح المتنوع بين منظورات الطرح المختلفة، وأصر جومبيرز نفسه على البحث عن نظرية عامة للاتصال اللفظي تدمج ما نعرفه عن القواعد والثقافة والاتفاقيات التفاعلية، في إطار واحد شامل للمفاهيم والإجراءات التحليلية.^(٢)

إثنوجرافيا التواصل

أهداف اللسانيات الاجتماعية ليست مجرد فهم القواعد والمعايير الضمنية لاستخدام اللغة المحددة ثقافياً، ولكن يجب أن تشمل فهم كيفية استخدام المجتمعات للغة لبناء تلك المجتمعات. ويعتقد اللسانيون الاجتماعيون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجمل التي تشكل المحور الرئيس للسانيات الوصفية والنظرية، وأن تتجاوز اللغة وتربطها بالسياق الاجتماعي وأن تتعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل التواصل الإنساني والحالات الاجتماعية التي تستخدم فيها، وينتقل تركيز الاهتمام من الجملة إلى فعل الاتصال والحدث الكلامي. وكانت القيمة الرئيسة لإثنوجرافيا التواصل في اللسانيات الاجتماعية هي وضع نهج للغة يتجاوز بكثير محاولة تفسير الجمل الفردية المكتوبة أو المنطوقة.^(٣)

(1) Heritage 1997.

(2) Gumperz.1982. p. 7.

(3) Spolsky. 1998.

أوضحت إثنوجرافيا التواصل عدّة اهتمامات مركزية للسانيات الاجتماعية التفاعلية، فكان هناك البحث عن نظرية قادرة على معالجة اللغة كجزء لا يتجزأ من العملية الاجتماعية الثقافية، إضافة إلى الحاجة إلى تطوير طرق ومفاهيم تقنية مناسبة لوصف ذلك، حيث أشار هايمز إلى «العلم الأساسي الذي لم يوجد بعد»^(١)، واقترح جومبيرز وهايمز أن المنشورات الحديثة لم يتم دمجها حتى الآن في أي نظرية عامة للغة والمجتمع^(٢). وكان هناك بناء نماذج مناسبة للتفاعل بين اللغة، والحياة الاجتماعية، فبحسب هايمز «يجب أن يكون هناك طريقة للوصف، ترتبط جزئياً، ولكنها تتقاطع جزئياً، وتبنى جزئياً بين التخصصات»^(٣).

يستخدم مصطلح الكفاية التواصلية Communicative Competence في بعض الأحيان لوصف معرفة كيفية استخدام اللغة بطرق مناسبة ثقافياً. اقترح هذا المصطلح هايمز ١٩٧٢م كمفهوم مضاد للكفاية اللغوية عند تشومسكي الذي ركز على المعرفة المثالية للمستمعين والمتحدثين بالنحو والجمل في لغتهم الأم.

يوضح جومبيرز ١٩٧٢م ذلك قائلاً: "بينما تغطي الكفاية اللغوية قدرة المتحدث على إنتاج جمل صحيحة نحويًا، تصف الكفاية التواصلية قدرته على اختيار مجموعة التعبيرات الصحيحة نحويًا المتاحة له والصيغ التي تعكس بشكل مناسب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك في لقاءات محددة. بالعمل على نهج إثنوجرافي أو وظيفي يمكن أن نحاول تحديد ماذا يعني أن تكون متحدثًا كفئًا بلغة بعينها. إن تعلم لغة ما شيء، لكن تعلم كيفية طلب مشروب بهذه اللغة شيء آخر. فللقيام بالأول تحتاج إلى كفاية لغوية محددة، لكنك تحتاج للقيام بالأمر الثاني إلى كفاية تواصلية"^(٤). وكما يقول سافيل ترويك ١٩٩٦م: "تمتد الكفاية التواصلية لتشمل معرفة المتكلم في بيئات معينة، ومتى يتكلم، ومتى يبقى صامتًا،

(1) Hymes. 1972. p. 38.

(2) Gumperz & Hymes. 1972. p. vi - vii

(3) Hymes. 1972. p. 41.

(4) Gumperz. 1972. p. 205.

وَمَنْ الشخص الذي يمكن التحدث إليه، وكيفية الطلب، وكيفية عرض المساعدة، وكيفية رفضها، وكيفية إعطاء الأوامر، وما شابه. باختصار كل ما يتعلق باستخدام اللغة وأبعاد التواصل الأخرى في بيئات اجتماعية معينة^(١).

جادل هايمز ١٩٧٢م أنه في تعلم اللغة لا يجب على الأطفال تعلم كيفية بناء الجملة في هذه اللغة، ولكن يجب أيضاً اكتساب معرفة مجموعة من الطرق التي تستخدم بها الجمل^(٢). فمن تجربة محدودة لأفعال الكلام وترابطها مع السمات الاجتماعية والثقافية، يطور الأطفال نظرية عامة للتحدث المناسب في مجتمعهم، يوظفونها مثل الأشكال الأخرى من المعرفة الثقافية الضمنية (الكفاية) في بناء وإدارة وتفسير الحياة الاجتماعية. ففي تعلم التحدث نحن نتعلم أيضاً التواصل بطرق مناسبة للمجموعة التي نقوم بالتعلم ضمنها، وهذا يسمى أحياناً لغة التنشئة الاجتماعية^(٣). تختلف هذه الطرق من مجموعة إلى أخرى؛ ومن ثمّ عندما تنتقل من مجموعة إلى أخرى أو من لغة إلى أخرى يجب أن نتعلم الطرق الجديدة إذا أردنا الاندماج في تلك المجموعة الجديدة، أو استخدام تلك اللغة الجديدة بشكل مناسب؛ لذا فإن الكفاية التواصلية هي عنصراً أساسياً في الكفاية الاجتماعية.

وإنّوجرافيا التواصل نهج ومنظور وطريقة لدراسة معاني التواصل ووسائله المميزة ثقافياً. تم استخدام هذا النهج لإنتاج المئات من التقارير البحثية حول أنماط ممارسات التواصل المحلية، وركزت الانتباه في المقام الأول على الاستخدامات المحددة للغة، كما تم تطبيقه على إنتاج مختلف وسائل التواصل الأخرى بما في ذلك الأدب الشفوي والمطبوع ووسائل الإعلام المذاعة، وأنظمة الكتابة، والإشارات المرئية، والإنترنت، وما إلى ذلك.

يعد ديل هايمز أول من أسس إنّوجرافيا التواصل حيث نشر ورقة بحثية عام ١٩٦٢م دعت إلى مجال جديد للدراسة، يستكشف اللغة ليس فقط كنظام لقواعد اللغة، ولكن

(1) Saville - Troike. 1996. p. 363.

(2) Hymes. 1972. p. 279.

(3) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 231.

كشيء يتم تشكيله ثقافياً في سياقات الحياة الاجتماعية. ودعا في الوقت نفسه إلى نوع من الأنثروبولوجيا تأخذ التحدث والتواصل على نطاق واسع كموضوع محوري. هذان المجالان معا ساعدا في إنشاء مشروع مبتكر حيث شكلا نوعا من الدراسة اللسانية كان متصلا في الحياة الاجتماعية للغة، وهو أيضاً نوع من الدراسة الثقافية ركز على التحدث والتواصل بشكل عام. ونشر ديل هايمز في عام ١٩٦٤م مع زميله جون جومبيرز قسما خاصا في مجلة الأنثروبولوجيا الأمريكية حول هذا الموضوع الذي تمّ تشكيله^(١). وبعد ذلك في السبعينيات الميلادية، تم نشر مجموعة من التقارير البحثية عن مجموعة من الدراسات استكشفت جوانب التواصل التي غالبا ما يتم تجاهلها مثل تفعيل دور النوع الاجتماعي، والعمليات الاجتماعية، والأساليب المهمشة، والاستخدامات الاجتماعية للعب اللفظي، وأنماط التحدث المميزة ثقافيا^(٢).

وفي الثمانينيات والتسعينيات الميلادية نشرت العديد من الدراسات التي أظهرت كيف كان التواصل نشاطا مميزا ثقافيا أثناء فحص قضايا مثل طرق التواصل التي تختلف حسب الفاعل الاجتماعي والطبقة، والتواصل في الأفلام الشعبية، والحديث كما يحدث في التلفزيون، والعلاقات بين التحدث والصمت، والتفاعلات بين الثقافات والأحاديث السياسية، والفنون اللفظية بشكل عام.

الإنثوجرافيا إذن منهج واسع للبحث في القواعد والمعايير الثقافية والقيم المتشابكة مع استخدام اللغة. ينفذ البحث الإنثوجرافي بشكل عام من خلال مراقبة المشاركين. وتستند الإنثوجرافيا إلى الملاحظات المباشرة للسلوك لمجموعة من الأشخاص في بيئتهم الطبيعية. فيقوم الدارسون بتوضيح ما يسمعونه ويرونه أثناء مراقبتهم ما يجري حولهم. وكما يقول دورانت في ١٩٩٧م فإن «الإنثوجرافيا هي الوصف المكتوب للتنظيم الاجتماعي والأنشطة الاجتماعية والموارد الرمزية والمادية والممارسات التفسيرية لمجموعة معينة من الناس»^(٣).

(1) Gumperz & Hymes. 1972.

(2) Bauman and Sherzer. 1974.

(3) Duranti. 1997. p. 85.

يتساءل علماء الإثنوجرافيا عما يحدث ويحاولون تقديم تفسيرات لتوضيح معاني للسلوك الذي يتم ملاحظته ضمن المجتمع الذي تتم دراسته أو تجرى فيه الدراسة. وكما يقول جونستون ٢٠٠٤م فإن الإثنوجرافيا "تفترض أفضل التفسيرات للسلوك البشري لخصوصيته وارتباطه الثقافي وليس بشكل عام ومطلق"^(١).

ويذهب كانبجارجاه ٢٠٠٦م إلى أنه يتوقع أن يعيش الدارسون الإثنوجرافيون فترة طويلة من الوقت في المجتمع الذي يدرسونه من أجل التقاط أنماط ومواقف لغته بشكل مباشر. ويحاولون بقدر الإمكان عدم تغيير التدفق الطبيعي للحياة والعلاقات الاجتماعية للمجتمع، ولكن فهم كيفية عمل اللغة في الحياة اليومية. إنهم مشاركون مراقبون يجب عليهم التعامل مع المعضلة الأساسية أو أسئلة ملاحظة المشاركين بنوع من الثقة^(٢).

ويهتم هذا المنهج بالموارد اللغوية التي يستخدمها الأشخاص في السياق، ليس فقط القواعد بالمعنى التقليدي، ولكن باستخدامات الكلمات ومعانيها في وضعها الاجتماعي وعلاقاتها، وأشكال التعبير المتسلسلة. وتهتم الإثنوجرافيا أيضاً باستخدامات وسائل الإعلام المختلفة في التواصل وتحليلاتها المقارنة مثل الرسائل عبر الإنترنت ومقارنتها بالرسائل وجها لوجه. تهتم أيضاً بطريقة إنشاء الإشارات اللفظية وغير اللفظية وتكشف الرموز الاجتماعية للهوية، والعلاقات، والعواطف، وتأثير المكان والتواصل نفسه^(٣). وتركز التقارير حول هذه الديناميكيات وغيرها على طرق معينة تستخدم فيها كوسيلة للاتصال (على سبيل المثال كيفية استخدام السعوديين للتواصل عبر الإنترنت، أو كيفية استخدام الآميش أجهزة الكمبيوتر) وحول طرق معينة للحديث (على سبيل المثال ترتيبها بحسب القومية أو الإثنية أو بحسب الجنس)، أو تحليل التواصل بحسب الأحداث (مثل الانتخابات السياسية، الخطابة، المداولات) وعلى

(1) Johnstone. 2004. p. 76.

(2) Canagarajah. 2006. p. 155.

(3) Carbaugh. 2007. p. 1.

أعمال محددة للاتصال (مثل الاعتذارات) وعلى دور الاتصال في الحياة الاجتماعية في مؤسسات معينة (مثل الطب والسياسة، والقانون، والتعليم، والدين) وإضافة إلى تركيزها على ممارسات الاتصال المميزة محلياً، فإن إثنوجرافيا التواصل تسترشد أيضاً بمنهجية معينة، واهتمامات عامة بالتطور النظري^(١). وكمنظور نظري فإنها تقدم مجموعة من المفاهيم لفهم التواصل في أي مجتمع وفي أي مشهد محتمل. أما كطريقة أو منهجية، فإنها تقدم إجراءات لتحليل ممارسات التواصل كمكوّن للحياة الاجتماعية. وتتضمن الطريقة أو المنهجية عادة إجراءات مختلفة للتحليل التجريبي بما في ذلك ملاحظة المشاركين في سياقات الحياة اليومية والاجتماعية، إضافة إلى مقابلات المشاركين حول التواصل في تلك السياقات^(٢).

وهكذا فإن الإثنوجرافيا منهج ومنظور وطريقة للبحث في القواعد والمعايير الثقافية والقيم التي تشكل الاستخدام اللغوي، ودراسة معاني التواصل ووسائله من خلال مراقبة المشاركين بالاستناد إلى الملاحظات المباشرة للسلوك لمجموعة من الأشخاص في بيئتهم الطبيعية، واستكشاف جوانب التواصل التي غالباً ما يتم تجاهلها مثل تفعيل دور النوع الاجتماعي، والعمليات الاجتماعية، والأساليب المهمشة، والاستخدامات الاجتماعية وأنماط التحدث المميزة ثقافياً.

وحدات التواصل ومكونات تحليل إثنوجرافيا التواصل

تقدم إثنوجرافيا التواصل نظاماً للمفاهيم يمكن استخدامه لتصوير الظواهر الأساسية للدراسة ومجموعة من المكونات لتحليل هذه الظواهر بالتفصيل، وقد قدّم هايملز عدة مفاهيم كوحدات وظواهر أساسية للدراسة الإثنوجرافية للتواصل هي: حدث الاتصال، وأفعال الاتصال، وحالة الاتصال، ومجتمع الكلام.

(1) Carbaugh. 2007. p. 1.

(2) Carbaugh. 2007. p. 1.

ويتم فهم ظواهر الدراسة بشكل أساسي على أنها وحدات تواصل؛ ومن ثمّ يركز الدارسون في التصميم الإثنوجرافي على دراسة ممارسة التواصل في السياقات التواصلية، وعلى بيانات المحتوى مجال الاهتمام، والاهتمام النظري الأساسي، ويبدأ دارسو التواصل تحليلاتهم، بالتركيز على استخدامات وسائل ومعاني الاتصال في حياة اجتماعية وثقافية محددة^(١).

وقد أصبح مفهوم حدث الاتصال نقطة انطلاق بارزة لهذه التحليلات حيث تلفت الانتباه إلى العمل التواصلي باعتباره مكوناً للعمليات الاجتماعية وتسلسلاتها. ويدرس حدث الاتصال من وجهة نظر المشاركين كأنماط مدمجة ومتكاملة للحياة الاجتماعية، مثل جلسات الغيبة والقليل والقال والبرامج الحوارية والاجتماعات السياسية^(٢).

وتنطوي الأحداث التواصلية عادة على أفعال بنيوية (هيكلية) متسلسلة يمكن فهمها من خلال صياغة معايير وقواعد حولها تتضمن قيوداً ثقافية لجوانب الحياة الاجتماعية التي لها بداية ونهاية. وتتضمن الأحداث التواصلية أفعالا وإجراءات من أنواع عديدة. على هذا النحو يمكن فهم الأحداث على أنها تطبيق الأفعال والإجراءات الاجتماعية حيث يكون فعل الاتصال هو المفهوم الذي يجمع أداء هذا الإجراء وتنفيذه وتفسيره. يربط فعل الاتصال التحليلات الإثنوجرافية بتفاعلات اجتماعية محددة من أجل فهم مجموعة سلوكيات وأفعال مضمنة يتم إنجازها. وتكون أفعال الاتصال عادة أجزاء من تسلسلات أكبر للاتصالات الاجتماعية، وبهذا المعنى يتم تصويرها غالباً كجوانب مدمجة متكاملة للأحداث التواصلية^(٣).

يستخدم مفهوم حالة الاتصال لتحديد إعدادات ومشاهد محددة للتواصل. فعلى سبيل المثال في بعض المجتمعات تتضمن حالات ومواقف التواصل الشرفة الأمامية،

(1) Carbaugh. 2007. p. 2.

(2) Carbaugh. 2007. p. 2.

(3) Carbaugh. 2007. p. 3.

وصالة التلفزيون، ومكان الجلسة والقهوة، أو المكتب الطبي مشكلة مجتمع الممارسة. على عكس أحداث الاتصال في المسجد أو الكنيسة التي عادة ما تحكمها مجموعة من القواعد الخاصة والتسلسلات، ربما تتضمن حالات ومواقف الاتصال أنشطة مع بعض الحدود والأشكال المحددة، ولكن بدون تسلسل صارم للأفعال أو الأنشطة.

أمّا مجتمع الكلام فهو مجموعة من الأشخاص يتشاركون قواعد الاستخدام وتفسير ممارسة اتصالية واحدة على الأقل. وقد تتضمن ممارسة التواصل أحداثاً محددة وأفعالا ومواقف مع استخدام وتفسير واحد على الأقل للعضوية في مجتمع الكلام. وبينما يتضمن مجتمع الكلام كحد أدنى ممارسة واحدة فإنه في الحقيقة عادة ما ينطوي على العديد من الممارسات؛ ومن ثمّ يستخدم لاحتضان التنوع في الوسائل والمعاني المتاحة للاتصال^(١).

وبالنظر إلى أنماط الحديث وطرقه في تواصل المجموعات الكلامية نجد أعضاء هذه المجتمعات يتحدثون بطرق معينة على سبيل المثال في السياسة والعبادة أو التربية وهذا يحدد المجتمع الذي يكون فيه الفرد، ومن هو، وأين يوجد، وبهذا المعنى يستكشف دارسو إثنوجرافيا التواصل طرقاً مختلفة للتواصل والتنوع الحاصل في أحداث الحياة التواصلية وأفعالها وحالاتها ومواقفها، مع اهتمام خاص بالمواقف والأحداث الخاصة التي يوجد فيها أنشطة تفاعلية وأساليب وأنماط ثقافية مختلفة للتواصل^(٢).

بالنسبة لعلماء إثنوجرافيا التواصل، يتم استكشاف الاتصال كشيء منمط محلياً ويتم ممارسته كجزء من الحياة الاجتماعية وكشيء مهم للغاية كونه يتم لجميع المجتمعات الثقافية. ويعدّ اكتشاف الوسائل المميزة لجميع وسائل التواصل أمراً بالغ الأهمية لفهمنا، وكذلك تفسير المعاني المرتبطة بهذه الوسائل المتنوعة للتعبير، ومعرفة ما هو مشترك عبر مجتمعاتنا المختلفة في التواصل. وفي هذه العملية فإن إثنوجرافيا

(1) Carbaugh. 2007. p. 3.

(2) Carbaugh. 2007. p. 3.

التواصل يوضحون كيف أن التواصل صياغة للحياة الاجتماعية والثقافية، ويحللون كلا من الملامح والسمات الثقافية والممتلكات عبرالثقافية للتواصل^(١).

بمجرد أن يحدد علماء الإثنوجرافيا حدثاً معيناً، أو فعلاً، أو حالة، أو مجتمعاً للدراسة، فإن الخطوة اللاحقة هي تحليل تلك الممارسة التي تم اختيارها على أنها ظاهرة متعددة الأوجه، وهذا يتضمن منهجية معينة: تتمثل في تحليل منهجي للممارسة المختارة كما لوحظت في سياقاتها الاجتماعية العادية وكما ناقشها المشاركون، حيث يتم إجراء هذه التحليلات بشكل منهجي من خلال مجموعة من المكونات^(٢). وقد تمّ تلخيص هذه المكونات بواسطة هايمز ١٩٧٢م على شكل أداة تذكر أن نمط من الحروف تساعد الذاكرة وهي SPEAKING، كإطار إثنوجرافي يأخذ في الاعتبار العوامل المختلفة المتضمنة في الحديث، وكل مكون من هذه المكونات في نظرهايمز، يدعونا لطرح أسئلة معينة حول ممارسة التواصل محل الاهتمام، ومثل هذه الأسئلة توفر أساساً نظرية مجردة للتحليل، تحقق أهدافاً عديدة، بما في ذلك فهم الصفات الخاصة لممارسات تواصلية محددة.

تتضمن منهجية الدراسة الإثنوجرافية تحليلاً منهجياً للممارسة المختارة من وحدات الممارسة التواصلية الأربع (حدث الاتصال، وأفعال الاتصال، وحالة الاتصال، ومجتمع الكلام) كما لوحظت في سياقاتها الاجتماعية العادية وكما ناقشها المشاركون، حيث يتم إجراء هذه التحليلات بشكل منهجي من خلال مجموعة من المكونات التي ذكرها هايمز، علماً بأنه قد تكون بعض الممارسات أثبتت جدواها في التحليل أكثر من غيرها؛ ومن ثمّ يصبح استخدام الإطار النظري نفسه موضوعاً للتفكير أثناء الدراسة الإثنوجرافية^(٣). ونعرض هذه المكونات على النحو التالي:

(1) Carbaugh. 2007. p. 6.

(2) Carbaugh. 2007. p. 3.

(3) Carbaugh. 2007. p. 5.

أولاً: الإعدادات والمشهد والمشاركون

ويعد الإعداد والمشهد (S) Setting and Scene مهمين في الكلام؛ ويشير الإعداد إلى الوقت والمكان، أي الظروف المادية الملموسة التي يحدث فيها الكلام؛ ويشير المشهد إلى الإعداد النفسي المجرد، أو التعريف الثقافي للمناسبة^(١). ويتناول هذا المكون الإجابة عن سؤال حول ماهي إعدادات ممارسة التواصل ومشهداها؟ حيث يستكشف هذا المكون جانبين من جوانب السياق: البيئة المادية التي تحدث فيها بإعداداتها وإجراءاتها ووقتها ومكانها، والمشهد على سبيل المثال، (شعور المشاركين بما يحدث عندما تكون هذه الممارسة نشطة). ويساعد تحليل نوعية الإجراءات والإعدادات وصفات الممارسة وجودتها، على ترسيخ ووضع التحليل في سياقات الحياة الاجتماعية المحددة^(٢). فكلمة ملكة بريطانيا بمناسبة أعياد الميلاد لها مشهدها الفريد وإعداداتها المميزة. ومثلها خطاب الاتحاد السنوي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يأتي جزء معين من الحديث لتحديد المشهد، وقد يعد حديث آخر غير هذا، غير مناسب في هذه المناسبة. والمشاركون ضمن بيئة وإعدادات معينة بالطبع لهم الحرية لتغيير المشاهد، عندما يغيرون مستوى شكل الحديث ورسميته على سبيل المثال، وعندما ينتقلون من الحديث الجاد إلى الهزل، أو عندما يغيرون نوع النشاط الذي يشاركون فيه^(٣).

ويشير مصطلح المشاركين (P) Participants إلى مجموعات مختلفة (المتحدث - المستمع، والمخاطب - المخاطب، أو المرسل - المتلقي)؛ إذ يمثل هؤلاء عموماً أدواراً بعينها محددة اجتماعياً^(٤). ويسعى هذا المكون للإجابة عن السؤال عن هم المشاركون في هذه الممارسة؟ ويضع هذا السؤال علامة تحول كبيرة هنا في تصور التواصل كحدث

(1) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 232.

(2) Carbaugh. 2007. p. 4.

(3) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 232.

(4) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 232.

يشارك فيه الناس؛ ومن ثمّ فالتصور المفتاح هو المشاركة في الحدث، وهذا يبتعد كثيراً عن الرمز العادي، ونماذج فك الترميز (التشفير) وغيرها من تلك التي تركز ابتداءً على مرسلي الرسائل ومستقبليها. فماذا لو عُدت ممارسة مثل قراءة الورقة حدثاً؟ فمن هم المشاركون في هذه الممارسة^(١). وتتضمن المحادثة بين شخصين متحدثاً ومستمعاً تتغير أدوارهما: ويتضمن الحديث متحدثاً ومستمعاً دون تغيير الدور. ويتضمن الخطاب السياسي مخاطباً أو متحدثاً ومخاطبين (الجمهور)، وتتضمن الرسالة الهاتفية مرسلًا ومتلقيًا وفي فصل دراسي، أسئلة المعلم، واستجابة الطالب لا تتضمن هذين الاثنين فقط كمتحدث ومستمع، ولكن أيضاً بقية الفصل كجمهور؛ لأن هؤلاء أيضاً يتوقع أن يستفيدوا من التبادل^(٢).

ثانياً: النتائج والأهداف

وتشير النهايات (E) إلى النتائج المتوقعة والمتعارف عليها للتبادل التواصلي، إضافة إلى الأهداف الشخصية التي يسعى المشاركون إلى تحقيقها في مناسبات خاصة. ويسأل هذا المكون عن ماهي نهايات هذه الممارسة؟ وهو سؤال عن نهايتين أو غايتين: أهداف المشاركين في القيام بهذه الممارسة، والنتائج التي تحققت بالفعل^(٣). فعلى سبيل المثال يعلم كثير منا أن حدث إلقاء النكتة، هو حدث غير مقصود لذاته وهدفه هو الترفيه فقط. والمحاكمة في قاعة المحكمة لها نهاية اجتماعية منظمة ومعترف بها، ولمختلف المشاركين وهم القاضي، وهيئة المحلفين، والادعاء، والدفاع، والمتهم والشهود، أهداف شخصية مختلفة. فقد تستهدف ممارسة التواصل بشكل عام بعض الأهداف مع تحقيق نتائج أخرى سواء أكانت مقصودة أو غير مقصودة^(٤).

(1) Carbaugh. 2007. p. 4.

(2) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 232.

(3) Carbaugh. 2007. p. 4.

(4) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 232.

ثالثاً: الشكل والمضمون والطريقة

ويشير تسلسل الفعل (A) sequence Act، إلى الشكل والمضمون الفعليين لما يقال: الكلمات المستخدمة بشكل دقيق، وكيفية استخدامها، وعلاقة ما يقال بالموضوع الحقيقي^(١). ويدعو هذا المكون إلى إلقاء نظرة فاحصة على التنظيم التسلسلي للممارسة ومحتوى رسالتها وشكلها. حيث يتناول الإجابة عن سؤال: ما تسلسل الفعل المتضمن في هذه الممارسة، أو التي جاءت الممارسة من أجله؟ متى تنشأ الممارسة؟ وفي أي جزء هي؟ وفي أي تسلسل؟ علاوة على ذلك، ما محتوى الممارسة وشكلها؟ فالممارسة جزء من التفاعل الاجتماعي، وهذا جانب من جوانب التحدث التي اهتم بها اللغويون منذ فترة طويلة خاصة أولئك الذين درسوا الخطاب والمحادثة^(٢).

أما المفتاح (K) Key، فيشير إلى الطريقة حيث يتم نقل رسالة معينة، لتحديد ما إذا كانت الممارسة أو الحديث، جاد، دقيق، متحذلق، ساخر، إلى آخره. ويتعامل هذا المكون مع سؤال كيف يتم تمييز الممارسة؟ ماهي العواطف والمشاعر المتضمنة في ممارسة التواصل. فمثلاً، يعد الحديث حول الجنائز وما يتعلق بها حديثاً موقراً وجاداً، فيما يمكن تصنيف أحداث أخرى مثل بعض البرامج الحوارية على أنها خفيفة على القلب، وغير جادة. فطرح الأسئلة وتحليلها مع هذا المكون، هو وسيلة لمعرفة كيفية تصنيف الممارسات، والطرق التي يتحول بها التمييز من لحظة تمييز إلى أخرى^(٣). ويمكن تمييز الكلمة المفتاح أيضاً بشكل غير لفظي من خلال أنواع معينة من السلوك، والإيماءات، أو الموقف، أو حين الانتقال. وعندما يكون هناك نقص في التوافق بين ما يقوله الشخص في الواقع وبين المفتاح الذي يستخدمه، فإنه من المحتمل أن يوحي المستمعون اهتماماً أكثر للمفتاح أكثر من المحتوى الفعلي^(٤).

(1) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 233.

(2) Carbaugh. 2007. p. 4.

(3) Carbaugh. 2007. p. 4.

(4) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 233.

رابعاً: قناة التواصل ومعاييرها وأنواعه

وتشير الأدوات (I) Instrumentalities، إلى اختيار القناة، على سبيل المثال، شفوية، مكتوبة، موقعة، برقية، وإلى أشكال الكلام الفعلية المستخدمة مثل اللغة، اللهجة، الرمز أو النوع المختار. ويتعامل هذا المكون مع سؤال: ما الأداة أو القناة المستخدمة في ممارسة التواصل هذه؟ فقد يكون المزاج الشفهي ضرورياً، أو قد يكون محظوراً لصالح إيماءة معينة، أو حركة جسدية. هل القناة التكنولوجية مفضلة أو محظورة. وهل ينبغي لهذه الممارسة أن تجري عبر قناة مطبوعة أو وجها لوجه، ومن خلال أغنية أو ترانيم؟ وبهذا تدخل مجموعة الأدوات المستخدمة لتصميم الممارسة والطرق التي يتم تفسير كل منها بها في التحليل هنا^(١).

ويمكنك استخدام أدوات مختلفة في مسارتبادلي لفظي واحد طويل، كأن تقرأ شيئاً أولاً، ثم تقول نكتة بلهجة معينة، ويمكن أن تقتبس من شكسبير ثم تستخدم تعبيراً من لغة أخرى وهكذا، ولا تحتاج إلى تغيير الموضوع بالضرورة للقيام بأي من هذه^(٢).

وتشير معايير التفاعل والتفسير (N) Norms of interaction and interpretation، إلى السلوكيات المحددة، والخصائص التي ترتبط بالمتحدث، وكيفية رؤيتها من الأشخاص الذين لا يشاركون فيها (على سبيل المثال ارتفاع الصوت، الصمت، النظرات، وما إلى ذلك^(٣)). ويتناول هذا المكون سؤال: ماهي المعايير التي تنشط عند ممارسة التواصل بهذه الطريقة وفي هذا المجتمع؟ يميز هذا المكون بين نوعين من المعايير التي قد تكون ذات صلة لممارسة التواصل: ما يتم القيام به بشكل طبيعي على سبيل العادة (على سبيل المثال تصويت قليل في الانتخابات)، وما الشيء المناسب الذي يجب فعله (على سبيل المثال يجب على المرء أن يصوت في كل انتخابات). يمكن تمييز معايير الحياة الطبيعية عن القيم الأخلاقية والأبعاد المعيارية لممارسات التواصل^(٤).

(1) Carbaugh. 2007. p. 4.

(2) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 233.

(3) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 233.

(4) Carbaugh. 2007. p. 4.

ويشير المصطلح الأخير النوع (Genre (G، إلى أنواع من الكلام محددة بوضوح مثل القصائد والأحاجي، والخطب، والصلوات، والمحاضرات، والافتتاحيات. كل هذه الأنواع يتم تمييزها بطرق محددة على عكس الكلام العادي^(١). وسؤال هذا المكون هو: هل هناك نوع من التواصل تعد هذه الممارسة مثالا عليه؟ وهذا يمكن أن يتضمن تحديد الممارسة كنوع رسمي مثل المبارزة (المنازعة) اللفظية أو لغز أو قصة؛ نتيجة لذلك تصبح خصائص تلك الأنواع الرسمية ذات صلة بتحليلها؛ إذ يمكن فهم الممارسة كنوع محدد من الكلام ويتم تحليلها وفقاً لذلك^(٢).

ما يقدمه لنا هايمز في إطاره أعلاه، هو تذكير ضروري للغاية بأن الحديث نشاط معقد، وأن أي جزء من الحديث هو في الواقع قطعة من «العمل الماهر». نجاحه يرتبط بإدراك مكوناته المذكورة. وبالطبع يختلف الأفراد في قدرتهم على إدارة واستغلال مجموع إجمالي هذه المكونات. فكل شخص في مجتمع ما، لن يدير الكلام بنفس الطريقة، ومع ذلك يمكن تحليل المحادثات من حيث مدى ملاءمتها للمعايير الاجتماعية للتفاعل^(٣).

تحليل الخطاب

عرفت اللسانيات الغربية تطوراً ملحوظاً في دراسة اللغة، وأوجه استعمالها بالانتقال من موضوع الجملة إلى موضوع النص والخطاب الذي بات مرتبطاً بالتفكير اللساني الحديث خارج منظور اللسانيات الوصفية النظرية، وفي ضوء العناية المتزايدة بوظائف النص والخطاب التواصلية والتأثيرية، شُرع في دراسة كيفية انتظامه وتماصكه والأسس التي يحقق من خلالها أغراضه في التخاطب، مما حفز إلى ظهور تحليل الخطاب وهدفه البحث في كيفية اتساق النصوص وانسجامها، وأغراضها في التواصل^(٤).

(1) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 233.

(2) Carbaugh. 2007. p. 5.

(3) Wardhaugh & Fuller. 2015. p. 234.

(٤) بوقرة، ٢٠١٧م، ص ٤٨.

وتحليل الخطاب عند علماء اللسانيات الاجتماعية يعني الاهتمام ببنية التفاعل الاجتماعي المتحققة بوسائل عديدة يأتي على رأسها الحوار؛ إذ ذهب هاتش Hatch إلى أن تحليل الخطاب هو دراسة لغة التواصل سواء أكانت محكية أم مكتوبة^(١). ويعرفه ستابس ١٩٨٣م Stubbs بأنه التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكياً أم مكتوباً، ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه ويهتم بدراسة اللغة في سياقها^(٢). ويجعل ليفنسن Levinson من تحليل الخطاب دراسة للغة من منظور وظيفي من خلال دراسة التركيب اللغوي بالإشارة إلى عوامل غير لغوية كالنص والمتكلم الذي يستخدم اللغة والسياق الذي تستخدم فيه^(٣).

تحليل الخطاب اللغوي كما يراه جريمشاو ١٩٨٩م مجال عام مرتبط باللسانيات الاجتماعية^(٤). وهو مجال متنوع المقاربات لكونه متعدد الموضوعات، ومتعدد التخصصات، ومتداخل الاهتمامات مع كثير من العلوم الإنسانية المختلفة^(٥)، يهتم بالصلات المنظمة بين الفقرات والجمل^(٦)، وبالتحليل الجزئي للأجزاء الدقيقة للكلام والأحداث التفاعلية الفردية كوسيلة لفهم الأبعاد الاجتماعية لاستخدام اللغة^(٧).

ويصور جريمشاو ١٩٨٩م عملية الخطاب على أنها تنطوي على مصدر أو منشئ لحركة الكلام، وهدف لهذه الحركة، وأداة وهي فعل الكلام نفسه، والنتيجة التي يسعى إليها المصدر. وتقيّد عمل الكلام الذي يستخدمه المصدر متغيرات هي القوة، والتأثير، والمنفعة^(٨).

(١) عمايره، ٢٠٠٠م، ص ١٩٩.

(٢) عمايره، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٠.

(٣) سعديه، ٢٠٠٩م، ص ١٠.

(4) Grimshaw. 1974. p. 80.

(5) Stubbs.1983. Van Dijk.1985.

(6) Stubbs. 1983.

(7) Maynard & Perakyla. 2003. p. 241.

(8) Grimshaw. 1989.

ويهتم جريمشاو ١٩٨٩م بقواعد الخطاب من خلال تأكيد القواعد المستمدة من الاعتبارات الاجتماعية الضرورية للملاءمة، المعتمدة على المعرفة الثقافية والاجتماعية للمشاركين، ومن خلال نهج أقل رسمية لوصف الخطاب ومعايير الاجتماعية، وكيفية تضمينه للعناصر المختلفة مثل اختيار الموضوع، والتنظيم التخطيطي الشامل، والمعاني المحلية، واختيار الكلمات، والأسلوب، والأدوات البلاغية، والنظر إلى الخطاب على أنه فعل، وكذلك تأكيد أهمية السياق والسلطة في تحليل النص والحديث^(١).

ونشأ هذا العلم من رحم البنيوية الوصفية القائمة على نحو الجملة في أمريكا؛ إذ نشر ز. هاريس Z. Harris ١٩٥٢م بحثاً بعنوان تحليل الخطاب مما جعل هاريس أول لساني يعدّ الخطاب موضوعاً شرعياً للدرس اللساني، قدّم فيه هاريس منهجاً لتحليل الخطاب المترابط، واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي،^(٢) واستخدم إجراءات اللسانيات الوصفية لاكتشاف بنية النص متجاوزاً قصر الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، إلى ما هو خارج الجملة، معتمداً في منهجه تحليل الخطاب على ركيزتين هما: العلاقات التوزيعية بين الجمل، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، مؤكداً أنه بالإمكان تصور تحليل الخطاب انطلاقاً من ضريين مترابطين يتمثل الأول في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، ويتعلق الثاني بالعلاقة بين الثقافة واللغة^(٣).

لقد شرح هاريس كيف أن مفهوم الخطاب فرض نفسه على اللسانيات انطلاقاً من كون التحليل اللساني التقليدي قد يؤدي إلى قصور ليس فقط في فهم النص، بل حتى في فهم الجملة ومكوناتها، نظراً لعلاقة الترابط القوية بين مكونات الخطاب، بما في ذلك المكونات غير اللغوية^(٤).

(1) Maynard & Perakyla. 2003. p. 241.

(٢) الفقي، ٢٠٠٠م، ص ٢٣.

(٣) الشاوش، ٢٠٠١م، ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) موساوي، ٢٠١٩م، ص ٩٧.

يمكن اعتبار مجهودات هاريس في التأسيس لمفهوم الخطاب ووضع الآليات الإجرائية لتحليله بمنزلة البداية الحقيقية لحقل تحليل الخطاب. لقد كانت منطلقات هاريس لسانية بالدرجة الأولى لكن مؤازرة اللسانيات الاجتماعية التي كانت متطورة في الولايات المتحدة في ذلك الوقت واستفادته من اللسانيات البنيوية جعلته يتنبه إلى دور العوامل غير اللغوية في التواصل بين الأفراد^(١).

وانطلاقاً من الأسس التي أرساها هاريس في تحليل الخطاب، ظهرت تصورات ونماذج كثيرة لتحليل الخطاب، نعرض لأبرزها باختصار في الفقرات التالية:

نماذج تحليل الخطاب

نموذج تحليل المحادثة

ظهر في الستينيات تيار تحليل المحادثة كواحد من نماذج تحليل الخطاب يستهدف التخاطب في الحياة اليومية على وجه الخصوص. وأسس لهذا التيار مجموعة من الباحثين في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع أمثال هارفي ساكس H. Sacks، وهارولد غارفينكل H. Garfinkel وإيمانويل شيجلوف E. Schegloff وغيل جيفرسون G. Jefferson، الذين عالجوا دراسة الحديث في التفاعلات من خلال دراسة التخاطب وتحليل المحادثة، كشكل من أشكال التحليلات اللغوية يركز على تسجيلات المحادثات التفاعلية التي تجري في حياتنا اليومية، وكذلك التفاعلات المؤسسية، (كحديث الطبيب مع المريض، والتفاعلات القانونية، وتحقيقات الشرطة، ومحادثات الفصول الدراسية)^(٢).

ويركز تحليل المحادثة على البناءات داخل المحادثات، وعلى وجه الخصوص نظام توالي الأدوار، ونظام التعاقب، والاستدراك، ويتضمن القيام بقراءة لصيقة لمخطط الحوار، والتركيز على الظواهر الصغرى مثل التوقفات والمقاطع، والضحكات وما إلى ذلك^(٣).

(١) موساوي، ٢٠١٩م، ص ١١٠.

(٢) موساوي، ٢٠١٩م، ص ٩٩.

(٣) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢١.

نموذج التفاعل الاجتماعي

لقد فتح هذا التوجه في دراسة تحليل الخطاب الباب أمام الباحثين في علم الاجتماع اللغوي وتحليل المحادثة ولسانيات النص، والتيارات الأخرى التي تعنى بتأويل النصوص والكلام والمدونات التواصلية الأخرى للربط بين التواصل والسياق الاجتماعي والكشف عن القوانين التي يخضع لها هذا التواصل، وهي قوانين ليست لغوية فحسب، بل في معظمها قوانين اجتماعية أو ما أصبح يطلق عليه بأعراف وطقوس التفاعل الاجتماعي^(١)، كما نَظَر لذلك إيرفنج غوفمان E. Goffman الذي أعطى أهمية قصوى للمناسبة الاجتماعية ودورها في توجيه الخطاب. ويشير غوفمان ١٩٧٩م إلى تحليل إطار الحديث على أنه تحقيق في «المواضع» أو المواقف التي يقوم فيها المشاركون بالتغيير باستمرار على مدار إنتاج الأقوال^(٢). وينتمي مبدأ الترتيب هذا، إلى ما يسميه غوفمان ١٩٧١م نظام التفاعل الذي يتألف من نظام ترتيب للتفاعل فيما يتعلق بكل من التنظيم الاجتماعي الأوسع والخصائص النفسية للممثلين، وعلى الرغم من أن ترتيب التفاعل يتكوّن إلى حدّ كبير من القواعد أو الأعراف، فإن الانتهاكات لهذه القواعد لا تهدد اللغة بقدر ما تخدم الموارد لإنجاز المشاريع ذاتها التي ينطوي عليها الالتزام نفسه، بما في ذلك تعريف الذات، وخلق المعنى الاجتماعي أو الحفاظ عليه^(٣).

ويعطي غوفمان اهتماماً كبيراً لقدرة الجهات الفاعلة على التوافق المرن مع القواعد بشكل كامل في تحليل الإطار، فالفاعلون الاجتماعيون من وجهة النظر هذه يتراوحون بين الامتثال، وخرق القاعدة، ووفقاً لكيفية تصنيف العمل التفاعلي فإن القواعد يمكن أن تمنح «عدم الالتزام» أحياناً مجموعة متنوعة من المعاني^(٤). فالقواعد التفاعلية لا تقيد الإجراءات بإحكام، إنها أشبه بالإرشادات التقريبية التي تسمح للجهات الفاعلة بإنجاز

(١) موساوي، ٢٠١٩م، ص ١٠٨.

(2) Maynard & Perakyla. 2003. p. 242.

(3) Goffman.1971. p. 61.

(4) Goffman.1971. p. 61.

مجموعة متنوعة من المشاريع الاجتماعية، اعتماداً على كيفية توافقهم معها، في ضوء تلك القواعد أو المبادئ التوجيهية^(١).

وقد ناقش غوفمان التفاعلات الاجتماعية في الحياة اليومية من خلال نظريته الدرامية في تحليل التفاعل الاجتماعي ودراسة التفاعل وجهاً لوجه، وسعى من خلالها إلى تحليل أنماط الكلام، وتحليل الإطار، والسلوك اليومي، وذهب فيها إلى أن التفاعل الاجتماعي بمنزلة أداء مسرحي، له «واجهة» و«خلفية». و«مظهر» واستند في ذلك إلى فكرة أن الأفراد يحاولون التحكم في الانطباع الذي يتركونه لدى الأشخاص الآخرين، فيدخلون في عدّة ممارسات تسمى العمل المظهري «face work»^(٢)، وهي إستراتيجية تواصلية تستخدم لإدارة المظهر أثناء التفاعل، وتعني القيمة الاجتماعية التي يطلبها الشخص لنفسه حسب الطريقة التي اختطها لنفسه أثناء لقاء معين، فالمظهر هو رسم للذات يتم تحديده وفقاً لإسقاطات اجتماعية تمّ اعتمادها^(٣).

فغوفمان يعتقد أنه ليس ثمة فرق كبير بين المسرح وبين الحياة اليومية وأن استخدام تشبيه المسرح في التحليل هو مناورة وتوظيف بلاغي يمكننا من فهم التفاصيل الدقيقة والخفية في حياتنا. فسلوكنا في حضور الآخرين هو عبارة عن أداء (performance) نسعى من خلاله بشكل واع أو غير واع إلى المحافظة أو التلاعب في انطباعات الآخرين عنا. يحدث هذا في عالم يفيض باللقاءات الاجتماعية، والتفاعل وجهاً لوجه، والانطباعات المباشرة، والإيماءات وحركات الجسد، والعمل المظهري face work، والمظهر والسلوك...^(٤).

وينظر غوفمان إلى المضمون التعبيري في الحياة الاجتماعية، مثل اللغة والتلميحات والإيماءات ورموز المكانة وغيرها مما يُسميه حوامل العلامات Sign vehicles، باعتبارها

(1) Goffman.1974. p. 502.

(٢) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٦٢.

(٣) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٤٤.

(4) Goffman.1959. p. 249.

مصدراً للانطباعات التي يعطيها الفرد للآخرين عن نفسه أو يُكوّنها عنهم، كما أن الانطباعات، أيضاً، تصبح مصدراً للمعلومات عن الحقائق الخفية غير المعلنة وكذلك تصبح وسيلة لتحديد طبيعة الاستجابة والتفاعل مع الآخرين دون انتظار تكوين تصور كامل عنهم عبر أفعالهم وتصرفاتهم. ومن هنا تأتي أهمية الانطباعات حيث يُكرّس الفرد مجهوده خلال الأداء لخلق انطباعات مرغوب فيها ويحاول التلاعب بهذه الانطباعات كبديل عن الواقع، أي باعتبارها تمثيلاً Representation لشيء ما قد لا يكون موجوداً بالفعل في الواقع^(١).

إن الشخصية التي تُؤدّى على خشبة المسرح ليست بشكل ما حقيقية، لكن لها ذات الأساليب التي يستخدمها الأشخاص العاديون في حياتهم اليومية للتعامل مع المواقف الاجتماعية الواقعية. فأولئك الذين يتفاعلون وجهاً لوجه على خشبة المسرح يجب عليهم استيفاء متطلبات المواقف الواقعية؛ إذ يجب عليهم الحفاظ على تعريف الموقف بشكل معبر، وتطوير مصطلحات ملائمة لوصف المهام التفاعلية التي تشارك فيها جميعاً^(٢).

نموذج التحليل السياقي للخطاب (MDA) Mediated - discourse analysis

يشير نموذج التحليل السياقي للخطاب إلى نوع من تحليل الخطاب يهتم بالنصوص داخل سياقاتها الاجتماعية والثقافية. ويركز على الأفعال التي يؤديها الأفراد بالنصوص ومستتبعات تلك الأفعال، ويهتم بتحليل الفعل الاجتماعي من خلال الاهتمام بتحليل ستة مفاهيم: الفعل الوسيط، وموقع التداخل، ووسائل التواصل، والممارسة، وترابط الممارسة، ومجتمع الممارسة. ويتم التحليل عن طريق تثليث الأنواع المختلفة للبيانات (مثل استعمال ملاحظة الباحث بالمشاركة، والمجموعات المستهدفة، والمسوحات وتحليل محتويات الإعلام). وينزع التحليل السياقي للخطاب إلى أن يكون الأنسب لتحليل تقاطعات الممارسات الاجتماعية اليومية مع الخطاب المجتمعي السائد حول

(1) Goffman. 1959. p. 253.

(2) Goffman. 1959. p.255.

موضوع معين. ومن أبرز دارسيه سكولون ١٩٩٨م، Scollon ٢٠٠١م، ونوريس وجونز Norris and Jones، ٢٠٠٥م^(١).

نموذج المذهب المعرفي الاجتماعي Socio - cognitive approach

يشير نموذج المذهب المعرفي الاجتماعي إلى أحد مذاهب التحليل النقدي للخطاب، وقد طوره الباحث الهولندي توين فان ديك T. Van Dijk وفيه يستجلي الصلة ما بين الخطاب والمعرفة والمجتمع. فتشتمل ممارسته على تحليل المواضيع (البناء الكلي) والمعاني المحلية (المتعلقة بظواهر مثل اختيار الكلمة)، ونماذج السياق، والنماذج الذهنية (بما فيها المعرفة والتوجه والأيدولوجيات) والعلاقة بين الخطاب والمجتمع، وهو يقوم على الربط الدائم صعوداً ونزولاً للصلة ما بين الخطاب والتفاعل مع البنى الاجتماعية^(٢). وقد ذهب في كتابه "النص والسياق" إلى أن الدراسة اللسانية للخطاب يجب أن تشترك أغراضها ومقاصدها الأساسية مع النظريات اللسانية ومع علم النحو، مع مراعاة البعد التداولي للخطاب، وأنساق اللغة الطبيعية بما في ذلك تراكيبيها المتحققة أو ممكنة التحقق، وبتطورها التاريخي وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية وأسسها المعرفية^(٣).

وتقوم إستراتيجية فهم النصوص عنده في البحث عن اتساق النصوص وانسجامها، وعلى الربط المنطقي بين المعطيات التي تعبر عن تعالق مستويات التكوين النصي، وهي المعطى النحوي، والمعطى الدلالي، والمعطى السياقي التواصل، والمعطى التداولي^(٤).

(١) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٦٨.

(٢) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٣٢.

(٣) فان ديك، ترجمة عبد القادر قنيني، ٢٠٠٠م، ص ١٧.

(٤) خطاي، ١٩٩١م، ص ٣٤.

نموذج تحليل الخطاب النقدي (CDA) Critical discourse analysis

ذهب بعض محللي الخطاب إلى استعمال تحليل الخطاب في شكل نقدي أكبر لدراسة المواضيع ذات الصلة بالسلطة والأيدولوجية، فظهر ما يسمى بتحليل الخطاب النقدي. وهو منهج لتحليل الخطاب يعد اللغة ممارسة اجتماعية، ويهتم بالطرق التي يتم فيها التعبير باللغة عن الأيدولوجيات وعلاقات السلطة، ولا يهتم فقط بالكلمات التي بالنص وإنما يتطرق لسبر السياق الاجتماعي، وأول من طوّر هذا المنهج نورمان فيركلو ١٩٨٩م^(١) حيث تبنى إطاراً ثلاثي الأضلاع للتحليل. المرحلة الأولى، التوصيف Description، والمرحلة الثانية، التفسير Interpretation، وهي تركز على العلاقة بين النص والتفاعل، حيث ترى النص على أنه في الوقت نفسه منتج لعملية الإنتاج ومصدر في عملية التفسير. والمرحلة الثالثة، التعليل Explanation، وتدرس العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي، والمؤثرات الاجتماعية لعمليات الإنتاج والتفسير^(٢).

ينظر التحليل النقدي للخطاب إلى الحياة الاجتماعية على أنها مجموعة شبكات مترابطة من الممارسات الاجتماعية المتعددة الأنواع، وكل ممارسة تشكل عناصر اجتماعية معينة في إطار تشكيل ثابت نسبياً، يحوي دائماً خطاباً (الأخبار المتلفزة، الاستشارات الطبية، التعليم في قاعة الدرس). وكل ممارسة تحوي عناصر الأنشطة، والذوات وعلاقاتها الاجتماعية، والأدوات، والموجودات، والزمان والمكان، وأشكال الوعي، والقيم، والخطاب، وتقوم بين هذه العناصر علاقة منطقية جدلية، أي إنها مختلفة

(١) محلل خطاب إنجليزي قام بتطوير واحد من أول مناهج تحليل الخطاب النقدي مستنداً على توسعة اللغويات النقدية؛ لتأخذ الممارسات الاجتماعية والأنواع الأخرى من السياق بصورة أشمل في الحسبان. وقد تأثر فيركلو بهاليداى على المستوى اللغوي، وطبق طريقته الخاصة الثلاثية المراحل على تحليل الخطاب النقدي. وكان يهدف للقول إن اللغة تستعمل لتخلق علاقات السلطة والأيدولوجيات وتحافظ عليها وتواجهها، وكان مهتماً على وجه الخصوص بالمفاهيم التي تدل على المتغيرات الاجتماعية الجارية. انظر في هذا كتاب بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٦١.

(٢) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢٥.

بعضها عن بعض لكنها غير منفصلة بشكل كامل، فكل عنصر يتضمن بمعنى من المعاني العناصر الأخرى بدون أن يتساوى مع أي منها.

توجد بصورة عامة ثلاث طرق لظهور الخطاب في الممارسات الاجتماعية. فهو يظهر أولاً، كجزء من النشاط الاجتماعي في ممارسة ما. ويظهر ثانياً، في تمثيل الفاعلين للممارسة، فأياً كانت الممارسة، ينتج الفاعلون الاجتماعيون تمثيلاً ينشأ عن ممارسات أخرى، كما ينتجون تمثيلاً يعكس ممارساتهم الذاتية، ويجددون سياق ممارسات أخرى، أي يدرجونها ضمن ممارساتهم الخاصة. وتختلف طبيعة التمثيل باختلاف الفاعلين الاجتماعيين، وفق تموقعها في ممارستهم. ويظهر الخطاب ثالثاً، في طرق التواجد في تشكيل الهويات، فهوية القائد السياسية على سبيل المثال، تتشكل جذرياً بالخطاب كطريقة تواجد معينة.

ويشكل الخطاب باعتباره جزءاً من النشاط الاجتماعي، الأصناف، وهي طرق متنوعة من الفعل والإنتاج للحياة الاجتماعية وفق الصيغة السيميائية. ومن الأمثلة على ذلك: المحادثة اليومية، والمقابلات السياسية وغير السياسية. فأنواع الخطاب تمثيل مختلف للحياة الاجتماعية، وهي بطبيعتها مُتموّعة حيث ينظر الفاعلون الاجتماعيون إلى الحياة الاجتماعية ويمثلونها بطرق وضروب خطاب تختلف باختلاف مواقعهم. ويشكل الخطاب الأساليب، وذلك باعتباره جزءاً من طرق التواجد؛ ولذلك يذهب تحليل الخطاب النقدي إلى معالجة النصوص باعتبارها عناصر مكوّنة في الأحداث الاجتماعية، وسيرورات صناعة المعنى التفاعلية. ففي حالة التحوار وجهها لوجه، يكون النصّ تدويناً لما قيل، ويستطيع المرء أن يرى إلى حدّ ما، صناعة المعنى وهي تتشكل بالنظر في كيفية تبادل المشاركين الكلام في حوارهم بحسب دورهم. فصناعة المعنى لا تستند فقط إلى البين في النص، إنما إلى المستتر، المُسلّم به أيضاً، وغالباً ما يستند ما «يُقال» في النصوص إلى مُسلّمات «لا تُقال»؛ لذلك فإن محاولة تحديد المُسلّمات جزء من تحليل النصوص^(١).

(١) فيركلو، ١٩٩٥م، ترجمة طلال وهبة، ٢٠٠٩م، ص ٣٩.

وتقوم طريقة عمل التحليل النقدي للخطاب على تحديد المشكلة الاجتماعية ذات الجانب السيميائي، ثم معالجة الموضوع بتحليل العلاقات بين الخطاب، وتحليل شبكة الممارسات التي تتواجد فيها المشكلة، وعلاقة سيرورة المعنى بالعناصر الأخرى في الممارسة أو الممارسات المعنوية، ثم تحليل الخطاب نفسه وسيرورة المعنى فيه تحليلاً بنائياً يتعلق بنطاق الخطاب، وتحليلاً نصياً تفاعلياً، من منظور التفاعل الخطابي والتحليل اللساني والسيميائي.

وعلى الرغم من حداثة مجال تحليل الخطاب إلا أن الدارسين في الشرق والغرب يولونه أهمية أكبر لقدرة نماذجه التحليلية على استنطاق النصوص من حيث تكوينها البنيوي والوظيفي، فإجراءاته التحليلية تجمع بين الوصف الفونولوجي، والمورفولوجي، والتركيب، والدلالي، والمنطقي، والنفسي، والاجتماعي، والثقافي بشكل عام، مما يعزز من إدراك المتلقي لتماسك النص وترابطه^(١).

ومع اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم الخطاب، فإن ما يُتفق عليه أنه مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة، وأن وظيفتها هي التواصل الاجتماعي^(٢)، وأن تحليل الخطاب يقوم بتفسير حدود الجملة، وتجاوز دلالتها إلى بنية النص في التواصل، وينفتح تحليل الخطاب على علوم غير لغوية تجعل من منظورات تحليل الخطاب مجالاً متعدد التخصصات^(٣).

التداولية

تأتي أهمية التداولية pragmatic، في كونها تهتم بمختلف الأسئلة المهمة، والإشكالات الجوهرية في النص؛ لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة من قبيل: من يتكلم وإلى من يتجه بكلامه؟ ماذا يقول بالضبط حين يتكلم؟ كيف يتكلم بشيء، ويريد قول شيء

(١) بوقره، ٢٠١٧م، ص ٥٤.

(٢) بوقره، ٢٠١٧م، ص ٦٠.

(٣) بوقره، ٢٠١٧م، ص ٦٤.

آخر؟ وتستدعيننا التداولية في محاولتنا للإجابة عن هذه الأسئلة إلى استحضار مقاصدنا، وأفعال لغتنا وسياق تبادلاتنا الرمزية، والبعد التداولي لهدف اللغة المستعملة^(١).

ظهرت التداولية نتيجة للقطيعة التي أحدثتها الدراسات البنيوية لمعطيات السياق ككل؛ إذ أولت النظريات اللسانية المهيمنة عنايةً ضعيفة لاستعمال النظام اللغوي^(٢). وقد كان لهذا الإبعاد آثاره السلبية؛ إذ بدأ النحو التوليدي يفقد مكانته وأصبح اللسانيون يرفضون الاقتصار على دراسة الجمل اللغوية على نحو تجريدي بمعزل عن السياقات التي تستخدم فيها. إن لجوء اللسانيين لهذا المنهج التداولي الحديث ناجم عن قصور الدراسات الشكلية، وإهمالها لكل مقارنة لغوية تهتم بالعناصر غير اللغوية، ويرى ليفنسون أن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمنزلة ردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئاً تجريدياً، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غفلاً من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها^(٣).

وفي أوائل السبعينيات صار الاهتمام بالمعنى في الاستعمال أكثر من الاهتمام بالمعنى المجرد، وتحول الاهتمام إلى دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، ودراسة المعنى السياقي وأوليت أفعال الكلام عناية خاصة، وهو ما استلزم لاحقاً ظهور مصطلح التداولية، حيث جاءت لتركز على الاستعمال اللغوي. كإنتاج لغوي لا ينفصل عن الموقف الذي يتحقق فيه، وتمكّن من التحدث عن المعاني التي يقصدها الناس، وعن افتراضاتهم، وأهدافهم، وأنواع الأفعال التي يؤديونها أثناء تكلمهم^(٤).

وعليه، فإن المقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم

(١) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٤.

(٢) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٧.

(٣) بوقرة، ٢٠١٧م، ص ٢١٢.

(٤) بوقرة، ٢٠١٧م، ص ٢٢٣.

والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. حيث تهتم بدراسة لغة الخطاب اليومي المباشر، بغرض الكشف عن المقدرة الخطابية، ودراسة معاني القول في المقامات التخاطبية. وتبحث في العناصر الإشارية أو الإحالية، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، ومتضمنات القول^(١).

وتهدف التداولية إلى دراسة اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة حدود الواقع الأصلي المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة في الكلام، بل يقصد المعنى السياقي غير المباشر؛ إذ إن الوضع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى، ولا يمكن الوصول لهذه المعاني إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال السياقي الذي يحدد قصد المتكلمين، فبعض المعاني الثانوية للتعبير كالسخرية والاستنكار والمدح والذم تستفاد من علاقته بالسياق الخارجي.

ولتركيز فهمنا يمكننا التأكيد أن التداولية تدرس الاستعمال اللغوي؛ فتكشف عن المبادئ (القواعد) والإستراتيجيات التي قد يعتمد عليها المتكلم في إنتاجية هذا الاستعمال، كما تفسر العمليات الاستدلالية التي قد يجنح إليها المتلقي للوقوف على المقصد المطلوب. وتهتم عموماً بدراسة المجالات التالية: الفعل الكلامي وشروطه وعلاقاته بمجال الاستعمال، وقوته الإنجازية، والقصد التداولي للاستعمال اللغوي، الذي يتعدى حدود المعنى اللغوي، ليرتفع بمجمل المعطيات اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في إنتاجيته وتأويله. والمبادئ القولية ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والأخلاقي التي تحتضن الاستعمال اللغوي ككل، وكذلك الإستراتيجيات التي قد تحكم التخاطب ككل، بحيث تنزل في الاستعمال الكلامي، فتضفي عليه سمات خاصة^(٢).

دعت التداولية إلى ضرورة اعتماد الظواهر التي لا يمكن تجاوزها أثناء الاستعمال اللغوي؛ لأنها من مكونات القول التي تضفي عليه فعالية أكثر. ومن هذه الظواهر إلقاء

(١) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٣.

(٢) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٧.

القول (التلفظ)؛ وهو أهم اكتشاف بالنسبة إلى التداولية، على أساس أن بعض العبارات وظيفتها إحالية ذاتية (تحيل على نفسها)، مثل الأقوال الإنشائية. فمثل هذه العبارات الإنشائية تقوم على إنجازية معينة؛ كالوعد، أو التهنة، أو الاعتذار، أو غيرها، حيث ترتعن بإلقاء القول باعتباره جزءاً لا يتجزأ عن دلالاته. ومن الظواهر التداولية أيضاً أن لبعض الأقوال خاصية استلزام أقوال أخرى، كقولنا: «لدي ارتباطات»؛ لمن سألني «هل يمكن أن تحضر غداً؟» حيث يستلزم القول الأول أنني سأغيب، وهي عبارة يقتضيهما السياق الذي يجري فيه التخاطب. ومنه تعمل التداولية على تفسير الطريقة التي قد تجعل المتكلم يقول قولاً، ويقصد به قصداً يتعدى المعنى الحرفي للقول وفق علاقة ما، كما تفسر الكيفية التي تمكن المتلقي من الوصول إلى التأويل المناسب للقول، بالوقوف على المبادئ السياقية التي قد تحتضن التخاطب وتحقق غاياته. وقد وضّحها التداوليون ضمن مباحث متنوعة؛ منها «مبدأ التعاون» و«مبدأ المناسبة» و«مبدأ المواضيع»^(١).

لقد حوّلت التداولية الاهتمام من دراسة البنية اللغوية في إطار نسقيتها المغلقة، إلى دراسة الأقوال وعلاقتها بالموقف الذي يجري فيه التخاطب، بكل مبادئه اللغوية، وغير اللغوية التي تحقق الفعالية والغايات المقصودة. ثم إن ربطها بـ «الاستعمال» بمعطياته المتنوعة جعلها تتعدى حدود اللغة، إلى مقولات أخرى ذات طرح منطقي، واجتماعي، ونفسي، وثقافي^(٢).

وارتباط التداولية بالاستعمال جعلها تفتح على المعطيات غير اللغوية التي قد تسهم في الإنتاج الكلامي وتحقيق فعاليته، وهي متعددة الجوانب؛ فقد تكون اجتماعية، أو ثقافية، أو نفسية، أو أيديولوجية، أو غير ذلك. وهذا ما جعلها تهتم بثلاثة مكونات لها دور فعال في توجيه التبادل الكلامي؛ وهي: المتخاطبون، سواء أكانوا مخاطبين أم متلقين، والسياق المتعلق بالحال أو المقام، والاستعمال اليومي والعادي للغة أو الكلام في الواقع^(٣).

(١) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٦.

(٢) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٦.

(٣) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٦.

وارتهان الاستعمال اللغوي بالسياق أيضاً جعل وظيفة الدرس التداولي تقتضي البحث في القصد؛ باعتبار أن كل منطوق من المنظور التداولي ليس منطوقاً من مضامين فحسب؛ بل هو منطوق من المقاصد أيضاً؛ إذ إن «القصد» لا يرتبط بدلالات الكلمات وسياقاتها فقط، بل يتعدى ذلك ليتعلق أكثر بالتداول الذي يحتضنها، انطلاقاً من الموقف الذي تستخدم فيه، ثم بقية الملابس التي تتعالق معها^(١).

وضع البريطاني جون أوستين^(٢) نواة التداولية اللسانية المتمثلة في فكرة أفعال الكلام، وميّزين نوعين من الأفعال: أفعال تقريرية إخبارية تصف وقائع العالم الخارجي، وتحتمل الصدق والكذب، وأخرى أدائية، وتستخدم لإنجاز فعل ما، والأقوال الأدائية، هي التي تنجز بها سياقات خاصة للدلالة على معاني الأفعال التي لا توصف بصدق أو كذب، مثل التسمية، والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد^(٣).

وقد أنكر أوستين أن تكون الوظيفة الأم للتعبير هي الإخبار، وهي وصف حال الواقع وصفاً يحتمل إما الصدق وإما الكذب، وسماه بالمغالطة الوصفية، وأثبت إلى جانب التعبيرات الوصفية، قسماً آخر من العبارات قد يكون شبيهاً لها، ولكنه لا يصف الواقع، ولا يحتمل الصدق والكذب، فإذا طلب منك شخص يد ابنتك فقلت له: زوجتك ابنتي، فأنت هنا لا تصف عالماً خارجياً، ولا يمكن أن يوصف قولك بالصدق أو الكذب، بل بمجرد تلفظك بهذه العبارة فأنت تنجز فعلاً تترتب عنه أشياء أخرى^(٤).

(١) عبد الحليم، ٢٠١٨م، ص ٦.

(٢) لغوي بريطاني طوّر مفهوم فعل الكلام والنظرية المقترنة به، ولقد كان أكثر أعمال أوستين تأثيراً كتابه: كيف نفعل الأشياء بالكلمات How to do Things with Words ١٩٦٢، وهو الذي انتقد فيه المفهوم القائل بأن التعبيرات تكون فقط إما صادقة وإما كاذبة. وقدم فكرة أن التعبيرات لا يتم تقويمها عبر حقيقتها، بما في ذلك التعبيرات التي عُدّت «إنجازية/ أدائية»؛ لأنها تستعمل لتؤدي نوعاً معيناً من الأفعال. وتلك التعبيرات الإنجازية/ الأدائية يحالفها النجاح والتوفيق فقط عند توفر ظروف بعينها. انظر في هذا كتاب بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٥٥.

(٣) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٧.

(٤) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٧.

وقام أوستين بتقسيم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي أفعال الأحكام؛ وهي التي تعبر عن حكم يصدره حكم، أفعال القرارات؛ وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار ما. أفعال التعهد؛ وهي التي تعبر عن تعهد متكلم بأمراً ما. أفعال السلوك؛ وهي التي تعبر عن رد فعل اتجاه سلوك الآخرين. أفعال الإيضاح؛ وهي التي تستعمل لتوضيح وجهة نظر ما، وذكر الحجة كالإثبات، والإنكار، والاستفهام، وغيرها^(١).

وجاء من بعده تلميذه سيرل وطور بعض القضايا التي لم يعالجها أوستين، وذلك في كتابه «الأفعال اللفظية» ١٩٦٩م (speech acts)، حيث «ربط بين الأفعال الإنجازية وقوتها وبين مفهوم القصد»؛ إذ يعده هدف العملية برمتها، وحدد مفهوم الفعل الإنجازي فعده الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وحدد مفهوم القوة الإنجازية في تأثير المتلقي بدليل القوة الإنجازية، وهو الذي يبين نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدي بالنطق من خلال نظام الجملة، أو النبر أو الفعل الأدائي، ورأى أن الهدف لنمط معين من الإنجاز هو هدفه الإنجازي^(٢).

ثم جاء بول غرايس^(٣)، وكان أهم ما قدمه في هذا المجال ما يسمى بالنظرية القصدية في المعنى. لقد أعطى غرايس الأسبقية لقصد المؤلف على حساب الصورة التي تكسو الحدث اللغوي الذي ينجزه؛ ولذلك كان أهم ما جاء به الافتراض المسبق، أو الاقتضاء

(١) بوقرة، ٢٠١٧م، ص ٢٢١.

(٢) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٧.

(٣) لغوي بريطاني المولد ساعدت أعماله في تأسيس مجال التداولية، وكان مهتما على وجه الخصوص بالعلاقة بين المعنى الذي يقصده المتحدث والمعنى اللغوي. وطور المبدأ التعاوني Cooperative Principle، وكذلك ثوابت المحادثة الأربعة لكي يساعد في شرح الكيفية التي تفهم بها الأقوال غير المكتوبة، وكيف أن المتحدثين يتبعون ثوابت معينة، أو يهزأون بها في نقاط بعينها لكي يعبروا عن المعنى. وطور نظرية الاستتباع Implicature من خلال تمييز الفروق بين الاستتباع المحادثاتي والاستتباع التقليدي، كما أنه قام بالتمييز بين أربعة أنواع من المحتوى: المحتوى المرمز، والمحتوى غير المرمز، والمحتوى باشتراط الصدق، والمحتوى بغير اشتراط الصدق. انظر في هذا كتاب بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ١٦٣.

التخاطبي، وهو يعني أن كل عملية تبليغية تواصلية لابد وأن ينطلق فيها المتخاطبون من معطيات أساسية ومعروفة، ولا تحتاج لأن يصرحوا بها، وهي تشكل خلفية التبليغ الأساسية والضرورية لنجاح التواصل، وهي متضمنة ومحتواة في القول، سواء تلفظ بهذا القول نفيًا أو إثباتًا، فعند قولنا مثلاً (أغلق النافذة) أو (لا تغلق النافذة) فالمعطى المسبق المقضى واحد وهو كون النافذة مفتوحة^(١).

واقترح غرايس مبدأ التعاون Cooperative principle، وهو مبدأ حوارى عام، وصفه بالقول: «اجعل مشاركتك المحادثائية بالقدر الذي يتطلبه الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المطلوب، وفي المرحلة التي حدثت فيها، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار»^(٢). وتتجسد فكرته في مساهمة المتكلمين وتحكمهم في المبادلة الخطابية، ثم تحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد، وتحقيق نوع من الانسجام. ومبدأ التعاون هذا هو الأساس الذي يركز عليه الاستلزام الحوارى من أجل ترتيب الحدث الكلامي. ولإنجاح العملية الخطابية يجب تحققها في ظل الحوار، الذي يتناوبه شخصان هما المتكلم والسامع.

فالاستلزام الحوارى حلقة الوصل بين المعنى الحرفى الصريح والمعنى المتضمن فى شكل الجملة، وهو مجموع القواعد التي يخضع لها المتحاورون، ليتحقق التواصل بينهم وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يسهم كل طرف منهم إسهاماً فعالاً فى الحوار، فيتحقق التفاهم فيما بينهم بطريقة منطقية. وهو مبدأ اجتماعى يتحكم فى العلاقات الاجتماعية للمتكلمين من خلال الاستعمال الحرفى للغة، وأخلاقى لما يستتبعه من مبادئ أدب الحوار بين المتحاورين. وكلما زادت الأشياء المشتركة بين المتخاطبين، قلّ استخدام اللغة التي يحتاجونها لتعريف أشياء مألوفة فيما بينهم^(٣).

(١) بوقمرة، ٢٠١٧، ص ٢٢٤.

(٢) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢٣.

(٣) ناصر، ٢٠١٨م، ص ٥٨.

ويقترح غرايس أن العبارات اللغوية تتضمن معاني صريحة ومعاني ضمنية. والمعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

١. المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة وربط بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

٢. القوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات، والنفي.

٣. والمعاني الضمنية وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسباق دخل في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل ما يلي:

٤. معاني عرفية وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل الاقتضاء.

٥. معاني حوارية وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية^(١).

لقد عمد غرايس إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده من هنا فكرة الاستلزام^(٢). فخرق مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام، فمثلاً حين تقول أم لولدها: أشعر بالنعاس؟

(1) Grice, 1975, p.46.

(٢) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣١.

فيجيب: لا أُرغب في تنظيف أسناني، فإجابة الطفل هنا، خرق لمبادئ الحوار، ولكن وفق مبدأ التعاون نجد أن الإجابة تندرج تحت الاستلزام الحواري، فقد استلزم رفض الطفل للنوم، عدم رغبته في تنظيف أسنانه.

ورأى غرايس أن الاستلزام نوعان: استلزام عرفي، واستلزام حوارِي. فالاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. من ذلك (لكن) فهذا يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع، مثل: زيد غني لكنه بخيل. أما الاستلزام الحوارِي: فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها^(١). فحين يقال: كم الساعة؟ فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي ترد فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً للتأخر. فكان غرايس مشغولاً بمسألة: كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟

وللاستلزام الحوارِي عند غرايس خواص تميزه:

١. فالاستلزام قابل للإلغاء، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام^(٢).

٢. والاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، أي أن الاستلزام الحوارِي متصل بالمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها. فإذا قالت أخت لأختها: لا أريدك أن

(١) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٢.

(٢) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٨.

تصعدي لغرفتي على هذا النحو. فتقول الأخرى: أنا أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء. فعلى الرغم من تغيير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً^(١).

٣. والاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزمات مختلفة في سياقات مختلفة. فإذا قال شخص: كم يدا لي؟، فقد يكون سؤالاً حين يوجه لطفل مثلاً، وقد يستلزم السؤال استنكاراً حين يوجه لمن يلحّ في طلب عمل لا يستطيع المتكلم التفرغ له، فيختلف الاستلزام حسب السياق الوارد فيه^(٢).

٤. والاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فإذا قيل مثلاً: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلي خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية، والمفروض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً، فماذا يريد أن يقول؟ لا بد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي، فلجأ لهذا التعبير^(٣).

ويؤدي مبدأ التعاون إلى التواصل والتفاعل فيما بين المتحدثين، ويقتضي الفعل التواصل من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتأويل. يحيل الإنتاج إلى التلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى، في حين يتطلب التأويل من المتلقي الاستناد إلى عدّة وسائل لسانية وغير لسانية. وبهذا تؤدي التفاعلات الحوارية إلى ظهور كيفية إنتاج الخطاب من جهة، وإلى عملية التأويل من جهة أخرى، مستغلة في ذلك العديد

(١) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٨

(٢) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٩

(٣) نخلة، ٢٠٠١م، ص ٣٩

من الوسائل أهمها السياق في محاولة لاكتشاف الأغراض التي يريدها المرسل من خلال كلامه أو رسالته^(١).

وقد تفرع عن مبدأ التعاون كما صاغه غرايس أربعة مبادئ أو قواعد هي ثوابت المحادثة conversational maxims لتبيان كيفية أداء الناس للمحادثات، ويمكن اعتبار تلك الثوابت الأربعة من قبيل التوقعات التي لدى الناس عن الطبيعة التي تؤدي بها المحادثات. ويمكن تجاهل هذه الثوابت لعدة أسباب، فقد يخالفها المتحدثون بغرض التضليل، أو لاختيار سواها، أو ربما لكونهم قد يواجهون تصادماً مع تلك الثوابت، باعتبار أن الثقافات المختلفة لها مبادئها المختلفة حول الكيفية التي يكتمل بها التعاون^(٢). وتلك الثوابت هي^(٣):

١. مبدأ الكم Maxim of quantity: ويحكم هذا المبدأ في الكمية المناسبة من المعلومات أو الحديث الذي يجريه أحدهم في محادثة ما. وبموجبه يجب أن يكون الحوار مناسباً دون زيادة أو نقصان، حيث يقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

٢. مبدأ الكيف Maxim of quality: ويحكم هذا المبدأ في صدقية الحديث، فلا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس عليه دليل، فلا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه؛ لأنه يضعف حجتك.

٣. مبدأ المناسبة Maxim of relevance: ويحكم هذا المبدأ في صلة الحديث بالموضوع، ويتعلق بمناسبة الكلام للموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسباً لسياق الحال، وتكون المشاركة في موضوع الحوار.

(1) Grice, 1975, p.47.

(٢) بيكر، وإيليج، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢٣.

(3) Grice, 1975, p.49.

٤. مبدأ الطريقة Maxim of Manner: أي الوضوح والتحديد مع تجنب الغموض، واللبس، وتوخي الإيجاز وترتيب الكلام، والابتعاد عن الخلل المنطقي في الحوار.

وحيثما يتم تجاهل مبدأ ما عن قصد في محادثة ما، يسعى المشاركون للاستدلال على السبب الذي يقف وراء ذلك التجاهل. فمبدأ الكيفية مثلاً ربما يتم تجاهله لإنتاج سخرية أو تهكم في موقف معين، كقول أحدهم: «هذا رائع»، بعد سماعه أخباراً سيئة^(١).

(١) بيكر، وإيليچ، ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي، ٢٠١٨م، ص ٢٣.

خاتمة الفصل

تجادل اللغويات الاجتماعية التفاعلية، بأن التفاعل اللفظي والتبادل اللغوي يعكسان قدرة المتحدثين على تصنيف المواقف والمحاورين والعلاقات الاجتماعية ثمّ تقديم الاستنتاجات والأحكام حول المناسب وأشكال الحديث. وتقترح أن البحث الإثنوجرافي ضروري لتحديد الكفاية التي يتعامل بها المتفاعلون مع العلاقات اللغوية للحصول على أهدافهم العادية في الحياة اليومية.

وتتمثل مهمة المحلل من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، في إجراء دراسة متعمقة لحالات مختارة من التفاعل اللفظي، ومراقبة ما إذا كان الممثلون يفهمون بعضهم أم لا، واستخراج تفسيرات المشاركين لما يجري، ثم استنتاج الافتراضات الاجتماعية التي يجب على المتحدثين فعلها من أجل أن يبدووا كما فعلوا، والتحديد التجريبي لكيفية تواصل العلامات اللغوية في عملية التفسير.

رأينا كيف أن اللسانيات الاجتماعية التفاعلية اتخذت الحدث الخطابي وحدة للتحليل بدلا من المعايير اللغوية والثقافية الواسعة للمجتمع، لرؤية أن الثقافة لا تتوقف خارج الحديث، ولكنها تتشكل فيه من خلال ممارسات التحدث الموجودة.

تتضمن نظرة اللسانيات الاجتماعية التفاعلية عدة مجموعات من المصادر الرئيسة: فهناك إثنوجرافيا التواصل التي هي طريقة لجمع وتصنيف وتحليل الأحداث اللغوية الموجهة في مجتمع معين للإجابة عن الأسئلة الأساسية حول ماهية هذه الأحداث، وكيفية عملها، وعرضنا لوحدات التواصل الأربع عند هايمز وهي: حدث الاتصال، وأفعال الاتصال، وحالة الاتصال، ومجتمع الكلام، وعرضنا لمكونات تحليل إثنوجرافيا التواصل عنده وهي: الإعدادات والمشهد والمشاركون، والنتائج والأهداف، والشكل والمضمون والطريقة، وقناة الاتصال، ومعاييره، وأنواعه.

وهناك تحليل الخطاب الذي يوفر نظرة مؤقتة للإمكانيات التواصلية للمصادر اللغوية التي يعتمد عليها المشاركون في التواصل الموجود، وعرضنا لعدّة نماذج لتحليل الخطاب كتحليل المحادثة، ونموذج التفاعل الاجتماعي لغوفمان الذي يسلط الضوء على البناء المترابط للبنى اللغوية، ودور المناسبة الاجتماعية في توجيه الخطاب، وقدرة الفاعلين الاجتماعيين على التوافق المرن مع القواعد، ونموذج التحليل السياقي للخطاب، ونموذج المذهب المعرفي الاجتماعي لفان ديك، ونموذج تحليل الخطاب النقدي لنورمان فيركلو وتحدثنا عن منهجيته في التحليل.

وهناك التداولية، التي تهتم بكيفية أخذ مستخدمي اللغة للسياق الاجتماعي بعين الاعتبار عند إنتاج أشكال الكلام وفهمها، وعرضنا للنظرية القصصية في المعنى لبول غرايس، القائمة على مبدأ التعاون المحادثاتي، والاستلزام الحواري، وثوابت المحادثة الأربعة.

الفصل السادس

ظواهر لسانية اجتماعية
من واقع استعمال العربية



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يتناول هذا الفصل اللغة في التواصل من واقع استعمال العربية، ويناقش تعدد مستويات الخطاب في المجتمعات العربية، ويعرض لبعض القضايا التي تعنى بها اللسانيات الاجتماعية، وتسهم في خلق التنوعات اللغوية المختلفة للغة، فيعرض التعددية اللغوية، متحدثاً عن ظهورها في مستويات ثلاثة، وعن علاقتها بمفهوم «القومية» و«الأمة»، ويعرض أسباب نشوئها، كما يتناول الازدواج اللغوي، من عدة رؤى، بدأها فيرجسون بقوله بالازدواجية بين مستويين أعلى فصيح، وأدنى منخفض، تلتها رؤية للواقع تعالج المسافة اللغوية بين هذين المستويين، وتعتمد وجود مستويات لغوية متعددة تراوحت بين خمسة كما هي عند بلانك، والسعيد بدوي، وأربعة عند ميسيلييه، كما عرض رؤية تبناها آلن كي، وهيري، ترى الواقع اللغوي العربي الحديث فيما يتعلق بالازدواج عبارة عن مستمرسل لغوي continuum ومفاده وجود سلسلة من التباينات اللغوية يقف المستوى الفصيح على طرفها الأيمن، وعلى طرفها الأيسر يعيش العامي، وبين الاثنين يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي العربي. وتبنى جوزيف ديشي الوصف القائم على مفهوم تعدد الملابس pluriglossie، رافضاً رؤية فيرجسون القائلة بوجود مستويين فقط، زاعماً أن واقع الاستعمال اللغوي العربي المعاصر يتميز بظاهرة تعدد الملابس (المستويات)، وأن المتكلم العربي لديه كفاية تسمح له بأن يستخدم المستوى المناسب لوظيفة السياق الموضوع فيه. وعرض أيضاً للرؤية «عربية المتعلمين المنطوقة» التي تقول بإمكان التحول بين اللهجات الدارجة والعربية الفصحى المعاصرة دون افتراض أي شيء يتعلق بالأساليب الوسيطة.

تناول هذا الفصل أيضاً تبديل الشفرة، معرّفاً به، وموسعاً منظوره ليشمل التعدد اللغوي والازدواج اللغوي معاً، وعارضاً لأهم وظائفه، ودرسه مثلاً عليه في التطبيق العربي من خلال الممارسة اللغوية الفعلية، مستعرضاً أهم الدراسات التي تناولت تبديل الشفرة والتعدد اللغوي وتبديل الشفرة واللغة الهجين، وتبديل الشفرة الازدواجي، وتبديل الشفرة الازدواجي في وسائل التواصل الاجتماعي.

١ - التعددية اللغوية:

تعدد اللغات ظاهرة من الظواهر اللغوية المألوفة في العالم كله، والتعددية اللغوية ظاهرة خاصة بالمتكلم الفرد الذي يستعمل لغتين أو أكثر، أو المجتمع الذي يستعمل لغتين أو أكثر، أو بين الذين يتكلمون لغات متعددة مختلفة^(١). فالتعدد اللغوي إذن هو وجود لغتين من نظامين لغويين مختلفين عند المتكلم. ونقول عن دولة ما إنها متعددة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل، ونقول عن شخص ما إنه متعدد اللغات عندما يكون بإمكانه التعبير عن حاجاته ومقاصده والتواصل مع غيره بأكثر من لغة. ويمكن إذن لمصطلح التعدد اللغوي، أن يحيل إلى استعمال اللغة عند فرد بعينه، أو على الوضعية اللغوية لمجتمع أو أمة كاملة^(٢). فالدولة المتعددة اللغات هي التي يتكلم أهلها على الأقل لغتين ويتعاملون بهما، مثل سويسرا حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية بها، أو كندا حيث يتكلم جزء من سكانها الفرنسية، والجزء الآخر منهم يتكلمون اللغة الإنجليزية.

وبالإمكان التمييز بين تعدد اللغات من الناحية الوظيفية في عدة مستويات، فهناك تعدد اللغات على المستوى الشخصي، فالشخص المتعدد اللغات هو الذي يتكلم لغتين أو أكثر، وبين تعدد اللغات على المستوى المجتمعي أو الحكومي، وذلك عندما تكون للدولة أكثر من لغة واحدة رسمية دون أن يكون الشعب متعدد اللغات، أو عندما يكون مجموعة من أفراد مجتمع ما يتكلمون أكثر من لغة، فإن هذا المجتمع أو هذه الحكومة تسمى متعددة اللغات^(٣). وهناك تعدد اللغات على المستوى المؤسسي، حيث تعتمد لغة معينة كوسيلة لبعض النشاطات بحيث يمكنها أن تصبح لغة مشتركة للتجارة، أو للتعليم، أو للإدارة، أو للممارسة الدينية^(٤).

(1) Georgieva.2014. p.64.

(2) Holmes. 2013. P.

(3) Georgieva.2014. p.64.

(4) Holmes. 2013. P.

يعتقد عموماً أن المجتمعات المتجانسة أحادية اللغة تميل إلى أن تكون القاعدة في العالم، ومع ذلك فإن التعددية اللغوية تعدّ أمراً شائعاً في المجتمعات في جميع أنحاء العالم، فقد أصبح التعدد اللغوي واقعا ملازماً للثقافات الحضرية في جميع أنحاء العالم. ففي كثير من الحالات تعيش مجموعات من الأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة بالقرب من بعضهم، وفي بعض الأحيان هناك حدود سياسية تقسمهم، وفي بعض الأحيان يعدون جزءاً من نفس الأمة أو الدولة، ولكن في جميع هذه الحالات يكون لديهم اتصال وبينهم تواصل^(١). ويعدّ التحدث بأكثر من لغة مطلباً طبيعياً للحياة اليومية ويظل هناك العديد من البلدان في العالم التي ينظر فيها إلى المتحدث بلغة واحدة على أنه يفتقر إلى مهارات مجتمعية مهمة مقارنةً بثنائي أو متعدد اللغات، ومهارة القدرة على التفاعل بحرية مع المتحدثين بلغات أخرى^(٢).

وتحديد سياق اختيار اللغة هو أمر من الأهمية بمكان، ففي مجتمع تستخدم فيه أكثر من لغة، يجب معرفة من يستخدم هذه اللغة أو تلك، ومتى يستخدمها، ولأي غرض يستخدمها، فالاختيارات اللغوية تعدّ جزءاً من الهوية الاجتماعية التي يرسمها المرء لنفسه، والاستخدام الصحيح لعددٍ تنوعات ينظر إليه على أنه مصدر قوة للشخص؛ لأنه يمكن المتحدثين من مختلف المجتمعات اللغوية من الحفاظ على التواصل فيما بينهم^(٣).

ينبغي أن نلاحظ أنّ الأشخاص الثنائيي اللغة أو المتعددي اللغات يتمتعون بدرجات متفاوتة من السيطرة على الذخيرة اللغوية في اللغات التي يتحدثونها، فهم لا يمتلكون بالضرورة نفس القدرات في جميع اللغات التي يتحدثونها، وقد يكون مثل هذا التكافؤ استثنائياً، وقد يكون غير شائع إلى حدّ ما^(٤).

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.84.

(2) Georgieva.2014. p.64.

(3) Wardhaugh and Fuller.2015. p.84.

(4) Wardhaugh and Fuller.2015. p.84.

وعلى مستوى ثنائية اللغة الفردية، فإن السؤال الأساسي هو متى يمكن اعتبار الشخص الثنائي اللغة، هل ينبغي للشخص أن يدير اللغتين بمستوى متساوٍ إلى حد ما حتى يقال له ثنائي اللغة، أو أنّ مجرد معرفته للغة والتواصل بها يكفي للحصول على ذلك اللقب^(١).

يذهب رومين ١٩٨٩م إلى أن وصف ثنائية اللغة يجب أن يتناول درجة الكفاية التي تتعلق بمستوى تملك المرء للغات التي يتحدث بها، والوظائف التي يستخدم فيها تلك اللغات، والأدوار المختلفة التي تؤديها هذه اللغات في حياته الاجتماعية، والتناوب بين تلك اللغات، وإلى أي مدى يراوح الفرد بين هذه اللغات في الاستخدام، والتداخل الذي يتعلق بمدى تمكن الفرد من إدارة استخدام هذه اللغات وإبقائها منفصلة أو الدمج بينها في الاستخدام^(٢).

أما ما يتعلق بالثنائية اللغوية المجتمعية، فإن الاختلافات اللغوية يمكن أن ترتبط بأقاليم يمكن تمييزها كما هو الحال في أوروبا؛ ومن ثم فإن التعدد اللغوي يكون مقصوراً على الحدود؛ ولذا فهو يعد محلياً وطرفياً؛ ومن ثم فإن معظم الدول الأوروبية أحادية اللغة رسمياً، وعلى المستوى الإقليمي، فإن مجرد وجود لغتين في منطقة واحدة يميل إلى إعطاء افتراض أن السكان ثنائيي اللغة، وهذا ليس هو الحال على الإطلاق^(٣). فعلى المستوى المجتمعي أو الوطني، يمكننا التمييز بين التعددية اللغوية "الرسمية" و"الفعلية" فسويسرا مثلاً دولة متعددة اللغات رسمياً، بوجود أربع لغات وطنية هي الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والرومانشية، تحتفظ فيها اللغات الثلاث باستثناء الأخيرة بمكانة متساوية كلغات رسمية على المستوى الوطني داخل الإدارة الفيدرالية للاتحاد الكونفدرالي السويسري، ويقوم التعدد فيها على أساس مبدأ إقليمي، وتكتب

(1) Georgieva.2014. p.64.

(2) Romaine. 1995. p.11.

(3) Georgieva.2014. p.64.

الوثائق فيها باللغات الرسمية الثلاث الفرنسية والألمانية والإيطالية، ولكن معظم الناس ينشؤون ويكبرون بشكل أحادي اللغة في مقاطعة لها لغة رسمية واحدة^(١). ومثلها كندا التي هي دولة ثنائية اللغة رسمياً بنص الدستور على أن اللغتين الإنجليزية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للدولة، ورغم ذلك فإن معظم الكنديين ينشؤون على اتصال منتظم مع واحدة من هذه اللغات^(٢). وتنشأ التعددية اللغوية المجتمعية بواسطة عوامل تاريخية اجتماعية وسياسية مثل الهجرة الدولية (كما هو الحال في الأرجنتين أو الولايات المتحدة) والاستعمار (القارة الإفريقية وآسيا) والحدود الدولية، والجيوب العرقية اللغوية، وانتشار اللغات العالمية^(٣).

يتضح التنوع اللغوي أوضح ما يتضح في المشهد اللغوي للمدن أو عندما تظهر اللغات في الأماكن العامة، بما في ذلك اللافتات واللوحات الإعلانية، والإعلانات والكتابة على الجدران. فالمشهد اللغوي ليس انعكاساً مباشراً للأوضاع الرسمية للغات المستخدمة أو التنوع اللغوي الموجود في المدينة، أو العلاقة بين تلك اللغات فقط، ولكن ظهور اللغات في الأماكن العامة يتجاوز ذلك إلى تقديم أدلة حول الأيديولوجيات الأساسية المتعلقة بلغات معينة أو برموز معينة وبالمحدثين بها، فالطرق التي تستخدم بها اللغات تعكس قيماً متصورة وتؤثر في تلك القيم^(٤).

يعرض وارد هو وفولر ٢٠١٥م مثالا على المشهد اللغوي في برلين. فعلى الرغم من سيادة اللغة الألمانية إلا أن اللغتين الإنجليزية والتركية من بين لغات أخرى تتواجد في هذا المشهد، ويذهبان إلى أن كيفية استخدامهما يوفر منظورا لحالات هذه اللغات؛ إذ تستخدم اللغة الإنجليزية بشكل متكرر كلغة مشتركة للمتحدثين من خلفيات لغوية مختلفة مثل استخدامهما في اللافتات الموجودة في مترو الأنفاق، أو في معلومات مناطق

(1) Stepkowska.2019, p.73.

(2) Holmes. 2013. P.

(3) Holmes. 2013. P.

(4) Wardhaugh and Fuller.2015. p.84.

الجذب السياحي، وفي أسماء الشركات، وفي معظم هذه الحالات يرتبط استخدام اللغة الإنجليزية بوضعها كلغة عالمية مرموقة مؤثرة في الثقافة الشعبية. ويتم استخدام التركية بشكل مختلف تماماً، حيث يظهر في السياقات التي يتم فيها استهداف الجمهور الناطق باللغة التركية، أو الناطقين بالألمانية حصرياً في الأحياء ذات التركيز العالي من السكان ذوي الخلفية التركية على عكس اللافتات الإنجليزية التي يمكن رؤيتها في جميع المناطق^(١).

ومن ثم فإن اللغة التركية تستهدف جمهوراً معيناً وتشير إلى ثقافة ومأكولات معينة. في المقابل تستخدم اللغة الإنجليزية في الغالب دون نية تكوين ارتباط بثقافة محددة ناطقة باللغة الإنجليزية، وبدلاً من ذلك فإنها تخلق صورة حديثة ومعمولة للأعمال^(٢).

وقضية اختيار اللغة في المجتمعات المتعددة اللغات قضية أساسية حيث إن اللغة التي يستخدمها الإنسان هي رمز لهويته ولانتمائه ولعرقه ولقوميته ولأتمته واللغة رمز للتوحيد القومي من جهة وللبعد الأممي من جهة ثانية. وتواجه كثير من البلدان مشكلة استخدام أكثر من نظام لغوي أو أكثر من لغة، فدول مثل الهند والفلبين وأندونيسيا وتنزانيا ونيجيريا لديها مجموعة من اللغات يستخدمها مواطنوها، فالدستور في الهند مثلاً يعترف بوجود أربع عشرة لغة رسمية، وجميعها بلا استثناء يتحدثها ما لا يقل عن مليونين من الناس، ويوجد في الفلبين ست لغات إقليمية رئيسية، ويوجد في نيجيريا ثلاث، وكذلك روسيا وكندا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، فإضافة إلى الإنجليزية، هناك اللغة الإسبانية حيث يتحدثها مجموعات عرقية كبيرة^(٣).

(1) Wardhaugh and Fuller.2015. p.86.

(2) Wardhaugh and Fuller.2015. p.86.

(٣) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٢.

يجب أن يكون واضحاً أيضاً أن لدى الدول ذات التعددية اللغوية مشاكل قد لا تعرفها الدول التي تقترب من الأحادية اللغوية، فالصعوبات في التواصل داخل البلد قد تقف عائقاً أمام التجارة والصناعة. والدول ذات القوميات الواحدة واللغة الواحدة أكثر استقراراً من الدول ذات القوميات المتعددة، واللغات المتعددة، ويبقى تطوير الإحساس بالشعور بمفهوم الأمة الواحدة أكثر صعوبة في دولة ذات تعددية لغوية منه في دولة أحادية اللغة^(١).

وتبقى القاعدة هو أن الكيانات المتجانسة لغوياً عادة ما تكون أكثر تطوراً اقتصادياً، والبلدان غير المتجانسة لغوياً هي في الغالب بلدان شبه نامية، في حين أن البلدان النامية جداً تتمتع في الغالب بدرجة كبيرة من الوحدة اللغوية، وهناك علاقة أكيدة بين التوحد اللغوي والنمو الاقتصادي وإن لم تكن علاقة سببية^(٢).

والتعددية اللغوية ترتبط بمفاهيم مثل «القومية» و«الأمة»، فهناك دور تؤديه اللغة في القومية وتسيير أمور الدولة. فالدولة يجب أن تختار لغة أو لغات للاستخدام في الحكم، واللغة التي تقوم بالدور الأفضل هي التي تعد الخيار الأمثل لتعتمد لغة رسمية^(٣). وتمثل اللغة للقومية الثقافة والدين والتاريخ، فهي إحدى المقومات الرئيسة للقومية، وهي تعمل كرابط بين الماضي المجيد والأصالة، ولها قوة عظيمة، وهي ليست فقط وسيلة لنقل تاريخ القومية، ولكنها تمثل جزءاً من التاريخ نفسه، فهي جانب من جوانب الروح أو جوهر القومية. وتمثل اللغة بالنسبة للقومية ما أسماه فيشمن «الهوية المتباينة» أو ما أسماه قارن وماثيوت «بوظائف التوحيد والفصل»، حيث تشير هذه المصطلحات إلى شعور أفراد قومية ما بأنهم يتحدون ويتماثلون مع الآخرين الذين يتحدثون نفس لغتهم، ويتباينون وينفصلون عن أولئك الذين لا يتحدثون لغتهم.

(١) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٧.

(٢) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ١٢.

(٣) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٤.

ويذهب فاسولد إلى أن فكريتي الاتحاد والانفصال أعمق من مجرد الحقيقة الواضحة، وهي أنه من الصعب عليهم التواصل بالأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة. فقد يكون الفرد ثنائي اللغة لاحقاً، ولكنه مع ذلك يشعر بأنه «متحد» مع من يتحدثون لغته الأولى، و«منفصل» عن يتحدثون لغته الثانية^(١)؛ ولذلك تمثل اللغة في نظريشمن رمزا للهوية الثقافية - العرقية للمجموعات الصغيرة التي تأبى الاندماج في المجموعة القومية الأكبر؛ ومن ثم تظهر وعياً قومياً محلياً خاصاً بها ومضاداً للقومية الأكبر^(٢).

وتمثل التعددية اللغوية إشكالية إذا نظرنا إليها من خلال مفهومي «القومية» و«الأمة»، فمن الواضح أن لدى الدول ذات التعددية اللغوية مشاكل قد لا تعرفها الدول التي تقترب من الأحادية اللغوية، فعلى المستوى العملي، تمثل الصعوبات في التواصل داخل البلد عائقاً أمام التجارة والصناعة وتقود إلى التمزيق الاجتماعي، وتعمل التعددية اللغوية في الوقت نفسه ضد القومية، ويبقى تطوير الإحساس بالأمة أكثر صعوبة في دولة ذات تعددية لغوية منه في دولة أحادية اللغة^(٣).

لا ينبغي التوقف عند كون التعددية تمثل مشكلة للحفاظ على القومية أو تشكيل الأمة، بل ينبغي النظر إليها أيضاً من منظور كون التعددية اللغوية قد تكون حلاً مؤقتاً على الأقل للصراع بين القومية والأمة وتسيير أمور الدولة في السياسة اللغوية، فقد يكون استخدام كل من لغة الأمة (لأسباب تسيير أمور الدولة) واللغة العرقية (لأسباب قومية) كلغات رسمية للحكومة أحد الحلول للصراع بين القومية وتسيير أمور الدولة في هذا المستوى. وفي التعليم قد يحل الصراع عن طريق استخدام اللغات العرقية للتعليم الأولي للحفاظ على الهوية، ويتم التحول لاحقاً في المراحل المتقدمة إلى التعليم باللغة القومية (لغة الأمة). وعلى المستوى الفردي، تخدم التعددية اللغوية كوسيلة للتفاعل

(١) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٥.

(٢) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٦.

(٣) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٦.

بالنسبة للمتحدث ذي التعددية اللغوية، وتميل المجتمعات المتعددة اللغات نموذجياً إلى إعطاء مهام مختلفة للغات المختلفة أو الأشكال المختلفة من اللغة^(١). وبهذا يمكن أن تسهم التعددية اللغوية كما يذهب إلى ذلك فاسولد، في خلق مجتمع أكثر ديناميكية؛ إذ إن المجتمعات ذات التعددية العرقية والتعددية اللغوية هي مجتمعات أغنى من مجتمعات الأمة الواحدة التي تحكمها جماعة عرقية واحدة. فتعدد أنماط الحياة والنظرات المختلفة للعالم قد تجعل من تلك الأمة مكاناً أكثر إثارة وتشويقاً للعيش فيها، من خلال إدراك تلك المجتمعات لهويتها الثقافية واللغوية على المستوى المحلي، ولكنها في الوقت ذاته تعد نفسها جزءاً من الأمة ككل^(٢).

وتنشأ التعددية اللغوية في المجتمعات لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها تاريخياً: الهجرة، والإمبريالية، والانتلاف، ومناطق الحدود، ولعوامل سياسية واقتصادية (العولمة). ونقصد بالهجرة ما يحصل عندما توسع جماعة كبيرة إقليمياً بالتحرك إلى مناطق مجاورة مهيمنة في الوقت نفسه على مجموعات اجتماعية ثقافية أصغر كانت موجودة من قبل، ففي آخر المطاف ستعتنق بعض الشعوب الأصلية قومية الجماعة الكبيرة وتتمثلها لغوياً وثقافياً بدرجات متفاوتة. قد يحافظ آخرون على قوميتهم الأصلية، ويشكلون بذلك عقبة في وجه الأمة المحكومة بالقومية الغالبة. ويمكن النظر إلى الهجرة الغربية لسلالات المستعمرين البريطانيين بعد الاستقلال في الولايات المتحدة الأمريكية، على أنها مثال لهذا النوع من الهجرة، التي ابتلعت في طريقها مختلف الثقافات الأمريكية الأصلية. ويحدث نوع آخر من الهجرة عندما ينتقل عدد قليل من الأفراد من جماعة عرقية ما إلى إقليم تسيطر عليه قومية أخرى، وبالطبع يصل المهاجرون وهم يتحدثون لغاتهم الأصلية، وهذا يضيف للتعددية اللغوية للأمة المضيفة. وأفضل مثال على ذلك هي الولايات المتحدة التي هاجر إليها صينيون في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكذلك هجرة الهنود إلى بريطانيا، وهجرة الكرد

(١) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ١٢.

(٢) فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ١٤.

والأتراك إلى ألمانيا. أما الإمبريالية فتشمل الاستعمار، والضم، والسيطرة الاقتصادية، ويختلف هذا النوع عن هجرة الجماعة الكبيرة في أمور نسبية فقط، فالسيطرة الإمبريالية تتم بواسطة قلة من الناس تمتلك القوة، وفي الإمبريالية الاقتصادية تأخذ لغة أجنبية طريقها إلى بلد ما دون أن تكون للقومية المصاحبة أي سيطرة سياسية، ولكن بسبب الميزة الاقتصادية، ومثال ذلك استخدام اللغة الإنجليزية في تايلند ودول الشرق الأوسط. وتصبح لغة المستعمر اقتصادياً ضرورية للتجارة والدبلوماسية والعمل. والائتلاف هو النموذج التاريخي الثالث المساهم في نشأة التعددية اللغوية، ويكون طوعياً أو إجبارياً، ويقصد به اتحاد مجموعات عرقية مختلفة، أو قوميات تحت سيطرة سياسية لدولة واحدة. ومثال الائتلاف الطوعي بلجيكا التي تتكون من مجموعتين لغويتين رئيسيتين، هما: متحدثو الفرنسية والولونز في الجزء الجنوبي من البلاد، والفليمش في الشمال الذين يتحدثون الفلمشية. وكذلك سويسرا التي يوجد فيها اتحاد من الدول تسمى الكانتونات دخلت في الائتلاف طوعياً، وتوجد في سويسرا أربع لغات هي الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والرمانشية، لها مكانة رسمية كلغات وطنية باستثناء الرومانشية^(١). أما الائتلاف الإجباري فمثاله أثر الاستعمار الأوروبي في أفريقيا وآسيا، وكثير من الدول ذات التعددية اللغوية التي نشأت بسبب الاستعمار، وعندما غادرها المستعمر بقيت آثاره الاجتماعية واللغوية كما هو الحال في دول إفريقيا والمغرب والجزائر. أما المنشأ التاريخي الرابع للتعددية اللغوية فيتعلق بالمناطق الحدودية، حيث نجد في مناطق عديدة قريبة من الحدود بين البلدان مواطنين للدولة الأولى، ولكنهم أفراد لجماعات اجتماعية ثقافية موجودة في الدولة الأخرى، ومثال ذلك وجود متحدثين للفرنسية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية يعيشون فيها، ولكنهم أقرب عرقياً للمواطنين الكنديين في مقاطعة كيبيك^(٢).

(1) Stepkowska.2019, p.73.

(٢) انظر تفصيلاً أكثر لذلك مع الأمثلة، عند فاسولد، ١٩٨٤م، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ١٥ - ٥٦.

التعددية اللغوية في السياق العربي

قضية التعددية اللغوية في العالم العربي قضية معقدة متداخلة الأسباب ومتباينة النتائج من بلاد إلى أخرى، فأسبابها المختلفة يشترك فيها الاستعمار، والتكوين العرقي، والجوانب السياسية والاقتصادية، ونتائجها المتباينة تظهرها السياسات اللغوية. وأظهر ما يكون عامل الاستعمار سببا في التعدد اللغوي في بلدان المغرب العربي، في حين يظهر تأثير التعدد العرقي في بلدان المغرب العربي نفسها وفي سوريا ولبنان والعراق، وتشترك بقية الدول العربية في العوامل الاقتصادية والسياسية التي فرضتها العولمة.

كانت غالبية الدول العربية تحت الانتداب البريطاني والفرنسي، فسيطرت فرنسا على ساحل البحر الأبيض المتوسط في شمال إفريقيا، وما يعرف الآن بسوريا ولبنان، في حين سيطرت بريطانيا على العراق، وشرق الأردن، ومصر، والسودان. وتم تشكيل معظم هياكل هذه البلدان خلال الفترة الاستعمارية، لتتوافق مع الأنظمة الفرنسية والبريطانية، وتم التقليل من أهمية التقاليد اللغوية والثقافية العربية وتجاهلها من قبل القوى الاستعمارية^(١).

ولا يزال استخدام اللغتين الفرنسية والإنجليزية سائدا في العالم العربي، حتى أكثر مما كان عليه قبل وقت الاستعمار لأسباب مختلفة. بعض هذه الأسباب تتعلق بالاحتياجات الاقتصادية وقوى السوق، كما هو الحال مع الدول التي تعتمد على السياحة لعمليتها الصعبة، مثل المغرب وتونس ومصر، أو الدول التي تعتمد على فرنسا كسوق تجاري رئيس لها مثل المغرب.

وللعوامل العرقية أثرها في هذا التعدد. فسوريا على سبيل المثال تنتشر فيها إضافة إلى اللغة العربية الفصحى والعامية السورية، اللغات الكردية، والأرمنية، والأذرية، والآشورية، ولبنان تنتشر فيها إضافة إلى العربية الفصحى والعامية

(1) Shaaban, 2006: 694.

البنانية، اللغات الأرمنية، والكردية، والإنجليزية، والفرنسية. وفي العراق نجد الفارسية والكردية، والتركمانية، والأذرية، وفي البحرين الفارسية والأردية والإنجليزية، وفي عمان الفارسية والبلوشية والسواحيلية، وفي الإمارات البلوشية والفارسية والباشتو، والأردو، والإنجليزية^(١).

كانت السياسة اللغوية التي استخدمتها الدول العربية للتعامل مع التعدد اللغوي الذي خلقه الاستعمار مختلفة من دولة إلى أخرى، ولئن تبنت هذه الدول مبدأ التعريب كسياسة أساسية، إلا أن نتائج هذه السياسة متباينة بشكل واضح، فإذا كانت أثبتت نجاحاً في سوريا، فإن بلدان المغرب العربي الكبير قد انتهت بها المطاف، بحسب الناجي، إلى الاعتراف بمبدأ التنوع اللغوي وقبوله^(٢).

وهكذا خلص لويس جون كالفي إلى توصيف الوضع اللغوي في هذه الدول بأنه ينطوي على أربع لغات مستخدمة بتفاوت لأداء وظائف شديدة التنوع. وهذه اللغات هي العربية الفصحى والفرنسية واللغة الأمازيغية واللغة العربية الدارجة. وسنمثل عليها هنا باستعراض وضع التعدد اللغوي في بلدين هما المغرب والجزائر.

المغرب

بسبب موقعها الإستراتيجي على مفترق طرق المغرب الكبير، وأوروبا وبقية القارة الأفريقية، كان المغرب، عبر التاريخ، مقصدا للعديد من الأمم: القرطاجيين، واليونانيين، والرومان، والبيزنطيين، والعرب، والإسبان، والبرتغاليين، والفرنسيين. ولقد أثرت هذه الدول جميعها بعمق في التكوين المغربي، وأسهمت في تنوعه اللغوي في إنتاج وضع معقد متعدد اللغات؛ إذ يتسم الوضع اللغوي المغربي الحالي بوجود تنوع لغوي يتمثل في تعايش العديد من اللغات، لكل منها مكانة خاصة بها، تخدم وظائف وأغراضاً محددة

(1) Bassiouney, 2009: 210.

(2) Ennaji, 2002: 84.

ومختلفة، وتتمثل الحالة اللغوية المغربية بأنها سوق لغوي مغربي، المتداول لغوياً فيها هو اللهجة المغربية أو الدارجة المحلية التي امتزج فيها العربي بالأمازيغي والفرنسي إلى جانب الإسباني والبرتغالي^(١).

فالأمازيغية لغة السكان الأصليين للمغرب وعاشت في شمال إفريقيا منذ العصور القديمة، وتم الاعتراف بها بعدّها لغة وطنية ومكوّناً رئيساً في الثقافة المغربية، وأعلنت لغة رسمية للمغرب إلى جانب اللغة العربية عام ٢٠١١م؛ ونتيجة لذلك، تم رفع حالة الأمازيغية وموقعها وتغيرت من لغة منطوقة غير معترف بها إلى لغة مكتوبة مقننة وموحدة^(٢).

أما اللغة العربية الفصحى فقد دخلت إلى المغرب في القرن السابع خلال الفتوحات الإسلامية، واعتمدها الأمازيغ لغة الإدارة والتشريع والتعليم خلال تلك الفترة. ويتحدث بها ثلثا السكان، هي واحدة من اللغات الرسمية للبلاد. يتم استخدامها في مجالات مختلفة مثل التعليم والإدارة والتلفزيون، والبحث، والصحف، والمجلات. وإلى جانب العربية الفصحى، توجد العربية المغربية أو الدارجة، وهي مكتسبة من قبل معظم المغاربة كلغة أم فهي لغة المحادثة اليومية في المواقف غير الرسمية، والأدب الشعبي والفلكلوري الذي يُنقل شفهيّاً. إنها لغة مشتركة يستخدمها كل من العرب والأمازيغ^(٣). ونظراً لأن اللغة العربية الفصحى هي الشكل الكتابي الموحد والمقنن للغة العربية، فإنه يُنظر إليها على أنها ذات مكانة مرموقة مقارنة باللغة العامية المغربية التي لا تحظى إلا بمكانة دونية.

وتوجد إضافة إلى هذه اللغات الأصلية، ثلاث لغات أجنبية رئيسة (الفرنسية والإسبانية والإنجليزية). تحتل الفرنسية من بين هذه اللغات الأجنبية، مكانة مهمة

(١) سبيل، ٢٠١٥، ص ٢٤٨.

(2) Redouane, 2016, p.18.

(3) Zouhair, 2013, p273.

بسبب وضعها كلغة ثانية في التعليم. فخلال الاحتلال الفرنسي لمدة ٤٤ عاماً من عام ١٩١٢م إلى عام ١٩٥٦م، فرضت الفرنسية كلغة رئيسة للتعليم في جميع مستوياته، وعوملت اللغة العربية كلغة أجنبية؛ إذ مارس الفرنسيون سياسة لغوية تستند إلى نشر لغتهم وقيمهم، وتكريس تفوق الثقافة واللغة الفرنسية وعالميتها، وفرضوها باعتبارها «اللغة الوحيدة للحضارة والتقدم». وكان من أهداف السياسة التعليمية الفرنسية إضعاف مكانة اللغة العربية الفصحى من خلال الترويج للغة الأمازيغية واللغة العامية المغربية، فعمدت فرنسا إلى إغلاق المدارس القرآنية العربية في المناطق الناطقة باللغة الأمازيغية على سبيل المثال^(١).

وقد جرى تبني اللغة الإسبانية كلغة للإدارة والتعليم شمال المغرب بعد الحماية الإسبانية ١٩١٦م، لكن الاختراق الإسباني في المغرب كان محدوداً. وبعد استقلال البلاد، أصبحت اللغة الإسبانية مستخدمة بشكل هامشي من قبل السكان المحليين وهي في حالة انحدار مستمر لغيابها في نظام التعليم الموحد^(٢). أما اللغة الإنجليزية فيعود اتصالها بالمغرب إلى وجود الأمريكيين في البلد أثناء الحرب العالمية الثانية وقد دُرست بوصفها لغة اختيارية ثانية بجانب اللغة العربية.

التنافس بين اللغات في المجتمع المغربي

تضمن «الميثاق الوطني للتعليم والتكوين» في المغرب في عام ٢٠٠٠م تغييراً رئيساً في السياسة اللغوية المغربية؛ إذ تم التنصيب على أن اللغة والثقافة الأمازيغية جزء من الميراث الثقافي للبلاد، ومع هذه المبادرة الجديدة، أقرت الحكومة بوجود لغتين وطنيتين متساويتين (الفصحى والأمازيغية) تمثلان الهوية الوطنية المغربية^(٣)، وأحد التغييرات التي طرأت على وضع الأمازيغية نتيجة لذلك، هو اندماجها في النظام المدرسي. ويتم

(1) Bourhis, 1982, p.14.

(2) Zouhair, 2013, p.274.

(3) Redouane, 2016, p.20.

حالياً تدريس الأمازيغية في المدارس المغربية جنباً إلى جنب مع اللغة العربية الفصحى الحديثة. وتوجد إضافة إلى ذلك، قناة أمازيغية واحدة ويتم تقديم المزيد من البرامج في القنوات العامة باللغة الأمازيغية. ولا يزال الاعتراف بالثقافة والهوية الأمازيغية قضية رئيسية في الساحة الثقافية والسياسية في المغرب^(١).

ومنذ حصول المغرب على استقلاله من الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٥٦م، أصبح من أولوياته الوطنية تقليل استخدام اللغة الفرنسية وتعزيز اللغة العربية كوسيلة تعليمية وحيدة وكلغة لمحو الأمية. وكانت السياسة اللغوية المعتمدة هي التعريب كوسيلة لاستعادة «الأصالة»، وتأكيد الهوية العربية الإسلامية للبلاد، وإزالة التأثير الثقافي الفرنسي. فشكّلت الحكومة المغربية معهداً للتعريب كان هدفه الأساسي استبدال الفرنسية بالعربية، حيث تستخدم اللغة العربية فقط في الإدارة والتعليم. لكن تنفيذ هذه السياسة واجه صعوبات بسبب الاعتماد المريح طويل الأمد على اللغة الفرنسية كلغة متقدمة ولغة اتصال أوسع، ووسيلة تسهّل الوصول إلى عالم العلوم الحديثة والتكنولوجيا^(٢). وغني عن القول إن التعريب ولّد على مر السنين نقاشاً محتدماً ومستمرّاً بين مؤيدي الاتجاه الحديث والمتغرب الذين يفضلون ثنائية اللغة والتعددية اللغوية، من جهة، وأنصار التعريب الذين يدافعون عن أحادية اللغة من جهة أخرى. فأدى التعريب إلى تكثيف الانقسام بين طبقتين اجتماعيتين في المغرب. الطبقة العليا تمثلها النخب المتعلمة في الغالب باللغة الفرنسية، وتدافع عن اللغة الفرنسية باعتبارها لغة المكانة الرفيعة والحداثة ومفتاح النجاح والتطور، وأداة للمبادئ والأيدولوجيات الغربية^(٣)، والطبقة الوسطى، المدافعة عن التعريب باعتبار اللغة العربية رمزا للهوية المغربية والأصالة الثقافية^(٤). وجهات النظر المتباينة هذه

(1) Tomastik, 2010, p.107

(2) Hammoud, 1982, p.228

(3) Boukous, 2001, p.24.

(4) Ennaji, 2002, p.9

هي مصدر الصراع بين العربية والفرنسية، وهو صراع تأسس على ما يسميه كرافيل ١٩٧٩م صراع "الرمزية والنفعية"^(١).

وهكذا، فإن قيمة اللغة العربية الفصحى، كلغة للتراث الثقافي، والهوية الوطنية للمغاربة منحتها مكانة رمزية بارزة في المغرب. ومن ناحية أخرى، تعد الفرنسية لغة الحداثة والتقدم الاجتماعي والإنجاز والحصول على الوظائف العملية، ودورها العملي واضح في المستوى الأعلى من التعليم، ولا سيما في مجال العلوم والتكنولوجيا والتمويل والتجارة والاتصالات والإعلام حيث تستمر في كونها وسيلة تعليم مهمة. والأمر كذلك في القطاعات الخاصة مثل البنوك والتأمين والشركات، حيث تعد الفرنسية لغة عملية للغاية^(٢). علاوة على ذلك، يُنظر إليها على أنها أداة مهمة ووسيلة لسوق العمل والنجاح المهني. وإتقانها واستخدامها مطلوبان لكل من البيئة الاجتماعية والاقتصادية وسوق العمل في المغرب^(٣).

وتظل اللغة الفرنسية إلى جانب الإنجليزية والإسبانية سائدة في المغرب. وما زالت مستمرة في الحفاظ على مكانتها كلغة اتصال مع العالم الحديث، وهي كذلك في نظر معظم صانعي السياسات والسياسيين لغة لا تزال تؤثر في الاقتصاد والحياة الاجتماعية ونمو البلد^(٤). وفي المقابل، يُنظر إلى العربية الفصحى على أنها متخلفة وغير كافية كأداة للتواصل مع العالم الخارجي وتعليم العلوم في التعليم العالي^(٥).

لقد شجع ظهور العولمة اللغة الإنجليزية على أن تصبح لغة عالمية في المغرب، وساعدها على اكتساب مكانة مهمة بالقرب من الفرنسية، لا سيما في مجالات السياحة والإعلام

(1) Gravel, 1979, p.190

(2) Surgo, 2014, p. 1 - 3

(3) Ennaji, 1988, p.8

(4) Ennaji, 1988, p.10

(5) Redouane, 2016, p.20.

والمالية. ويتم حالياً تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية في المدارس الثانوية والجامعات وتستخدم للأغراض الأكاديمية والعلمية والبحث، وهناك العديد من المؤسسات الخاصة للتعليم العالي الآن في المغرب يتم فيها التدريس باللغة الإنجليزية فقط. ويتحدث باللغة الإنجليزية ليس فقط المغاربة المتعلمون، بل أيضاً المرشدون السياحيون وتجار الحرف اليدوية في الأسواق. وعلى الرغم من أن اللغة الإنجليزية ليست لغة وطنية ولا لغة رسمية، فإن المغاربة، يتفوقون على أنها أداة للبحث العلمي والأكاديمي والتكنولوجيا والتدريب^(١).

وعلى الرغم من أن المغرب قد أجرى على مدى العقد الماضي إصلاحات مختلفة لإرساء سياسة متعددة اللغات والاعتراف رسمياً باللغتين الوطنيتين للحفاظ على هويته وثقافته، وتعزيز اللغة الأجنبية من أجل الانفتاح على العالم الحديث، فلا شك أن الوضع اللغوي في المغرب يظل معقداً مع تضارب هذه اللغات المتنوعة واختلاف مواقف المتحدثين بها. فقد خضعت سياسة التعريب في المغرب لقرار سياسي ينص على تعريب المواد التعليمية في التخصصات العلمية والعلوم الإنسانية، لكنها إدارياً ظلت خاضعة لاستخدام قائم بين الفصحى والفرنسية، الغلبة فيه كانت دائماً للفرنسية. فاتسم الوضع بالتشتت المتمثل في غياب إرادة سياسية موحدة للغة التواصل الإداري والخدمات والمؤسسات بين المغاربة، وفي مختلف القطاعات الحيوية للبلاد، في ظل هيمنة اللغة الأجنبية (الفرنسية خصوصاً)، على مختلف مناحي الحياة المغربية اليومية بالإدارة والإعلام، مقابل تقزيم أو انحسار دور اللغتين الوطنيتين (العربية والأمازيغية). بل إن تلك الهيمنة تجد صدى لها في الانقسام الحاصل بين التعليم المدرسي والتعليم الجامعي، حيث التحصيل الدراسي للمواد والمعارف العلمية من الابتدائي إلى الثانوي باللغة العربية، ثم يفاجأ الطالب باعتماد اللغة الفرنسية بمختلف التخصصات العلمية بالتعليم الجامعي كلغة للتدريس، مما يخلق لديه التباساً، ويؤثر سلباً في مساره الدراسي^(٢).

(1) Zouhair, 2013, p273.

(٢) سبيل، ٢٠١٥، ص ٢٤٩.

الجزائر

يعد المجتمع الجزائري من بين المجتمعات المصنفة بأنها ذات تعدد لغوي باعتباره يتوفر على عدة لغات محلية مستعملة من قبل أفراد المجتمع، حيث يعترف بلغتين وطنيتين رسميتين هما اللغة العربية واللغة الأمازيغية^(١). ويظهر الواقع وجود تعدد لغوي في الجزائر تختلف فيه درجة استعمال اللغات، فتهمين العامية الجزائرية الشفهية على السوق وتحقق تواصلاً بين المجموعات المختلفة، والعامية الجزائرية هي اللغة الأولى لأفراد المجتمع وتستعمل في قضاء الحاجات التواصلية اليومية بعيداً عن المستوى الرسمي وتتنوع بتنوع المناطق الجزائرية مثل العامية العاصمية، والعامية الوهرانية، وعامية قسطنطينية، والعامية العنابية^(٢).

أما اللغة العربية الفصحى فهي اللغة الوطنية الرسمية الأولى للجزائر، وهي لغة أولى ثانية للجزائريين، يتم تعلمها منذ سن الدخول إلى المدرسة، وهي الأكثر انتشاراً واستخداماً في التعليم والإدارة والإعلام والمعاملات الرسمية^(٣).

كذلك تعدّ اللغة الأمازيغية اللغة الأم للأمازيغ وتستعمل في الخطاب الشفوي اليومي، وفي الحوارات، والاتصالات الحياتية الطبيعية الجزائرية، وتعد لغة أولى بالنسبة للأطفال الجزائريين الذين يكتسبونها منذ ميلادهم، ويشكل الرصيد اللغوي والخبرات الأولية المكوّنة لبنيتهم المعرفية، وهي تحتوي على عدة لهجات مثل القبائلية والشاوية والطوارقية والشلحية والميزابية^(٤). وقد أبدت الجزائر نوعاً من الانفتاح على اللغات الوطنية وترسيمها بعد مطالبة سكان منطقة القبائل بضرورة الاعتراف بالهوية واللغة الأمازيغيتين كإحدى مكونات الثقافة الجزائرية والمجتمع القبائلي خاصة؛ ومن ثمّ

(١) يونس ١٩٨٣م، ص ٤٩.

(٢) لخضر، وعامر، ٢٠٢١م، ص ١٥٤.

(٣) لخضر، وعامر، ٢٠٢١م، ص ١٥٦.

(٤) شاكر، ٢٠٠٣م، ص ١٢.

أجري تعديل دستوري سنة ٢٠٠٢م فيه اعتراف تاريخي ولأول مرة في الجزائر بالأمازيغية كلغة وطنية تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني، وتم إطلاق قناة تلفزيونية حكومية تبث برامجها حصرياً باللغة الأمازيغية، وهو الأمر الذي أدى إلى الاعتراف بها على نطاق واسع، والاعتراف بوجودها كلغة وطنية ثانية في البلاد^(١).

يسود الوضع اللغوي في الجزائر لغة عربية فصيحة هي اللغة الرسمية للدولة، وتختلف عن اللغة الأم المكتسبة بالبيت، ثم فرنسية موروثية عن الاستعمار، وكانت لفترة طويلة هي اللغة الرسمية للبلاد ثم أصبحت أجنبية بعد سياسة التعريب، وهي اليوم حكر على الطبقة المترفة والمثقفة وعلى مستوى السلطة والمسؤولين، وهي مظهر من مظاهر الرفاهية والرفق عندهم.

ولغة الفرنسية مكانة مهمة في الساحة الثقافية الجزائرية لاسيما لدى النخب، ومعلوم أن الفرنسية انتشرت مع الاستعمار الفرنسي للجزائر (١٨٣٠م - ١٩٦٢م) وامتدت لجميع المناطق، وبقي تأثيرها قويا بعد الاستقلال، حيث تحتل مكانة مهمة مقارنة بغيرها من اللغات الأجنبية، بل توظف على نطاق واسع في التعليم الجامعي بالتخصصات العلمية والتقنية، وفي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وتستخدمها بعض فئات المجتمع للتواصل الشفهي، وصار الشارع إثرها ثنائي اللغة بدليل إشارات المرور، ولافتات المحلات، والكتابات على المباني العامة^(٢).

وتبقى اللغة الفرنسية هي اللغة المهيمنة على القطاعات الحيوية في المجتمع الجزائري فهي لغة الصناعة والإدارة والمؤسسات الاقتصادية. وتبقى السياسة اللغوية الجزائرية محتفظة باللغة الإنجليزية كلغة أجنبية ثانية تدرس من السنة الثامنة من التعليم الأساسي، ثم أصبحت لاحقا تدرس من السنة الأولى المتوسطة^(٣).

(١) سلطاني، ٢٠٢١م، ص ٢٤٣.

(٢) لهويمان، والحسني، ٢٠٢٠، ص ١١٥.

(٣) سلطاني، ٢٠٢١م، ص ٢٤٥.

وفي ما يتعلق بالسياسة اللغوية الخاصة باللغة العربية في الجزائر كان هناك مرحلتان أساسيتان هما: مرحلة ما بين ١٩٦٢م - ١٩٩١م حيث كان التعريب تدريجياً بعدما ورثت الجزائر منظومة تربوية فرنسية فقررت تغيير هذا الوضع، فكان أول دخول مدرسي في أكتوبر ١٩٦٢م للجزائر المستقلة، واتخذت وزارة التربية قراراً يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية؛ ومرحلة ثانية (١٩٩١م - ٢٠٠٣م) تميّزت بالتعريب الكلي للمنظومة التربوية مع الإبقاء على تدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، وأيضاً بعض اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية^(١).

ويبدو أن فشل تعريب الجامعة الجزائرية واقتصار تطبيق التعريب على معاهد العلوم الإنسانية، مقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في الكثير من المعاهد أسهم في الهيمنة اللغوية للفرنسية، مما جعل الفرد الجزائري يعيش بين كل هذا، وهو مزود بنظام لغوي خليط^(٢).

سوريا ولبنان

العامل العرقي هو أحد أبرز أسباب التعدد اللغوي في سوريا ولبنان، إضافة إلى الاستعمار. فقد كانت الدولتان تحت الانتداب الفرنسي من عام ١٩١٦م حتى عام ١٩٤٦م. ويتألف سكان سوريا من عدة مجموعات عرقية، بما في ذلك العرب، والدروز، والأكراد، والأرمن. وهناك أيضاً العديد من الأديان والطوائف الدينية في سوريا، حيث يشكل المسلمون السنة ٧٠٪ من السكان والعلويون ٩ - ١٥٪، والمسيحيون ١٢٪، والدروز ٣٪.

بعد اتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦م، أصبحت سوريا ولبنان جزءاً من الانتداب الفرنسي. وكانت فرنسا بالفعل سيئة السمعة في سوريا بسبب سياساتها في شمال إفريقيا، حيث حاولت فرنسا القضاء على اللغة العربية في شمال إفريقيا من خلال جعل

(١) سلطاني، ٢٠٢١م، ص ٢٤٢.

(٢) لهويمان، والحسني، ٢٠٢٠م، ص ١١٥.

اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في جميع المجالات العامة، بما في ذلك الإدارة والحياة العامة والتعليم.

وقد أظهر السوريون عداً للفرنسيين، وعلى الرغم من أن الإدارة والتعليم تم إجراؤهما رسمياً باللغة الفرنسية، إلا أن هذا لم يكن له نفس التأثير في سوريا أو لبنان كما هو الحال في دول شمال إفريقيا؛ إذ اختلف الوضع اللغوي والسياسي فيهما عندما كانتا تحت الانتداب الفرنسي، فلم تكن الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة أثناء فترة الانتداب، ولكن تم إعلان العربية والفرنسية لغتين رسميتين، على الرغم من هيمنة الفرنسية في مجال التعليم والإدارة^(١).

كانت سياسة التعريب في سوريا أشدّ منها في أي قطر عربي آخر؛ إذ كانت مدعومة بفكرة القومية العربية، وبموقعها الجغرافي الذي ساعدها على التفاعل بشكل أكبر مع محيطها العربي المجاور لها، وتاريخها الاستعماري القصير نسبياً، حيث تم إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩١٩م، وجامعة دمشق في عام ١٩٢٣م أثناء الانتداب الفرنسي، وكان تدريسها باللغة العربية أساساً، وازداد الشعور بالوطنية والقومية، وكانت العربية الفصحى رمز الهوية والوحدة وتمكنت سوريا من تعريب جميع المواد الجامعية بما في ذلك العلوم والرياضيات والمجالات التقنية والهندسة والطب^(٢).

ووفقاً لميلر^(٣) ٢٠٠٣م، فإن التعريب في العلوم هو أكثر تقدماً في سوريا منه في أي بلد عربي آخر، ومع ذلك ففي سوريا كما هو الحال في معظم البلدان العربية تكتسب اللغة الإنجليزية مكانة بارزة كلغة عالمية^(٣).

(1) Shaaban,2006:694.

(2) Shaaban,2006:695.

(3) Miller,2003:3.

ولعل من الأسباب التي جعلت التعريب في سوريا عملية شاملة وفعّالة في كل المدارس والجامعات هو ارتباطها بالأيديولوجيات السياسية للحكومة السورية التي تبنت حزب البعث الحاكم فيها سياسة اجتماعية علمانية، أيديولوجيته الرئيسة هي تأكيد عروبة جميع السوريين، وهو أمر عكس صورة سوريا في إلهام الوحدة بين العرب، والمعارضة القوية للهيمنة والأيديولوجيات الغربية^(١).

أما في لبنان ورغم السياسة التي انتهجتها فرنسا لإضعاف الهوية الوطنية داخل لبنان من خلال نظام سياسي يكون الرئيس فيه مارونياً، ورئيس الوزراء مسلماً سنياً، ورئيس مجلس النواب شيعياً، إلا أن جزءاً كبيراً من اللبنانيين رفضوا السيطرة الفرنسية وعَدّوا أنفسهم جزءاً من الأمة العربية. وكان التعليم العالي مقدماً بأكثر من لغة؛ إذ قامت جامعة القديس يوسف اليسوعية بالتدريس ولا تزال بالفرنسية، في حين استخدمت الجامعة الأمريكية في بيروت اللغة العربية لفترة قصيرة في جميع المواد، حتى الطب، ولكنها تستخدم الآن اللغة الإنجليزية بشكل أساسي^(٢). وهناك أيضاً جامعة بيروت العربية التي تدرس المواد الإنسانية باللغة العربية، ويتم تدريس المواد التقنية والعلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية. وترتبط الفرنسية حالياً بالمسيحيين في لبنان، وترتبط الإنجليزية بالمسلمين.

لقد بدأ الاستعمار الفرنسي لجانب من الدول العربية وانتهى في أوقات مختلفة، وكانت له تأثيرات مختلفة، وكانت ردود الأفعال تجاهه مختلفة أيضاً، وكذلك كانت سياسات التعريب. فالجزائر التي كانت تعد مقاطعة فرنسية لمدة ١٣٢ عاماً ولم تكن فرنسا مستعدة للتخلي عنها دون صراع دام لسبع سنوات، كان تدريس اللغة العربية فيها ردة فعل على الفرنسيين، وحازت على أكبر قدر من ساعات التدريس في المرحلة الابتدائية. وكانت كل من تونس والمغرب محميتين لفرنسا، وربما تمكنتا من التغلب

(1) Kader, 1999: 142.

(2) Shaaban, 2006: 696.

على مشاعر المرارة تجاه فرنسا، فعندما حصل المغرب وتونس على استقلالهما كان عدد الأشخاص الذين يتحدثون ويقرأون الفرنسية أكثر من الجزائر. وفي سوريا اللغة الأجنبية الأولى التي تدرس في المرحلة الابتدائية هي اللغة الإنجليزية وليست الفرنسية، وفي لبنان تعد الفرنسية والإنجليزية أول لغة أجنبية يتم تدريسها للطلاب من عامهم الأول^(١).

الوضع اللغوي في فلسطين

في عام ١٩٤٨م أصبحت العبرية اللغة الوطنية في المناطق التي هيمنت عليها (إسرائيل) وسيطرت على جميع اللغات الرسمية الأخرى، واستمر عرب إسرائيل في استخدام لغتهم العامية في التحدث، ولكن كان عليهم أيضاً تعلم العبرية رسمياً في المدارس^(٢).

لا تسيّر السياسات اللغوية دائماً جنباً إلى جنب مع التخطيط اللغوي، فأحد العوامل الحاسمة التي تؤثر في السياسات اللغوية هو التواصل اللغوي، ويعدّ التواصل اللغوي أكثر أهمية من المدارس والمناهج الدراسية كما هو الحال في الحالة الفلسطينية، ففي حين أن العرب قد لا يرغبون في تعلم العبرية في قطاع غزة والضفة الغربية، فإنهم يتعلمونها من التواصل مع الإسرائيليين، وغالباً ما يكون ذلك في السجن، وتؤدي العوامل الاقتصادية دوراً رئيساً في ذلك، فبينما لا يشعر اليهود الإسرائيليون بالحاجة إلى تعلم اللغة العربية، يشعر عرب إسرائيل بالحاجة إلى تعلم العبرية. ويعدّ الوضع في كل من (إسرائيل) وفلسطين أمراً حاسماً لفهمنا لسياسات اللغة؛ لأنّ السياسات في بعض الأحيان لا تعكس الواقع، فعلى الرغم من العداء السياسي، يؤدي الاتصال اللغوي في النهاية إلى تعلم اللغة^(٣).

(1) Bassiouney, 2009: 232.

(2) Bassiouney, 2009: 249.

(3) Bassiouney, 2009: 249.

يذهب سبولسكي ١٩٩٤م إلى أن اللغة العربية كلغة أقلية سيتم الحفاظ عليها بين العرب بسبب الدول المجاورة، ويتوقع أنها ستظل لغة هاشمية بين اليهود، فقد تكون لغة عامية منطوقة في المنزل بين مجموعات المهاجرين، أو مادة مدرسية، لكنها قد لا تزيد عن ذلك. فثنائية اللغة في نظره غير متكافئة، فبينما يتقن العرب العبرية وحتى الإنجليزية في بعض الأحيان، فإن الإسرائيليين لا يتقنون العربية، ومن هنا تكون ثنائية اللغة غير المتكافئة مهمة؛ لأنها تظهر أن اللغة تعكس القوة السياسية والأيدولوجيات والعوامل الاقتصادية، وفي حالة (إسرائيل)، العرب الإسرائيليون هم فقط من يحتاجون لتعلم العبرية؛ لأنها تساعد على تطوير حياتهم المهنية والمشاركة بشكل كامل في الدولة التي هم مواطنون فيها^(١).

أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فتستخدم اللغة الإنجليزية كلغة محايدة مشتركة بين الفلسطينيين الذين لا يعرفون العبرية والإسرائيليين الذين لا يتحدثون العربية. وعند سيطرة السلطات الفلسطينية على المنطقتين كانت هناك حاجة لسياسة فلسطينية مستقلة، فأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية لفلسطين، واستخدمت الإنجليزية كلغة ثانية بسبب وضعها كلغة عالمية تستخدم بشكل رئيس في مؤسسات التعليم العالي، وأكد أول منهج فلسطيني للتعليم العام عام ١٩٩٦م على مكانة اللغة الإنجليزية، ويجري تدريس اللغة الإنجليزية لمدة ثلاث ساعات تقريباً في السنة الأولى من المدرسة^(٢).

ويفترض أمارة ٢٠٠٣م أن السياسة المثالية في الضفة الغربية وقطاع غزة ستكون السياسة التي يتم فيها الحفاظ على اللغة العربية للعلاقات مع الدول العربية، ولكن يتم أيضاً مراعاة الحاجة إلى اللغتين العبرية والإنجليزية. ويفترض أمارة أنه بما أن (إسرائيل) هي حقيقة يعيشها الفلسطينيون، فمن الضروري بالنسبة لهم تعلم لغتها ويتم أيضاً استخدام اللغة الإنجليزية أيضاً للتواصل مع العالم الغربي^(٣).

(1) Spolskey, 1994:228.

(2) Bassiouney, 2009:250.

(3) Amara, 2003:219.

ويجادل أمانة بأنه على الرغم من الموقف السلبي تجاه العبرية، إلا أنها مطلوبة كلغة وظيفية نظراً للوضع السياسي، ويتم تدريس العبرية في الجامعات في الأقسام العربية، ولكن لا يتم التحدث بالعبرية، فهي لغة مكتوبة فقط^(١).

عموماً يعدّ وضع اللغة العربية في (إسرائيل) والأراضي الفلسطينية انعكاساً للصراع السياسي المستمر الذي ستؤدي نتائجه دوراً رئيساً في تحديد اتجاه سياسات اللغة هناك. حالياً، يعد اليهود الإسرائيليون وفقاً لسبولسكي ٢٠٠٤م، اللغة العربية إما لغة العدو، أو لغة الدول المجاورة التي ليس لها سلام مع (إسرائيل)، ومع ذلك فهي لغة أكبر مجموعة أقلية في (إسرائيل)، وهي أقلية تتفاعل وتشارك في مجالات الحياة المختلفة في (إسرائيل). أما بالنسبة للأراضي الفلسطينية فالعربية هي اللغة التي تربطهم بماضيهم وبجيرانهم^(٢).

الوضع اللغوي في دول الخليج العربي

يعد الوضع اللغوي في دول الخليج العربي حرجاً بسبب الهجرة إلى هذه البلدان النفطية، ويوجد عدد كبير من الأقليات اللغوية، وعدد كبير من سكانها متعدّد اللغات نتيجة للاحتكاك مع هذه الأقليات اللغوية المهمشة، فعلى سبيل المثال يبلغ عدد سكان الإمارات ٥٦٢٨٠٠٠، حسب تقديرات عام ٢٠١٤م لا يشكل المواطنون إلا نسبة ١٩٪ من إجمالهم، و٢٣٪ منهم عرب وإيرانيون، و٥٠٪ جنوب آسيويين، واللغة الرسمية الوطنية هي العربية، ويتحدث الشعب الإماراتي اللهجة المحلية الخليجية، واللغة الإنجليزية لغة مشتركة، ومعرفتها شرط عند التقدم لمعظم الوظائف في الإمارات، واللغات المستخدمة على نطاق واسع هي الفارسية التي يتحدث بها الشتات الإيراني، والأردية، والبشتو، والتاغالوجية التي يتحدث بها عدد كبير من مواطني جنوب آسيا، والفلبينية، والمالايالامية التي تتحدث بها على نطاق واسع الجالية الهندية من ولاية كيرلا^(٣).

(1) Amara, 2003: 218.

(2) Spolskey, 1994: 229.

(3) <https://ar.wikipedia.org>

أما السعودية فيبلغ عدد سكانها ٣٠٧٧٠٠٠٠ حسب تعداد عام ٢٠١٤م، يبلغ عدد السعوديين منهم ٢٠٧٠٠٠٠٠ بنسبة ٦٧٪ ويبلغ عدد غير السعوديين ١٠٠٠٠٠٠ وهو ما يمثل ٣٣٪ من إجمالي عدد السكان، واللغة الرسمية الوحيدة هي اللغة العربية. ويتكلم المواطنون اللغة العربية بأكثر من ٢٠ لهجة، في حين يتحدث بعض المواطنين السعوديين من قبائل المهرة، وسكان صحراء الربع الخالي، وسكان مرتفعات فيفا في منطقة جيزان بلغات سامية قديمة مختلفة عن اللغة العربية، مثل اللغة المهرية، واللغات العربية الجنوبية، وتستخدم اللغة الإنجليزية بشكل واسع في المجالات العلمية والطبية وللتواصل بين السعوديين والوافدين حيث يتحدث ربع السكان بالإنجليزية بطلاقة^(١).

يبلغ عدد سكان البحرين ١٣١٤٠٨٩ نسمة يشكل البحرينيون ٤٦٪ منهم، في حين يشكل غير البحرينيين ٥٤٪ حسب تعداد ٢٠١٠م، واللغة العربية هي اللغة الرسمية في البحرين، واللهجة البحرينية الخليجية هي اللهجة المستخدمة، وتستخدم اللغة الإنجليزية على نطاق واسع، وتستخدم الفارسية على نطاق واسع كذلك، يضاف إلى ذلك الأردية والنيبالية، والفلبينية، والمالايالامية، والتاميل، والهندية^(٢).

وفي سلطنة عمان يبلغ عدد السكان ٤٥٩٢٠٠٠، نصفهم تقريباً من غير العمانيين، ولئن كانت الغالبية العظمى من سكان عمان تتحدث العربية، فإنه توجد أقليات من المهاجرين من بلوشستان، وأفريقيا، والهند. اللغة الرسمية في عمان هي العربية، وهناك لهجات عمانية خليجية مختلفة، يضاف إليها البلوشية، والسواحيلية المنتشرة على نطاق واسع في البلاد بسبب العلاقات التاريخية بين عمان وزنجبار، وتعتمد اللغة الإنجليزية لغة ثانية والأردية. وتجري معظم المعاملات تقريباً باللغتين العربية والإنجليزية^(٣).

(1) <https://ar.wikipedia.org>

(2) <https://ar.wikipedia.org>

(3) <https://ar.wikipedia.org>

٢ - ازدواجية اللغوية

ازدواجية اللغة ظاهرة لغوية مرتبطة بالمجتمع، وقد تكون سمة مرتبطة بمعظم اللغات، لاسيما اللغات ذات الإرث الحضاري التاريخي المعقد كالعربية والألمانية والفرنسية والإنجليزية إلخ، حيث يوجد في هذه المجتمعات استخدام لأكثر من شكل من أشكال اللغة، وهذه الأشكال لا بد أن تعود إلى نظام لغوي واحد بعينه. ويستخدمها أفراد ذلك المجتمع تحت ظروف مختلفة ولأسباب متباينة، ولكن على نحو محدد ومقنن وظيفياً، بمعنى أن استخدام أحد الأشكال في وظيفة الشكل الآخر يعد خطأ لغوياً اجتماعياً. وليست نشأة ازدواجية اللغة بالضرورة خطوة أو درجة حتمية عندما يحدث تطور اللغة، ولكنها تنشأ لأسباب مختلفة، وفي فترات متباينة، ففي حين تعود ازدواجية اللغة في حالة اللغة العربية إلى زمن بعيد، نجد أن ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية لم تأخذ شكلها إلا في مطلع القرن التاسع عشر، كما أن أسباب نشأتها تختلف من مجتمع إلى آخر، فيعزى مثلاً سبب ظهور ازدواجية اللغة في اللغة الألمانية المتحدثة في سويسرا إلى العزلة السياسية والدينية عن البلد الأم ألمانيا. وتكون الأشكال اللغوية في المجتمعات التي يحدث فيها الازدواج اللغوي على نوعين: النوع الأول يكون عادة على شكل تنوع فصيح يسمى التنوع اللغوي الأعلى (High Variety)، أما النوع الثاني فيأخذ شكل التنوع اللهجي العامي، ويسمى بالشكل اللغوي الأدنى (Low Variety)^(١).

ظهر هذا المصطلح داخل الدراسات اللغوية في فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، على يد Psichari الذي استعمله سنة ١٨٨٥م لوصف الواقع اللغوي المزدوج، ثم انتقل المصطلح لوصف الواقع اللغوي العربي علي يد الفرنسي Marçais الذي نشر عام ١٩٣٠م مقالة استخدم فيها هذا المصطلح لدراسة الواقع اللغوي العربي^(٢). انتقل هذا المصطلح لاحقاً، إلى الأمريكي تشارلز فيرجسون، حيث استعمله سنة ١٩٥٩م ليصف به

(١) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ١٩.

(٢) جدامي، ٢٠١٣م، ص ٨.

الواقع اللغوي في العالم العربي، وفي هاييتي، وفي شمال سويسرا، وفي اليونان. بدأ على إثره استخدام هذا المصطلح في مجال اللسانيات الاجتماعية، وبدأ تعريفه يتخذ منحى أكثر إحكاماً وبدأت الدراسات الخاصة بالازدواج اللغوي في الانتشار.

تعرّف الازدواجية diglossia من منظور فيرجسون على الأقل، بأنها حالة يتم فيها استخدام تنوعين لغويين من قبل مجتمع لغوي واحد، ويعتمد كل سلوك لغوي ازدواجي تنوعاً عالياً، وتنوعاً أدنى / منخفضاً ويتمّ توظيف كل تنوع في ظروف بعينها، ويتم استخدام التنوعات العالية والمنخفضة لوظائف مختلفة^(١). وقد عرّف اللغوي الأمريكي تشارلز فيرجسون الازدواجية في مقالته الشهيرة «الازدواجية» في عام ١٩٥٩م محدداً إياها، بأنها «استخدام تنوعين مختلفين من نفس اللغة بواسطة المتحدث نفسه في سياقات منفصلة محددة اجتماعياً»، وعرفها بأنها "وضع لغوي مستقر نسبياً، يكون فيه إضافة إلى اللهجات الأساسية للغة (التي قد تتضمن لهجة معيارية، أو لهجات معيارية إقليمية) نوع من اللهجات مختلف اختلافاً كبيراً عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية. وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيداً من الناحية اللغوية: النحوية والصرفية والتراكيب الصوتية، وعادة ما يكون أعلى من غيره. هذا النوع يكون عادة لغة لأدب مكتوب يحظى باحترام أفراد المجتمع. ويكون مصدر هذا الأدب إما من عصور سابقة وإما من مجتمع آخر غير المجتمع الذي توجد فيه ازدواجية اللغة. هذا النوع من اللغة يتم تعلمه عن طريق التعليم الرسمي ويستخدم للعديد من أغراض الكتابة والتحدث الرسمية. ولكن هذا النوع من اللهجة لا يستخدمه أي قطاع من قطاع المجتمع لغرض المحادثة الرسمية"^(٢).

وينص تعريف فيرجسون ١٩٥٩م على وجوب أن ينتمي المستويان الأعلى والأدنى إلى نفس اللغة، فالازدواجية عنده تعني استعمال مستويين لغويين مختلفين من لغة واحدة، مع كون أحد هذه المستويات نمطاً راقياً يستعمل في الأغراض الرسمية

(١) الغالي، ناصر. ٢٠١٨م، ص ١١٣٠

(2) Ferguson, 1959. p. 322.

والعلمية ويكتب به الأدب، أما الآخر فهو أقل رقياً حيث يستعمل في المحادثة مع العائلة، والأصدقاء، والزملاء، وفي المواقف غير الرسمية داخل المجتمع. ومن هنا فدلالة مصطلح الازدواجية عند فيرجسون تعني اتفاق المستويين اللغويين في انتمائهما إلى لغة واحدة، وتعني أن هذا الوضع الازدواجي ظاهرة مستقرة نسبياً تتمثل في وجود لهجات محكية إلى جانب مستوى رفيع تحرف عنه بدرجات متفاوتة^(١). وقد وصف فيرجسون العربية بأنها لغة ازدواجية لها مستويان يميزانها، انفصالان ويتكاملان وظيفياً بشكل واضح، يستخدم أحدهما وهو الأعلى / الفصحى في مجموعة معينة من الظروف، والآخر الأدنى / العامي يستخدم في ظروف أخرى مختلفة. وقد رسم فيرجسون وظائف محددة لكل تنوع مما يوحي بأن هذين النوعين لا يستخدمان معاً في نفس السياق، ويتضح تركيز فيرجسون على دور الموقف الخارجي في تحديد الاختيار اللغوي، حيث يرى أنه في مجموعة بعينها من المواقف اللغوية يكون التنوع اللغوي الأعلى هو الملائم، وفي مواقف أخرى يكون التنوع الأدنى هو الأنسب، فالوظائف العليا مرتبطة بالمجالات المكتوبة والشفوية الرسمية، في حين ترتبط الوظائف الدنيا بالمجالات الشفوية غير الرسمية^(٢). وأشار فيرجسون ١٩٥٩م إلى أن التنوع الأعلى يعد ذا مكانة اعتبارية وينقل شعوراً قوياً بأنه يعد اللغة الحقيقية في حين أن التنوع الأدنى موصوم بالدونية حتى إن البعض لا يعترف بوجوده، وبهذا المعنى فإن الموقف تجاه التنوع الأعلى هو الأكثر إيجابية مقارنة بالتنوع الأدنى.

وصف فيرجسون خصائص الازدواجية من خلال تسع سمات هي: الوظيفة (Function)، والمنزلة (Prestige)، والتراث الأدبي (Literary Heritage)، والاكتساب (Acquisition)، والمعيارية أو التقييس / التقنين (Standarization)، والثبات (Stability)، والقواعد النحوية (Grammar)، والمفردات (Lexicon)، والأصوات (Phonology). ومن خلال التمعن فيما أورده فيرجسون من خصائص للازدواجية نلاحظ أن الوظيفة التي يؤديها الشكل اللغوي من أهم خصائص هذه الظاهرة، فلكل مستوى من مستويي

(١) جدامي، ٢٠١٣، ص ١١.

(٢) الغالي، ناصر. ٢٠١٨، ص ١١٣.

الازدواج اللغوي وظائفه المحددة، وهذا التخصيص في الوظيفة أو الاستخدام معروف في العرف الاجتماعي لدى جميع طبقات المجتمع، واستخدام أي شكل لغوي مكان الآخر في الأوضاع المحددة له والمحكومة بضوابط اجتماعية ثابتة في العرف الاجتماعي يعد خطأ لغوياً اجتماعياً^(١)، كما أن المنزلة تعني أن الفصحى وهي المستوى الأعلى أرفع شأنًا ومقامًا بما يحمله هذا الفهم من دلالات تأثيرية، من اللهجة التي تمثل المستوى الأدنى، مما قد ينظر إليها على أنه انحراف عن معايير اللغة العليا ذات المكانة الأرفع^(٢). ويتمتع الشكل الأعلى الفصيح من اللغة بتراث أدبي أكبر، وأرفع، من التراث الأدبي الذي تحظى به اللهجات التي تحل في المستوى الأدنى. ويكتسب المستوى الأعلى من خلال التعلم، في حين يكتسب الشكل الأدنى بطريقة طبيعية من خلال التنشئة الاجتماعية. أما المعيارية فتعني قبول المستوى الأعلى على أنه شكل لغوي أرفع من الأشكال اللغوية الأخرى (اللهجات العامية) ويتبع هذا القبول عمليات التقنين والتقييس والتحديث والمحافظة، حيث يتم التوسع في كلمات ذلك الشكل وما يصحب هذا التحديث من وضع المعاجم وكتب النحوي التي تقعد للاستخدام اللغوي الصحيح، وفي ازدواجية اللغة يكون الشكل اللغوي الأعلى دائماً هو الشكل الذي يكتب له العديد من كتب النحو والصرف والمعاجم اللغوية التي تحمل في طياتها معاني مفردات ذلك الشكل^(٣). ويعني الثبات، تكوّن الوضع الازدواجي واستمراره لمدة طويلة، قد يصل إلى قرون كما هو الحال في العربية. وفيما يتعلق بالقواعد النحوية فهي خاصة بالمستوى الأعلى، وفي أدنى صورها في المستوى الأدنى، ويوجد اشتراك بين المستويين الأعلى والأدنى فيما يتعلق بالمفردات، مع تخصص كل منهما بمفردات في مجالات بعينها. وفيما يتعلق بالأصوات، فإن المتحدث في المجتمع الازدواجي يمتلك نظاماً صوتياً واحداً، مع وجود خصائص لكل مستوى من المستويات اللغوية التي عادة ما تتسبب في وجود تداخل أو تضارب بين

(١) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ٢٢.

(٢) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ٢٥.

(٣) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ٣١.

استخدام الشكليين، فالشكل اللغوي الأدنى والأعلى يشكلان وحدة واحدة من وحدات التركيب الصوتي، يكون التركيب الصوتي للشكل اللغوي الأدنى هو الأساس، فإذا احتوت كلمة ما من الشكل اللغوي الأعلى على مجموعة من الأصوات، وكانت بعض هذه الأصوات غير موجودة في النظام الصوتي للشكل اللغوي الأدنى، فإن المتحدث عادة ما يستعيض عن هذه الأصوات بأصوات من الشكل اللغوي الأدنى^(١).

يتضح مما سبق أن مصطلح ازدواجية عند فيرجسون أصبح دالا على ظاهرة مفادها وجود ازدواج لغوي يمثله مستويان لكل منهما سماته ووظائفه، أحدهما أعلى والآخر أدنى، لكن هذا المصطلح لم يبق ثابتاً بهذه الدلالة، فقد استعمل فيشمان لاحقاً المصطلح نفسه بدلالة مختلفة؛ إذ توسع في استعماله ليصبح دالا على ظاهرتين معاً، هما الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. فحاول فيشمان ربط ظاهرتين لغويتين، هما ظاهرة ازدواجية اللغة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع، وبأشكال اللغة المستخدمة فيه وباللسانيات الاجتماعية، وظاهرة ثنائية اللغة المرتبطة بالمتحدث الفرد، وقدرته على التعامل مع أكثر من لغة واحدة، وبعلم اللغة النفسي. وذهب إلى أن ازدواجية اللغة ليست مقتصرة فقط على وجود شكليين لغويين في المجتمع، أحدهما فصيح والآخر عامي، ولكنه يرى أن ازدواجية اللغة تشمل اللهجات، والأساليب المختلفة للغة الواحدة وحتى اللغات المختلفة. فطرفاً ازدواجية اللغة في مفهوم فيشمان لا يهم إن كانا شكليين أو مستويين داخل لغة واحدة، أو أسلوبين، أو لغتين، أو خلافهما، ولكن المهم هو أن يخدم أحد هذه الأشكال الوظائف العليا، في حين يخدم الشكل الآخر الوظائف الدنيا^(٢). وقد قلل فيشمان من أهمية الحالات المقتصرة على وجود شكليين للغة نفسها، ليسمح بوجود عدة شفرات لغوية منفصلة، على الرغم من أن هذا الفصل يكون غالباً بوجود لغة عليا من جهة، ولغة دنيا من جهة أخرى. وخفف من حصر الازدواج في مستويين أعلى وأدنى داخل لغة واحدة، ليشير به إلى أي درجة من الاختلاف اللغوي، بدءاً من استخدام أكثر

(١) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ٤٩.

(٢) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ٨٦.

الاختلافات الأسلوبية دقيقة في اللغة الواحدة، إلى استخدام لغتين غير مترابطتين تماماً. ويمثل على ذلك بلغة الجوراني في بارجواي التي تستعمل كلغة دنيا، والإسبانية التي تستعمل كلغة عليا، وتستمران بعلاقة ازدواجية لغوية في مجتمع البارجواي، وتتبادلان الوظائف في هذا المجتمع، بالرغم من أنهما لغتان متباعدتان تماماً من ناحية الصلات اللغوية (). وقسم فيشمان ازدواجية اللغة إلى أربعة أقسام: ازدواجية اللغة مع ثنائية اللغة، وازدواجية اللغة بدون ثنائية اللغة، ثنائية اللغة بدون ازدواجية اللغة، انعدام ازدواجية اللغة وثنائية اللغة. ويتضح مما سبق أن نظرة فيشمان للازدواجية لا تقتصر على الأوضاع اللغوية التي يكون طرفاها شكلين لغويين فقط، بل إنها تتعدى إلى إمكانية وجود أي عدد من الأشكال اللغوية، هذا التعدد يكون بوجود أشكال لغوية عليا أو عدة أشكال لغوية دنيا، بالمقابل نجد أن فيرجسون قد تحدث فقط عن المجتمعات التي يوجد فيها شكلان لغويان فقط ينتميان لنظام لغوي واحد، فمثلا العربية الفصحى واللهجة المصرية تنتميان للغة واحدة هي العربية، كذلك الشكلان اللغويان كاثارافوسا وديموتك يتبعان أيضا لغة واحدة هي اللغة اليونانية، أما عند فيشمان فإن الازدواج يكون أيضا في المجتمع الذي تستعمل فيه لغتان مختلفتان تماماً، كما أن الأساليب المختلفة للهجة واحدة تمثل ازدواجا في نظره. ويتفق كل منهما مع الآخر في خاصية الوظيفة، فيرى فيرجسون أن الشكل اللغوي الأعلى يخدم الوظائف الرسمية، أما الشكل اللغوي الأدنى فإنه عادة ما يخدم الوظائف الدنيا في المجتمع، وهي نفس النظرة التي يتبناها فيشمان^(١).

دعى فاسولد ١٩٨٤م إلى أنه ينبغي مناقشة جوانب أربعة للوصول إلى فهم للمقصود بالازدواجية، وهذه الجوانب هي: الشكل اللغوي المعياري واللهجات، والعلاقة الثنائية، والترابط، والوظيفة. ومن خلال مناقشتها يمكننا اعتبار ازدواجية اللغة مفهوما يضم اللغات واللهجات والأساليب المختلفة مادام هناك توزيع وظيفي لهذه الأشكال، وقد أسمى فاسولد هذه النظرة الجديدة القائمة على التوسع، بازدواجية اللغة الموسعة

(١) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ١٠٢.

وعرّفها بأنها «استخدام الأجزاء اللغوية العليا في المجتمع، في أوضاع يدركها الفرد على أنها أكثر رسمية وأكثر تحفظاً (وهذه الأوضاع لا يتعلمها الفرد أولاً، ولكنه يتعلمها لاحقاً وبطريقة واعية، ويتم هذا التعلم عن طريق التعليم الرسمي)، واستخدام الأجزاء اللغوية الدنيا في أوضاع يعدها الفرد أقل رسمية وأكثر ألفة (ويتم تعلم هذه الأوضاع بطريقة غير واعية)، ويتم التوسع في النظر إلى درجة الترابط بين الأجزاء الدنيا والعليا، فقد تبدو في الاختلاف في الأسلوب وتصل إلى الاختلاف الكامل كما في اللغات المنفصلة^(١)». وبالنظر في تعريف فاسولد هذا للازدواجية، نجد أنه يشتمل على عناصر ثلاثة، هي: العلاقة بين اللغات المختلفة التي تكون فيها الوظيفة هي الأساس الوحيد لهذا التوزيع، ومثّل عليه بازدواجية اللغة في بارغواي، وتنزانيا، وقد أسمى هذا الصنف بازدواجية اللغة المفروضة. العنصر الثاني، لهجات اللغة الواحدة، ويكون فيه تشابه بين اللهجات، وإن كانت درجة التشابه بين اللهجات تختلف من مجتمع إلى آخر، ومثّل عليه بازدواجية اللغة في العربية، وفي هايتي، وقد أسمى هذا الصنف بازدواجية اللغة التقليدية. العنصر الثالث، أساليب اللهجة الواحدة، والاختلاف بين هذه الأساليب يتركز في جانب المفردات، وإن كان هناك اختلاف محدود في الأمور النحوية أو التراكيب، وينطبق هذا على جميع المجتمعات أحادية اللغة، وقد أسمى هذا الصنف بالتحول في الأسلوب^(٢). ونلاحظ التوسع في النظر إلى مفهوم الازدواجية عند فاسولد حيث تجاوز مفهوم فيرجسون وفيشمان بإضافته التحول في الأسلوب في لهجة واحدة.

وقد وضع فيرجسون ١٩٩١م، في مقالة لاحقة عن الازدواجية عدّة نقاط أسماها «نقاط الضعف الأصلية» وذكر أنه لو كان له أن يكتب المقالة الأصلية مرة أخرى فإنه سيعالج ذلك بشكل مختلف، وإحدى نقاط الضعف المهمة في المقال الأصلي التي ذكرها، هي ما أسماه «المسافة اللغوية» وهي الفشل في توضيح المسافة بين التنوع الأعلى والتنوع الأدنى، أو إلى أي مدى ينبغي على المستوى الأعلى والأدنى أن يشكل الازدواجية، وشدّد

(١) فاسولد، ١٩٨٤، ترجمة الفلاي ٢٠٠٠م، ص ٥٣.

(٢) الفلاي، ١٩٩٦م، ص ١٢٠.

فيرجسون على ضرورة تطوير مقاييس للمسافة في بنية اللغة، والاستخدام اللغوي، والمواقف اللغوية^(١).

وتوسيعاً لما أسماه فيرجسون ١٩٩١م «بالمسافة اللغوية» اقترح دارسون مثل: بلانك ١٩٦٠م^(٢)، والسعيد بدوي ١٩٧٣م^(٣)، وميسيله ١٩٨٠م^(٤)، وجوزيف ديشي ١٩٩٤م^(٥)، مستويات وسيطة لوصف أكثر دقة للمسافة بين التنوعين الأعلى والأدنى في اللغة العربية. لقد أدرك هؤلاء أن اقتراح مستويات وسيطة بين التنوعين الأعلى والأدنى يقدم وصفاً أدق للمشهد اللغوي في العالم العربي حيث إن الناس يتحولون من أحد التنوعين إلى الآخر خاصة حين يتكلمون، لكنهم لا يتحولون تحولاً تاماً، وينتج عن هذا مستويات وسيطة من التنوع اللغوي ليست تنوعاً أعلى تماماً ولا تنوعاً أدنى تماماً^(٦). وتمّ اقتراح عدد من البدائل والنماذج المعدلة أنتجت سلسلة من المستويات تتراوح بين المستوى المثالي والأقطاب اللهجية المختلفة.

يمكن التمييز بين نهجين تم تبنيهما بواسطة هؤلاء الذين اقترحوا التنوعات الوسطى بين المستويين الفصيح والعامي أو التنوع الأعلى والتنوع الأدنى. أولى هذه الطرق التي حددت التنوعات المميزة بين التنوع الأعلى والتنوع الأدنى يمثلها بلانك ١٩٦٠م، وبدوي ١٩٧٣م، وميسيله ١٩٨٠م، حيث ميّز بلانك، بين خمسة تنوعات لغوية للعربية: تراثية، وتراثية معدلة، وعامية شبه أدبية، وعامية مشتركة، وعامية خالصة^(٧). واقترح بدوي لاحقاً تنوعات لغوية مختلفة للعربية المعاصرة بدرجات مختلفة من التداخل والاقتران

(١) Ferguson, ١٩٩١.

(2) Blanc, 1960.

(٣) بدوي، ١٩٧٣م

(4) Meiseles, 1980. p:126.

(5) Dichy, 1994.

(٦) الغالي، ٢٠١٨م، ص ١١٣٢

(7) Blanc, 1960. p.85.

من التنوع الأعلى والأدنى حيث حدد خمسة مستويات: فصحي التراث، وفصحي العصر، وعامية المثقفين، وعامية المتنورين، وعامية الأميين^(١). وفصحي التراث عنده فصحي تقليدية غير متأثرة بشيء نسبياً، وتكاد تكون الآن وقفاً على رجال الدين، واستخداماتها المنطوقة تكاد تنحصر أيضاً في متحدّثي البرامج الدينية الإذاعية والتلفزيونية المتأثرين بقواعد القراءات القرآنية تأثراً قوياً؛ وفصحي العصر، فصحي متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص، ومجالها أوسع كثيراً من مجال المستوى السابق، فهي تبدو في كل الموضوعات المتصلة بحياتنا المعاصرة، التي تستخدم فيها العربية الفصحى، ويضم هذا المستوى أنماطاً علمية وسياسية وأدبية واجتماعية وفنية؛ وعامية المثقفين، وهي عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة معاً، وتستخدم عادة في المناقشات التي تجري بين المثقفين في مسائل العلم والسياسة والفن، والأمور الاجتماعية، ويمثلها في الإذاعة والتلفزيون برامج الرأي والحوار والمناقشات؛ ونظراً لاتساع هذا المستوى وشيوعه فقد أصبحت عامية المثقفين بمفرداتها وتعبيراتها ومرونتها مستودع الحضارة المصرية الحديثة ولسان العلم المعاصر؛ وعامية المتنورين، عامية متأثرة بالحضارة المعاصرة، وهي التي يستخدمها غير الأميين في أمور الحياة العملية اليومية من بيع وشراء، ورواية أخبار، كما يجري بها الحديث بين الأهل والأصدقاء حول مختلف شئون الحياة؛ وعامية الأميين، عامية غير متأثرة بشيء نسبياً، لا بالفصحى ولا بالحضارة المعاصرة. ويتصل هذا المستوى بأمية أصحابه، ويحظى بنصيب كبير في البرامج التمثيلية والمسرحيات خاصة الفكاهية منها بغرض إضحاك الناس، أو بحجة تصوير الواقع، فهي لغة «أولاد البلد»^(٢). وميزميسيله بين أربعة تنوعات للعربية المعاصرة: عربية أدبية، وعربية أدبية شفاهية، وعربية المتعلمين المنطوقة، وعامية دارجة خالصة^(٣). وينبغي ملاحظة أن بلانك ١٩٦٠م يقر بوجود انتقالات متدرجة بين مستويات الاستخدام المتنوعة^(٤)، في حين يوضح بدوي

(١) بدوي، ١٩٧٣م، ص ٧٢

(٢) بدوي، ١٩٧٣م، ص ٧٢، وانظر ط ٢٠١٢م، ص ١١٩ - ١٢١.

(3) Meiseles, 1980.

(4) Blanc, 1960. p.151.

١٩٧٣م، أن كل فرد يجيد أكثر من مستوى من هذه المستويات، ويتحول غالباً من أحدها إلى الآخر في المحادثة نفسها، وأن هذه المستويات الخمسة ليس بينها حدود واضحة ثابتة، لكنها تتلاقى بعضها مع بعض^(١). ويعدّ تصنيف بدوي الذي أقام دراسته على عينة من وسائل الإعلام المصرية أكثر حسماً، وأكثر إشكالاً من تصنيفي بلانك، وميسيله؛ نظراً إلى أن تسميته للتنوعات تتضمن تراتبية هرمية اجتماعية وأسلوبية، حيث يشير إلى العوامل التي تحكم تفاعل هذه المستويات بعضها مع بعض، بعضها عوامل مشتركة، وبعضها الآخر عوامل تفريق. فكل هذه المستويات ترجع إلى أصل تاريخي لغوي واحد هو العربية، مما يجعل باب التأثير والتأثر بينها مفتوحاً ومستمرّاً، ثم هي توجد وتتفاعل معاً داخل مجتمع واحد، يمكن لأفراده أن ينتقلوا من مستوى لغوي إلى آخر متى توافرت الشروط النفسية والاجتماعية، كما أن كل فرد من أفراد المجتمع يستطيع استخدام أكثر من مستوى - باستثناء الأميين بالطبع - وقد يستخدم مستويين أو أكثر في المحادثة الواحدة، وينتقل بين المستويات صعوداً وهبوطاً من عبارة إلى أخرى، هذه العوامل التي يمكن تسميتها عوامل مزج أو خلط للمستويات يقابلها قواعد التفريق بين المستويات الخمسة التي ترجع إلى أساسين رئيسيين: أساس لغوي هو مجموع الصفات التي يختص بها كل مستوى من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية وأنواع التعبيرات التي تشيع فيه. وأساس اجتماعي: يتمثل في الظروف الاجتماعية التي تتيح لطائفة معينة من أفراد المجتمع اكتساب القدرة على استخدام بعض المستويات دون بعضها الآخر، تتحكم في لغة الفرد وتجعله يكاد يكون مضطراً إلى استخدام مستوى لغوي معين في ظرف أو موقف اجتماعي معين^(٢).

هذه المستويات المنفصلة من المفترض أن تتميز بسمات لغوية وترتبط غالباً بالدرجة التعليمية للمتحدثين، وقد علق ميجدل على هذه المستويات بقوله: «محاولات بناء نماذج تميل إلى أن تكون معيبة بسبب نقصها أو كونها عند الحد الأدنى للدعم التجريبي

(١) بدوي، ١٩٧٣م، ص ٧٣.

(٢) بدوي ١٩٧٣م، وانظر ط ٢٠١٢م، ص ١٢٢ - ١٢٣.

من الصعب تطبيقها على البيانات الطبيعية»^(١). وعلاوة على ذلك تكشف تجارب الأشكال المتطابقة بأنه ليس هناك اتفاق في الآراء بين المتحدثين والسامعين فيما يتعلق بالحدود التي تتوقف عندها اللغة القياسية واللهجة^(٢).

في مقابل المقاربات السابقة، وُجد تيار آخر يرى الواقع اللغوي العربي بصورة مختلفة عن رؤية فيرجسون، يمثل أولئك الذين رأوه كمجموعة من المستويات اللغوية، على شاكلة سلسلة متصلة من التنوعات اللغوية في مجتمع لغوي واحد، وهو ما أطلقوا عليه مصطلح Continuum والمقصود به، وجود مسترسل من التباينات اللغوية يقف المستوى الفصح على طرفها الأيمن، وعلى طرفها الأيسر يعيش العامي، وبين الاثنين يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي العربي، ومن أنصار هذا التوجه الأمريكي آلان كي ١٩٩٤م A. Kaye، وبنيامين هيري ١٩٩٦م B. Hary، حيث يشير آلان كي إلى أن الواقع اللغوي العربي يختلف عما يقول به فيرجسون، وأصحاب الدراسات القائلة بالمستويات اللغوية، وأنه ينبغي النظر إلى هذا الواقع من خلال مفهوم التعدد اللهجي أو سلسلة التنوعات اللغوية المتصلة، وهو مفهوم يخلو لنا تغطية نظيرية مناسبة اجتماعياً للاختلافات المعجمية والصوتية والنحوية^(٣)، فيما يذهب هيري إلى أنه يوجد في هذا الواقع اتصال مستمر بين النوعين اللغويين الأعلى والأدنى، حيث تشكل وفرة من المتغيرات سلسلة ضخمة من التنوعات اللغوية بين نهايتين لمسترسل واحد. وهذا المسترسل Continuum كما يرى هيري هي أداة تحليلية يمكن استخدامها في وصف العربية المتعددة الملائس Multiglossia، وأن موقع حديث المتحدثين الأصليين على هذه السلسلة يتبع عوامل معينة ومتابعة ربما تكون إلزامية أو اختيارية، كما أن الاختيار بين عناصر هذه السلسلة محكوم بعوامل لغوية، ولغوية اجتماعية، كقضية الرسمية وغير الرسمية التي يمكن أن تحدث

(1) Mejdell, 2006.p. 47.

(2) Parkinson, 1991. p

(٣) Kaye, ١٩٩٤.p. ٦١.

تغيراً في مستوى نهاية السلسلة، وكذلك الموضوع يحكم اختيار مستوى السلسلة، ومهارات المتحدثين في الفصحى المعاصرة لها نصيب في التحكم في هذه السلسلة، والحالة الشعورية للمتحدثين، وللمشاركين في المناقشات نصيب في تحديد مستوى السلسلة إما العامي أو الفصحى، وكذلك وظيفة الخطاب، والعلاقة الشخصية بالجمهور. وهكذا يقدم هيري تصويره للعربية في الواقع اللغوي العربي الحديث رافضاً أن يصفه بمصطلح الازدواجية، وإنما يصفه بمصطلح سلسلة التنويعات اللغوية المتصلة^(١).

ويعرض جوزيف ديشي J. Dichy رؤية مغايرة قليلاً لما سبق؛ إذ يصف الواقع اللغوي العربي بتعدد الملاسن Pluriglossie ويطلق هذا المصطلح على واقع يحتوي مجموعاً من التنوعات المتناظرة، ويتسم تعدده الملاسني بمجموع من العلاقات القائمة بين المستويات التي يحتويها^(٢). ويذهب ديشي إلى أن المتكلم العربي تمكنه كفايته الإنتاجية والمعرفية من التحدث بعدد من الملاسن أو المستويات وليس بمستويين فقط حسب زعم فيرجسون، مما يجعل المتكلم يتصرف بكفاءة في التعرف على عدد من المتحدثين من مناطق مختلفة أكثر من معرفته الخاصة. بمعنى - وهذا لب رؤية ديشي - أن الواقع اللغوي العربي الحديث فيه ظاهرة تعدد الملاسن (المستويات)، وأن المتكلم العربي لديه كفاية تسمح له بأن يستخدم المستوى المناسب لوظيفة السياق الموضوع فيه. ويقدم ديشي تصوراً يقوم على فهم كفاية المتكلم العربي من خلال مهاراته اللغوية (السمع والكلام والقراءة والكتابة) ومن خلال هذه المهارات ومن خلال مجتمعه يكتسب معرفة لغوية يستطيع بها أن يتكلم ويفهم مجموعة من المستويات العربية، وهو قادر على إدراك وفهم اللهجة المحلية، والمعدلة من الفصحى القديمة، والمعدلة من الفصحى الحديثة الخاصة بأية دولة عربية أخرى، وكذلك اللهجة المحلية لأية دائرة في هذا الإقليم. وتعتمد رؤية ديشي في أن التنوعات اللغوية تتطور بشكل تاريخي على محورين يجب تمييزهما بوضوح، الأول هو المحور الأفقي، وهو الخاص بالاختلافات الجغرافية للمتكلمين، والثاني هو المحور

(1) Hary, 1996. p. 76.

(٢) جدامي، ٢٠١٣م، ص ٢٩.

الرأسي، وهو الخاص بتفرع الاختلافات الخاصة بالمستويات اللغوية المستعملة داخل المساحة الجغرافية، للمنطقة نفسها. وعند تحليل المحور الرأسي المنضوي خلف النظام المعرفي المركب يرى أن المتكلم المتعلم تهبئ له مقدرة التعرف على لهجات إقليمية تنتمي إلى مناطق جغرافية غير التي ينتمي إليها، ولديه القدرة على اختيار الملائس أو المستويات. ويذهب إلى أن المستويات المكونة للنظام المعرفي للغة العربية يحتوي لدى ناطقها الجيد على مهارات إنتاج ومعرفة للمستويات التالية: العربية الفصحى القديمة، والعربية الفصحى الحديثة، والعربية المعدلة من هذين النموذجين (وهي نتيجة اندماج تعبيرى مرتبط بالكلام الإقليمي للمتكلم داخل هذين المستويين)، واللهجة العربية الإقليمية، (وهي التي تكون لهجة لدولة ما أو لمنطقة ما، مثل لهجة دمشق، أو لهجة الرياض، أو لهجة القاهرة)، واللهجة العربية المحلية، (وهي الخاصة بدائرة معينة أو قرية)، واللهجات العربية الأخرى المختلفة عن اللهجة الخاصة بالمتكلم^(١).

ويرتبط بهذه النماذج نموذج آخر بديل يختلف عن مفهوم المستويات اللغوية، لكنه يظل مرتبطاً بالازدواجية، وبالتنوعات واللهجات المختلفة في العالم العربي، ظهر هذا النموذج في السبعينيات الميلادية وهو معروف باسم (مشروع ليدز ١٩٧٦م، ESA) وقد رأى أن التنوع المتوسط بين المستوى القياسي واللهجة هو كيان جديد منفصل يعرف بلغة حديث المتعلمين^(٢). هذا النموذج يسمى بعربية المتعلمين المنطوقة، وعرفه ميسيله بقوله: "هي اللغة غير الرسمية الحالية التي يستخدمها العرب المتعلمون؛ لتلبية احتياجاتهم اللغوية اليومية عامة، وهي أيضاً الوسيلة الرئيسة للتواصل بين اللهجات العربية، وواحدة من أهم سماتها على الإطلاق - أقصد إمكانية التفاهم بها بين متحدثي لهجات دارجة مختلفة - قد انبثقت في الأساس من دوافع المتحدثين إلى التشارك في لغة واحدة مع من يحاورهم أو يحاورونهم"^(٣). وارتبط هذا النموذج بمتش ١٩٨٦م، الذي

(١) جدامي، ٢٠١٣م، ص ٢٩ - ٣٢.

(2) Mitchell, 1986. p. 8.

(3) Meiseles, 1980. P.126

يعتقد أن العربية الدارجة ليست خالصة وغير مختلطة بغيرها، بل إنها عرضة باستمرار لتأثيرات العصر الحديث، ووفقاً لرؤيته فإن عربية المتعلمين المنطوقة ليست تنوعاً منفصلاً، بل إنها تكونت وبقيت بسبب التفاعل بين اللغة المكتوبة واللغة الدارجة^(١).

وتعترف فكرة «عربية المتعلمين» المنطوقة بإمكان التحول بين اللهجات الدارجة والعربية الفصحى المعاصرة دون افتراض أي شيء يتعلق بالأساليب الوسيطة، وهي بهذا المعنى واحدة وأشمل من مفهوم المستويات حيث تشرح كيفية تواصل العرب في البلاد المختلفة بدلاً من التركيز على العربية في بلد بعينه^(٢). وتذهب بسيوني ٢٠١٨م، إلى أن فكرة «عربية المتعلمين» المنطوقة مهمة؛ ليس لأنها تهتم فقط بكيفية تواصل الأشخاص الذين ينتمون لمجتمعات متقاربة؛ بل لأنها تعنى أيضاً بكيفية تواصل العرب الذين ينتمون لمجتمعات مختلفة عبر الحدود المجتمعية^(٣).

ويمكن أن نلخص تحليل الواقع اللغوي العربي الازدواجي بأنه يتراوح بين عدة رؤى، بدأها فيرجسون بقوله بالازدواجية بين مستويين أعلى فصيح، وأدنى منخفض، تلتها رؤية للواقع تعالج المسافة اللغوية بين هذين المستويين، وتعتمد وجود مستويات لغوية متعددة تراوحت بين خمسة كما هي عند بلانك، والسعيد بدوي، وأربعة عند ميسيليه، ثم ظهرت رؤية تبناها آلن كي، وهيري، توصف الواقع اللغوي العربي الحديث فيما يتعلق بالازدواج عبارة عن مستمر لغوي continuum ومفاده وجود سلسلة من التباينات اللغوية يقف المستوى الفصيح على طرفها الأيمن، وعلى طرفها الأيسر يعيش العامي، وبين الاثنين يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي العربي. وتبنى جوزيف ديشي الوصف القائم على مفهوم تعدد الملائس pluriglossie، رافضاً رؤية فيرجسون

(1) Mitchell, 1986. p. 9.

(٢) الغالي، ناصر. ٢٠١٨م، ص ١١٣٣.

(٣) بسيوني، ٢٠١٨م، ص ٢١.

القائلة بوجود مستويين فقط، زاعماً أن الواقع اللغوي العربي الحديث فيه ظاهرة تعدد الملاس (المستويات)، وأن المتكلم العربي لديه كفاية تسمح بأن يستخدم المستوى المناسب لوظيفة السياق الموضوع فيه، ورؤية فكرة «عربية المتعلمين» المنطوقة التي تقول بإمكان التحول بين اللهجات الدارجة والعربية الفصحى المعاصرة دون افتراض أي شيء يتعلق بالأساليب الوسيطة.

وتظلّ الاتجاهات المستقبلية للبحث في هذا الموضوع مشرعة - في نظري - على آفاق، قد تكون مختلفة بحسب المنطلقات التي يتبناها الباحثون، والمتغيرات الاجتماعية المستقلة التي يعالجونها والتي تؤثر في الاستخدام. فاختيار التنوعات اللغوية تحكمه الأيديولوجيات اللغوية المتحكمة في المستخدمين وفي استخدامهم اللغوي، والعوامل الاجتماعية الأخرى التي تعمل كمتغيرات مؤثرة في الاستخدام إضافة إلى الواقع الاجتماعي العربي الحالي وتشكيلاته السياسية والاقتصادية المعاصرة. فواقع العالم العربي المعاصر يختلف عنه قبل عقود زمنية ليست بالبعيدة، وهو في الواقع يتشكل من مجموعة من الدول المختلفة، لأن جمعتها الثقافة والدين واللغة المشتركة، فهي عالم طافح بالتنوع، بالمجموعات العرقية والدينية المختلفة، وبالمصالح المتضاربة. وهي أسباب كفيلة بتغيير الواقع الحالي في نظري، وقادرة على تشكيل أيديولوجيات جديدة ربما تكون مختلفة، مما قد يقود في نهاية الأمر إلى تركّز تنوعات لغوية بعينها، وتطويرها وتبنيها، وهو الأمر الذي قد يقود إلى ظهور باحثين بمنظورات جديدة، ورؤى مختلفة، تغييراً لاتجاهات البحث المستقبلية في هذا الموضوع، وتطرح رؤى جديدة مختلفة لواقع التنوعات اللغوية العربية.

٣ - تبديل الشفرة Code Switching

تستخدم المجتمعات الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، وكذلك المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية إستراتيجيات معينة لجعل التواصل أكثر فعالية. أحد هذه الأساليب هو «تبديل الشفرة». ويشير تبديل الشفرة إلى استخدام لغتين في جملة واحدة أو مخاطبة

مفردة. ويحدث تبديل الشفرة عندما يراوح المتكلم في الاستخدام بين كلمات أو عبارات أو عناصر من لغتين أو أكثر، أو من تنوعات لغوية مختلفة، في سياق محادثة واحدة. ويحدث تبديل الشفرة في الغالب في المجتمعات الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، لقدرة أفرادها على التبديل بين الرموز أو خلط لغتهم أثناء اتصالهم، كما يشير أرنوف وميلر ٢٠٠٣م^(١). وقد أكد العديد من اللغويين أن التبديل بين اللغات هو خيار اتصال متاح لعضو ثنائي اللغة أو متعدد اللغات في مجتمع الكلام، مثلما يعد التبديل بين الأنماط أو التنوعات اللهجية خياراً للمتكلم أحادي اللغة؛ إذ يستخدم المتحدثون المتعددون اللغات أو المزدوجو اللغات، عناصر متعددة اللغات، أو من تنوعات لغوية مختلفة أحياناً عند التحدث بعضهم مع بعض^(٢). وقد لفتت الدراسة المنهجية لهذه الظاهرة انتباه العلماء إلى طبيعة تحويل الشفرة المنتظم ليس فقط من الناحية البنيوية، ولكن أيضاً من جهة وظائفها ودوافعها اللغوية الاجتماعية والدلالات التي تحملها. فعرف جومبرز ١٩٨٢م، تحويل الشفرة بأنه اشتغال الخطاب على أجزاء من الكلام تنتمي لنظامين مختلفين رئيسيين أو فرعيين ضمن الحدث الخطابي نفسه^(٣). ولا ينطبق مصطلح تحويل الشفرة عند مايرز سكوتن ١٩٩٣م، على التحول بين لغتين مختلفتين فحسب، بل يتسع أيضاً للتحول بين تنوعات اللغة نفسها^(٤) (كما سنرى في مبحث تبديل الشفرة الازدواجي).

٤ - وظائف تبديل الشفرة

وتدرس اللسانيات الاجتماعية تحويل الشفرة للحصول على تفسيرات لأسباب التحويل بين التنوعات واللغات المختلفة ودوافعه المختلفة. وقد حدد جومبرز ١٩٨٢م، أسباب تحويل الشفرة في نقل الاقتباسات، والتكرار، والتعجب، وتحديد المخاطب^(٥). وهي

(1) Aranoff & Miller. 2003. p. 523.

(2) Albirini, 2016. p. 218

(3) Gumperz, 1982. p. 61.

(4) Myers - Scotton, 1993. p. 47.

(5) Gumperz, 1982.

تجيء أيضاً للاقتباس، والحاجة للعنصر اللغوي، وتحديد المخاطب، والتأكيد، وتخصيص الرسالة، والتضامن، والتعبير عن الانزعاج، واستبعاد شخص ما من الحديث، وبيان علو مكانة المتحدث، وإظهار خبرته^(١). وتأتي وظائف تحويل الشفرة عند رومين ١٩٩٥م، للحشو، والتوضيح، والانتقال^(٢).

وذهب بنتاهيلا ١٩٨٣م إلى أن دوافع التحويل هي استخدام المفردات الأقرب للمتحدث، أو المناسبة أكثر لموضوع بعينه، والبحث عن كلمات ذات دلالات خاصة، أو تجنب اختيار الكلمات التي تحمل معنى محرّجا في بعض السياقات، وكذلك للتأكيد على نقطة، أو تغيير موضوع الخطاب^(٣).

ونفصل هنا فيما بدا لنا أهم الدوافع والوظائف الخطائية التي يحدث تبديل الشفرة من أجل تحقيقها، كما جاءت عند أبرز دارسيها:

١. الحاجة المعجمية

قد يتم استخدام تغيير الشفرة للتعويض عن النقص اللغوي الذي يعاني منه المتحدث. ويحدث هذا النوع من التبديل عندما يكون المتحدث مضطرباً أو متعباً أو مشتتاً بطريقة ما، أو عندما تكون طلاقته بإحدى اللغتين أقل، حيث يستخدم الأشخاص تبديل الشفرة لإخفاء مشكلات الطلاقة أو ضعف الذاكرة في اللغة الثانية، أو بسبب صعوبة البنية اللغوية، أو صعوبة الكلمات الأجنبية، أو بسبب الحاجة للعنصر اللغوي المعجمي والتركيبي، أو عدم وجود الكلمات المناسبة؛ إذ يستخدم الأشخاص غالباً بعض المصطلحات الفنية أو الكلمات المكتوبة بلغة أخرى^(٤). في هذه الحالة، إذا حاول المتحدثون ترجمة هذه الكلمات، فقد يشوه ذلك المعنى الدقيق للكلمة أو المصطلح

(1) Grosjean, 1982. p. 152.

(2) Romain, 1995. p. 161 - 162.

(3) Bentahila, 1983. p. 240.

(4) Grosjean, 1982. p. 152.

وقيمته؛ ولذلك يلجؤون إلى تبديل الرمز اللغوي للحفاظ على المعنى الدقيق للكلمة. وقد يأتي تبديل الشفرة بسبب موضوع المحادثة، فعادةً ما يقوم الأشخاص بالتبديل بين الرموز أثناء الحديث عن موضوع معين، مفترضين أن الحديث عنه يتطلب استخدام لغة محددة؛ قد تكون أكثر قدرة على نقل المشكلات المحيطة به^(١)، وقد ناقش ذلك جروسجين ١٩٨٢م، وبنهايلا ١٩٨٣م.

٢. الاقتباس والنقل

يحدث تبديل الشفرة أحياناً بسبب النقل والاقتباس عن شخص ما، حيث يعتمد الأشخاص إلى تبديل الرموز أثناء اقتباس حديث شخص آخر، أو الاستشهاد بمقولة ما أو نص محدد، أو عبارة بعينها^(٢). وقد ناقش موضوع التبديل للاقتباس جومبرز ١٩٨٢م، وجروسجين ١٩٨٢م، والبريني ٢٠١١م.

٣. التوضيح

ويأتي تبديل الشفرة أيضاً للتوضيح، حيث يقوم المتحدثون بتغيير خطاباتهم عندما يكون لدى المستمعين مشكلة في فهم فكرة ما، وعندئذ يعتمد المتحدثون إلى تغيير الشفرة لتوضيح أفكارهم، أو تبسيطها، أو تبسيط عبارات بعينها^(٣). وقد درس ذلك سعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م.

٤. الانتماء والتضامن

يستخدم تبديل الشفرة أيضاً، للتعبير عن الانتماء إلى هوية المجموعة، حيث يلجأ الأفراد إلى تغيير لغتهم للتعبير عن هوية المجموعة، وإشعارهم بالانتماء إليهم، أو التضامن معهم^(٤)؛ إذ يستخدم تغيير الشفرة كرمز للانحياز إلى مجموعة معينة في مواقف محددة

(1) Bentahila, 1983. p.240.

(2) Romain, 1995. p. 161 - 162, also, Saeed, 1997. p.111 - 112.

(3) Romain, 1995. pp. 161 - 162, also, Saeed, 1997. p.111 - 112.

(4) Zentella. 1985.

(مثل تعريف الذات كعضو في مجموعة عرقية)، وهنا يعمل تبديل الشفرة للإعلان عن هويات محددة، وإنشاء معاني معينة، وتيسير العلاقات الشخصية الخاصة^(١). وقد درسه جروسجين ١٩٨٢م.

٥. تحديد المخاطب

يستخدم تغيير الشفرة أيضاً، لتخصيص الرسالة، أو تحديد المخاطب، أو لاستبعاد الآخرين من الحديث، حيث يتم استخدام تغيير الشفرة لاستثناء الآخرين من محادثة ما، وخاصة عندما لا يكونون من متحدثي اللغة الثانية^(٢). وقد درس ذلك جروسجين ١٩٨٢م.

٦. تغيير موضوع الخطاب

قد يستخدم تحويل الشفرة أيضاً، لتغيير موضوع الحديث، أو تسلّم الحديث، والإيحاء من خلال تغيير الحديث إلى شفرة أخرى برغبة المتحدث باستلام الحديث، أو توجيهه ناحية معينة، كما أشار إلى ذلك بنتاهيلا ١٩٨٣م^(٣)، ورومين ١٩٩٥م.

٧. للتحويل من المواقف الرسمية إلى المواقف غير الرسمية

يستخدم تبديل الشفرة كذلك، للتحويل من المواقف الرسمية (باستخدام اللغة الثانية) إلى المواقف غير الرسمية (باستخدام اللغات الأصلية) والعكس صحيح. وقد يعتمد المتحدث إلى تغيير الشفرة رغبة في تجنب كلمات ذات إيحاءات غير مقبولة، أو غير مؤدبة، إلى استخدام اللغة الثانية، أو مستوى لغوي آخر داخل اللغة^(٤). وقد أشار إلى ذلك البريني ٢٠١١م.

(١) جونسون، ٢٠٠٠م، ص ١٨٤.

(2) Gumperz, 1982, also, Grosjean, 1982. p. 152.

(3) Bentahila, 1983. p.240

(4) Bentahila, 1983. p.240.

٨. للتحفيز ومواصلة الحديث

حيث يعتمد المتحدث أحياناً إلى تغيير الشفرة لتحفيز الطرف الآخر على مواصلة الحديث، أو التكرار والتمثيل^(١).

ويمكن أن يحدث تحويل الشفرة بين التنوعات اللغوية داخل اللغة وليس فقط بين اللغات المختلفة كما أشارت إلى ذلك العديد من الدراسات^(٢). وقد أشار البريني ٢٠١١م^(٣)، إلى الفصل الوظيفي بين الفصحى والعامية، حيث تستخدم الفصحى للمسائل ذات الأهمية، والعامية للمسائل السهلة والأقل جدية.

ويمكننا القول إنَّ تبديل الشفرة الازدواجي بين التنوعات اللغوية داخل النظام اللغوي نفسه، هو حقيقة مستمدة من الواقع الفعلي للغة العربية كلغة ازدواجية مثلما رسمها فيرجسون، نشاهده ونلمسه في كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية، وهو أمر يتم من أجل أداء وظائف اجتماعية محددة.

(1) Saeed,1997. pp.111 - 112.

(2) Mejdell,2006. And Gumperz,1982. p. 59.

(3) Albirini,2011. p.558.

٤ - الممارسة اللغوية: تبديل الشفرة في ضوء التعددية اللغوية، والازدواج اللغوي

٤ - ١ - تبديل الشفرة والتعدد اللغوي

لما كانت العديد من البلدان العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بلدانا متعددة اللغات بحكم الواقع وفيها العديد من اللغات الاستعمارية السابقة مثل: الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وتقتطنها مجموعات عرقية غير ناطقة بالعربية (الأمازيغ والأكراد على وجه الخصوص) يمكننا القول إن اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية لا تزالان تحتلان مواقع ووظائف مهمة. ففي شمال إفريقيا بسبب الوجود القوي للغة الفرنسية والإسبانية والأمازيغية نجد العدد الأكبر من الإشارات للحالة اللغوية وحالة التعددية اللغوية وحقيقة تحول الشفرة، ويعد عمل عباسي ١٩٧٧م^(١)، مرجعاً لهذا النوع من الدراسات بإجرائه تحليلاً لغوياً اجتماعياً للتعددية اللغوية في المغرب، وكان الأول في دراسة تحويل الشفرة بالتفصيل.

لقد وُصف الوضع اللغوي في شمال إفريقيا بشكل أساسي من حيث النزاعات على مستويات مختلفة: العربية مقابل الفرنسية على المستوى الرسمي، والعربية مقابل الأمازيغية على مستوى غير رسمي، ويبدو أن وضعيات المتحدثين مؤثرة في تبديل الشفرة؛ إذ يتمسك أصحاب الوضع الاجتماعي الأدنى بالعربية الجزائرية، في مقابل استخدام أكثر للغة الفرنسية عند أصحاب المستوى الاجتماعي والاقتصادي الأعلى. وقد درست أمينة بينقوادا ٢٠١٥م^(٢)، الدوافع الاجتماعية المختلفة وراء التحول من العربية الجزائرية إلى اللغة الفرنسية، وذهبت إلى أنه على الرغم من الاستخدام المستمر للغة الفرنسية في الجزائر جنباً إلى جنب مع العربية ومن التحول المستمر بين اللغتين،

(1) Abbassi, 1977.

(2) Benguedda, 2015. p. 14

إلا أن هذا التحول يختلف بسبب العوامل الاجتماعية المختلفة مثل المستوى التعليمي، والوظيفي، وخلفية المتحدث، وقد لا يحدث في بعض السياقات بسبب الاختلاف في هذه العوامل. وقد ذهبت إلى أن المتحدثين ذوي الوضع الاجتماعي والاقتصادي الأعلى يعمدون إلى التحول إلى الفرنسية أكثر من ذوي الوضع الاجتماعي والاقتصادي الأقل الذين يميلون إلى التمسك بالعربية الجزائرية.

ودرست هند مستاري ٢٠١١م مواقف المتحدثين واستخدامهم للغاتهم والتنوعات اللغوية في الجزائر والمغرب في محاولة للإجابة عن سؤال: هل يستخدم المتحدثون الجزائريون والمغاربة اللغة العربية الفصحى والفرنسية واللهجات المحلية في نفس المواقف ولأسباب نفسها؟ فتوصلت إلى أن المتحدثين الجزائريين والمغاربة يستخدمون التنوعات اللغوية العربية الكلاسيكية والفرنسية واللهجات المحلية تقريباً في نفس السياقات، مع جرعات مختلفة. وفي كلا البلدين ينظر إلى الفرنسية على أنها لغة المكانة والوضع الاجتماعي العالي ويميل المتحدثون الجزائريون إلى استخدام الفرنسية والتحول إليها أكثر من المغاربة وربما يرتبط ذلك بأسباب تاريخية تتعلق بعمق تأثير الاستعمار الفرنسي في الجزائر مقارنة بنظام الحماية الفرنسية في المغرب^(١).

ويعد استعمال اللغة ورعايتها في وضع الأقليات المهاجرة مجالاً مهماً للدراسة، فالأقليات اللغوية تعتمد عدداً من الإستراتيجيات اللغوية للتواصل فيما بينها ومع المجتمع الأوسع الذي تعيش فيه. وهذه الإستراتيجيات تتأثر بأهل اللغة أنفسهم وهم الأقلية، والبيئة الاجتماعية واللغوية التي تجد الأقلية المهاجرة نفسها تعيش فيها. وقد ركز عدد من الدراسات حول تبديل الشفرة على الشتات العربي في البلدان الغربية، فدرس دومانس ١٩٩٨م، تبديل الشفرة بين العربية والهولندية في هولندا، ودرس كيوبت ٢٠٠١م^(٢)، تبديل الشفرة بين العربية والفرنسية في فرنسا. ودرس عبد

(1) Mostari, 2011, p.136.

(2) Caubet, 2001.

السلام جمعي ٢٠٠٨م^(١)، استخدام اللغة العربية ورعايتها وسط الأقلية المغربية في بريطانيا، حيث ناقش استخدام اللغة العربية بين مجتمع المهاجرين الشباب نسبياً في بريطانيا لمعرفة الدور الذي تؤديه اللغة الإنجليزية في حياتهم، وسلوكهم اللغوي وما إذا كانوا لا يزالون يستخدمون لغتهم الأصلية. ودرس المواقف الخاصة تجاه استخدام اللغة والتبديل بين الرموز، وذهب إلى أن الجالية المغربية في بريطانيا تمر بتحول لغوي واضح وأن العامل الاقتصادي الاجتماعي يؤدي دوراً في هذا التحول.

وفي نفس السياق، تناولت حنان بن نفا ٢٠١٣م^(٢)، تحويل الشفرة من اللغة العربية إلى الإنجليزية عند المتحدثين العرب في المملكة المتحدة من حيث البنية النحوية والدور البراغماتي وناقشت نمطين بنيويين في تحويل الشفرة هما: الإدراج insertion، والاستبدال alternation^(٣)، وذهبت إلى القول إن نمط الإدراج كان أكثر تكراراً من الترابط الاستبدالي، ومع ذلك فالعدد القليل من الاستبدال كان أكثر بروزاً من الإدراج بناء على الدور التواصل الذي يقوم به، في حين أنّ عمليات الإدراج ارتسمت بشكل بارز على العديد من المجالات التي عملت فيها كنقاط مرجعية. وهي تستنتج أن تحويل الشفرة ظهر خياراً لمعظم المتحدثين وأداة محادثية يتفاهمون من خلالها ويعززون بها صورهم الذاتية. وأظهرت النتائج عدم وجود تجزئة في الاستفادة من الدور المحادثي في اللغتين عند معظم المتحدثين. وفي الغالب رأى المتحدثون أن الرمز اللغويين يكمل أحدهما الآخر من الناحية الهيكلية ومن الناحية الوظيفية. وذهبت إلى أن هناك علاقة

(1) Jamaï, 2008. p. 307.

(2) Ben nafa, 2013.

(٣) تعرف الباحثة الإدراج بأنه عبارة عن وحدات لغوية قصيرة يعتمد معناها على الجملة التي تم إدراجها بها، وتأخذ الإدراجات العربية الإنجليزية شكل كلمات المحتوى وعبارات الجر، في حين إن الإدخالات في الاتجاه الآخر قليلة جداً معظمها عبارة عن إدخالات نطقية. ويصف الاستبدال سلسلة من التحولات بدون وجود أساس لغوي محدد، حيث تتناوب الجمل العربية والإنجليزية في تبديل بعضها ببعض؛ حيث إن البديل اللغوي العربي يتناوب مع الجملة الإنجليزية التي لا يعرفها
ص ٣١ و ٣٦.

ملحوظة بين إستراتيجيات التبديل المعقدة للمشاركين وبعض العوامل مثل القدرة اللغوية والعمر مما يدل على أن تحويل الشفرة هو عملية محادثائية تحكمها العوامل اللسانية الاجتماعية.

في السياق نفسه، درست علا الحوراني (٢٠١٦م)^(١)، استخدام تحويل الشفرة بين اللغة العربية والإنجليزية عند المتحدثين الأردنيين الثنائيي اللغة في ماليزيا وناقشت تحويلهم الشفري في تفاعلاتهم الشفوية اليومية، حيث حددت السياقات التواصلية التي يحدث فيها التحويل الشفري، كما وصفت وظائف تحويل الشفرة وأنماط التحويل، وما إذا كانت السياقات التواصلية وأنماط التحويل الشفري يؤثر بعضهما في بعض. وذهبت إلى أن المتحدثين يتحولون شفرياً في السياقات التواصلية الرسمية وغير الرسمية لملء الفراغ المعجمي، ولنقل كلام الآخر، وزيادة شرح النقاط، ولعزل من هو خارج المحادثة، ولتوضيح الاقتدار اللغوي. وقد خلصت إلى القول بوجود نمطين رئيسين للتحويل أحدهما داخل الجملة والآخر ما وراء الجملة.

في نطاق العالم العربي وتحديداً في الأردن، ناقشت ريم الحايك (٢٠١٦م)^(٢)، ثلاث وظائف لتحويل الشفرة من العربية إلى الإنجليزية وهي: وظائف اجتماعية حيث يعتمد المتحدث إلى استخدام الكلمات الإنجليزية لنقل رسالة اجتماعية، أو تجنب استخدام تعبيرات غير مقبولة اجتماعياً باللغة العربية؛ ووظائف لغوية تتمثل في استخدام تعبيرات اللغة الإنجليزية التي تفتقدها اللغة العربية، أو تلك التي لا تستخدم مرادفتها العربية بشكل شائع؛ والوظيفة الثالثة تتعلق بتحقيق مجال الخطاب من خلال استخدام اللغة الإنجليزية عند التعبير عن المصطلحات العلمية. وذهبت إلى أن الطلاب الذكور يميلون إلى مزج اللغة الإنجليزية بالعربية في كلامهم لأسباب لغوية أكثر من الطالبات، ولكن النساء يملن إلى استخدام اللغة الإنجليزية لأسباب اجتماعية أكثر من الطلاب الذكور.

(1) Al - Hourani, 2016.

(2) Al Hayek, 2016.

ويميل الطلاب الذين يعيشون في المدينة إلى استخدام اللغة الإنجليزية أكثر من أولئك الذين يعيشون في مناطق ريفية.

وفي نطاق تحويل الشفرة بين العربية والإنجليزية تذهب منى ترجمان ٢٠١٦م^(١)، التي أجرت تحليلاً صرفياً للضمائر العربية وأدوات التعريف واللاحق في تحويل الشفرة من العربية إلى الإنجليزية عند النساء السعوديات، إلى تأكيد بطلان ظاهرة القيود الصرفية الحرة، وأن الرغبة في التضامن مع هوية المجموعة هي أحد الأسباب الكامنة خلف هذه الظاهرة.

وقد كانت ظاهرة تحويل الشفرة من العربية إلى الإنجليزية في البرامج التلفزيونية محور مناقشة عبد الرحمن أبو ملحم ٢٠١٢م^(٢)، بغرض شرح العوامل التي تقود المتحدثين في برامج التلفزيون لتحويل الشفرة. وذهب إلى أن تحويل الشفرة يتأثر بعوامل العمر والجنس، والطبقة الاجتماعية، ونقص بعض المفردات في إحدى اللغتين، كما ذهب إلى أن النساء يعمدن إلى تحويل الشفرة أكثر من المتحدثين الرجال، وأن موضوع المحادثة يؤدي دوراً مهماً في موضوع التحول مما يشير إلى أن بعض الموضوعات أسهل وأفضل للمناقشة بلغة محددة بدلاً من الأخرى.

أما أحمد شرف الدين ٢٠١٤م^(٣)، فيذهب إلى أن تحويل الشفرة يحدث في التفاعل عبر الانترنت للتوضيح، والتأكيد، والتدقيق، والإشارة للعواطف، والتوافر، وقد توصل إلى هذه الوظائف المرتبطة بتحويل الشفرة في السياقات الإلكترونية من خلال دراسته لتحويل الشفرة في اللغة العربية في الشبكات الاجتماعية.

وتظل ظاهرة تحويل الشفرة مرتبطة بالصراع اللغوي انطلاقاً من أن معظم الصراعات اللغوية هي نتيجة لاختلاف الوضع الاجتماعي والمعاملة التفضيلية للغة المهيمنة،

(1) Turjoman, 2016.

(2) Abu - melhimm, 2012.

(3) Sharaf Eldin, 2014.

فتتلاشى اللغة الأدنى تبجيلاً أو يتم تقليل فضاء استخدامها بشكل كبير. ويحدث الصراع اللغوي في الغالب في مجتمعات متعددة اللغات مثل المغرب حيث إن المجتمع المغربي مجتمع متنوع لغوياً إلى درجة التعقيد. فموقعه الإستراتيجي على مفترق الطرق بين إفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط جعل المجتمع المغربي مفتوحاً أمام مجموعة متنوعة من التأثيرات اللغوية للعربية، والفرنسية، والإسبانية، والإنجليزية. وبالنظر إلى هذا الوضع المعقد والمتنوع لغوياً حيث تتنافس اللغات وتتداخل لأسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية يوفر المغرب بيئة غنية لدراسة الصراع والتوترات بين اللغات، حيث يتميز السياق الثقافي اللغوي بالاستخدام الواضح للغة العربية الفصحى، والدارجة المغربية، والأمازيغية، واللغات الفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية. وهو ما ينظر إليه على أنه دليل على وجود بين التعددية اللغوية. ويذهب عبد الرحمن زهير ٢٠١٣م، في دراسته عن حالة اللغة والصراع في المغرب^(١)، إلى أن سوق اللغة المغربي ينقسم إلى قسمين: يشمل الأول الدارجة المغربية، والأمازيغية التي تشكل رأس مال اجتماعياً ورمزياً ضعيفاً، والفئة الثانية تشمل اللغة العربية الفصحى والفرنسية والإنجليزية وهي اللغات المؤسسية ولها رأس مال اجتماعي قوي؛ ولذلك فهناك تنافس وصراع على السلطة ضمن هذه الفئة الثانية، وبينها وبين لغات الفئة الأولى. ويناقش زهير قضية مثيرة للاهتمام هي ظهور اللغة الإنجليزية في المغرب، وقد أصبحت المنافس الواسع الانتشار للغة الفرنسية، والاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة رسمية واختراق المغربية الدارجة لوسائل الإعلام والحياة الأكاديمية والاجتماعية.

ومثلما كان التحضر وانتشار التعليم من العوامل الاجتماعية البارزة التي أحدثت تغييرات لغوية في العالم العربي في القرن العشرين، فإن العولمة وتطور التكنولوجيا الجديدة قاداً أيضاً إلى تغييرات لغوية مهمة في بداية القرن الواحد والعشرين. ومن أهم هذه التغييرات انتشار خلط الشفريات في كل من الاستخدام الكتابي والشفوي، وهو أظهر

(1) Zouhir, 2013. p. 276

٤ - ١ - ١ تبديل الشفرة واللغة الهجين

نحو لسانيات اجتماعية عربية من النظرية إلى التطبيق

۳۱۵

المستقبلية في اللغة العربية^(١). وتذهب ليلي السبعان ٢٠١٤م، إلى أن هذه الظاهرة تعبر عن نوع من إحساس الجيل الجديد باحتياجه إلى استخدام لغة تخصه وتحقق له لونا من التميز، والانتماء إلى ثقافة عصرية مستلهمة من الغرب، وتضيف "وبينما قد يستخدم بعض الشباب هذه اللغة كنوع من مسابقة الموجة، أو التقليد، من قبيل الطرافة، فإن جانباً كبيراً منهم يعبر بها عن حالة من التمرد والرفض لقيم الأجيال السابقة ورؤاهم إلى الأمور، ويجد في استخدام هذه اللغة الخاصة وسيلة لإعلان تمرده على هذه القيم بشكل غير مباشر^(٢)".

ويناقش نادر سراج ٢٠١٤م، إشكالية ظاهرة العريزي من حيث ماهيتها أي لغة هجينة، أم ترجمة صوتية، أم كتابة حاسوبية، أم أنها نزوة شبابية؟ ويذهب إلى أن انتشار هذه اللغة الهجينة بوجهها الكتابي في ظلّ المشهد التعددي للغات الذي يعيشه مجتمعنا العربي عموماً على تفاوت الدرجات، لا يمكن النظر إليه بوصفه مجرد ترجمة صوتية، أو كتابة حاسوبية، أو حتى نزوة شبابية؛ فهو يعود لجملة من العوامل الاستهلاكية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والقيمية اللغوية المتقاطعة والمتشابكة في الوقت نفسه^(٣). ويذهب وليد العناتي ٢٠١٤م^(٤)، إلى أن منشأ العريزي يرجع إلى أسباب تربوية تعليمية، وأسباب اجتماعية خالصة، وأخرى ذاتية، وأسباب اقتصادية، وأسباب تقنية.

وقد درس أشرف شاوي ٢٠١٤م، مزج اللغات في التطبيقات الحاسوبية لدى السعوديين من وجهة نظر لسانية اجتماعية مستنتجا عوامل رئيسة تقود إلى مزج اللغات في محادثات التطبيقات وهي عوامل تعليمية اجتماعية، وعوامل اجتماعية ثقافية، وعوامل نفسية اجتماعية، وتوصل إلى أن الإبدال الرمزي الناتج عن مزج

(١) سراج، ٢٠١٤م، ص ١٠٦.

(٢) السبعان، ٢٠١٤م، ص ٦١.

(٣) سراج، ٢٠١٤م، ص ١٠٧.

(٤) العناتي، ٢٠١٤م، ص ١٧٥.

اللغات في المحادثات الكتابية عبر هذه التطبيقات متنوع الأشكال ويمتد من المفردة البسيطة إلى الجمل الكاملة^(١).

وتناولت هذه الظاهرة عدة دراسات عربية (منى الرميح ٢٠١٤م^(٢)، نجوى الحوسني ٢٠١٤م^(٣)، حمدة الغامدي ٢٠١٤م^(٤)) من زاوية دراسة مدى انتشار العريزي بين الشباب، ومدى استخدامهم له، ومدى سرعتهم في فهم هذه اللغة، والدوافع من وراء استخدامهم لها.

وقد سعت الغامدي ٢٠١٤م، إلى استطلاع واقع استعمال الشباب والفتيات لأسلوب كتابة الكلمات بالعريزي على مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر twitter) باحثة في الدوافع وراء التغريد بالعريزي من خلال تحليل مجموعة من التغريدات التي كتبت بالعريزي وتوصلت إلى أن استخدام أكثر من لغة في تغريدة واحدة أمر شائع جداً في غالبية التغريدات التي رصدت، وأن بداية هذه الظاهرة كانت مع ظهور التقنية ووسائل الاتصال الشبكي التي لم تكن تدعم العربية في بداية الأمر، وأنها طريقة يعبر بها الجيل الناشئ عن استقلاله، وطريقة للانتماء إلى مجموعة الأقران، ولها علاقة بالمكانة والظهور بمظهر متحضر. وتختتم دراستها بتأكيد أنها تجاوزت كونها ظاهرة لتغدو واقعا ملموسا حيث تؤكد: "إن ظاهرة العريزي تعدت مرحلة كونها ظاهرة طارئة، إلى أن أصبحت عادة يومية بين الشباب والفتيات، وهذا يزيد الأمر تعقيدا، فالموضة بالأمس أصبحت جزءا لا يتجزأ من شخصيات هذه الشريحة المهمة في المجتمع"^(٥).

ويمكننا القول إن التواصل الرقمي يقدم مزاجا جديدا وطرقا جديدة للتعبير أفرزت مفاهيم أساسية وممارسات في حالة اللسانيات الاجتماعية العربية بما في ذلك ملامح

(١) شاولي، ٢٠١٤م، ص ١٩٩.

(٢) الرميح، ٢٠١٤م

(٣) الحوسني، ٢٠١٤م

(٤) الغامدي، ٢٠١٤م

(٥) الغامدي، ٢٠١٤م، ص ٣٥٤.

الخطاب المكتوب، حيث يعكس العريزي قضية مثيرة للاهتمام تتعلق بمفهوم مجتمع الممارسة والهوية، وقد أصبح ذلك شائعاً في العالم الافتراضي في وسائل التواصل الرقمية، يتم بناؤه عبر الممارسات الاستطردية وأداء الهوية لمستخدمي الإنترنت. وهذا يعني أن المتحدثين يخلقون هوياتهم الشخصية عبر الشبكة دون الحاجة إلى ترسيخ الهويات في الواقع الاجتماعي للعالم المادي بشكل عام⁽¹⁾.

يمكننا النظر إلى قضية اللغة العريزي من منظور الاندماج الاجتماعي اللغوي، من ناحية أخرى يقع العريزي عند نقطة التقاطع بين الرغبة في الاندماج في اللغات الأخرى، والرغبة في التمرد على رموز المجتمع المحلي، مع ملاحظة أن المستوى اللغوي لمستخدميه يبدو أنه أحد الأسباب التي أدت بهؤلاء إلى هذا النهج لا سيما إذا كان حظهم من اللغة الأجنبية في أدنى درجاته، وتنقصهم القدرة اللغوية التي تمكنهم من التواصل بهذه اللغة فيلجؤون إلى استخدام هذه اللغة المهجنة المسماة العريزي رغبة في التمرد على المجتمع المحلي وطمعا في الاندماج في المجتمعات الأخرى (علما بأن هذا المتغير لم تتم دراسته ولا يزال يحتاج إلى المزيد من التعمق للتأكد من حقيقة كونه أحد المتغيرات المؤثرة في استخدام العريزي من عدمه).

إن تناول ظاهرة اللغة الهجين العريزي وتحولاتها الشفوية من منظور اللسانيات الاجتماعية يرجع إلى الاتصال اللغوي المباشر والاحتكاك مع الثقافات الأخرى غير العربية التي حلّ بعض أفرادها ببلاد العرب من مناطق مختلفة من العالم وإلى العولمة اللغوية في ظل انجراف الشباب العربي إلى الثقافات الأخرى، وتأثرهم الكبير بمظاهرها، فالتدفق الحضاري والثقافي الكبير للغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية من جميع النواذ هو السبب الأساس في هذا المزج اللغوي. وتجدر الملاحظة أن استخدام اللغة الهجينة المسماة العريزي، والتحول الشفوي إليها يتعدى كونه نوعاً من مسايمة الموجة أو التقليد؛ إلى كونه تعبيراً عن حالة التمرد والرفض للقيم؛ حيث يجد المتكلمون في استخدام هذه

(1) Albirini, 2016. p. 326.

اللغة الهجينة وسيلة لإعلان تمردهم على هذه القيم بشكل غير مباشر. وهو أمر يدعو إلى ضرورة تخطيط لغوي سليم في ضوء سياسة لغوية تهدف إلى الحفاظ على اللسان العربي رمز الهوية والانتماء.

٤ - ٢ تبديل الشفرة الازدواجي

لا ينطبق مصطلح تحويل الشفرة عند مايرز سكوتون ١٩٩٣م^(١)، على التحول بين لغتين مختلفتين فحسب، بل يتسع أيضاً للتحويل بين تنوعات اللغة نفسها؛ ومن ثم فالتحويل الازدواجي وهو ذاك الذي يكون بين تنوعين يمثلان معا ازدواجية لغوية، يعدّ وفقاً لنظريتها، نوعاً من التبديل الشفري. وتذهب بسيوني ٢٠١٨م^(٢)، إلى أنه يمكن دراسة الازدواجية اللغوية ضمن الإطار النظري لتحويل الشفرة؛ لأن تحويل الشفرة لا يقع بين اللغات المختلفة فحسب، وإنما يقع أيضاً بين التنوعات في اللغة نفسها. وقد افترضت مجدل ٢٠٠٦م^(٣)، أن تحويل الشفرة ينبغي أن يفهم في سياق أعم، ليضم كلا من التنوعات واللغات المختلفة^(٤). وقد استخدم هيث ١٩٨٩م، مصطلح تبديل الشفرة الازدواجي للإشارة إلى التبديل الذي يحدث بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية^(٥). ووفقاً لبسيوني ٢٠٠٩م^(٦)، فإن مايرز سكوتون وجومبرز لا يقصران تبديل الشفرة على التبديل بين اللغات المختلفة، وهي تعتقد أن التعريفات التي اقترحتها أكثر قابلية للتكيف لتشمل التبديل بين اللهجات داخل اللغة وهو ما يسمى بتبديل الشفرة الازدواجي.

(1) Myers - Scotton, 1993. p. 47.

(٢) بسيوني، ٢٠١٨م: ص ٢٦.

(3) Mejdell, 2006. p. 418.

(4) Myers - scotton, 1982. p. 18.

(5) Heath, J. 1989.

(6) Bassiouney, 2009. p. 119.

لقد شكّل الاستخدام اللغوي بأنماطه المختلفة الفصيحة والعامية مدونة لدراسة اللغويين حيث يقدم ميجدل ٢٠١٨م^(١)، نظرة عامة ومفيدة للازدواجية بدءاً من فيرجسون بما في ذلك استخدام المستويات المتوسطة من أجل فهم الازدواجية، وكذلك استخدام تبديل الشفرة لفهم وتحليل البيانات الازدواجية ولا يتوقف ميجدل ببساطة عند هذا الحد، حيث يتتبع تطور الازدواجية فيما يتعلق بالبيانات الشفوية والمكتوبة وعودة وسائل الإعلام، وثورة الإنترنت التي توفر طرقاً جديدة للتواصل، إضافة إلى المجالات الحالية لكل من العربية القياسية والعامية العربية.

وقد كانت الآثار اللغوية والثقافية للإيديولوجيات اللغوية مدار مناقشة سوزان ستادلبور ٢٠١٠م^(٢)، للتنوعات اللغوية في منطقة القاهرة، وذهبت إلى أن أيديولوجيات اللغة لهذه التنوعات هي نتاج للماضي والحاضر ظهرت خلال الاستعمار البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر، وبرزت في مناخ ما بعد الاستعمار من خلال نقاشات حول الفساد اللغوي في اللغة العربية واللهجات ونقاء العربية الفصحى، والاستخدام المتزايد للغة الإنجليزية كرمز للرأسمالية الغربية والحدثة من حيث إن الإيديولوجية اللغوية هي رابط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية. وهي توضح أن أيديولوجيات اللغوية تؤثر في الجوانب الهيكلية لأصناف التنوعات اللغوية لازدواجية اللغة العربية وأن المصريين يستخدمون التنوعات اللغوية بشكل إستراتيجي للوصول إلى قوة تأثير الرمز اللغوي لهذه الإيديولوجيات. وتجادل بأن دراسة أيديولوجيات اللغوية، واللامح اللغوية، والتفاعل الخطابي، لا يمكن فصلها عن كيفية استخدام الازدواجية العربية في مصر والاستفادة من القوة التواصلية للغة بأساليب لغوية مختلفة بحسب تأثير أيديولوجيات اللغوية، وأن المتحدثين لا يستخدمون فقط التنوعات اللغوية المناسبة لحالة بعينها، وللفهم يستخدمون ملامح لغوية متنوعة بحسب التأثيرات التواصلية.

(1) Mejdell, 2018. p. 333.

(2) Stadlbaue, 2010. p.16.

وتقدم بسيوني ٢٠١٨م^(١)، نهجا جديدا لتحليل التبديل الازدواجي كجزء من تبديل الشفرة. حيث سعت إلى تقديم مسارات جديدة ومفصلة لفهم الازدواجية عن طريق تحليل بيانات لم يتم فحصها إلى حد كبير من قبل ومعرفة كشفها للمواقف اللغوية، وتقديم شرح أكثر منهجية للمؤشرات لرموز مختلفة في العالم العربي. هذا النهج المعتمد في دراستها يهدف إلى توفير وسائل أكثر دقة لفهم الازدواجية وتبديل الشفرة. وتناقش بسيوني أنه يمكن دراسة الازدواجية بشكل أكثر نجاحا من خلال ترتيب المؤشرات. فبينما يستخدم المصريون العربية القياسية والعامية المصرية واللغة الإنجليزية في مخاطبتهم اليومي، فإن الارتباطات بين هذه الرموز تختلف بناء على السياق ونوع المكان على سبيل المثال الشفوي مقابل المكتوب). وقد اعتمدت طريقته على ثلاثة مفاهيم أساسية لفهم سياقات تبديل الشفرة والازدواجية: الأداء، والخطاب فوق اللغوي، والمؤشرات. وهي تجادل مستندة إلى بيانات جمعتها من المجتمع المصري بأن الفهم الشامل للازدواجية يجب أن يفسر هذه العملية من خلال الرموز التي ترتبط بالمؤشرات سواء أكانت إيجابية أو سلبية وتذهب إلى أنه ينبغي دراسة الأفلام والمقابلات الإعلامية والأغاني فيما يتعلق بالحديث عن اللغة والأداء في العربية القياسية والعاميات معا في العالم العربي. علاوة على ذلك تجادل بسيوني بأن الرموز تحمل ارتباطات أو مؤشرات وهذه المؤشرات من الأفضل فهمها فيما يتعلق بالأداء، وخاصة الأداء الشفوي والخطاب فوق اللغوي، إضافة إلى استظهار مواقف الأفراد والأيدولوجيات عبر مختلف الطرق المباشرة وغير المباشرة.

وتناقش مجدل ٢٠١٢م^(٢)، الأشكال الوسيطة للغة العربية من ناحيتين، الأولى، تحديد أصناف ومستويات اللغة الوسيطة من حيث الميزات والمتغيرات التي تنفرد بها، والثانية وضع القواعد والقيود على أنواع مجموعات الملامح والمتغيرات للرمزين الأساسيين. ويذهب إلى أن الأشكال الوسيطة للغة العربية والأشكال المختلطة، وتبديل الشفرة قد تم

(1) Bassiouney, 2018. p. 346.

(2) Mejdell, 2012. p.158.

إجراؤها على الوظائف ومجالات اللغة المنطوقة في أوضاع رسمية وشبه رسمية، وأنها ربما تسيطر على الإعلام المرئي والمسموع، ولها إلى حد ما اختراق للمجالات المكتوبة في الصحافة والأدب النثري لطبيعتها المرنة التي تجعلها وسيلة مؤثرة في التواصل.

ويذهب عبد العظيم بيضاوي ٢٠١٧م^(١)، في دراسته لإعادة النظر في حالة الازدواجية العربية وتبسيط الضوء على العوامل الاجتماعية الثقافية لتشكيل استخدام اللغة في ضوء نموذج أوير ٢٠٠٥م إلى مقارنة نموذج فيرجسون ١٩٥٩م مع نموذج أوير ٢٠٠٥م جالبا أفكارا جديدة إلى السطح ومقدما طرقا طريفة لفهم تعقيد الوضع اللغوي للغة العربية. وقد قدم أدلة من خلال دراسته التطبيقية لصالح تطبيق نموذج أوير من خلال التعريف الجديد للنماذج القياسية، ووفقا لهذا التعريف تعد العربية القياسية مجموعة متنوعة من الاستخدامات ومقياسا ديناميكيا لما هو مستخدم في الحياة اليومية، وينظر إلى هذه التنوعات كأشكال لهجية تكتسب المكانة وتصبح جزءا من الأشكال القياسية دون أن تخسر وظائفها اللهجية. ويبرر رؤيته بأهمية توسيع نموذج أوير على العربية كونه يدرج أشكال التغيرات الأخرى، وهذا يعني أن المستويين الأعلى والأدنى لا يشكلان نمودجا يمثل ترابطا بنيويا طبيعيا، فمع العلاقة الهيكلية التي اقترحها فيرجسون كشرط لحدوث الازدواجية، فإنه من المستحيل ضبط الحالة اللغوية في العالم العربي مما يجعل طرح أوير للأشكال الوسيطة بين المتغيرات القياسية واللهجية يلتقط الوضع اللغوي حيث إنه يعطي مساحة أكبر من التطبيق الذي اقترحه فيرجسون^(٢).

وتستعرض ميجدل ٢٠٠٦م الدراسات السابقة حول هذا الموضوع وتوفر تحليلا نحويا ودلاليا عميقا للأساليب المختلطة في العربية المصرية ولم تقصر تحليلها لمستوى السطح النحوي، ولكنها ذهبت بعمق إلى المستويات الوظيفية والدلالية.

ختاما، يمكننا القول بوجود نمط ثابت يمكن مناقشته يتعلق بالتغير بين العربية القياسية والعامية في السياقات المختلفة بمستويات مختلفة من الرسمية حيث

(1) Bidaoui, 2017. p. 68.

(2) Bidaoui, 2017.p. 69.

تختلف ديناميكية التحول الازدواجي باختلاف وضعيتين أساسيتين: خطاب رسمي مراقب أو خطاب رسمي لا رقابة عليه. ففي الحديث الرسمي يتبع التحول الازدواجي المعايير المجتمعية التي تحترم استخدام وتوزيع العربية القياسية والعامية... فالتحول الازدواجي في الحديث غير الرسمي وغير المراقب تدفعه غالباً سياقات ديموغرافية وواقعية وسياقية وعوامل شخصية تتعلق بالأدوار والمعاني والهويات^(١). ويجب ملاحظة أن المتحدثين العرب المتعلمين يمتلكون مهارات مختلفة في العربية القياسية، فالبعض منهم لديه قدرة ملحوظة على إنجاز المحادثات بالعربية القياسية والمحافظة على ذلك، في حين البعض الآخر أقل قدرة. وهذا يشير إلى أن المتحدثين العرب من المتعلمين عندما ينخرطون في خطابات موسعة بالعربية القياسية، فإن انتقالات محددة خصوصاً في مستوى انتقالات الكلمة إلى العامية ربما تحدث بسبب محدودية قدراتهم في مهارات العربية القياسية أكثر من كونه بسبب العوامل الاجتماعية.

٤ - ٢ - ١ تبديل الشفرة الازدواجي في وسائل التواصل الاجتماعي

امتدّ تحويل الشفرة من الخطاب الشفوي ليصل إلى الخطاب المكتوب في السنوات الأخيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولم يعد حكراً على التفاعل وجهاً لوجه، بل تجاوزته إلى المدونات التفاعلية عبر الإنترنت، وأصبح التحويل اللغوي الناتج عن مزج اللغات في المحادثات الكتابية متنوع الأشكال، بل إنه يمتدّ من المفردة البسيطة إلى الجمل الكاملة^(٢). ويذهب أشرف شاوي ٢٠١٤م، إلى أن واقع التحويل الشفوي في وسائل التواصل الاجتماعي يعكس مدى قابلية اللغة العربية المحكية للتأقلم في الاستخدام مع تقنيات العصر المختلفة من جهة، ومدى القابلية الاجتماعية لإدراج مثل هذه الأشكال المستحدثة في المحادثات البينية من جهة أخرى^(٣).

(1) Albirini, 2016. p. 326.

(٢) شاوي، ٢٠١٤م، ص ٢٠٣.

(٣) شاوي، ٢٠١٤م، ص ٢٠٣.

وقد أجرت بدرية العبيد ٢٠١٤م^(١)، مسحاً وصفياً لدراسة أثر تويتر في عربية المستخدمين السعوديين، فرصدت التغيرات الحاصلة في سلوك المستخدمين السعوديين على تويتر، ما بين استخدام العامية، والفصحى، وربطت التغيرات الحاصلة في سلوك هؤلاء بعدد من المتغيرات الاجتماعية كالجنس والعمر، وطبيعة الحساب. وأظهرت نتائجها أن هناك farkاً لصالح استخدام اللغة العربية الفصحى، والعناية بالهمزة والترقيم، كما ذهب إلى أنه يوجد تسامح وتواطؤ بين المستخدمين السعوديين في استخدام مستوى معين من العامية، وهذا التسامح ناتج عن استيعاب المستخدمين للتباين بين العالمين: الافتراضي والحقيقي، فلغة العالم الافتراضي بما أتت به من أدوات متعددة لن تكون قادرة على الالتزام بتقاليد الحوار المحكي في العالم الحقيقي. وذهبت إلى أنه من الأسباب التي أدت لتطوير العامية المرتبطة بالحوار الإلكتروني هو طبيعة تويتر، فالعامية عند المستخدم العادي قد تكون أقرب من الفصحى إلى خاصية الاختصار التي يفرضها تويتر من الفصحى، كما أن الأساليب العامية أقرب في الذاكرة إلى الاستدعاء من الأساليب الفصيحة، إضافة إلى قرب الأسلوب العامي من ذهن القارئ وفهمه، واحتوائه على عناصر تضيف نكهة السخرية. وقد ذهب إلى أن السلوك اللغوي التقليدي (استخدام الفصحى) يتجه تصاعدياً بشكل طردي مع الفئة الأكثر تقدماً في العمر، ويزيد استخدام الأنماط الشبابية في التغريد والعامية عند الفئات العمرية الأصغر. وذهبت إلى أن الحسابات الساخرة لا تحتفي بالفصحى إلا على سبيل تطعيم السياق العامي بقليل من الفصحى؛ لزيادة عنصر الإضحاك، وهو ما يعني أن الفصحى في تويتر لم تعد تنهض بعنصر الإضحاك. وفيما يتعلق بطبيعة الحساب، ذهب إلى أن الحسابات الدعوية الرسمية، والتوعوية، والأدبية، تنزع إلى سلوك اللغة التقليدية الفصحى بصرامة، بخلاف الحسابات الجماهيرية والساخرة التي تنزع إلى استخدام أنماط شبابية في اللغة، إضافة إلى العامية والإنجليزية.

(١) العبيد، ٢٠١٤م، ص ٣٢٠ - ٣٢٥

وقد يأتي تحويل الشفرة في وسائل التواصل الاجتماعي لإظهار التضامن مع المجموعة الاجتماعية، ومحاولة تمييز المشاركين لأنفسهم، والمشاركة في اللقاءات الاجتماعية، ومناقشة موضوعات معينة، والتعبير عن المشاعر والعواطف، والتأثير وإقناع الجمهور. ومن أسباب تحويل الشفرة التي تم تحديدها أنها تأتي بسبب ضعف اللغة، ونقص القدرة اللهجية، وللرغبة في تضخيم وتأکید نقطة، أو الرغبة في التأثير الدلالي، وجذب الاهتمام، وإظهار الهوية مع المجموعة، واستخدام تعبيرات اعتيادية مألوفة^(١).

وتستخدم العربية القياسية في سياق وسائل التواصل الاجتماعي في التعليقات لبيان الأهمية في جزء من الخطاب، والتنظير والوعظ، وإبراز الهوية الشخصية، في حين تستخدم العامية للسخرية والملاحظات المسيئة، والتوبيخ والإهانة، واستخدام العبارات المشتركة^(٢).

درس سعيد الأصيل ٢٠١٨م، اختيار الرمز بين السعوديين على تويتردراسة اجتماعية لغوية، واستكشف بعدا جديدا لاستخدام اللغة في وسائل التواصل الاجتماعي. فكشفت دراسته أن تحويل الشفرة إلى اللغة الفصحى يرتبط بالمكانة والجديّة، في حين يرتبط التحول إلى العامية بالسخرية، ومواضيع الحياة اليومية. وتوصل إلى أن مجتمع تويتر في السعودية يتحوّل إلى الفصحى لدوافع تقديم صيغ تعبيرات رسمية، وتأكيد نقطة محددة، والاقتراس، وللتحول من نبرة الهزل إلى نبرة جادة، وللتحذلق. وهو يتحوّل إلى العامية لمعنى محدد مقصود، وللسخرية والنقد، وللاقتباس، وللتمثيل والتبسيط، ولتقديم أقوال الحياة اليومية، وللتوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة، وللاستخدام المشترك. وتبنّى الأصيل ٢٠١٨م، أدلة ضد توقع فيرجسون ١٩٥٩م، في ارتباط اختيار الرمز بالموضوع والحالة، موضحاً أن تحول الشفرة وجد في سياقات تختلف في رسميتها وغير رسميتها، وقدم أدلة على أن تحويل الشفرة يحدث لأداء وظائف مقصودة^(٣).

(1) Sharaf Eldin, 2014. p. 78 - 86.

(2) Albirini, 2016.

(3) Al Alaslal, 2018. p. 188 - 190.

خاتمة الفصل

قضية اختيار اللغة في المجتمعات المتعددة اللغات قضية أساسية، فاللغة رمز للتوحد الوطني والقومي. وتواجه كثير من البلدان العربية مشكلة استخدام أكثر من نظام لغوي داخل مجتمعاتها، مما يحتم عليها التعامل مع مشكلة اختيار اللغة. ويعكس الواقع اللغوي العربي إضافة إلى التعدد اللغوي بين أنظمة لغوية مختلفة، استخداماً ازدواجياً للتنوعات اللغوية العربية تراوح في رؤية فيرجسون بين مستويين أعلى فصيح، وأدنى منخفض، وتجري بحسب رؤى أخرى في مستويات لغوية متعددة، في حين تفترض رؤية ثالثة وجود سلسلة من التباينات اللغوية يقف المستوى الفصيح على طرفها الأيمن، وعلى طرفها الأيسر يقف المستوى العامي، وبين الاثنين عدد التنوعات اللغوية التي يناسب كل منها ظروفًا مقامية محددة داخل المجتمع اللغوي العربي.

ويتضح من المناقشات أعلاه صعوبة ضبط الحالة اللغوية في العالم العربي، فتعدد اللغات ظاهرة من الظواهر اللغوية المألوفة في العالم كله، وليس العالم العربي بمنأى عنها، والوضعية الازدواجية فيه ليست بالأمر اليسير الذي يمكن تحديده وتقنينه ورسم معالمه وحدوده، لكونها عصية على المستويات المرسومة ولا يخضع قانون الاستخدام فيها تماماً للمعايير التي تم رسمها.

وتستخدم المجتمعات الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، وكذلك المجتمعات ذات الازدواجية اللغوية إستراتيجيات معينة لجعل التواصل أكثر فعالية. أحد هذه الأساليب هو «تبديل الشفرة»، حيث يستخدم المتحدثون المتعددون اللغات أو المزدوجو اللغات، عناصر متعددة اللغات، أو من تنوعات لغوية مختلفة أحياناً عند التحدث بعضهم مع بعض. ويمكن أن يحدث تحويل الشفرة بين التنوعات اللغوية داخل اللغة وليس فقط بين اللغات المختلفة. وتدرس اللسانيات الاجتماعية تحويل الشفرة للحصول على تفسيرات لأسباب التحويل بين التنوعات واللغات المختلفة ودوافعه المختلفة.

ويمكننا القول إنَّ التحول اللغوي الازدواجي بين التنوعات اللغوية داخل النظام اللغوي نفسه، هو حقيقة مستمدة من الواقع الفعلي للغة العربية كلغة ازدواجية، نشاهده ونلمسه في كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية، وهو أمر يتم من أجل أداء وظائف اجتماعية محددة.

وتظل ظاهرة تحويل الشفرة مرتبطة بالصراع اللغوي انطلاقاً من أن معظم الصراعات اللغوية هي نتيجة لاختلاف الوضع الاجتماعي والمعاملة التفضيلية للغة المهيمنة. ومثلما كان التحضر وانتشار التعليم من العوامل الاجتماعية البارزة التي أحدثت تغيرات لغوية في العالم العربي في القرن العشرين، فإن العولمة وتطور التكنولوجيا الجديدة قادا أيضاً إلى تغيرات لغوية مهمة في بداية القرن الواحد والعشرين. ومن أهم هذه التغيرات انتشار خلط الشفرات في كل من الاستخدام الكتابي والشفوي، وهو أظهر ما يكون في وسائل التواصل الاجتماعي.

الفصل السابع

اتجاهات البحث في اللسانيات
الاجتماعية العربية



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

بدأت الدراسات حول اللغة العربية، بعد ظهور اللسانيات الاجتماعية في الستينيات على يد لابوف كعلم مستقل بذاته قائم على موضوع محدد ومنهج صريح، والتعديلات التي أضافها الدارسون بعده، من نفس المنظور، مؤسسة ما يمكن تسميته باللسانيات الاجتماعية العربية الحديثة، واهتمت على وجه الخصوص بقضية الازدواجية اللغوية في العربية والتنوع اللغوي وتأثير العوامل الاجتماعية في التنوعات اللغوية والتغير اللغوي.

يحلل هذا الفصل أهم نواتج البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية إلى اليوم: ما أنجز منها في سياق عربي وهو لا يزال قليلاً، وما أنجز في سياقات غربية، وهو الأكثر. فيجته في استخلاص أهم القضايا التي جرى التطرق إليها، ويصنّف المقاربات المختلفة التي اعتمدت في معالجتها. ويناقش أبرز النتائج التي خلصت إليها ويكشف عن رهاناتها وحدودها بما في ذلك حدودها المرتبطة بالمنظور والإيديولوجيا اللغوية، ويناقش مدى إسهام هذه الجهود في تأسيس لسانيات اجتماعية عربية. وهل يمكن الحديث عن تشكل لسانيات اجتماعية عربية بالمعنى الدقيق لهذا المفهوم.

محاور البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية

تنوعت الموضوعات في الدراسات التي اهتمت بتتبع وتأسيس الدراسات التطبيقية القائمة على الممارسة اللغوية المنضوية تحت مظلة اللسانيات الاجتماعية العربية، وتحديد معالمها، ورسم حدودها. وجاءت هذه الدراسات التي كتبت جميعها باللغة الإنجليزية، بمسمى اللسانيات الاجتماعية العربية، وناقشت القضايا التي تناولت اللغة العربية من وجهة نظر اجتماعية ورصدت عددا من الدراسات التي ناقشت تلك القضايا، من دون أن يكون هناك اتفاق بين الباحثين على نوع الموضوعات ولا على ترتيبها ويمكن رصد هذه الموضوعات حسب ما وردت عند الدارسين في الجدول أدناه:

الموضوعات	الباحث
مستويات العربية المنطوقة، والروابط الاجتماعية مثل التعليم والعرق والجنسية، والجنس، والطبقة الاجتماعية، وموضوع التنوع والتغير، والمواقف والاستخدام والتواصل، وتبديل الشفرة، واللغة الهجينة	جوناثان أوينز ٢٠٠١م ^(١)
الازدواجية والمجموعات اللهجية في العالم العربي، وتبديل الشفرة، واللغة والتنوع والتغير، والعربية والجنس، والسياسة اللغوية	ريم بسيوني ٢٠٠٩م ^(٢)
النحويون وعلماء اللهجات، الازدواجية والأساليب المختلطة وقضية المعيار والمكانة، والتواصل اللهجي والتنوع والتغير، والتواصل اللغوي والتعددية اللغوية، والتحول اللغوي، والسياسات اللغوية، والسيطرة اللغوية للتقنية ولغات الشباب والثقافات الحضرية الجديدة	كاثرين ميلر ودومنيك كيوبت ٢٠١٠م ^(٣)
أسس اللسانيات الاجتماعية العربية، من اللهجات إلى اللسانيات الاجتماعية في بحوث العربية، التنوع اللغوي والتغير في العالم الناطق بالعربية	يوري هورش ووليام كوتر، ٢٠١٦م ^(٤)
الازدواجية، وتبديل الشفرة، والمواقف، والهوية	عبد الكافي البريني ٢٠١٦م ^(٥)

(1) Owens, 2001.

(2) Bassiouny, 2009.

(3) Miller, & Caubet, 2010.

(4) Horesh, & Cotter, 2016.

(5) Albirini, 2016

يتضح من الجدول أعلاه الاتساع والاختلاف الكبير في الموضوعات اللسانية الاجتماعية العربية كما وردت عند الدارسين، وعدم الاتفاق على كيفية تصنيف قضاياها الرئيسة، ولتحديد محاور البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية نعمل أدناه إلى ضبط الموضوعات التي تواتر ورودها في هذه الدراسات ويمكن تلخيصها في الجدول التالي:

الموضوع	الدارسون			
	أوين	ريم بسيوني	ميلروكيوت	هورش وكوتر
التواصل اللهجي (اللهجات)		x	x	x
الازدواجية والمستويات اللغوية	x	x	x	x
التنوع والتغير اللغوي	x	x	x	x
تبديل الشفرة	x	x	x	x
اللغة الهجينة	x		x	
السياسة اللغوية		x	x	

يعطينا مقياس التكرار في تناول الموضوعات في هذه الدراسات فكرة أولية عن مراكز اهتمام هذه البحوث. فموضوعات الازدواجية والتنوع والتغير اللغوي وتبديل الشفرة هي أكثر الموضوعات تواتراً في هذه الدراسات بأربعة تكرارات، يليها التواصل اللهجي بثلاثة تكرارات، وتكررت اللغة الهجينة والسياسة اللغوية مرتين؛ وبناء عليه نحدد اتجاهات اللسانيات الاجتماعية العربية في خمسة موضوعات هي: التواصل اللهجي: من علم اللهجات إلى اللسانيات الاجتماعية في البحث العربي، الممارسة اللغوية: تبديل الشفرة الازدواجي والمستويات اللغوية، اتجاهات التنوع والتغير اللغوي والمتغيرات الاجتماعية، تحويل الشفرة في ضوء التعددية اللغوية، والثقافات الجديدة، والسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي.

بدأت اللسانيات الاجتماعية العربية وصفية من خلال جمع اللهجات، وتسجيلها، واستعراضها، وتحديد أنماطها، وحدودها؛ ومن ثم شرعت بالتحول إلى منهجيات أكثر حداثة من خلال التحول إلى دراسة التحول اللهجي والثقافي في المجتمعات وقياس متغير التحضر والتطورات التي نشأت بفعله على هذه اللهجات. وقد برز متغير التحضر أساسياً في التحول الذي طرأ على اللهجات العربية لصالح ملامح اللهجات المدنية وخاصة في المستويات الصوتية والنطقية. وهو ملمح عام للهجات العربية حيث إن هذه الدراسات أجريت في بلدان عربية مختلفة.

مثّلت الازدواجية الفرجسونية بمستوييها الأعلى الفصيح والأدنى العامي بداية حقيقية لمسار اللسانيات الاجتماعية العربية العصرية، نظراً إلى كونه يتوافق مع الوضعية الاجتماعية العربية، بحكم كون الناطقين بالعربية الذين كانوا قادرين على استخدام اللغة الفصحى واللهجة، نادراً ما يستخدمون تنوعاً واحداً بشكل دائم، مما استدعى البحث في عدد من البدائل والنماذج المعدلة لهذا النموذج، فنتج عن ذلك سلسلة من المستويات تتراوح بين المستوى العالي المثالي مقابل الأقطاب اللهجية المختلفة، وصولاً إلى نموذج عربية المتعلمين غير الرسمي. ومثلت الأيديولوجيات اللغوية في موضوع الازدواجية رابطاً بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية، مشكّلة تأثيراً في الجوانب البنيوية والهيكلية لأصناف التنوعات اللغوية لازدواجية اللغة للوصول إلى قوة تأثير الرمز اللغوي. وهو أمر قاد إلى اقتراح المؤشرات للفهم الشامل للازدواجية من خلال الرموز اللغوية التي ترتبط بالمؤشرات التي يمكن فهمها من خلال الأداء الشفوي وما فوق الخطاب اللغوي.

وتعرض أنماط التنوع اللغوي اتجاهات التقارب والاختلاف ليس بحسب المتغيرات اللغوية الاجتماعية فقط، ولكن أيضاً بحسب العوامل السائدة التي يبدو أنها تؤثر في تشكيل الحالة اللغوية في العالم العربي. وتعدّ قضية الأيديولوجية وتأثيرها في تشكيل الطبقة الاجتماعية قضية مؤثرة في موضوع التنوع والتغير اللغويين من حيث إن الإيديولوجية اللغوية هي رابط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية.

لم يقتصر تحويل الشفرة في اللسانيات الاجتماعية العربية على التحول بين لغتين مختلفتين أو نظامين لغويين مختلفين رئيسيين أو فرعيين ضمن الحدث الخطابي نفسه، بل اتسع أيضاً ليشمل التحول بين تنوعات اللغة نفسها، وأصبح هناك ما يسمى بالتحويل الازدواجي الذي يكون بين تنوعين يمثلان معا ازدواجية لغوية، مما شكل إمكانية لدراسة الازدواجية اللغوية ضمن الإطار النظري لتحويل الشفرة.

تنشط مظاهر التعددية اللغوية على أكثر من صعيد في البيئة الثقافية والاجتماعية الحية والمنفتحة مثل المجتمعات العربية. وظهرت ونشطت في الآونة الأخيرة اللغات الهجينة المختلطة على هامشها وفي ظلها. هذا المشهد المتعدد اللغات بلور من خلال تفاعل هذه اللغات وتماسها صورة واقعية لحركية اللغات في احتكاكها وتفاعلها اليومي.

ويقدم التواصل الرقمي مزاجاً جديداً وطرقاً جديدة للتعبير أفرزت مفاهيم أساسية وممارسات في حالة اللسانيات الاجتماعية العربية بما في ذلك ملامح الخطاب المكتوب، حيث يعكس العريزي ظاهرة مثيرة للاهتمام تتعلق بمفهوم مجتمع الممارسة والهوية.

ومن خلال استعراض الدراسات التي وردت في مباحث الكتاب وناقشت الموضوعات الخمسة التي تمثل اتجاهات ومحاوير البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية، يمكننا القول بأنه إذا أردنا تقدير بداية اللسانيات الاجتماعية العربية بمفهومها الحديث فإنه يمكن أن نعيده إلى بداية الدراسة الحديثة للهجات وتحديد المجموعات الرئيسة للعالم العربي، وأنه على الرغم من أن تاريخ اللهجات العربية يأتي متأخراً عن نظيره الغربي، فإن اللسانيات الاجتماعية العربية تعتمد في دراستها للازدواج اللغوي والتنوع والتغير اللغوي على دراسة وصفية حديثة للهجات العربية المعاصرة.

إن الملمح الأكثر تميزاً لحالة اللسانيات الاجتماعية العربية هو الازدواجية التي تؤكد تأثيرها في استخدام اللغة في السياق العربي من جهات عديدة. ويتم تمثيل الازدواجية من خلال التعايش بين اثنين من الرموز هما العربية القياسية والعاميات العربية،

وكل منهما يمنح وضعية مختلفة ويؤدّي وظائف مختلفة. والنقطة التي ظهرت هي أن تصنيف المتغيرات وفقاً لمقياس محدد مسبقاً تتراوح بين العربية القياسية واللهجة كانت إشكالية، حيث إن عدد المتغيرات في الفحص المتداخل في كثير من الأحيان ليس كافياً وهي تعطي انطباعاً بسطحيتها مما يقود إلى استنتاجات يتم الوصول إليها على عجل.

إنّ ازدواجية اللغوية في العالم العربي أكثر تعقيداً من الظواهر اللغوية الأخرى كالثنائية أو التعددية اللغوية أو اللغات الهجينة؛ وعليه ينبغي دراسة القيود التركيبية على التحويل الشفري الازدواجي في كل مجتمع ذي ازدواجية لغوية بجميع عناصره في ضوء الاختلاف بين المجتمعات العربية في التعرض للعربية الفصحى المعاصرة، وفي ضوء الاختلاف في استيعاب تراكيبها التي تكتسب في كل مجتمع منها، قبل إجراء أي تعميمات. إن البحث في تحويل الشفرة يمكن فعلاً أن يسلط مزيداً من الضوء على الازدواجية اللغوية، ويمكن تطبيقه بنجاح على البيانات حيثما يوجد تحويل للشفرة بين تنوعين لغويين في العربية، أحدهما العربية الفصحى المعاصرة. ثم إن تطبيق نظريات تحويل الشفرة على الازدواجية اللغوية يمكن أن يوضح وينقح فهمنا للازدواجية في العالم العربي عامة، مع ملاحظة أن التمييز الذي صنعه اللغويون بين العربية الكلاسيكية والفصحى المعاصرة واللهجات المختلفة ليس بالضرورة مقبولاً من قبل الناطقين بالعربية وهو مثار شك كبير وتوجس حول أهدافه وهم لا يثقون به وهناك تشكك في أهداف اللغويين الغربيين الذين ناقشوا الوضع اللغوي، حيث إن قضية العلاقة بين اللغة والأيدولوجيا في طليعة عقول الناطقين بها.

وقد ظهر ضمن التطور العام لدراسة التنوع والتغير في اللغة العربية اتجاهان رئيسان للبحث: حيث يمكن وصف الاتجاه الأول بأنه موجه تاريخياً، يسعى إلى التحقق من التباين الحالي من أجل فهم التغيرات التاريخية والحالية، ولا سيما فيما يتعلق بظهور اللهجات المختلفة، التي ظهرت بفعل التحركات السكانية، والاستيطان. ويتم في هذه

الدراسات النظرية إلى المجتمعات على أساس إقليمي، أو أساس عرقي، لفهم متى، وكيف، وأين، ولماذا ظهرت هذه اللهجات وتطورت. هذا الاتجاه متمثل بشكل جيد في الدراسات حول اللهجات بين المجتمعات القبلية البدوية ولهجات المدن.

الاتجاه الثاني للبحوث أكثر توجهاً نحو الأنوية (نسبة إلى الآن باعتباره زمناً حاضراً)، ويطبق المنهجية الغربية للسانيات الاجتماعية التباينية ويدرس تحقق ملامح مختارة في عينات من المتحدثين الحضريين من مختلف الأعمار، والمجموعات الاجتماعية، وما إلى ذلك، حيث ينظر في اتجاه التغيير ويحاول أن يفترض بعض الارتباطات المنتظمة. هذا الاتجاه البحثي تم تطبيقه على وجه الخصوص في الأردن (عبد الجواد ١٩٨٧م، وإنعام الوعر ٢٠٠٧م)، وفي فلسطين (أمانة ٢٠٠٥م)^(١)، وفي البحرين (هولز ١٩٨٧م)^(٢)، وفي مصر (هيري ١٩٩٥م، وميلر ٢٠٠٥م)، وفي سوريا (إسماعيل ٢٠٠٧م)، وفي تونس (ولترز ١٩٨٩م)^(٣)، وفي المغرب (هاشمي ٢٠٠٧م)^(٤)، وقد ركز عدد من الدراسات التباينية على عمليات توطين اللهجات بين السكان المهاجرين في المراكز الحضرية، ودراسة دور العرق، والدين، والعمر، والجنس.

وتبدو الأساليب والمنهجيات التي يستخدمها اللغويون لدراسة العالم العربي فيما يتعلق بدراسة التنوع والتغير اللغويين مشابهة لتلك المستخدمة في الغرب، وقد أدرك اللغويون الدارسون لها في العالم العربي أن تطبيقاً أعمى للنظريات والأساليب التي بنيت للغرب لن تعمل بشكل مناسب للمناطق العربية المختلفة، ومع ذلك فإن أساليب جمع البيانات المستخدمة في الغرب استخدمها اللغويون لدراسة التنوع والتغير اللغويين في العالم العربي بدرجات متفاوتة إلى حد كبير، وكانت النتائج مختلفة ومتباينة إلى حد كبير كذلك. وبالرغم من ذلك لا يزال هناك مجال لتطبيق دراسات التنوع الموجي الثالث

(1) Amara, 2005.

(2) Holes, 1987.

(3) Walters, 1989.

(4) Hachimi, 2007.

الذي يركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي والممارسة الأسلوبية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديدته وتمييزه، على العالم العربي، فالتغيرات المستقلة مثل العرق والدين ضرورية في كل من العالم الغربي والعالم العربي، ومع ذلك فأثار الانتماء العرقي مختلفة في العالم العربي، فالعرق متشابك مع الآثار التاريخية والسياسية ومع الجنسيات إلى حد كبير، ويؤدي الدين دوراً رئيساً في تحديد الانتماءات السياسية والشبكات الاجتماعية، ومجتمعات الممارسة، حيث إنه جزء لا يتجزأ من هوية المرء وإحساسه وانتمائه أكثر مما هو في الغرب، حيث إن الدين في الواقع مثل أي متغير آخر لا يمكن دراسته منفرداً فهو يتفاعل مع المتغيرات الأخرى سواء الاقتصادية كما في حالة البحرين أو الاجتماعية والسياسية كما في حالة العراق.

فالتنوع والتغير في العالم العربي مختلفان بسبب طريقة بناء المجتمعات والمحافظة عليها. فالطبقة الاجتماعية كمتغير مستقل لا تعكس حقيقة الوضع في عدد من دول العالم العربي، حيث يسيطر عليها النظام القبلي، ومصدر الثقة الاجتماعية فيها ليس مشتقاً فقط من الدخل أو التعليم، ولكن من وضع القبيلة وقوتها.

إن أحد العوامل الأساسية المؤثرة في دراسة التنوع والتغير في العالم العربي هو التحضر خاصة في بلدان مثل ليبيا، وعمان والبحرين، والمملكة العربية السعودية، حيث إن التحضر كان حديثاً وسريعاً في آن. هذا المتغير الرئيس يمكن أن يميز العالم العربي على نطاق واسع عن العالم الغربي، فقد كانت هناك موجة من التحضر الذي حدث في العالم العربي قبل نصف قرن فقط، غيرت التركيبة السكانية للعديد من البلدان مما أدى إلى اختلاف لغوي بارز. فاكشاف النفط أدى إلى تغيرات في مجتمعات الممارسة في دول مثل البحرين وعمان والإمارات وليبيا والمملكة العربية السعودية، وكذلك الحروب، بدءاً من الحرب العالمية الأولى والثانية، والحروب الأهلية، وحرب الخليج، وثورات ما يسمى بالربيع العربي. والنتيجة الرئيسة للحروب هي نزوح جزء كبير من السكان وقد أفضى ذلك إلى تغيير التركيبة السكانية وإلى اختلاف في استخدام اللغة وتغيرها.

نقطة أخرى تستحق الذكر هي أن المتغيرات المستقلة هي نفسها مختلفة، فهناك متغيرات يمكن تشكيلها وقولبتها بواسطة الفرد. لكنَّ المتغيرات المستقلة مثل الدين، والعرق والطبقة الاجتماعية تميل إلى أنها تتحدد بشكل مختلف فيما يتعلق بالعالم العربي. ففي العالم العربي خاصة يمكن للمرء أن يقسم المتغيرات المستقلة إلى نوعين: متغيرات مستقلة ثابتة، مثل الدين، والعرق، والانتماءات القبلية، ومتغيرات مستقلة مرنة، مثل الطبقة الاجتماعية، والشبكات الاجتماعية، والمدنية، والتعليم. فالدين في العالم العربي ليس مسألة اختيار فردي، وفي المجتمعات القبلية لا يكون الفرد قادراً على تغيير انتمائه القبلي ولا وضع قبيلته التي تعكس وضعه الاجتماعي.

تنشئ المتغيرات الثابتة مجتمع الممارسة وتحافظ عليه، فالدين مثلاً متغير ثابت يمكن أن يساعد على خلق مجتمع الممارسة والحفاظ عليه في بعض الأحيان (كالسنة والشيعية والمسيحيين) في لبنان (والسنة والشيعية في البحرين). وفي مجتمعات أخرى قد يكون العرق والانتماءات القبلية أكثر هيمنة. ويشكل الفلسطينيون في مخيمات اللاجئين في لبنان والأردن مجتمعات الممارسة الخاصة بهم.

ليس من المفاجئ أن الدراسات التي تم جمعها واستعراضها في هذه الدراسة تبدو وكأنها ينقصها التماسك العضوي، وفقدانها لروحها العربية، انطلاقاً من أن اللسانيات الاجتماعية العربية ولدت ونشأت مهاجرة، وأن دراسات هذا العلم تنجز في غريبته وبغير لغته، فضلاً عن أنه تم تناول هذه الدراسات من منظور المنهجيات والنظريات المقدمة في الأوساط الأكاديمية الغربية التي تعتمد بشكل كبير على اللغات الغربية. ومع هذا ينبغي الملاحظة أنه ليس من الضروري افتراض أن النظريات الغربية لا يمكن تطبيقها على العالم العربي، ففي كثير من النواحي تتماشى العديد من الظواهر مع نظيرتها الغربية، لكن هناك جوانب اجتماعية خالصة للعربية، لها خصوصيتها العربية المحلية والإقليمية، تختلف في الماهية، والدرجة، والمسببات، عما هو موجود في الغرب، وتمثل نوعاً يخص العربية. على أنه لا يمكن القول إن اللغة العربية سوف تمثل نوعاً فريداً في

كل موضوع. وربما يجب على اللسانيات الاجتماعية العربية في نهاية المطاف التعامل مع اللغة العربية بكل مظاهرها وربط ما كان يعد حتى اليوم تحيزاً إقليمياً، وتطوير نماذج لسانيات اجتماعية تفاعلية عندما يكون ذلك ضرورياً للسياقات غير المعتادة أو حتى غير الموجودة في الغرب^(١).

وفي هذا السياق ينبغي الإشارة إلى أن نظرة الشك التي أثارها دارسو العربية حيال أهداف الدراسات اللسانية الاجتماعية المتعلقة بالعربية، لا يمكن أن تكون مقبولة على إطلاقها، وليست مبررة في كل أوجهها، وهي مجابهة للواقع وتياراته الجارفة دون اقتراح لحلول بديلة، مما انعكس على هذا الحقل وتركه ينشأ ويتطور بالصورة التي أصبح عليها الآن، على أنه لا يمكن إنكار رائحة الأفكار الأيديولوجية أو إغفالها في ثنايا الطروحات التي تناولت هذا المجال، ويمكن التمثيل على ذلك بفكرة الهوية العربية وأن تماسك بلدان العالم العربي قائم على اللغة العربية فقط، حيث يذهب جوناثان أوينز ٢٠٠١م، مثلاً إلى أن "أحد الأسباب لهذا هو حقيقة أن العربية تغطي أرضية لغوية اجتماعية تماسكها الوحيد أن اللغة المستخدمة في كل جزء هي العربية"^(٢)، متناسياً أن الترابط بين بلدان العالم العربي قائم على هوية تتجاوز اللغة إلى الأصول والمنشأ والمعتقد، وأن اللغة ما هي إلا وجه واحد من وجوه هذه الهوية.

ودراسة مسار اللسانيات الاجتماعية العربية، وتقرير واقع اللغة العربية وعامياتها ولهجاتها الإقليمية ولغات الأقليات في المجتمع العربي يستدعي النظر في معطيات الواقع ومتغيراته في ضوء الدراسات التي تناولته من منظور السياسة والتخطيط اللغوي لمعرفة محاولة التأثير في مستقبل ذلك الواقع وتوجيهه.

إنّ العلاقة بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي علاقة تلازم حيث يرتبط كل منهما بالآخر؛ إذ يشير التخطيط اللغوي إلى الجهود الموجهة من قبل الحكومات أو

(1) Owens, 2001. p. 464.

(2) Owens, 2001. p. 463.

الهيئات الرسمية وشبهها، أو الأفراد؛ للتأثير في السلوك اللغوي للمجموعات اللغوية الكبيرة أو الصغيرة فيما يتعلق باكتساب اللغة، أو بنيتها، أو وظيفتها، أو مكانتها داخل مجتمع ما^(١).

ويُلْتَجَأُ إلى التخطيط اللغوي استجابة لاحتياجات سياسية واجتماعية واقتصادية عندما يعيش بلد ما تعددا لغويا يؤدي إلى توترات اجتماعية مثلما هو الحال في البلدان العربية في شمال إفريقيا، وعندما يكون للغة الرسمية القياسية لهجة عامية أو لهجات جغرافية إقليمية مثلما هو الحال في كل بلدان العالم العربي، وعندما تسعى الدولة إلى تحقيق تنمية إنسانية استجابة لمتطلبات مجتمع المعرفة حيث إن اللغة هي أداة النفاذ إلى مصادر المعلومات وهي إشكالية تواجهها بلدان العالم العربي بشكل عام. وفي مثل هذه الحالات تتدخل الدول أو ينبغي لها أن تتدخل لإعادة ترتيب المشهد اللغوي^(٢)، فتُلْجَأُ إلى التخطيط اللغوي لتحقيق العدالة بين الناطقين باللغات الوطنية المختلفة، عن طريق تقنين العلاقة بين هذه اللغات أو بين اللغة الرسمية ولهجاتها.

ومن القضايا المهمة في موضوع السياسة والتخطيط اللغويين مراعاتها لمبدأ الاقتصاد، فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال أضحت توسم بلغة السوق، وأمسى الإقبال على تعليمها وتعلمها متزايدا؛ لأنها تمثل في عين متعلميها مصدر دخل مرتفع؛ وعليه لا بد من فهم كيفية تأثير الاختيار اللغوي في الاقتصاد، وكيف أن تعلم لغة ما، أولى أو ثانية، يؤدي إلى رفع الدخل، حيث إن العامل الاقتصادي يعدّ من أقوى العوامل التي تساعد على انتشار اللغة وهو ما يظهر في السرعة التي تنتشر بها اللغة الإنجليزية اليوم بصورة أساسية جعلتها لغة الاقتصاد المهيمن، ولغة علم وتقنية في تقدم مستمر، ولا يمكن إهمال هذا العامل والاكتفاء فقط بالتركيز على العوامل الثقافية في الحفاظ على اللغة ونشرها كما هو الحال في اللغة العربية وفي المنظمات الفرنكفونية. ولقد توطّدت

(١) المحمود، ٢٠١٨م، ص ١٢.

(٢) القاسمي، ٢٠٠٩م، ص ١٣.

العلاقة بين اللغة والاقتصاد اليوم أكثر مما سبق، حيث يرى كلولماس أن قيمة اللغة تحددها عوامل عدة تخرجها من دائرة التواصل إلى جعلها عنصراً مهماً في اقتصاديات الدول، وهو ما يؤدي إلى تحديد قيمة اللغة كصناعة وعملة^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إلى أي مدى تراعي البلدان العربية هذا المبدأ في ظل انتشار واسع للغات الأخرى وخاصة الإنجليزية والفرنسية، وبروز تيار حضاري هائل جرف معه كثيراً من شباب الجيل العربي وأفرز ظواهر اجتماعية وثقافية ولغوية كثيرة على رأسها الابتعاد عن الفصحى والميل إلى العاميات، وانتشار ظاهرة تبديل الشفرة وتبديل الشفرة الازدواجي، وظهور اللغات الهجينة وعلى رأسها ظاهرة العريزي. ويتبع ذلك سؤال آخر حول مدى استثمار البلدان العربية لغتها العربية الفصحى الموحدة اقتصادياً؟ لا سيما أن هناك إرثاً حضارياً وتجربة ثقافية ومعرفية، ورصيداً لغوياً هائلاً. ويمكن التقرير بسهولة أن اللغة العربية مريحة اقتصادياً، فإذا كان الاتحاد الأوروبي على سبيل المثال يصرف جزءاً كبيراً من ميزانيته على الترجمة لتعدد اللغات الرسمية لأعضائه، فإن العرب موحدون بلغتهم لا يحتاجون إلى ترجمة فيما بينهم، وغني عن القول أن اللغة ترتفع قيمتها مع الاستخدام، فاللغة ليست سلعة بالمعنى المتداول؛ لأن السلعة حينما تستهلك تنتهي، واللغة حينما تستهلك ويتم استعمالها ترتفع قيمتها فيما يسمى بالسوق اللغوية الرمزية^(٢)؛ ومن ثم فإن قضية اللسان العربي الموحد هو مكسب للعرب.

تقودنا هذه القضية إلى موضوع مهم يتشابك مع قضية اللسان العربي الموحد وهو قضية العرق وتأثيره في رسم السياسة اللغوية في العالم العربي، ومطالبة الأقليات العرقية بحقوقها اللغوية والاعتراف بهويتها الثقافية واللغوية ودور القومية العربية في رفع لواء المناداة بسياسة التعريب ورسم مشهد السياسة اللغوية في العالم العربي المعاصر.

(١) الفهري، ٢٠٠٩م، ص ٢٦٧.

(٢) الفهري، ٢٠٠٩م، ص ٢٧٥.

وتذهب كاثرين ميلر ٢٠٠٣م، في دراستها عن "السياسات اللغوية وقضية الأقليات العرقية اللغوية في الشرق الأوسط"^(١) إلى القول بأن الدول العربية بعد الاستعمار حاولت فرض سياسة لغوية شبه أحادية لصالح اللغة العربية، وقد تمّ توارثها بشكل أساسي في مفهوم ضيق للقومية تكون العروبة فيه نموذجاً أيديولوجياً سائداً، وفي كثير من الحالات، تمّ تنفيذ السياسات اللغوية والثقافية لصالح التعريب من قبل أنظمة قومية (النظام الناصري في مصر، ونظام البعث في العراق وسوريا، وجبهة التحرير الوطني في الجزائر)؛ ومن ثم فهو مزيج من القومية العلمانية والإسلامية السياسية الحديثة التي غدت أكثر الخطابات الرسمية الداعمة للتعريب.

وذهبت إلى أن حلم التجانس اللغوي بين لغة الدولة ولغة المواطنين ظهر مع بناء القومية العربية، وأن العلاقة بين اللغة والعرق كانت مدعومة بشكل خاص من قبل مثقفين بارزين من غير المسلمين من أقليات الشرق الأوسط ومعظمهم من السوريين الذين يعتقدون أن اللغة يمكن أن تخلق هوية مشتركة ستتغلب على الخلافات الدينية، وكانت الموجة الأولى من القوميين العرب متوجهة نحو العلمانية، بل إنها ضمت العديد من المسيحيين، وبالنسبة إلى هؤلاء كانت اللغة هي الأساس الضروري للتماسك الوطني ورمز الحيوية. هذا التمسك بالعروبة قادهم لتقويض المكونات الأخرى للمجتمع المحلي والنظر إلى اللهجات المحلية واللغات المحلية والثقافات المحلية كعناصر متخلفة وعناصر انقسام لمجتمع متعلم حديثاً.

وذهبت إلى أن النموذج الوطني العروبي العلماني لم يساعد في استيعاب المجتمعات غير العربية، ولم ينجح في تعزيز العلمانية، مما حدا بالإسلاميين إلى التقاط خطاب التعريب وإعادة تخصيصه كوسيلة لتعزيز الوحدة الإسلامية، وأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، اللغة الأساسية التي تنقل الرسالة الشاملة ولا يمكن قصرها على الخطاب القومي العلماني. وتعارض الأقليات غير العربية الادعاءات القومية بالعروبة بتشديدها

(١) Miller, ٢٠٠٣.

على العمق التاريخي للثقافات المحلية وسبقها لوصول العرب، وأن التراث الثقافي العربي هو عنصر بين عناصر أخرى يجب أن يذوب مع الأسطح المحلية الأخرى.

في ظل مطالبات هذين الاتجاهين: دفاع الأقليات ونشاط الإسلاميين، وفشل فكرة القومية العربية ومعها سياسات التعريب قامت عدد من الدول بتغيير سياستها بشكل طفيف وتبنّت بعض المواقف الأكثر تسامحاً تجاه المكون غير العربي في مجتمعاتها وإعطاء مساحة للغات والثقافات غير العربية، وبدأت دول مثل المغرب والجزائر والسودان في قبول تراثها المتعدد الثقافات، والاعتراف رسمياً بالتعددية العرقية كمكون من مكونات البلد، كما ظهرت التعددية اللغوية في بلدان الشرق الأوسط بسبب انتشار اتجاه عالمي جديد حيث أصبحت التعددية الثقافية نموذجاً عسرياً بسبب ضعف السيطرة الحكومية وبسبب تقدم التكنولوجيا الحديثة وانتشار وسائل التواصل الرقمية التي أعطت فرصة للأقليات للتعبير عن نفسها سواء داخل البلد أو في الشتات وهذا أيضاً يخلق تحدياً جديداً لهذه المجتمعات التي تريد الدفاع عن لغتها وثقافتها⁽¹⁾.

وفي هذا السياق يدرس محمد بن رباح ٢٠٠٧م⁽²⁾، تحت عنوان "اللغة في التخطيط التربوي في الجزائر تطوره التاريخي ومسائله الحديثة" سياسة اللغة (التعريب) المتبعة في الجزائر منذ الاستقلال ويركز على التغييرات الحديثة في سياسة اللغات الحكومية بإقرار ثنائية اللغة العربية الفرنسية في المدارس وردود الفعل عليها بعد التوصيات التي قدمتها اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التعليمي في مارس ٢٠٠١م، وناقش التطورات غير المخطط لها الناتجة عن طبيعة هيمنة التعريب اللغوي، واستكشف ردود فعل طلاب المدارس تجاه التعددية اللغوية في الجزائر، وذهب إلى أن رفض القيادة الجزائرية الاعتراف بالتعددية اللغوية التي يطالب بها جزء من المكون السكاني للجزائر يمثل عقبة كبرى في بناء الأمة الجزائرية.

(1) Miller, 2003.

(2) Benrabah, 2007.

وفي نفس السياق تدرس هنية حسني ٢٠١٧م، السياسة اللغوية في المجتمع الجزائري وتذهب إلى أن تجارب الإصلاح اللغوي في الجزائر طبعت بمميزات وخصائص غلب عليها سيطرة الجانب السياسي والأيديولوجي للدولة دون اعتبار لطبيعة الواقع الاجتماعي والثقافي، ودون اعتبار لقدرات المتعلم ورغباته وطموحاته اللغوية، سواء ما يتعلق باللغات الوطنية المعبرة عن شخصيته وهويته الوطنية، أو ما يتعلق بطموحاته الخارجية، واكتساب اللغة الأجنبية القادرة على نقل الفرد الجزائري من سمة البداوة والتخلف إلى التقدم المعرفي والتواصل الخارجي مع الحضارات والثقافات المتعددة. وذهبت إلى أن هذه السيطرة والعنف الرمزي الذي ميز المسألة اللغوية في النظام التربوي قاد إلى وضع لغوي هجين لا يدري فيه المتعلم أية لغة يتعلمها بشكل كامل وصحيح، بل يدفعه إلى التخلي التدريجي عن هويته اللغوية باحثاً عن لغة أفضل لتحقيق رغباته وطموحاته التعليمية والتواصلية، أما على المستوى الاجتماعي فإن المجتمع الجزائري يعيش أزمة لغوية دائمة ومستمرة تتجدد كلما طرح إصلاح لغوي أو تعليمي جديد^(١). نفس الإشكالية تناولتها أحلام قرقور ٢٠١٨م، في دراستها عن أثر السياسة اللغوية في ممارسة اللغة العربية بالجزائر متناولة بروز ظاهرة التعدد اللغوي كوظيفة لسانية تتسم بها الجزائر، وتذهب إلى أن اضطراب المواقف السياسية في الجزائر وصراعاتها، أثر سلباً في تعميم استعمال اللغة العربية مما أدى إلى عدم احترام الأجل المنصوص عليها في القانون لنهاية التعريب الشامل الأمر الذي قاد في نهاية الأمر إلى تجميد قانون استعمال العربية. وهي تذهب أيضاً إلى أن انتهاج سياسة التعريب المدعوم بالتعدد يمثل سياسة وخطة مرحلية ناجعة تسعى إلى وضع أسس للاستقرار في وظائف اللغة العربية، وأن دعمها باللغات الأجنبية ضروري في زمن التحولات الحضارية^(٢).

(١) حسني، ٢٠١٧م، ص ٣٧٣ - ٣٧٥

(٢) قرقور، ٢٠١٨م، ص ١٦٠ - ١٦٣.

في سياق أوسع يقدم موستاوي ٢٠١٨م^(١)، إطاراً لدراسة سياسة اللغة في العالم العربي كنقطة انطلاق للعوامل اللغوية والاجتماعية حيث تتبع السياسة اللغوية التي اعتمدتها المغرب منذ الاستقلال، وبين كيف يتحول السياق الاجتماعي السياسي في العالم العربي بما في ذلك التغييرات التي حدثت أثناء الربيع العربي وبعده وتركت أثراً في سياسة اللغة من وجهة نظر رسمية. ويذهب إلى أن العوامل الاجتماعية أسهمت في التنوع المتزايد من جهة السياسة وإدراج اللغات والرموز المهمشة سابقاً، بما في ذلك العامية العربية والأمازيغية.

ويحدد أمارة، ٢٠١٨م^(٢)، العلاقة بين العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والسياسة اللغوية وانعكاساتها في التعليم من خلال النظر عن قرب في النظام التعليمي في العالم العربي. ويجادل بأنه بالنظر إلى التحديات التي يواجهها العالم العربي سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فشل نظام التعليم في تطبيق سياسة متسقة وفعالة لتدريس العربية، ويناقش أمارة الأسباب المحتملة لهذا الوضع الصعب مثل استمرار مكانة اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والعملة بشكل عام وعدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي، ويجادل بأنه لفهم الصورة الكاملة المؤثرة في السياسة اللغوية في التعليم في العالم العربي فإنه ينبغي النظر إلى كل هذه العوامل بصورة متكاملة.

وتتصل بسياق السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي قضية تغير المواقف نحو اللغة الإنجليزية، التي كان ينظر إليها تقليدياً على أنها لغة متفطرة على الدول العربية فيما بعد الاستقلال؛ إذ تظهر الدراسات الحديثة أن الشباب العربي لديه مواقف إيجابية نحو اللغة الإنجليزية وتبنيها في التواصل اليومي، حيث يكتسب تبديل الشفرة العربية الإنجليزية شعبية في الأحاديث اليومية وجها لوجه وكذلك في التفاعلات عبر الإنترنت. وقد درس محمود المحمود، ٢٠١٤م، الاتجاهات المباشرة وغير المباشرة نحو اللغة العربية: بنوعيتها العامي والفصحى، ونحو اللغة الإنجليزية. وأظهرت نتائج دراسته أن استخدام

(1) Moustauoi, 2018.

(2) Amara, 2018.

الإنجليزية يفوق استخدام العربية الفصحى. وأشار إلى نمو الاتجاهات الإيجابية العالية نحو الإنجليزية مقارنة بالاتجاهات المتقاربة نحو العربية العامية والفصحى، التي كانت أقل إيجابية من الإنجليزية^(١).

وفي ضوء الخلط اللغوي والمؤثرات المتداخلة تجمع غالبية الدراسات على الحاجة إلى ضبط معايير لسانية اجتماعية لتحديد مفهوم اللغة الأم وعلاقتها بعامياتها ولهجاتها الإقليمية، واللغات الأخرى، التي يجب أن تعتمد على تمثيل هذه القضايا، وكذلك الهوية المحلية. وهذا الوضع يحمل اللسانيات الاجتماعية العربية مسؤولية كبرى تكاد السيطرة عليها واستيعابها بالدرس تتعذر، وذلك بسبب التقلبات الاجتماعية والسياسية للمنطقة العربية. ومع ذلك، إذا أردت أن تستشرف مستقبل مسار الحالة اللغوية في العالم العربي فيما يتعلق بهذا المبحث عطفاً على استمرار الاتجاهات الحالية في المنطقة العربية فإنك قد تتوقع نشأة مسارين كبيرين^(٢):

المسار الأول، تطور محتمل يتعلق بتحريك المجتمع العربي من الازدواجية إلى التعددية اللغوية كنتيجة للاعتماد المتزايد على اللغة الإنجليزية في مجال الأعمال، والتقنية والعلوم، والاستخدام الواسع لها في مجال الاتصالات الرقمية ودمج العديد من الكلمات الإنجليزية في التفاعلات اليومية. فمثلما أصبحت اللغة الفرنسية جزءاً من المشهد اللغوي المغاربي إلى حد كبير بالقوة العسكرية، قد تصبح اللغة الإنجليزية أيضاً جزءاً من المشهد الاجتماعي اللغوي العربي الأوسع من خلال القوة الاقتصادية ومن خلال تضمين قوة القناعة أن اللغة الإنجليزية لغة مطلوبة للاتصالات الدولية، والاقتصاد، والتجارة العالمية. ويمكن اعتبار مدينة دبي مثالا على هذا النوع من التعددية اللغوية، ولكن أجزاء أخرى من المنطقة العربية قد تحذو حذوها، بصرف النظر عن انتشار اللغة الإنجليزية، حيث يتم تعزيز احتمالات التعددية اللغوية من خلال الوضع غير المستقر للعربية القياسية والاستخدام المتدهور لها عبر المنطقة العربية.

(1) Almahmoud, 2014.

(2) Albirini, 2016. p. 329.

المسار الثاني يتعلق بنمو تبديل الشفرة الثنائي اللغة بين العربية والإنجليزية، فبينما كان التحول الثنائي اللغة بين العربية واللغات التقليدية مقتصرًا على المنطقة المغاربية، هناك دليل متنام من الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة على أن اللغة الإنجليزية في تزايد مستمر في جميع أنحاء المنطقة العربية. هذا الاتجاه من المتوقع أن ينمو جنباً إلى جنب مع تزايد دور اللغة الإنجليزية في الساحة الدولية، وفي المنطقة العربية على وجه الخصوص.

وفي ضوء الخلط اللغوي والمؤثرات المتداخلة تبدو الحاجة ماسة إلى تنفيذ معايير لسانية اجتماعية واضحة، في ضوء سياسة لغوية محكمة وتخطيط لغوي مدروس يراعي أسس التخطيط اللغوي ويهتم بتخطيط الوضع اللغوي ودراسة واقع اللغة العربية وعامياتها ولهجاتها الإقليمية ولغات الأقليات في المجتمع العربي والتنبؤ بمستقبلها بناء على معطيات الواقع ومتغيراته ومحاولة التأثير في ذلك المستقبل وتوجيهه.

منهجية البحث المستخدمة في اللسانيات الاجتماعية العربية

اعتمدت الدراسات اللسانية الاجتماعية في بدايتها البحث الاستقصائي منهجية لجمع المادة العلمية، مثلما استخدمت منهجيات اللسانيات الأنثروبولوجية لدراسة اللغة العربية، وتقدّم شولتز ٢٠١٨م^(١)، الخطوط العريضة لنظريات اللسانيات الأنثروبولوجية وموضوعاتها، وتؤكد أن الدراسة الأنثروبولوجية للغة العربية تساعد على فهم العمل السياسي والاجتماعي للغة العربية سواء في سياقات الاستخدام أو من خلال أدلة تداولية للإيديولوجيات اللغوية. إضافة إلى ذلك تم استخدام منهجية التنوع اللساني الاجتماعي الكمي لفهم التطورات اللغوية التاريخية ويتم ذلك باستخدام النموذج الإحصائي Rbrul إضافة إلى دراسة المتغيرات الاجتماعية المستقلة كالبينة اللغوية والعمر والجنس ويمكن أن نجد أمثلة على ذلك في دراسات القحطاني ٢٠١٥م^(٢)،

(1) Schulthies, 2018. p. 439 - 448.

(2) Alqahtani, 2015. p. 224 - 228.

والغامدي ٢٠١٤م^(١)، ودراسات أخرى تضمنها هذا الفصل. وهناك اتجاه آخر لبحوث التباين يهتم بالتنوع داخل العامية ويدرس تأثير الطبقة الاجتماعية، والجنس، والعمر على استخدامات اللغة والتغير اللغوي. وتجادل فيسنتي ٢٠١٨م^(٢)، بأن هناك حاجة لدراسة التنوع اللغوي في السياقات الشفوية والمكتوبة معا وأن العوامل اللغوية وما فوق اللغوية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة التنوع. وتقتراح مايرز سكوتون ٢٠١٠م^(٣)، منهاجاً جديداً لدراسة التحول اللهجي، يضبط ويشرح قواعد التبديل بين اللغة القياسية الفصيحة والعاميات المختلفة. وتعتمد هذه القواعد على العناصر الصوتية التي تحضر في الكلام في المادة التي يتم دراستها. ومن خلال إحصاء الملامح الصوتية يمكن للمرء أن يقرر أساس التنوع اللغوي المستخدم لتحديد نسبته إلى الفصحى أو العامية.

وتقدم بسيوني ٢٠١٨م^(٤)، ترتيب المؤشرات كنهج بديل لفهم الازدواجية، وتبديل الشفرة عبر المؤشرات وتحليل تبديل الشفرة الازدواجي كجزء من تبديل الشفرة، حيث ترى بأنه يمكن دراسة الازدواجية بشكل أكثر نجاحاً من خلال ترتيب المؤشرات. فالفهم الشامل للازدواجية يجب أن يفسر هذه العملية من خلال الرموز التي ترتبط بمؤشرات الاستخدام للتنوعات اللغوية المختلفة، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، فاختيار استخدام تنوعات لغوية بعينها يعكس رموزاً تحمل ارتباطات أو مؤشرات، وهذه المؤشرات من الأفضل فهمها فيما يتعلق بالأداء، وخاصة الأداء الشفوي والخطاب فوق اللغوي، إضافة إلى استظهار مواقف الأفراد والأيدولوجيات عبر مختلف الطرق المباشرة وغير المباشرة. وعلى الرغم من الدور البارز الذي تمتلكه العوامل الاجتماعية في تحديد طبيعة الأرضية اللغوية في العالم العربي، فإنها لا يمكن أن تفقد بسهولة إلى تحليل كمي قياسي؛ ولذلك فإن هناك حاجة إلى تفسيرات نوعية تسير جنباً إلى جنب مع المؤشرات الكمية والارتباطات

(1) Alghamdi.2014.

(2) Vicente, 2018, p. 359 - 367.

(3) Myers - Scotton, 2010. p. 82.

(4) Bassiouney, 2018. p. 346.

عند دراسة طبيعة التباين اللغوي في العالم العربي. وتتوافق هذه الرؤية مع ما ذهب إليه حسن عبد الجواد وعادل أبورضوان ٢٠١٣م^(١)، من أنَّ المتكلمين يمتلكون عدة طبقات من العناصر اللغوية التي يمكنهم الاختيار منها والخلط بينها وفقاً لمجموعة من العوامل الاجتماعية واللغوية والأسلوبية، كما أنَّ اختيار هذه العناصر اللغوية وترتيبها يتم وفق التسلسل الهرمي بحسب الحساسية الاجتماعية، والطبيعة اللغوية؛ ولذلك يدعون إلى إعادة الاعتبار لمفهوم المجالات كما اقترحه فيرجسون ١٩٥٩م، من خلال تقسيم فرعي للمجالات المختلفة إلى وحداتها التفاعلية الصغرى للتحليل باتباع وحدات تحليل هائمز ١٩٧٤م، (الوضع، الحالة، الحدث، الفعل) ويذهب إلى أن طبيعة واتجاه التنوع تحددهما غالباً هذه التقسيمات الفرعية. ويمكن القول إن نموذج التنوع اللغوي الذي يتوخاه عبد الجواد ورضوان ٢٠١٣م، يقترح وجود طبقات منفصلة تحدها قواعد حدوث صارمة مختلفة وظيفياً، ووجود متغيرات إضافية تحدها التنوعات والعناصر اللغوية؛ وعليه يبدو أن كل تنوع لغوي له حياته الخاصة به، وهو ينطوي عادة على مجموعة من القيم حيث إنه يتضمن تكرار الحدوث لتنوعات فردية في الخطاب الموسع.

وقد أدخل ميلروي فكرة الدراسة الإثنوغرافية من خلال انخراط الباحث في مجتمع الدراسة ليتمكن من فهم المقومات الاجتماعية من الداخل^(٢). وكذلك أدخلت إيكرت وغيرها فكرة أيديولوجية الأفراد الخاصة بهوية المفحوصين وبيئتهم ومجتمعهم^(٣). فقادت هذه الأفكار إلى ظهور المناهج الدلالية في دراسة المتغير اللغوي حيث إن أهمية الهوية في طرق الكلام، وأهمية مجتمع الممارسة، وموقف الأفراد من بيئتهم ومجتمعهم قاد إلى تأكيد الأهمية الدلالية للمتغير اللغوي وليس فقط المتغيرات الاجتماعية. وهذه المنهجية مبنية على فهم السياق الذي يستنبط منه المعنى، فهذا السياق هو نتاج تراكمات أيديولوجية ناتجة عن تفاعل الأفراد مع بيئتهم المحيطة، وهو نتاج نظام

(1) Abdeljawad, & Abu Radwan, 2013. p.24

(2) Milroy, 1987.

(3) Eckert, 2006.

اجتماعي وأيديولوجي نشأ فيه أفراد المجتمع وأجبرهم على فهم معين للمكونات اللغوية والاجتماعية. وتبعاً لهذا المنظور يصبح الفرد ذا هوية اجتماعية وسياسية وفردية بسبب تعرضه لأيديولوجيات بيئته من خلال عضويته في مجتمعه. ويصبح من المستحيل الفصل بين الهوية الفردية والسياسية والاجتماعية للفاعلين. فالهوية هي نتاج كل العوامل الاجتماعية والسياسية المحيطة. وتذهب بسيوني إلى أن الهوية تتشكل بفعل عوامل ثلاثة: هي الإدراك وذلك من خلال إدراك الفرد لنفسه، وإدراك الآخرين لمهيته، والعقيدة المتعلقة بموقف الفرد من القضايا ونظراته لسياقه الاجتماعي والثقافي، وكذلك عامل الممارسة والعادات. وترى أن الهوية: «ممارسة، وأيديولوجيا، وإدراك»^(١). وقد أصبحت النظرة حالياً لعلاقة اللغة بالمجتمع نظرة شمولية، لا تفرق بين المتغير اللغوي والمقومات الاجتماعية مما يعطي أهمية للمنهجية الدلالية في فهم المتغير اللغوي، حيث أصبح النظر إلى اللغة موجّهاً إليها بوصفها مقوماً اجتماعياً، وجزءاً لا يتجزأ من نسيج هوية الفرد الاجتماعية؛ ولذا تذهب بسيوني إلى أنه «يلزم عدم دراسة اللغة فقط عن طريق ربطها بمفهوم اجتماعي، كاللون والجنس، والبيئة الاجتماعية، والحضر والريف، بل يلزم النظر إلى اللغة بوصفها مصدراً يتفاعل ويتغير بتغير المجتمع، فهي من نسيجه»^(٢). وتذهب إلى أن الحركة الجديدة في اللسانيات الاجتماعية لا ترى فقط ارتباطاً بين المتغير اللغوي والمقومات الاجتماعية والثقافية، بل ترى أن اللغة نفسها متغير اجتماعي ومصدر اقتصادي وتاريخي وتراثي، وتؤكد أنه «لا تزال قضايا الهوية والأيديولوجية اللغوية والسياسة اللغوية تشكل جوهر السياق الاجتماعي - السياسي للعالم العربي»^(٣).

وأخيراً، تراوحت منهجيات اللسانيات الاجتماعية العربية بين المناهج الأنثروبولوجية، ومنهجية التنوع اللساني الاجتماعي الكمي، ومنهجية ترتيب المؤشرات، ومنهجية تقسيم

(١) بسيوني، ٢٠١٨م، ص: ٩٠.

(٢) بسيوني، ٢٠١٨م، ص: ١٠.

(٣) بسيوني، ٢٠١٨م، ص: ١٠.

المجالات والطبقات المنفصلة، والمنهج الإثنوجرافي، وإيديولوجية الأفراد وصولاً إلى المنهج الدلالي لدراسة اللغة. وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الظواهر اللسانية الاجتماعية من خلال هذه المنهجيات لا يزال في نطاق الموجتين الأولى والثانية من الممارسة التحليلية الحديثة التي تركز على نوع مجتمع الكلام، ودراسة الخصائص اللغوية المعتمدة في التمييز بين التنوعات اللغوية: تنوعات محلية / إقليمية / وطنية، وعرض دلالات المتغيرات كعلامات هوية مرتبطة مباشرة بالمجموعات الأكثر استخداماً لها⁽¹⁾. وتعتمد الموجة الأولى على استخدام الدراسات المسحية والأساليب الكمية لفحص العلاقة بين التنوع اللغوي والفئات الديموغرافية الرئيسية (الطبقة، العرق، التعليم، العمر، الجنس)، لرسم «الصورة الكبيرة» للانتشار الاجتماعي للتغير اللغوي، وتشكيل خريطة للفضاء اللغوي الاجتماعي العربي⁽²⁾. وتستخدم الموجة الثانية الأساليب الإثنوجرافية للبحث عن العلاقة بين التنوع والفئات والتشكيلات المحلية التي تمنح المعنى المحلي للفئات الديموغرافية الأكثر تجرّيداً والموضحة في الموجة الأولى. ولكن الدراسات العربية لم تتجاوز إلى الموجة الثالثة التي تعتمد على نتائج الموجتين الأولى والثانية من دراسات التباين، لدراسة المعنى الاجتماعي للمتغيرات من خلال النظر إلى الأنماط، وليس المتغيرات، باعتبار ارتباطها بشكل مباشر بفئات الهوية، لاستكشاف مساهمات المتغيرات في الأنماط. وتركز هذه الموجة على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي وعلى الممارسة الأسلوبية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديدته وتمييزه⁽³⁾.

وعليه يمكن القول بوجود لسانيات اجتماعية عربية بالمعنى المبسط لهذه الكلمة وفي أدنى حدودها، وهي طائر مهاجر، لم يولد أو ينشأ في بيئته العربية، وفي أقسام الدراسات اللغوية العربية، ولم يكتب بلغته العربية؛ حيث نشأ في أقسام اللغة الإنجليزية وكتب بها، ولم تنشر دراساته في بيئته العربية، بل نشرت خارج حدودها، حيث تأسس في بلاد

(1) Eckert, 2012. p. 90 - 93.

(2) Eckert, 2012. p. 87 - 90.

(3) Eckert, 2012. p. 93 - 100.

الغرب بعيداً عن موطنه وكتبه ابتداءً غير أهله، وشارك في تأسيسه من أبناء العربية من درس خارج نطاق العالم العربي ممن تدرب على يد علماء بارزين في اللسانيات الاجتماعية العربية في ذلك الوقت، فعلماء مثل نيلوفر هيري، وحسن عبد الجواد، كانا من طلاب وليام لابوف وجيليان سانكوف، في حين كانت إنعام الوعر طالبة لبيتر تروجيل. وتتطور حالياً الدراسات عن التواصل اللهجي وعمليات التوطين في معظم بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مع ظهور جيل جديد من الباحثين الدارسين في الغرب مثل الطلاب من دول الخليج والدول العربية الأخرى.

يمكننا التقرير براحة تامة، أن اللغة العربية تَمَّت دراستها من منظورات لسانية اجتماعية حديثة، لكنها لازالت في نطاق الموجتين الأولى والثانية من الممارسة التحليلية للسانيات الاجتماعية الحديثة التي تعنى بتتبع انتشار التغير اللغوي، والفئات الاجتماعية، واستخدام الأساليب الإثنوغرافية التي تستكشف الفئات والتكوينات المحلية التي تشكل هذه الفئات، وتفحص العلاقة بين التنوع والديناميكيات الاجتماعية المحلية. ولم تتجاوز إلى الموجة الثالثة الحديثة التي تركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي وعلى الممارسة.

خاتمة الفصل

ينتهي هذا الفصل بالقول بوجود لسانيات اجتماعية عربية بالمعنى المبسط لهذه الكلمة وفي أدنى حدودها، وأن اللغة العربية تمت دراستها من منظورات لسانية اجتماعية عربية حديثة، لكنها لازالت في نطاق الموجتين الأولى والثانية من الممارسة التحليلية للسانيات الاجتماعية الحديثة التي تعنى بتتبع انتشار التغير اللغوي، والفئات الاجتماعية، كالطبقة الاجتماعية والاقتصادية والجنس والعرق والعمر، واستخدام الأساليب الإثنوغرافية التي تستكشف الفئات والتكوينات المحلية التي تشكل هذه الفئات، وتفحص العلاقة بين التنوع والديناميكيات الاجتماعية المحلية. ولم تتجاوز إلى الموجة الثالثة الحديثة التي تركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي وعلى الممارسة الأسلوبية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديدته وتميزه.

ينبغي القول كذلك، إن الدراسات التطبيقية التي اعتمدت الممارسة اللغوية العربية، تبدو كأنها ينقصها التماسك العضوي، وفاقدة لروحها العربية، بسبب أن اللسانيات الاجتماعية العربية الحديثة تم تناولها من منظور المنهجيات والنظريات المقدمة في الأوساط الأكاديمية الغربية التي تعتمد بشكل كبير على اللغات الغربية. على أنه في كثير من النواحي تتماشى العديد من الظواهر العربية مع نظيرتها الغربية، لكن هناك جوانب اجتماعية خالصة للعربية، لها خصوصيتها العربية المحلية، والإقليمية، تختلف في الماهية، والدرجة، والمسببات، عما هو موجود في الغرب، وتمثل نوعاً يخص العربية، كما أنه لا يمكن القول إن اللغة العربية سوف تمثل نوعاً فريداً في كل موضوع. ومع ذلك ربما يجب على اللسانيات الاجتماعية العربية تطوير نماذج لسانيات اجتماعية تفاعلية عندما يكون ذلك ضرورياً للسياقات غير المعتادة أو حتى غير الموجودة في الغرب.

الفصل الثامن

نحو لسانيات اجتماعية عربية تطبيقية:
نماذج من الواقع اللغوي للمجتمع السعودي



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

تقديم

يعرض هذا المبحث نماذج لسانية اجتماعية من واقع ممارسة المجتمع السعودي فيتناول قضيتين رئيسيتين، تناقش الدراسة الأولى الوظائف الاجتماعية لتحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية في وسائل التواصل الاجتماعي، وتحاول اكتشاف بعد جديد في الاستخدام اللغوي، كيفية استخدام اللغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص تويتر. وتستخرج عدّة وظائف للتحويل الازدواجي في تويتر، وتعرض مناقشة استخداماتها في ضوء متغيرات اجتماعية هي الجنس والتعليم والموضوع، وتقارنها بوظائف تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي وجها لوجه، محددة وظائف للخطاب المكتوب ووظائف أخرى للتفاعل الشفوي.

وتهتم الدراسة الثانية بالبحث في دور المحيط الحضري في مواقف متحدثي اللهجة المحلية لمنطقة القصيم من لهجتهم، واستكشاف تأثيرها في الاستخدام، ودراسة مدى ارتباط هذه المواقف بالاستخدام تبعاً للمتغيرات الاجتماعية (مستوى التعليم، والفئة العمرية، والجنس ومكان الولادة).

وقد سعت إلى معرفة ما إذا كان هنالك مواقف إيجابية نحو اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض، ومعرفة مستوى استخدامها بين متحدثيها من أهلها في مدينة الرياض، ومعرفة الارتباط بين مواقف المتحدثين من أهل القصيم في مدينة الرياض تجاه لهجتهم، ودرجة الاستخدام التي ذكروها.

تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية:

وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي:

تويتر نموذجاً^(١).

تناقش هذه الدراسة الوظائف الاجتماعية لتحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية في وسائل التواصل الاجتماعي، وتحاول اكتشاف بعد جديد في الاستخدام اللغوي، كيفية استخدام اللغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي وعلى وجه الخصوص تويتر. وتستخرج عدّة وظائف للتحويل الازدواجي في تويتر، وتعرض مناقشة استخدامها في ضوء متغيرات اجتماعية هي الجنس والتعليم والموضوع، وتقارنها بوظائف تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي وجها لوجه، محددة وظائف للخطاب المكتوب ووظائف أخرى للتفاعل الشفوي.

اعتمدت الدراسة -انطلاقاً من كونها دراسة لسانية اجتماعية وصفية - تحليلاً وصفياً كيفياً لمناقشة وظائف التحويل الازدواجي في تويتر ومقارنتها بوظائف التفاعل وجها لوجه التي جاءت في الدراسات السابقة، وعمدت إلى مناقشة أنماط التحويل الشفوي الازدواجي، ومدى اختلافها بناء على اختلاف الجنس والعمر والمستوى التعليمي والموضوع، وحلّلت النسب المئوية لاستخدام الفصحى مقابل العامية في ضوء متغيرات الجنس والمستوى التعليمي والموضوع، للإجابة عن سؤالي الدراسة وهما:

ما وظائف استخدام تحويل الشفرة الازدواجي في تويتر السعودية؟ وهل تختلف هذه الوظائف عن وظائف تحويل الشفرة الازدواجي في التفاعل وجها لوجه؟

(١) انظر الدراسة كاملة بإطارها النظري والتطبيقي منشورة في مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، العدد السابع عشر، مارس ٢٠١٩م. الصفحة ٩ - ٦٩.

هل تختلف أنماط تحويل الشفرة الازدواجي بحسب الجنس والعمر ومستوى التعليم، والموضوع؟

تمّ اختيار ٤١٣٣ تغريدة من ٤٧ حساباً بمادة كافية ومتوازنة لمتغيري الجنس والمستوى التعليمي في الحسابات المختارة؛ إذ تمّ توزيع الحسابات بناء على الجنس والمستوى التعليمي، على النحو التالي:

مستوى جامعي رجال ومستوى جامعي نساء، وتعليم عال فوق الجامعي رجال وتعليم عال فوق الجامعي نساء. وتركز الاهتمام على التغريدات في موضوعات الإعلام، والتسويق، والشؤون الأسرية، والصحة. وقد تم اختيار هذه الموضوعات لكونها عامةً تلامس اهتمام الغالبية وغير متخصصة بالمعنى الدقيق ولا تعزى إلى مستوى لغوي بعينه، فهي ليست مختصة بالمستوى الأعلى الفصيح كالخطابات الدينية، وليست مقصورة على التنوع اللهجي الأدنى كموضوعات الرياضة مثلاً. واقتصرت الدراسة في اختيارها للمدونة على الحسابات النشطة الصريحة الأسماء، وتمّ تحديد مدى زمني موحد هو شهرا سبتمبر وأكتوبر من العام ٢٠١٨م. بعد تحديد المدونة، تم فحصها لضبط ملامحها، ومعرفة أنماطها، وتحديد خصائصها، وجرى فرز التغريدات التي بلغت ٤١٣٣ تغريدة؛ ومن ثمّ تلاها تقسيمها بحسب المستويات اللغوية وأنماط التحوّل.

وقد تبين أن الوظائف الاجتماعية لاستخدام الفصحى والتحوّل إليها في الخطاب المكتوب خمس: بيان المكانة والتأنق والتطور، وبيان أهمية الخطاب، والاقتباس، وإبراز الجدية وتقديم صيغ تعبيرات رسمية، والتنظير والوعظ. وتبيّن أن وظائف استخدام العامية سبع: التأثير التداولي وإظهار معنى محدد، والسخرية والنقد والتهكم والفكاهة، والاقتباسات، وتبسيط الفكرة، واستخدام التعبيرات الاعتيادية المألوفة للحياة اليومية، والتوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة، والاستخدام المشترك المألوف وإظهار الهوية (المحلية) مع المجموعة.

واستخلصت الدراسة أنَّ السعوديين يغلبون في استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي المستوى الفصيح للغة العربية والتحول إليه باستخدام واسع مقابل استخدام محدود للمستوى العامي والتحول إليه، وهو استخدام للخطاب المكتوب يتناغم مع ما رسمه فيرجسون ١٩٥٩م للمستوى الأعلى للغة العربية، وقد استخلصت الدراسة أن الإناث يستخدمن المستوى الأعلى بنسبة فاقت بشكل يسير استخدام الذكور الذين تحولوا إلى المستوى العامي أكثر من النساء، وهو أمر يخالف ما تحدثت عنه الدراسات التي تناولت متغير الجنس؛ إذ خلصت تلك الدراسات السابقة إلى أن النساء يستخدمن المستوى الأدنى العامي بحثاً عن المكانة الخفية أو ما أسمته تلك الدراسات بالتغيرات المحلية، في حين أكدت هذه الدراسة أنهن يستخدمن المستوى الفصيح الأعلى مستهدفات المكانة الصريحة المرتبطة بهذا المستوى.

استخلصت الدراسة أيضاً أن المستوى التعليمي الأعلى أكثر ارتباطاً باستخدام المستوى الفصيح وأقل استخداماً للتحويل إلى العامية في مقابل استخدام أكثر للعامية عند من هم أقل مستوى تعليمياً، وأقل استخداماً للمستوى الفصيح وهو أمر يفسرناه في ضوء نظرية الطبقة الاجتماعية وعلاقتها بالمكانة الصريحة والخفية، والاعتزاز بالملامح التي تخص الطبقة الدنيا ومحاولة التلاقي مع الطبقة العليا كلما أمكن ذلك بحثاً عن المكانة الصريحة.

تأتي هذه الدراسة إذن، لمناقشة موضوع محدد هو وظائف تحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعامية السعودية في وسائل التواصل الاجتماعي، وهو موضوع يقع ضمن إطار محدد هو الازدواجية اللغوية. وازدواجية اللغة العربية موضوع خصب قديم متجدد، حظي بنصيب وافر من الدراسات وما زال يحظى بالكثير منها. ووظائف المستويات اللغوية ثابتة ومحددة كما عرضها لأول مرة تشارلز فيرجسون ١٩٥٩م في مستوياتها الأعلى والأدنى، حيث حدد لكل مستوى مجموعة من الوظائف تختص به، والدراسة الحالية لا تتعارض مع ما طرحه فيرجسون فيما يتعلق بالازدواجية ولا

بمستوياتها، ولا بالوظائف اللغوية الثابتة التي حدّدها لكل مستوى، حيث تسير هذه الدراسة ضمن إطار هذين المستويين، وتعالج فراغات ودقائق داخلها تتركز على الوظائف الاجتماعية المغفلة ضمن الوظائف اللغوية المذكورة في مفهوم الازدواجية عند فيرجسون ومن تابعه من الباحثين. إن تحديد فيرجسون للوظائف اللغوية لمستوياته التي حددها هو تحديد وظائف معرفي، وبنوي، وتوزيعي، وطبقي، وموقفي، وتكاملي في الآن نفسه. وقد قام نموذج الازدواجية على مستويين أحدهما ذو المكانة العليا، والآخر ذو المكانة الدنيا، يتكاملان وظيفياً، ويتميزان باختلافات بنيوية واضحة. فالوظائف العليا مرتبطة بالمجالات المكتوبة، والشفوية الرسمية، في حين ترتبط الوظائف الدنيا بالمجالات الشفوية غير الرسمية. ويقوم الاختيار اللغوي عنده على الموقف الخارجي، ففي مجموعة معينة من المواقف اللغوية يكون التنوع اللغوي الأعلى هو الملائم، وفي مواقف أخرى يكون التنوع الأدنى هو الملائم، وقد حدّد سياقات استخدام هذين النوعين بأنها منفصلة ومتكاملة وظيفياً واجتماعياً، كما حدّد أيضاً طريقة تحصيلهما بالتعلم للمستوى الأعلى، وبالاكتساب للمستوى الأدنى.

وإذ تأتى الدراسة الحالية ضمن الإطار الذي رسمه فيرجسون دون تعارض مع حدود مستوياته أو وظائفه أو معايير، فتتناسق معها، فإنها تركز على وظائف أخرى داخل تلك الوظائف والمستويات، من خلال ملامسة ما ذكره فيرجسون في قضية الاختيار اللغوي. ومسألة الاختيار اللغوي عند فيرجسون هي مسألة تقريرية انتقدتها العديد من الدارسين، فعلى سبيل المثال ذهب فيشمان في نموذج الوظيفة للازدواجية بأنه قد تملأ لغات (تنوعات) مختلفة نماذج وظيفية مختلفة^(١). وانتقدته بسيوني ٢٠١٨م^(٢)، بأن تقريره في دور الموقف في الاختيار اللغوي لم يأخذ في حسابه الأهمية المحتملة لدور الفرد في ترجيح أنماط من الاختيار اللغوي هي محل اتفاق المجتمع وتغييرها في نهاية المطاف.

(1) Fishman, 1968.

(٢) بسيوني، ٢٠١٨م، ص ١٥.

انطلقت الدراسة الحالية من هذه النقطة، وأن الاختيار اللغوي هو خيار اجتماعي، ومسألة اجتماعية يتم الاختيار فيها في ضوء عوامل ودوافع وحاجات وسياقات مجتمعية؛ وعليه فإنها تبحث في الوظائف الاجتماعية كما جاءت عند جاكسون ١٩٦٠م، وهاليداي ١٩٨٥م، حيث يرى جاكسون أن وظائف اللغة تتوزع بين الوظائف الداخلية للغة نفسها من جهة، وبين المتكلم والمخاطب، وأجزاء الرسالة اللغوية من جهة أخرى، وحدد الوظائف اللغوية، بالوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإفهامية، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة الانتباهية، والوظيفة الماورائية^(١). أما هاليداي فحدّد الوظائف اللغوية بالوظيفة النفعية، والوظيفة التنظيمية، والوظيفة التفاعلية، والوظيفة الشخصية، والوظيفة الاستكشافية، والوظيفة التخيلية، والوظيفة الإعلامية^(٢)؛ ولذلك فدراستنا تلامس مفهوم الاختيار اللغوي عند فيرجسون ١٩٥٩م من خلال البحث في الدوافع التعبيرية، والتأثيرية، والنفعية، والتنظيمية، والتفاعلية، والشخصية، والإخبارية، والسلطوية، والإخفاء والإضمار، والوظائف الاجتماعية التي تنتج عنها، والتي تدور جميعاً ضمن حدود الوظائف اللغوية الرئيسة التي ذكرها فيرجسون ١٩٥٩م للغة العربية وإطارها. وتناولتها الدراسة في إطار مكتوب ومحدد وهو مجال وسائل التواصل الاجتماعي في ضوء متغيرات اجتماعية ثلاثة هي متغير الجنس، والتعليم، والموضوع. وقد خرجت الدراسة بوظائف اجتماعية محددة ضمن الوظائف والدوافع العامة التي تم اعتمادها في الأدبيات اللغوية واللغوية الاجتماعية وضمن إطار محدد وهو تحويل الشفرة. وقد خرجت الدراسة بخمس وظائف لاستخدام الفصحى والتحول إليها وهي: بيان المكانة والتأنق والتطور، وبيان أهمية الخطاب، والاقتباس، وإبراز الجدية وتقديم صيغ تعبيرات رسمية، والتنظير والوعظ، مثلما خرجت بسبع وظائف لاستخدام العامة والتحول إليها هي: التأثير التداولي وإظهار معنى محدد، والسخرية والنقد والتهكم والفكاهة، والاقتباسات، وتبسيط الفكرة، واستخدام

(1) Jakobson, 1960, p. 350 - 377.

(2) Halliday, 1985.

التعبيرات الاعتيادية المألوفة للحياة اليومية، والتوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة، والاستخدام المشترك المألوف وإظهار الهوية (المحلية) مع المجموعة.

وبشكل عام مثل استخدام الفصحى ابتداءً والتحول إليها عند السعوديين في وسائل التواصل الاجتماعي في هذه الدراسة نسبة ٨٧٪، في حين مثل استخدام العامية ابتداءً والتحول إليها نسبة ١٣٪. ويتضح الفرق الكبير بين النسبتين، مما يمكننا من القول إن استخدام الفصحى في وسائل التواصل الاجتماعي عند السعوديين هو الغالب، وإن استخدام العامية يعد محدوداً مقارنة بالفصحى. وبالنظر إلى نسبة الاستخدام فيما يتعلق بالتغيرات، فقد استخدم الذكور الفصحى وتحولوا إليها بنسبة ٨٨٪، في حين استخدموا العامية وتحولوا إليها بنسبة ١٢٪ فقط. وفي المقابل استخدمت الإناث الفصحى بنسبة ٩٢٪ واستخدمن العامية بنسبة ٨٪، مما يدل على أن النساء يملن إلى استخدام الفصحى في مقابل العامية أكثر من الرجال، ولتفسير هذه الإشارة فإننا سننظر فيها من ناحيتين: الأولى غلبة استخدام الفصحى في مقابل العامية عند الذكور والإناث، والثانية غلبة استخدام الفصحى على العامية عند النساء في مقابل الرجال حيث يتوافق استخدام الفصحى مع طبيعة النص المكتوب وهو تفسيري تناغم مع تحديد فيرجسون ١٩٥٩م، لوظائف المستوى الأعلى (الفصحى) بأنه يختص بالكتابة والتقييد، والتفاعل الشفوي الرسمي. إضافة إلى طبيعة نوعية العينة التي تمت دراستها، فكونها محددة بسياقات معينة هي وسائل التواصل الاجتماعي فإنها فرضت متغيرات خارجية وقيوداً معينة حيث إن امتلاك حسابات في وسائل التواصل استبعدت غير المتعلمين وأخرجتهم من الملاحظة وكذلك الأطفال وهم جميعاً مستخدمون أساسيون للمستوى المقابل للفصحى وهو المستوى العامي مما رفع من نسبة استخدام الفصحى وأظهره بصورة المسيطر خصوصاً أن جميع من شملتهم الدراسة هم في مستوى تعليمي جيد وكاف للسيطرة على الفصحى وامتلاك أدواتها مما يمكنهم من استخدامها، وتبقى الفروق بين أصحاب التعليم الأعلى والجامعي فروقاً للتمايز وإدراك الفروق الدقيقة فقط.

أما غلبة استخدام الفصحى على العامية عند النساء في مقابل الرجال فيتماشى مع ما يشير إليه كل من والترز ٢٠٠٣م^(١) وميجدل ٢٠٠٠م^(٢) من وجود نزعة بين النساء المتعلّمات لاستخدام العديد من المتغيرات القياسية في الحديث الرسمي. وهو ما ذهبت إليه أبو حيدر من نزوع النساء إلى استخدام الفصحى أكثر من الرجال. ويمكن أن يكون ما ذهبت إليه بسيوني ٢٠١٠م^(٣)، من أن هناك علاقة مباشرة بين اختيار العلامة اللغوية والهوية، حيث تحدثت عن تكرار ملامح العربية الفصحى المعاصرة في حديث النساء في المجال العام وأنه من غير الممكن قياسه بدون فهم أي جزء من هويتهن يرغبن في إظهاره، حيث يظهرن في البرامج العامة كمتعلّمات، ويستخدمن العربية القياسية المعاصرة مثل الرجال تماماً وليس لديهن أدنى مشكلة في استخدام العربية الفصيحة. بل إنهن يستخدمن الفصحى القياسية المعاصرة كعلامة للسلطة. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه العلي وعرفة ٢٠١٠م، من أن النساء يستخدمن المتغيرات المتحضرة غير المحلية ذات المكانة^(٤).

وأما ما يتعلق بمتغير التعليم فنجد أن استخدام الفصحى والتحول إليها عند أصحاب المستوى التعليمي الأعلى بلغت نسبته ٩١.٥٪ في مقابل استخدام العامية والتحول إليها التي بلغت نسبته ٨.٥٪، أما أصحاب المستوى الجامعي فقد بلغت نسبة استخدامهم للفصحى والتحول إليها ٨٠.٥٪ في مقابل استخدامهم للعامية الذي بلغ ١٩.٥٪، مما يشير إلى أن أصحاب المستوى التعليمي الأعلى يستخدمون الفصحى أكثر من أصحاب المستوى التعليمي الجامعي الذين أظهروا استخداماً للعامية أكثر من نظرائهم أصحاب المستوى التعليمي الأعلى، وهي نتيجة تؤكد ربط فيرجسون للمستوى اللغوي الأعلى للغة العربية بالتعليم والمكانة الأعلى، وتعكس موقف لابوف ١٩٧٢م، وتروجيل ١٩٨٣م من لغة

(1) Walters, 2003.

(2) Mejdell, 2000. p.19.

(3) Bassiouney, 2010. p. 119.

(4) Al - ali, & Arafa, 2010.

الطبقة الاجتماعية الوسطى وارتباطها بالمكانة الصريحة، ويمكن تفسير هذا الاختلاف في ضوء القدرة اللغوية حيث يفترض أن أصحاب التعليم الأعلى أكثر تمكناً في امتلاك أدواتها، والحصول على التدريب الضروري وامتلاك الخبرة في مفهوم والترز ١٩٩٦م، في مقابل الافتراض بأن ذوي التعليم الجامعي تنقصهم تلك الأدوات وينقصهم المran مما يجعلهم يستسهلون اللجوء إلى المستوى العامي الأسهل لهم والأقرب إلى نفوسهم والأكثر مألوفية لديهم. ويمكن النظر إليه في ضوء حديث لابوف ١٩٧٢م، وتروجيل ١٩٨٣م عن لغة الطبقة العاملة والمكانة الخفية التي يحرص أعضاء تلك الطبقة على إبرازها والاعتزاز بها كنوع من المكانة الخفية، وأن هؤلاء ينظرون إلى لغة الطبقة الوسطى كنموذج يحرصون على التقارب معه والالتقاء به.

وفيما يتعلق بوظائف استخدام الفصحى والتحول إليها عند السعوديين في وسائل التواصل الاجتماعي فقد كان مركزها دوافع شخصية يعبر فيها الفرد عن رؤياه الخاصة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة؛ ومن ثم يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين. ومن خلالها تنعكس شخصية الفرد ويفصح عن مستواه العقلي وعن مكانته الاجتماعية، وتنعكس من خلالها صفات وخصائص كل فرد^(١)، وتمثلت هذه الدوافع في وظيفة استخدامها لبيان المكانة والتأنق والتطور ورسم صورة المتحدث وشخصيته، كما كان دافعها أيضاً تعبيرياً إخبارياً للتصريح بالأفكار والأحاسيس والمشاعر والحاجات وطرح الموضوعات والحقائق، ونقل معلومات جديدة وخبرات متنوعة^(٢)، مثلما تمثل في وظيفتي استخدامها في بيان أهمية الخطاب، وإبراز الجدية وتقديم صيغ تعبيرات رسمية، وكذلك انطلقت من دوافع مرجعية حيث يتم تثبيت مراجع ومصادر المعلومات المنقولة، التي يتم تضمينها أو الإشارة إليها في النصوص اللغوية المستخدمة، مثلما ظهر في وظيفة استخدامها في الاقتباس، وأخيراً انطلقت من دوافع تنظيمية سلطوية تقوم على «افعل كذا، ولا تفعل كذا» ومن خلالها يحاول الفرد

(1) Halliday, 1985.

(2) Halliday, 1985.

أن يوجّه سلوك الآخرين، ويوصل المعارف والأفكار، وينبّه على المطلوب أمراً ونهياً⁽¹⁾، وتمثل ذلك في وظيفة التنظير والوعظ.

ويرتبط استخدام الفصحى لهذه الوظائف الخمس بالوظائف اللغوية التي أشار إليها فيرجسون كتشكّل عالٍ يحظى بالمكانة المرموقة، والصفة الرسمية، وكونه لغة السلطة والطبقة العليا ولغة الأدب الرفيع، مما جعلها خياراً للذكور والإناث في غالبية الموضوعات، وهو ما غلب استخدام أصحاب المستوى التعليمي الأعلى الذي قد تكون ساعدته قدرته اللغوية على استخدام هذا المستوى واستثماره وتطويره لمقاصده. ويتناغم استخدام وظائف الفصحى مع ما ذهب إليه فيرجسون ١٩٥٩م، ومع مفهوم الطبقة الاجتماعية عند لابوف ١٩٧٢م، وترودجيل ١٩٨٣م، فاللامح اللغوية تشكل العلامات الأسلوبية وتوزعها ضمن مكانة الطبقة الوسطى أو العاملة، وهذه الأساليب هي إشارات لمعايير تصنف المتحدثين فيما يتعلق بسمات المكانة مثل التأدب والتطور. وما غلبة أصحاب مستوى التعليم الأعلى في استخدام المستوى الأعلى الفصيح إلا ميلاً إلى استخدام متغيرات غير محلية وذات مكانة كما أشار إلى ذلك محمد علي وهبة ٢٠١٠م، أو ما اعتُبر السلوك الأقل محافظة في التغيير اللغوي عند إنعام الوعر ٢٠٠٩م، أو الالتزام باعتقادات معينة بضرورة الالتزام بهذا المستوى عند من امتلك التدريب ويمتلك الخبرة كما هو عند والترز ١٩٩٦م. ويمكن النظر إلى استخدام الفصحى لهذه الوظائف الخمس كعلاقة مباشرة بين اختيار العلامة اللغوية والهوية حيث ينظر إلى الفصحى كعلامة مثالية محضة يسعى المستخدمون للتعبير بها عن هويتهم ولإظهار الجزء المهني المسؤول في شخصيتهم كما هو عند بسيوني ٢٠١٠م.

ويتوافق التحول الشفوي إلى الفصحى في استخدام هذه الوظائف مع دراسات تحول الشفرة في التفاعل الشفوي في وظيفة بيان أهمية الخطاب كما هو عند البريني ٢٠١١م، واستخدامها في الاقتباس كما هو عند جومبرز ١٩٨٢م، وجروسجين ١٩٨٢م،

(1) Halliday, 1985.

وسعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م، واستخدامها في بيان جدية المتحدث وتقديم صيغ تعبيرات رسمية كما هو عند البريني ٢٠١١م فقط، وغاب استخدام الفصحى لبيان الأهمية والمكانة والتأنق والتطور، واستخدامها للتنظير والوعظ في جميع دراسات التحويل الشفري في التفاعل الشفوي. ولم ترد الأولى في أي من الدراسات السابقة، ووردت الثانية فقط عند البريني ٢٠١٦م في دراسة وسائل التواصل الاجتماعي.

ويمكن فهم موافقة الاستخدام لهذه الوظائف في التحول الشفري للنص المكتوب في وسائل التواصل الاجتماعي مع نتائج دراسات التحول الشفري في التفاعل الشفوي في نوعية الوظائف وخصوصيتها والدور الذي تؤديه بأنها من الوظائف التي لا يستغنى عنها وتصلح للسياقين الشفوي والمكتوب في الوقت نفسه.

أما الوظائف التي لم ترد في الدراسات السابقة في التفاعل الشفوي أو تلك التي اختصت بها هذه الدراسة فيمكن ردها إلى ارتباطها بطبيعة العربية ومستواها الأعلى ومناسبتها للنص المكتوب الذي يعطي مساحة للتفكير والإعداد والمراجعة وتحديد الهدف المقصود والأثر المراد إيصاله، كما أن طبيعة المساحة الممنوحة للكاتب في وسائل التواصل الاجتماعي وخصوصاً في تويتر - وهذا ينطبق على الوظيفة الأولى تحديداً ويمكن أن يسري على الأخيرة - هي مساحة محددة لا تتجاوز ٢٨٠ حرفاً مما يجبر الكاتب على اختصار عباراته لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها من خلال ما يكتب، وهذا أمر يدعو إلى التركيز والتكثيف مما يجعل هدفه من إبراز المكانة والتأنق والتأدب والتطور واضحاً جلياً من خلال إبرازه ما يقصد إليه في عبارات موجزة وهو أمر تمثله السلطة اللغوية التي تتجلى في الشكل والمضمون كما وردت عند رولان بارت^(١).

أما وظائف استخدام العامية والتحول إليها عند السعوديين في وسائل التواصل الاجتماعي فقد كان مركزها دوافع تأثيرية إقناعية تعتمد استخدام العبارات النابضة

(١) بارت، ترجمة عياشي ١٩٩٣.

بالحياة في أذهان المستخدمين والهادفة والمؤثرة والمدرسة، كذلك عند استخدام أساليب وأدوات لغوية معينة، يمكن من خلال ذلك التأثير في تصرفات الآخرين وفي طريقة اختيارهم للأفكار أو المواقف المطلوب التوصل إليها، وتمثلت في وظيفة استخدام العامية للتأثير التداولي وإظهار معنى محدد، ودوافع الإخفاء والإضمار، من حيث إن اللغة تحمل في ذاتها وسائل للإخفاء والإضمار، حيث يتخذ كل فرد الحيلة والحذر في كلامه، فيضمر كل ما يمكن أن يحاسب عليه، وتعود ضرورة الإخفاء في اللغة إلى وجود محرمات أخلاقية وسياسية وغيرها من جهة، وإلى سعي المتكلم إلى تجنب النقد والاعتراض الذي قد يوجه إليه من قبل الآخرين، ويرى ديكر^(١) أن اللغة ليست مجرد شرط لحياة اجتماعية أو أداة لنقل أخبار واضحة وجلية، بل إنها نمط لحياة اجتماعية ومعايشات يومية، فهي حاملة للأنظمة السياسية والدينية والأخلاقية ولطقوسها التحريمية، لتصبح اللغة والحالة هذه إستراتيجية تعتمد على الحساب والتقدير المسبق للنتائج^(٢). وتمثلت هذه الدوافع في وظيفتي استخدام العامية للسخرية والنقد والتهكم والفكاهة، وكذلك وظيفة التوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة. وانطلقت أيضاً من دوافع مرجعية حيث يتم تثبيت مراجع ومصادر المعلومات المنقولة، التي يتم تضمينها أو الإشارة إليها في النصوص اللغوية المستخدمة مثلما ظهر في وظيفة استخدام العامية في الاقتباسات، وكذلك ارتكزت على دوافع تواصلية تقوم على نقل المعلومات وتبادل المعرفة والمشاعر والأخبار وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة بين البشر وتخدم التواصل اليومي بين أفراد المجتمع. وتفترض عملية التواصل هذه أن تكون اللغة ناقلة للأفكار والمشاعر بشكل قابل للإدراك والفهم من كلا الطرفين، وهذا يتم في حالة تواجد لسان مشترك يتناول خبرة مشتركة، وهي بذلك تحدد حجم مشاركة الفرد كما تحدد مقدار نجاحه في الحياة العملية والاجتماعية. وتمثلت الدوافع التواصلية في وظيفة استخدام العامية لتبسيط الفكرة، ووظيفة استخدامها في نقل التعبيرات الاعتيادية المألوفة للحياة اليومية. وأخيراً انطلق

(١) انظر المبخوت، ١٩٩٨م

(٢) المبخوت، ١٩٩٨م، ص ٣٥٣.

استخدام العامية من دوافع تفاعلية وهي وظيفة «أنا وأنت» حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكك من أسرجماعتة، فنستخدم اللغة في المناسبات، ولإظهار الاحترام والتأدب مع الآخرين^(١)، وهي تمثل الدافع التفاعلي في استخدام العامية للمشارك المؤلف، وإظهار الهوية المحلية مع المجموعة.

ويرتبط استخدام التحول إلى العامية لهذه الوظائف السبع بالإيديولوجية اللغوية كما وردت عند سوزان ستادلبور ٢٠١٠م التي تربط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية حيث يتم استخدام التنوعات اللغوية بشكل إستراتيجي للوصول إلى قوة تأثير العلامة اللغوية لهذه الإيديولوجيات والحصول على القوة التواصلية المطلوبة. وهو ما ذهبت إليه بسيوني ٢٠١٤م أيضاً. وقد يكون مرده الوصول إلى الدلالات والإيحاءات المستمدة من البيئة المحلية طمعا في استيعاب المتلقي لتلك الدلالات ورغبة في مخاطبة المشترك المؤلف مع الناس، وكون العامية مستقرة في النفس وأقرب في التعبير عن المشاعر، ولكونها المستوى الأكثر فهما للمتلقى. وما نقل المشترك المؤلف في هذه الوظائف إلا محاولة لإظهار الهوية المحلية والانتماء إلى تلك المجموعة. وتذهب كليركرامش ٢٠١٠م إلى أن هناك صلة طبيعية بين اللغة التي تتحدث بها جماعة اجتماعية من الناس وبين هوية هذه الجماعة، وتشرح ذلك بأنه من خلال اللهجة التي ينطقون بها، والمفردات وأنماط الخطاب التي يستخدمونها، يقوم الناس بتعريف أنفسهم وهم لا يشعرون، ويعرفهم الآخرون بوصفهم أعضاء في هذه اللغة، أو تلك، أو هذا الخطاب الاجتماعي، أو ذاك. وتضيف كرامش أنه من خلال هذه العضوية يستمد الأفراد قوتهم الشخصية وكبرياءهم الوطنية. كما أنهم من خلال استخدامهم لنفس اللغة التي تستخدمها الجماعة التي ينتمون إليها، يستمدون إحساسهم بأهميتهم الاجتماعية، وتواصلهم التاريخي^(٢). ويمكن فهم استخدام العامية للوظائف الاجتماعية السبع المذكورة في ضوء فكرة أيديولوجية الأفراد الخاصة بهويتهم

(1) Halliday, 1985.

(٢) كرامش، ٢٠١٠م. ص ١١٢.

وبيئتهم ومجتمعهم كما وردت عند إيكيرت^(١). فتستنبط هذه الوظائف من السياق الاجتماعي العامي، وهذا السياق هو نتاج تراكمات أيديولوجية ناتجة عن تفاعل الأفراد مع بيئتهم المحيطة، وهو نتاج نظام اجتماعي وأيديولوجي نشأ فيه أفراد المجتمع وأجبرهم على فهم معين للمكونات اللغوية والاجتماعية. وتبعاً لهذا المنظور يصبح الفرد ذا هوية اجتماعية بسبب تعرضه لأيديولوجيات بيئته من خلال عضويته في مجتمعه^(٢). والهوية كما تشير بيسيوني ٢٠١٨م، تتشكل ضمن ما تتشكل منه من العقيدة المتعلقة بموقف الفرد من القضايا ونظرته لسياقه الاجتماعي والثقافي، حيث إن الهوية: «ممارسة، وأيديولوجيا، وإدراك»^(٣).

ويتوافق التحول الشفري إلى العامية في استخدام هذه الوظائف مع دراسات تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي في وظيفة استخدام السخرية والنقد والتهمك والفكاهة كما هو عند سعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م، واستخدام العامية للاقتباس كما هو عند جومبرز ١٩٨٢م، وجروسجين ١٩٨٢م، وسعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م، واستخدامها في تبسيط الفكرة كما هو عند سعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م، واستخدامها للتعبيرات المألوفة في الحياة اليومية كما هو عند البريني ٢٠١١م، واستخدامها للتوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة كما هو عند البريني ٢٠١١م، واستخدامها في نقل المشترك المألوف مع المجموعة وإظهار الهوية المحلية كما هو عند جروسجين ١٩٨٢م، ورومين ١٩٩٥م.

أما وظيفة استخدام العامية في التأثير التداولي وإظهار معنى محدد فقد اقتصر فقط على سياق التواصل الاجتماعي كما هو عند شرف الدين ٢٠١٤م، والأصلع ٢٠١٨م. واقتصرت بعض الوظائف على السياق العربي فقط ولم ترد في دراسات تحويل الشفرة الغربية كوظيفتي استخدام العامية للسخرية والنقد والتهمك، والفكاهة، وتبسيط

(1) Eckert, 2006.

(٢) الغالي، ٢٠١٩م، ص ٤٣.

(٣) بيسيوني، ٢٠١٨م، ص: ٩٠.

الفكرة الذي ورد عند سعيد ١٩٩٧م، والبريني ٢٠١١م فقط. ووظيفة استخدام العامية للتعبيرات المألوفة في الحياة اليومية التي وردت فقط عند البريني ٢٠١١م في السياق الشفوي وفي سياق التواصل الاجتماعي عنده في دراسته ٢٠١٦م، وكذلك شرف الدين ٢٠١٤م، والأصلح ٢٠١٨م. ومثلها استخدامهما في التوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة التي وردت فقط عند البريني في دراستيه للتحويل الشفوي في التفاعل الشفوي ٢٠١١م، وفي سياق وسائل التواصل ٢٠١٦م، والأصلح ٢٠١٨م.

ويمكن فهم موافقة الاستخدام لهذه الوظائف في تحويل الشفرة للنص المكتوب في وسائل التواصل الاجتماعي مع نتائج دراسات تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي بلامح هذه الوظائف وعموميتها وضرورات وضوابط النقل والاقتباس التي تحكم نقل العبارة أو النص بنفس ملامحها، وكون المتحدث عضواً في مجتمع كلامي وجماعة لغوية، لا يستطيع الانفصال عنها، ولا يخرج عن معاييرها؛ بل إنه يعتمد إلى اعتماد المؤشرات وتضمين الإشارات التي تؤكد انتماء إلى المجموعة التي هو منها. أما الوظائف المقتصرة على السياق العربي في نطاق استخدام العامية فهي وظائف انفعالية حميمية مرتبطة بالمشاعر وردود الفعل والتعبير التلقائي المرتبط بالمستوى اللغوي القريب للنفس الذي يتم استخدامه في المواقف التعبيرية التأثيرية المتداولة وهو المستوى العامي، وارتباطه بالعربية. وذلك يمكن فهمه في ضوء المستوى اللغوي الأدنى (العامي) الذي حدده فيرجسون ١٩٥٩م للتفاعل الشفوي غير الرسمي وللوظائف الدنيا ولموضوعات الحياة اليومية.

ويمكن تفسير وظيفة استخدام العامية والتحول إليها للتأثير التداولي وإظهار معنى محدد، وارتباطها بسياقات وسائل التواصل الاجتماعي، وعدم ورودها في دراسات تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي، بارتباطها بالوظيفة التداولية للغة، حيث إن اللغة تأثيراً تداولياً يدركه المتحدث منشئ الخطاب، ويرغب في استثماره. وإن كانت طبيعة سياقات التفاعل الشفوي تسمح للمتحدث باستخدام مؤشرات سياقية متعددة لإحداث التأثير التداولي يمكن ملاحظة نتائجه آنياً، فإن طبيعة النص المكتوب في سياقات وسائل

التواصل الاجتماعي الذي يفقد الملامح والمميزات السياقية القائمة على التفاعل التي يستثمرها التفاعل الشفوي، يفرض على منشئ الخطاب أن يخلق أدوات جديدة لإحداث الفعل التداولي والتأثير المرغوب فيه، في ظل سلطة لغوية تحكم منشئ الخطاب من ناحيتي الشكل والمضمون كما يقول رولان بارت^(١) الذي يرى أنه على مستوى الشكل لا يمكن للفرد أن يمارس اللغة دون أن يخضع لضوابطها وقواعدها النحوية والتركيبية، أما على مستوى المضمون فيعني استبطانه لمختلف القيم والمضامين الفكرية التي تختزنها اللغة بحيث تصبح جزءاً من شخصية الفرد وتمارس عليه سلطة سواء على مستوى القول أو الفعل^(٢). وأوضح ما تكون هذه السلطة في طبيعة التدوين في وسائل التواصل الاجتماعي المحكومة في حالتنا التي ندرسها - وهي تويتر - بمساحة محددة تفرض على المتحدث ألا يتجاوز ٢٨٠ حرفاً وأنه يجب عليه أن يصيغ أفكاره ومحتواها، ويحدد إستراتيجياته التأثيرية ضمن هذه المساحة، مما يدعو إلى تكثيف العوامل المساهمة في التأثير الدلالي والتداولي المقصود والتنازل عن ملامح لغوية أخرى مما أسهم في إبراز هذه الوظيفة في نصوص خطابات وسائل التواصل الاجتماعي.

ومن جهة أخرى اقتصرت بعض الوظائف على تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي ولم ترد في التحويل الشفوي في الخطاب المكتوب في وسائل التواصل الاجتماعي، مثل وظيفة التكرار التي وردت عند جومبيرز ١٩٨٢م، لخصوصية ارتباطها بالتفاعل الشفوي ولعدم مناسبتها لطبيعة نصوص مدونات وسائل التواصل الاجتماعي المحدودة المساحة وعلى الخصوص تويتر، وكذلك وظيفة تحديد المخاطب كما وردت عند جومبيرز ١٩٨٢م، وجروسجين ١٩٨٢م؛ لأن طبيعة التخاطب في وسائل التواصل لا تستهدف مخاطباً محدداً بعينه، وكذلك وظيفة تحويل الشفرة لتحفيز مواصلة الاستخدام اللغوي والاستمرار كما وردت عند جروسجين ١٩٨٢م، لارتباطها بطبيعة التفاعل الشفوي الذي يعتمد على استثارة الآخر للحديث وإكمال الموضوع. ومن وظائف تحويل الشفرة التي

(١) بارت، ترجمة منذر عياشي، ١٩٩٣م

(٢) بارت، ترجمة منذر عياشي، ١٩٩٣م، ص ٦١.

وردت في سياق التفاعل الشفوي ولم ترد في وسائل التواصل الاجتماعي وظيفة التحويل لنقل ما يعده المتحدث سرياً مثلما وردت عند جروسجين ١٩٨٢م؛ لأنها من الوظائف المرتبطة بالتفاعل الشفوي القائمة بين متحدثين، ولا تتناسب مع طبيعة نصوص وسائل التواصل الاجتماعي التي لا تخاطب متحدثاً معيناً، بل هي موجهة لفضاء عام تطرح فيه الموضوعات العامة وليست سرية. فكل ما يطرح فيه يعدّ عامّاً يهدف إلى الانتشار. ومنها أيضاً وظيفة تحويل الشفرة للعمل على حشو الجملة، والتحول إلى موضوع جديد كما أوردهما رومين ١٩٩٥م، وبنهايلا ١٩٨٣م للوظيفة الأخيرة، حيث إنهما يختصان بسياقات التفاعل الشفوي ولا يناسبان سياق وسائل التواصل الاجتماعي المحدودة المساحة التي تتنافى مع الحشو والتكرار، حيث تختص التغريدة بموضوع واحد محدد ولا يسمح فيه للانتقالات بين الموضوعات عكس التفاعل الشفوي القائم على الانتقال بين الموضوعات. ومثلها أيضاً وظيفة التحول الشفوي للحصول على الحديث، وبسبب عدم وجود الكلمات المناسبة، لارتباطهما بطبيعة التفاعل الشفوي القائم على الآنية وعدم وجود الوقت الكافي الذي يمكن المتحدث من الإعداد والاستذكار.

وأخيراً ينبغي ملاحظة أن مجتمع الكلام مختلف بين السياقين في تحويل الشفرة في التفاعل الشفوي وتحويل الشفرة في الخطاب المكتوب في وسائل التواصل الاجتماعي حيث إنه في الأول يعدّ محدداً ومعروفاً ويمثل المخاطب جزءاً منه وكذلك المتلقي، أما في وسائل التواصل الاجتماعي، فإن المتلقي يعدّ مختلفاً. فليس هناك متلق معين مقصود بذاته، بل إن مجتمع الكلام في هذه الحالة قد اتسع وأصبح غير محدد وقد لا يكون معروفاً، مما يجعل ملامح الخطاب وخصائصه تختلف باختلاف مجتمع الكلام.

دور المحيط الحضري في الموقف من اللهجة المحلية واستخدامها

لهجة القصيم نموذجاً

دراسة لسانية اجتماعية^(١).

تهتم هذه الدراسة بالبحث في دور المحيط الحضري في مواقف متحدثي اللهجة المحلية لمنطقة القصيم من لهجتهم، واستكشاف تأثيرها في الاستخدام، ودراسة مدى ارتباط هذه المواقف بالاستخدام تبعاً للمتغيرات الاجتماعية (مستوى التعليم، والفئة العمرية، والجنس ومكان الولادة).

وتستند هذه الدراسة إلى مهاد نظري يقرّ بأنّ للمواقف دوراً مهماً في المساعدة على فهم كيف يشعر المتحدثون باللغة، وأنها تقربنا إلى فهم الأيديولوجيات اللغوية للمتحدثين. وتلقي هذه الأيديولوجيات الضوء على القيم التي يمتلكها المتحدثون بشأن اللغة التي يتكلمونها أو التنوع اللهجي الذي يستخدمونه أو اللغات الأخرى التي يتعاملون معها. وانطلاقاً من أنّ استكشاف المواقف اللغوية في مجتمع معين أمر بالغ الأهمية لفهم المعنى الاجتماعي للهجات المختلفة ضمن المجتمع، اتجهت هذه الدراسة إلى البحث في تأثير المحيط الحضري في مواقف متحدثي اللهجات الإقليمية من لهجاتهم، واستكشاف تأثيرها في الاستخدام، ودراسة مدى ارتباط هذه المواقف بالاستخدام تبعاً للمتغيرات الاجتماعية. وقد سعت إلى معرفة ما إذا كان هنالك مواقف إيجابية نحو اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض، ومعرفة مستوى استخدامها بين متحدثيها من أهلها في مدينة الرياض، ومعرفة الارتباط بين مواقف المتحدثين من أهل القصيم في مدينة الرياض تجاه لهجتهم، ودرجة الاستخدام التي ذكروها، مثلما سعت الدراسة إلى استكشاف الدور الذي تؤديه المتغيرات الاجتماعية (مستوى التعليم، والفئة

(١) انظر الدراسة كاملة بإطارها النظري والتطبيقي منشورة في مجلة اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها، كلية اللغة العربية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد الخامس والعشرين، يونيو، ٢٠١٩م.

العمرية، والجنس ومكان الولادة)، في اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهلها في مدينة الرياض، وكذلك في الاستخدام. وقد تمّ ذلك من خلال المناقشة النظرية للمواقف اللغوية والتنوعات اللغوية العربية والمواقف اللغوية والطبقة الاجتماعية، والمكانة، والحدثة، والمتغيرات الاجتماعية والتنوعات اللغوية؛ إذ اعتمدته الدراسة مهاداً نظرياً للنقاش^(١).

اعتمدت الدراسة في اكتشافها المواقف من اللهجة السعودية الإقليمية القصيمية في مدينة الرياض وعلاقتها بالاستخدام على منهج مسحي مباشر من خلال أداتين هما استبانة صُممت لهذا الغرض ووُضعت على مستخدمي هذه اللهجة من أبناء منطقة القصيم، ومقابلة شفوية أجابت فيها العينة عن سؤالين: عن الأسباب التي تجعلهم يبقون على استخدام لهجتهم القصيمية خارج القصيم، والأسباب التي تجعلهم يغيرون من لهجتهم أو يتخلّون عن استخدامها (ولو مؤقتاً).

تكونت الاستبانة من ستة وعشرين عنصراً؛ الثمانية الأولى منها معرفية تتناول غنى اللهجة بالمفردات الفصيحة، وسهولة فهمها، ومفرداتها، والطريقة التي تنطق بها، ووضوحها، ومدى صعوبة التعبير بها مع الآخرين، ومدى استخدامها في كل الظروف، وعلاقتها بالهوية والأصل والانتماء. تلتها سبعة عناصر عاطفية، تتناول الحرج بالحديث بها أمام الآخرين، والإعجاب بطريقة نطقها، وتفضيل استخدامها مع أهل اللهجة ومع الآخرين، وجمالها، وعلاقتها بالهوية والانتماء الإقليمي، ثمّ أحد عشر عنصراً سلوكياً شملت التركيز عليها عند مخاطبة المتحدثين بها، ومدى تغييرهما لتتوافق مع لهجة أهل الرياض، واستخدامها خارج نطاق القصيم، وما إذا كان استخدامها مقصوراً على المحيط العائلي، أو مع الأصدقاء من نفس منطقة القصيم، أو مع الأصدقاء مهما كان أصلهم،

(١) تمّ دراسة ذلك بالتفصيل، ورأيت الاستغناء عنها هنا رغبة في عدم التكرار، ويمكن للقارئ الرجوع إلى الدراسة كاملة بإطارها النظري والتطبيقي، وهي منشورة في مجلة اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها، كلية اللغة العربية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد الخامس والعشرين، يونيو، ٢٠١٩م، وإيرادها هنا هو تكرار لما ورد في محتوى الكتاب في فصوله السابقة.

وفي كل الظروف ولكل الأغراض، ومدى استخدامها في المواقف والخطابات الرسمية، والقدرة على استخدام لهجات أخرى.

وزعت الاستبانة بإشراف الباحث على مجموعة كبيرة من الناطقين الأصليين بهذه اللهجة وجميعهم ينتمون إلى منطقة القصيم ويسكنون منطقة الرياض، وتمّ جمع ١٤٣٩ استبانة وتحليلها في ضوء متغيرات اجتماعية محدّدة هي الطبقة الاجتماعية والعمر والجنس ومستوى التعليم والتحضر، بقصد اكتشاف تأثير هذه المتغيرات في تغير المواقف من اللهجة الإقليمية، وما إذا كان ذلك يظهر في مستوى الاستخدام، وتولى الباحث تصنيفها وتحليلها ودراستها.

أما المقابلة فقامت على أسئلة مطلقة طمعا في دراسة المواقف بشكل أعمق ولتشجيع المفحوص على تقديم معلومات مفصلة. وقد روعي في أسئلة الاستبانة عدم استخدام الأسئلة المنفية، والمزدوجة، والتحيزية، وتمت صياغة إرشادات الاستخدام بوضوح، واشتملت الصياغة على بيان موضوع الاستبانة وأهميتها، وهدفها.

تبين من الدراسة أن مستوى المواقف من اللهجة القصيمية إيجابي بشكل عام حيث بلغ المتوسط الحسابي للبعد كاملاً (٢.٥٠) بانحراف معياري (٠.٤٠). كما يتبين أن جميع المواقف من اللهجة القصيمية تراوحت بين مواقف إيجابية، ومواقف محايدة، حيث إن المتوسط الحسابي عند جميع المواقف يتراوح بين (٢.٨٣ و ٢.٠٢)، وكان أكثر المواقف إيجابية تجاه اللهجة القصيمية متمثلاً في الموقف (٩) (أشعر بالفخر عندما أتحدث بلهجتي أمام الآخرين) حيث بلغ المتوسط الحسابي ٢.٨٣ وكان يمثل موقفاً إيجابياً، في حين تمثّل أقلّ موقف إيجابي تجاهها في الموقف (٣) (اللهجة القصيمية هي أوضح لهجة في السعودية) حيث بلغ المتوسط الحسابي ٢.٠٣ وهو يمثل موقفاً محايداً للمفحوصين تجاه اللهجة القصيمية بمجيئه أقلّ المواقف إيجابية.

وتبين من الدراسة أن مستوى المواقف تجاه لهجة القصيم بين متحدثيها في مدينة الرياض كان إيجابياً بشكل عام، وكان شعورهم بالفخر عندما يتحدثون بلهجتهم أمام الآخرين هو أبرز هذه الاتجاهات، تلاه تفضيلهم استخدام لهجتهم مع من ينتمون إلى نفس منطقتهم القصيم، وشعورهم أن استخدامهم للهجتهم يربطهم بهويتهم المحلية، وأن لهجتهم تشعرهم بانتمائهم الإقليمي، وأنهم لا يخلطون عند الحديث بها مع المتحدثين بلهجات أخرى، ويمكن استنتاج طغيان الناحية الشعورية والعاطفية على هذه المواقف. ويمكن فهم ذلك في ضوء كون المواقف اللغوية مكونات لأنماط موقفية وصور نمطية يكونها المتحدثون حول لغتهم، وفي ضوء خضوع المكانة الممنوحة للتنوعات اللغوية للتغير حسب المتحدث والحالة والسياق كما أشار إلى ذلك ترودجيل ١٩٧٢م^(١)، حيث إن الوضع النسبي للتنوعات اللغوية وفقاً للجمهور والحالة، والعناصر السياقية هي محلية بدرجة كبيرة؛ إذ تشير المكانة إلى القيم العالية نسبياً الموضوعة في الشكل غير القياسي للغة كما أشار إلى ذلك لابوف ٢٠٠٦م^(٢)، فالمكانة تستمد من مكانة متحدثيها عند كلوس ١٩٦٦م^(٣)، فهناك علاقة قوية بين مكانة مجموعة من الناس والمكانة الممنوحة للغة التي يتحدثونها^(٤)، وهو أمر يتوافق مع لهجة أهل القصيم ومكانة أهلها الاجتماعية واعتزازهم بذلك وسعيهم الدائم إلى الحفاظ على هذه المكانة، فمجتمع القصيم يحظى بمكانة عالية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. فعلى المستوى الرسمي هم قريبون من السلطة الرسمية، ويشاركون فيها، وفي وزاراتها ومؤسساتها الرسمية منذ قيام المملكة، ويدل على ذلك أن كثيراً من الوزراء ومسؤولي الوزارات وأصحاب المناصب العليا ينتمون إلى تلك المنطقة. وعلى المستوى الاقتصادي فإن غالبية رؤوس الأموال يمتلكها من ينتمون إلى هذه المنطقة، بدليل وجود كثير من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال من أهل تلك المنطقة. وعلى المستوى الاجتماعي يمتلكون الواجهة والمكانة الاجتماعية المرموقة،

(1) Trudgill.1972. p.194.

(2) Labov.2006. p. 58.

(3) Kloss.1966. p.143.

(4) Kahane.1986. p. 498.

وعلى المستوى الثقافي حظيت هذه المنطقة بالتعليم منذ بداياته الأولى، وبرزت الكثير من الأسماء في المجالات الثقافية والإعلامية والأكاديمية المرموقة؛ وعليه يمكن فهم إيجابية المواقف برغبة المستجوبين في اكتساب التميز والقبول والتضامن مع المجموعة التي تشير إلى هويتهم وانتمائهم لتلك المجموعة، كما أشار إلى ذلك تشامبرز ١٩٩٨م^(١). وهو يتوافق كذلك، مع نظرة لابوف لعناصر المكانة الخفية التي تنسب القيم الإيجابية إلى العامة التي يشترك فيها أعضاء مجموعة هذه الطبقة، وكذلك ما ذهب إليه ترودجيل ١٩٨٣م من أن تنوع الحديث غير القياسي يتضمن عناصر للمكانة الخفية التي تمنحها المجموعة لنفسها. ويمكن أيضاً، فهمه في ضوء ما ذهب إليه والترز ٢٠٠٦م، في تعليقه على استنتاج عبد الحق ١٩٩٨م، بأن استخدام العامة يعد وظيفياً ولا يستلزم التعلق والولاء، وبأن العرب عموماً يفضلون لهجاتهم أكثر من اللهجات العربية الأخرى في المناطق المختلفة، وهو دليل واضح على التعلق والولاء عند الكثيرين. ويلاحظ أيضاً طغيان المواقف العاطفية مقارنة بالمواقف المعرفية التي جاءت محايدة وأقل نسبة من غيرها وتمثل أقلها بكون اللهجة القصيمية هي أوضح لهجة في السعودية.

فيما يتعلق بالاستخدام فنلاحظ أن مستوى استخدام اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض مرتفع بشكل عام حيث بلغ المتوسط الحسابي للبعد كاملاً (٢.٤٧) بانحراف معياري (٠.٣٦٧)، كما يتبين أن جميع المواقف التي تقيس مستوى استخدام اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض كانت تتراوح بين مستوى استخدام مرتفع ومستوى استخدام منخفض، حيث إن المتوسط الحسابي عند جميع المواقف تراوح بين (٢.٨٧ و ١.٥٢)، وكان أكثر موقف يقيس مستوى استخدام مرتفع للهجة القصيمية متمثلاً في الموقف رقم (٥) (استخدم اللهجة القصيمية في المحيط العائلي) حيث بلغ المتوسط الحسابي ٢.٨٧. ويمثل الموقف مستوى استخدام مرتفع للهجة القصيمية، مما يعني أن أهل القصيم

(1) Chambers.1998. p. 85.

يستخدمون اللهجة القصيمية في المحيط العائلي بشكل مرتفع أكثر من أي موقف آخر. في حين كان أقل موقف يقيس مستوى استخدام منخفض للهجة القصيمية متمثلاً في الموقف رقم (٩) (استخدم اللهجة المحلية في المواقف والخطابات الرسمية) حيث بلغ المتوسط الحسابي ١.٥٢. ومثل الموقف مستوى استخدام منخفض للهجة القصيمية، وهذا يشير إلى أن أهل القصيم يستخدمون اللهجة القصيمية في المواقف والخطابات الرسمية بشكل منخفض.

وقد ظهر أن الاستخدام المرتفع بشكل عام، وكان أكثر تلك المواقف التي تقيس الاستخدام هو استخدامها في المحيط العائلي، تلاه تصريحهم باستخدامها خارج منطقة القصيم، واستخدام اللهجة القصيمية مع الأصدقاء مهما كان أصلهم، وجاء أقل تلك المواقف باستخدام منخفض هو استخدامها في المواقف والخطابات الرسمية. وهو استخدام يمكن فهمه في ضوء مفهوم الازدواجية اللغوية وتوزيعها الوظيفي، وتحديد فيرجسون للمستوى الأدنى بأنه مرتبط بالاستخدام في مجال الحياة اليومية، وفي نطاق العائلة والأسرة، والأقارب، والأصدقاء. ويؤكد هذا قلة استخدامها في السياق الرسمي الذي استبعده فيرجسون من نطاق المستوى الأدنى، وقصره حصراً على المستوى الأعلى الفصيح^(١).

وفيما يتعلق بالمواقف الإيجابية المرتفعة حيال استخدامها خارج منطقة القصيم، يمكن فهمها على أنها إفراط في استخدام هذا التنوع، وسعي لتشكيله كمياري ينبغي التلاقي والتقارب معه، وإصرار على أن المجموعات الأخرى ينبغي أن تفهم هذا التنوع باعتبار أهمية الطبقة الاجتماعية المتحدثة به. وهو تفسير يمكن أن يتلاقى مع ما ذهب إليه لابوف ١٩٧٢م، فيما يخص وجود المعايير المختلفة التي تنسب القيم على تنوع لغوي أدنى (عامي)، وأن الطبقات المختلفة تتلاقى بشكل موحد من حيث أنماط تحويل أساليبهم، وبإفراطهم في استخدام هذه التنوعات في حديثهم، فإنهم يظهرون انعدام الأمن اللغوي في استخدام تنوع المكانة الذي يختلف عن طبقتهم التي ترى في هذه التنوعات

(1) Ferguson. 1959.

المعيار الذي ينبغي أن تتلاقى وتتقارب معه^(١). ويتوافق إصرارهم على استخدامها خارج منطقة القصيم مع ما ذهب إليه جومبرز ١٩٥٨م، من سعي مجموعات المكانة الأعلى إلى تمييز نفسها عن المجموعات الأقل بإصرارها على أن تسعى المجموعات الأخرى (الأقل مكانة) إلى تقليد أنماط كلامها^(٢). وهو تبرير يتسق مع كون تنوع المكانة لمجتمع اللغة له أهمية رمزية وربما يعمل أداة للسلطة السياسية، حيث إن فكرة اللغة المعيار في المجتمع الكلامي مرتبطة بمكانة التنوعات المنطوقة في هذا المجتمع. وهو يتسق مع القول بالدور المحتمل للعواميات العربية وخاصة تلك التي في المدن العواصم كمعيار فوق محلي في المستويات الإقليمية، وأن العواميات الحضرية في المدن العواصم تمثل معياراً لغوياً وطنياً يؤثر في العواميات المحلية الأخرى^(٣).

وأظهرت النتائج أيضاً ارتفاع مستوى المواقف بعدم استخدام لهجة القصيم برغم القدرة على استخدامها، وكذلك عدم القدرة على استخدامها لعدم إحسان استعمالها، وتحويل مفردات اللهجة المحلية إلى المقابل من مفردات اللهجات الأخرى عند الحديث مع أصحابها. ويمكن فهم هذه النتائج في ضوء مفهومي التحضر وتأثيره في التنوعات اللغوية، وأن إحدى الملامح الرئيسية لاتجاهات التحضر تمثلت في التوسع والانتشار في المراكز الحضرية والإقليمية ونحوها، والتجاور بين التنوعات اللغوية المختلفة، ومثل هذا النمولة تأثير في التواصل اللهجي، والتغير والإحلال، ويؤدي التوسع الحضري إلى ظهور أو تركيز العواميات الحضرية، وإلى تغييرات لهجية عديدة، وإلى التفاعل بين عامية تلك المدن، والعاميات الأخرى التي انتقلت إليها.

فيما يتعلق بالارتباط بين مواقف المتحدثين من أهل القصيم في مدينة الرياض تجاه لهجتهم، ودرجة الاستخدام التي ذكروها، يتبين أن معامل ارتباط بيرسون بين المواقف

(1) Labov. 1972. p.198.

(2) Gumperz. 1958. p. 670.

(3) Miller, 2007. p. 49.

تجاه اللهجة القصيمية ودرجة استخدامها بلغ (٠.٧٦٣) وهذا يشير إلى وجود علاقة طردية موجبة دالة إحصائياً بين المواقف تجاه اللهجة القصيمية ودرجة استخدامها عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha=0.05$) حيث كانت قيمة الدلالة (٠) المقترنة بمعامل الارتباط أقل من ($\alpha=0.05$)، بمعنى أنه كلما زادت المواقف الإيجابية تجاه اللهجة القصيمية زادت درجة استخدامها بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض.

بعد أن تناولنا في الفقرات السابقة مستوى المواقف تجاه اللهجة القصيمية، ومستوى استخدام اللهجة القصيمية بين متحدثيها من أهل القصيم في مدينة الرياض، والارتباط بين مواقف المتحدثين من أهل القصيم في مدينة الرياض تجاه لهجتهم، ودرجة الاستخدام التي ذكروها، تناقش الفقرات التالية الدور الذي تؤديه المتغيرات الاجتماعية (مستوى التعليم، والفئة العمرية، والجنس، ومكان الولادة) في المواقف تجاه اللهجة القصيمية، وكذلك تأثيرها في الاستخدام. ويتضح أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بالنظر إلى جميع المتغيرات الاجتماعية؛ إذ يوجد فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية باختلاف متغير الجنس وكان الفرق لصالح الذكور، أي أن الذكور لديهم اتجاه مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الإناث. وفيما يتعلق بالاستخدام في ضوء المتغيرات الاجتماعية يتضح أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية مع جميع المتغيرات الاجتماعية؛ إذ يوجد فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية باختلاف متغير الجنس وكان الفرق لصالح الذكور أي أن الذكور لديهم درجة استخدام للهجة القصيمية أكثر من الإناث.

تتماشى هذه النتيجة مع ما ذهب إليه العلي وعرفة ٢٠١٠م من أن الرجال لديهم ميل أعلى إلى الحفاظ على استخدام المتغيرات المحلية، ومع ما ذهب إليه جمعه ٢٠١٥م من أن الرجال يستخدمون التعبيرات العامية أكثر من النساء^(١)، وما ذهب إليه الغالي ٢٠١٩م

(1) Gomaa. 2015. p.105.

من غلبة استخدام الفصحى على العامية عند النساء في مقابل الرجال^(١). ويمكن تفسير ذلك في ضوء ما ذهب إليه لابوف ١٩٧٢م من تفضيل النساء لأشكال المكانة مما يجعلهن يلتزمْنَ بالأشكال القياسية والمتحضرة ذات المكانة، وهو ما أكدته غالبية المبارك ٢٠١٦م، حين أوردت أن الإناث يستخدمْنَ نمطاً لغوياً يميل إلى التحضر^(٢)، وكذلك عمارة ٢٠٠٥م الذي توصل إلى أن النساء يملن إلى استخدام التنوعات الحضرية. ويفسر تروودجيل ١٩٧٢م، هذا الاستخدام في ضوء مفهوم المكانة، ذلك أنه للرجال مكانة خفية مرتبطة بالحديث بلهجة الطبقة الدنيا التي يستخدمونها^(٣)، ووفقاً لهذا التفسير فإن المرأة تستخدم اللغة المرتبطة بالمكانة الصريحة المتفقة مع ترتيب النظام الاجتماعي اللغوي المؤلف، في حين ينحرف الرجال عما هو متوقع مستخدمين نوعاً آخر من المكانة التي ترتبط بملامح يرغبون في إبرازها.

ويوجد فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية باختلاف متغير الفئة العمرية وكان الفرق لصالح الفئة العمرية (٣١ فأكثر) أي أن الفئة العمرية (٣١ فأكثر) لديها درجة استخدام للهجة القصيمية أكثر من الفئة العمرية (١٩ - ٣٠). مما يعني أن المواقف الإيجابية نحو اللهجة مرتبطة بالأكبر سناً أكثر ممَّن هم في عمر أقل. فالاعتزاز باللهجة المحلية والحفاظ عليها وتقديرها حدث لدى الأكبر سناً في مقابل الأقل سناً الذين قلَّت عندهم هذه المواقف الإيجابية، وهي نتيجة متوافقة مع النتائج التي توصلت إليها دراسات سابقة حيث ذهبت العيسى ٢٠٠٩م إلى أن النساء النجديات الكبيرات يحافظن على التنوعات النجدية أكثر من الرجال، في المقابل فإن النساء الصغيرات أكثر قابلية للتغير من الرجال، فقد وجدت أن النساء النجديات الصغيرات في مجتمع الحجازي يستخدمْنَ التنوع الحجازي أكثر مما يفعل الرجال^(٤). ويتوافق ذلك

(١) الغالي، ٢٠١٩م، ص ٥٣.

(2) Al - Mubarak. 2016. p. 411.

(3) Trudgill. 1972. p. 179.

(4) Al - Essa. 2009. p. 218.

ما ذهبت إليه نورة أبوعين ٢٠١٦م، من أن الإناث الصغيرات يقدن التغيير نحو التنوع المحلي مفسرة ذلك بالتغيرات التي مارسها المجتمع المحلي نتيجة للتحضر والتمدن^(١)، وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها القحطاني ٢٠١٥م، فقد بينت أن هذا التغيير تقوده النساء الأصغر سناً في حين يتخلف الرجال بشكل عام والنساء الأكبر سناً إلى الوراء^(٢). وقد أشار الرجيعي ٢٠١٣م أيضاً إلى ميل المتحدثين الكبار بغض النظر عن جنسهم إلى المحافظة على استخدام التنوع المحلي [ts]، في المقابل فضّل المتحدثون الأصغر سناً المتعلمون وخصوصاً النساء استخدام التنوع فوق المحلي [k]^(٣). وهي نتائج تتوافق مع ما توصلت إليه دراستنا الحالية مما يؤكد علاقة التغيير بالعمر، فالفئات العمرية الأكبر سناً تميل إلى المحافظة على اللهجة المحلية، في حين تميل الفئات العمرية الأصغر سناً إلى التغيير بفعل المتغيرات الحضرية.

ويوجد أيضاً فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف نحو اللهجة القصيمية باختلاف متغير مكان الولادة، وكان الفرق لصالح مواليد القصيم أي أن أفراد العينة من مواليد القصيم لديهم اتجاه مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الذين ولدوا خارج القصيم. ويوجد أيضاً فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية باختلاف متغير مكان الولادة وكان الفرق لصالح مواليد القصيم، أي أن أفراد العينة من مواليد القصيم لديهم درجة استخدام اللهجة القصيمية أكثر من الذين ولدوا خارج القصيم.

وبمقارنة هذه النتيجة مع دراسة العبدلي ٢٠١٧م، نجد أنه على الرغم من أن نتائجها لم تكشف عن اختلاف كبير في المواقف تجاه اللهجة الجنوبية بين المشاركين الجنوبيين الذين ولدوا في المنطقة الجنوبية أو في جدة، فإنها أشارت إلى أن المشاركين الذين ولدوا

(1) Abu Ain. 2016. p. 161.

(2) Alqahtani. 2015. p. 224 - 228.

(3) Al - Rojaie. 2013. p. 58.

في جدة أبلغوا عن استخدام أقل للهجة الجنوبية من أولئك الذين ولدوا في منطقة الجنوب، وتعزو ذلك إلى التواصل المكثف باللهجة الحجازية المضيفة^(١). ويمكن فهم ذلك أيضاً في ضوء تبرير العيسى ٢٠٠٩م، لنتيجة دراستها التي أظهرت أن المشاركات من النساء الصغيرات يستخدم التنوع الحجازي أكثر من غيرهن بأن هذا الاختلاف بالتأكيد بسبب أن الجيل الأصغر من المتحدثين في المجتمع النجدي لديهم تواصل أكثر مع اللهجة الحجازية^(٢). وهو تفسير تتبناه هذه الدراسة، حيث إن التعرض لمتغيرات حضرية والتفاعل مع تنوعات لغوية مختلفة في مرحلة مبكرة للمواليد خارج القصيم قاد إلى انخفاض مواقفهم الإيجابية تجاه لهجتهم مقارنة مع من ولد في القصيم.

فيما يتعلق بمستوى التعليم فيوجد أخيراً فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية باختلاف متغير المؤهل العلمي، ونلاحظ أنه يوجد فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (ثانوي فأقل وجامعي، لصالح الثانوي فأقل) أي أن ذوي المستوى التعليمي الثانوي فأقل لديهم مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم جامعي. ويوجد أيضاً فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (ثانوي فأقل وفوق جامعي، لصالح الثانوي فأقل) أي أن ذوي المستوى التعليمي الثانوي فأقل لديهم اتجاه مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية، أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم فوق جامعي. ويوجد أيضاً، فرق دال إحصائياً في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (جامعي وفوق جامعي لصالح جامعي) أي أن ذوي المستوى التعليمي الجامعي لديهم اتجاه مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم فوق جامعي.

(1) Alabdali.2017. p. 49 - 50.

(2) Al - Essa.2009. p. 218.

أمّا على نطاق الاستخدام في ضوء متغير التعليم، فيوجد فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية باختلاف متغير مستوى التعليم، ونلاحظ أنه لا يوجد فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (ثانوي فأقل وجامعي). ويوجد فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (ثانوي فأقل وفوق جامعي، لصالح الثانوي فأقل)، بمعنى أن ذوي المستوى التعليمي ثانوي فأقل لديهم درجة استخدام للهجة القصيمية أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم فوق جامعي. ويوجد أيضاً فرق دال إحصائياً في متوسط درجة استخدام اللهجة القصيمية بين المستوى التعليمي (جامعي وفوق جامعي، لصالح الجامعي)، أي أن ذوي المستوى التعليمي الجامعي لديهم درجة استخدام للهجة القصيمية أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم فوق جامعي.

ولا شك أن مستوى التعليم متغير اجتماعي يُستخدم للإشارة إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتحدث. فالمستويات العليا للتعليم تقود إلى التغير اللغوي والسلوك اللغوي الأقل محافظة كما ذهب إلى ذلك إنعام الوعر ٢٠٠٩م. وبررت الارتباط بين التغير اللغوي والمستوى العالي للتعليم، بأن التعليم يؤدي إلى التوسع في الاتصالات الاجتماعية ومجتمعات الكلام ثم التعرض للمتغيرات الاجتماعية المختلفة، واللهجات، والتنوعات، والمواقف التي من المرجح أنها ستقود إلى تغير اللغة، وإلى استخدام أعلى للمتغيرات الحضرية^(١). ويمكن فهم ذلك في ضوء إشارة والترز ١٩٩٦م، إلى أن التعليم الذي انتشر في العالم العربي عني فيما عناه الالتزام باعتقادات سياسية ودينية واجتماعية تجاه اللغة، وأن العرب يجب عليهم الالتزام بالفصحى التراثية والفصحى المعاصرة^(٢)، مما يجعلنا نعتمد هذه الإشارة في تفسير هذه النتيجة بأنه كلما زاد تعليم الأفراد ابتعدوا عن التنوعات اللهجية في حديثهم، واقتربوا من اللغة القياسية أو التنوعات المعيارية. وهو رأي يتماشى أيضاً مع ما ذهب إليه العلي وعرفة ٢٠١٠م، من أن الرجال والأفراد ذوي التعليم

(1) Al - Wer.2009. p. 634.

(2) Walters.1996. p. 525.

الثانوي لديهم ميل أعلى إلى الحفاظ على استخدام المتغيرات المحلية، في حين أن الأفراد ذوي التعليم الجامعي لديهم ميل أعلى إلى استخدام متغيرات غير محلية وذات مكانة^(١). وتتسق هذه النتيجة، وهذا التفسير مع النتيجة التي توصل إليها الأصلع ٢٠١٨م، من أن أصحاب المستوى التعليمي فوق الجامعي، والجامعي، يستخدمون الفصحى أكثر من نظرائهم الأقل تعليماً من المستوى الجامعي^(٢). ومثلما تتسق مع ما توصل إليه الغالي ٢٠١٩م، من أن أصحاب المستوى التعليمي الأعلى يستخدمون الفصحى أكثر من أصحاب المستوى التعليمي الجامعي الذين أظهروا استخداماً للعامية أكثر من نظرائهم أصحاب المستوى التعليمي الأعلى^(٣).

ولفهم دور المحيط الحضري في الموقف من اللهجة المحلية واستخدامها، ينبغي أن نستحضر طبيعة الأيديولوجيا اللغوية وقوتها وتأثيرها في التعلق والولاء للتنوع اللغوي (اللهجي في حالتنا)، وفهم الكيفية التي تكون فيها هذه التنوعات مشبعة بقوة عاطفية وأيديولوجية تؤثر في المواقف نحوها، وفي استخدامها نتيجة لتلك المواقف، وهو ما أظهرته هذه الدراسة، وتبين في الدلالات الإحصائية التي ناقشناها في فقرات سابقة. ويؤكد ذلك أيضاً نتائج المقابلة الشفوية التي أجريت لنفس المفحوصين وأجابوا فيها عن سؤالها الرئيسين وهما: ما الأسباب التي تجعلك تُبقي على استخدام لهجتك القصيمية خارج القصيم؟ وما الأسباب التي تجعلك تغير لهجتك أو تتخلي عن استخدامها (ولو مؤقتاً)؟ ويوضحها الجدول رقم (١١) الآتي:

جدول (١) يظهر إجابات المقابلة الشفوية حول الأسباب التي تُبقي على استخدام اللهجة القصيمية خارج القصيم، والأسباب التي تقود إلى تغيير اللهجة أو التخلي عن استخدامها.

(1) Al - ali & Arafa. 2010.

(2) Al Alaslal. 2018. p. 191.

(٣) الغالي، ٢٠١٩م. ص ٣٣.

ما الأسباب التي تجعلك تُغيّر من لهجتك أو تتخلّى عن استخدامها (ولو مؤقتاً)؟			ما الأسباب التي تجعلك تُبقي على استخدام لهجتك القصصية خارج القصيم؟		
النسبة المئوية	العدد	العنصر	النسبة المئوية	العدد	العنصر
٣,٥٧٪	٥٠	التواصل مع غير السعوديين	١٣,٧١٪	١٩٢	الانتماء
٣,٥٧٪	٥٠	الاختلاط مع اللهجات الأخرى	١٠٪	١٤٠	الهوية والنشأة
٤٠,٣٥٪	٥٦٥	للإفهام، بسبب عدم فهمها أو عدم فهم بعض مفرداتها	١٠,٧٨٪	١٥١	الاعتياد
٤,٦٤٪	٦٥	صعوبتها وصعوبة التواصل بها مع الآخر	١٢,٨٥٪	١٨٠	لهجتي
١٠,٧١٪	١٥٠	في المواقف والخطابات الرسمية	٢,٨٥٪	٤٠	الشيوع
١,٧٨٪	٢٥	عدم معرفة الآخر بها	٣,٥٧٪	٥٠	جمالها
٢,١٤٪	٣٠	استخدام اللهجة البيضاء	٣,٥٧٪	٥٠	السهولة
٥٪	٧٠	التسهيل والتيسير	٥,٤٢٪	٧٦	الحب
٣,٢١٪	٤٥	السخرية والحرص ونظرة الناس	١٤,٢١٪	١٩٩	مصدر فخر واعتزاز
٥,٧١٪	٨٠	التأثر بالبيئة المحيطة	٣,٥٧٪	٥٠	الوضوح
١٩,٢٨٪	٢٧٠	لا أغير لهجتي	٣,٧١٪	٥٢	العادات والتقاليد
			٨,٥٧٪	١٢٠	لا أبقى عليها
			٨,٥٧٪	١٢٠	أخرى

حيث يظهر الجدول وبوضوح هذه الأيديولوجيا العاطفية المتمثلة باستخدام اللهجة كمصدر فخر واعتزاز وبنسبة عالية بلغت (١٤.٢١٪) وبأنها تمثل الانتماء لمحدثيها. فهي ترتبط بالأصل والمكان. وقد ذكر ذلك بصراحة في الإجابات الشفهية وبنسبة (١٣.٧١٪) وقد بلغت نسبة إدراكهم الصريح لذلك (١٠٪) وهي عند (١٢.٨٥٪) من المفحوصين لغتهم ولهجتهم التي تمثل الانتماء والنشأة اللذين يتولد عنهما الفخر والاعتزاز ثم الاعتياد على الاستخدام مما أنتج نسبة عالية بالوعي بذلك في حدود (١٠.٧٨٪) وما يؤكد الدور المؤثر لهذه الأيديولوجيا، هو سبب التخلي عنها أو التغيير الذي تمثل جلّه وتركز على أن التخلي أو التغيير هو فقط بسبب الإفهام للطرف الآخر لاستمرار التواصل حيث بلغت النسبة المئوية لذلك (٤٠.٣٥٪) مما يعني أن التخلي حصل فقط حرصاً على عدم انقطاع التواصل بسبب عدم الفهم لهذا التنوع اللهجي أو لبعض مفرداته وعباراته، أو في الخطابات الرسمية والمواقف الرسمية، وفي السياق الذي يرى أصحاب هذا التنوع بأنه غير مناسب له، وهو أمر نفهمه في سياق المستويات الوظيفية الازدواجية للعربية التي تحدث عنها فيرجسون ١٩٥٩م.

وتظهر الإجابات إشارة أخرى مهمة اشتمل عليها جدول المقابلة الشخصية، هي التي تتعلق بدور المحيط الحضري والتفاعلات التي تحدث جرّاء ذلك بين التنوعات اللهجية المختلفة. وتتمثل في التأثير بالبيئة الحضرية المحيطة كسبب للتخلي عن اللهجة أو تغييرها حيث بلغت نسبة التأثير بالبيئة المحيطة (٥.٧١٪) يضاف إليها نسب التغيير أو التخلي بسبب الاختلاط باللهجات الأخرى، وبسبب التواصل مع الناطقين ممن هم خارج منطقة القصيم أو غير السعوديين، وبسبب الحرج من السخرية ونظرة الناس إلى استخدام هذا التنوع اللهجي، مما يعطي إشارة واضحة إلى دور المحيط الحضري في التأثير في استخدام التنوعات الإقليمية اللهجية. ويقود إلى ما صرح به المفحوصون أنفسهم حول استخدام اللهجة البيضاء الحضرية مخفية المعالم الإقليمية. مما يقودنا إلى القول بالدور الفاعل الذي يؤديه التحضر وتقوده الحداثة في تشكيل المتكلمين ومواقفهم واستخداماتهم نحو تنوعاتهم اللهجية بل في تحديد المواقع بشكل عام. وهنا نستحضر

ما ذهب إليه ميلر ٢٠٠٧م من أن العاميات الحضرية في المدن العواصم تمثل معياراً لغوياً وطنياً، يؤثر في العاميات المحلية الأخرى أكثر من تأثير الفصحى.

وأخيراً ينبغي ملاحظة العلاقة القوية بين مكانة مجموعة من الناس والمكانة الممنوحة للتنوع اللغوي الذي يتحدثون به، فهناك أسباب اجتماعية للمواقف نحو التنوعات اللغوية واستخدامها يتعلق بمفهوم النخبة في المجتمع الطبقي، حيث تسعى مجموعات المكانة إلى تمييز نفسها عن المجموعات الأخرى كما أشار إلى ذلك جومبرز ١٩٨٥م. وانطلاقاً من هذا الفهم، ومن مفهوم المكانة المتعلق بالمستوى الذي يمنح عادة لتنوع لغوي داخل مجتمع الكلام مقارنة بالتنوعات الأخرى، وأن المكانة تستنبط من مكانة الطبقة الاجتماعية التي يتحدثها، فإنّ المواقف من التنوعات اللغوية بما فيها تنوعنا المدروس ما هي إلا محاولة للتعبير عن أنّ هذا التنوع اللغوي يحمل قيمة عالية مقارنة بالتنوعات الأخرى، ويتجلى ذلك في الحالات التي تستخدم فيها هذه التنوعات في مناطق حضرية تختلط فيها التنوعات اللغوية وتتفاعل بشكل مستمر.

وختاماً يمكن تلخيص ما توصلت إليه الدراسة، في أن جميع المواقف من اللهجة القصيمية تراوحت بين مواقف إيجابية، ومواقف محايدة، وكان أكثر المواقف إيجابية اتجاه اللهجة القصيمية هو الشعور بالفخر عند الحديث بها أمام الآخرين، وتفضيل استخدام اللهجة مع من ينتمون إلى نفس المنطقة، وأن اللهجة رابط أساسي للهوية المحلية حيث الشعور بالانتماء الإقليمي. وقد طغت الناحية الشعورية والعاطفية على هذه المواقف، فالمواقف اللغوية مكونات لصور نمطية يكونها المتحدثون حول لغتهم، وتم تفسير ذلك في ضوء العلاقة القوية بين المكانة التي تمنح للتنوع اللغوي باعتبار مكانة المجتمع الكلامي. وهو أمر يتوافق مع لهجة أهل القصيم ومكانة أهلها الاجتماعية واعتزازهم بذلك وسعيهم الدائم إلى الحفاظ على هذه المكانة.

وقد تم تبرير إيجابية المواقف برغبة حاملية في اكتساب التميز والقبول والتضامن مع المجموعة، مما قاد إلى طغيان المواقف العاطفية مقارنة بالمواقف المعرفية التي جاءت محايدة وأقل نسبة من غيرها.

وقد أظهرت الدراسة أن الاستخدام مرتفع بشكل عام، وكان أكثر تلك المواقف التي تقيس الاستخدام هو استخدام اللهجة القصيمية في المحيط العائلي، واستخدامها مع الأصدقاء مهما كان أصلهم، وجاء أقل تلك المواقف باستخدام منخفض متمثلاً في استخدامها في المواقف والخطابات الرسمية. وهو أمر فسرتة الدراسة في ضوء مفهوم الازدواجية اللغوية وتوزيعها الوظيفي.

ودللت الدراسة على تأثير التحضر في التنوعات اللغوية بارتفاع مستوى المواقف بعدم استخدام لهجة القصيم برغم القدرة على استخدامها، وتغيير المفردات اللهجية المحلية إلى المقابل من مفردات اللهجات الأخرى عند الحديث مع أصحابها. وذهبت إلى أن أحد الملامح الرئيسة لاتجاهات التحضر تمثلت في التوسع والانتشار في المراكز الحضرية والإقليمية، والتجاور بين التنوعات اللغوية المختلفة، ومثل هذا النمولة تأثير في التواصل اللهجي، والتغير والإحلال. ويؤدي التوسع الحضري إلى ظهور أو تركيز العاميات الحضرية، وإلى تغييرات لهجية عديدة، وإلى التفاعل بين عامية تلك المدن، والعاميات الأخرى التي انتقلت إليها.

وفيما يتعلق بالدور الذي تؤديه المتغيرات الاجتماعية (مستوى التعليم، والفئة العمرية والجنس ومكان الولادة)، في اتجاه المواقف نحو اللهجة القصيمية، وكذلك تأثيرها في الاستخدام. فقد اتضح أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في متوسط اتجاه المواقف من اللهجة القصيمية بالنظر إلى جميع المتغيرات الاجتماعية وكذلك الاستخدام، فمتغير الجنس كان الفرق فيه لصالح الذكور أكثر من الإناث. وكانت المواقف الإيجابية من اللهجة مرتبطة بالأكبر سناً أكثر من هم أقل عمراً. فالاعتزاز باللهجة المحلية والحفاظ عليها وتقديرها أظهر لدى الأكبر سناً في مقابل الأقل سناً الذين قلّت عندهم هذه المواقف الإيجابية. وقد وجدت الدراسة أيضاً أن أفراد العينة من مواليد القصيم لديهم مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الذين ولدوا خارج القصيم، وكذلك الأمر في الاستخدام. وأما ما يتعلق بمستوى التعليم فقد وجدت الدراسة أن ذوي المستوى

التعليمي الثانوي فأقل لديهم مواقف إيجابية من اللهجة القصيمية أكثر من الذين لديهم مستوى تعليم جامعي وفوق جامعي، وظهر ذلك في الاستخدام أيضاً، حيث ذهبت الدراسة إلى أن المستويات العليا للتعليم تقود إلى التغير اللغوي والسلوك اللغوي الأقل محافظة، وأنه كلما زاد تعليم الأفراد ابتعدوا عن التنوعات اللهجية في حديثهم، واقتربوا من اللغة القياسية أو التنوعات المعيارية.

وقد أظهرت الدراسة طبيعة الأيديولوجيا اللغوية وقوتها وتأثيرها في التعلق والولاء للتنوع اللغوي، وفهم الكيفية التي تكون عليها هذه التنوعات مشبعة بقوة عاطفية وأيديولوجيا تؤثر في المواقف نحوها، وفي استخدامها نتيجة لتلك المواقف. وكشفت عن دور المحيط الحضري والتفاعلات التي تحدث جرّاء ذلك بين التنوعات اللهجية المختلفة متمثلة في التأثير بالبيئة الحضرية المحيطة كسبب للتخلي عن اللهجة أو تغييرها، وإلى استخدام اللهجة البيضاء الحضرية الخالية من المعالم الإقليمية، مما يقودنا إلى القول بالدور الفاعل الذي يؤديه التحضر وتقوده الحداثة في تشكيل مواقف المتكلمين من تنوعاتهم اللهجية واستخدامهم إياها.

وأخيراً لفتت الدراسة النظر إلى العلاقة القوية بين مكانة مجموعة من الناس والمكانة الممنوحة للتنوع اللغوي الذي يتحدثون به، وانطلاقاً من ذلك، تقرر أن المواقف نحو التنوعات اللغوية تتضمن محاولة للتعبير عن أنّ هذا التنوع اللغوي يحمل قيمة عالية مقارنة بالتنوعات الأخرى، ويتجلى ذلك في الحالات التي تستخدم فيها هذه التنوعات في مناطق حضرية تختلط فيها التنوعات اللغوية وتتفاعل بشكل مستمر.

خاتمة الفصل

ينتهي هذا الفصل التطبيقي الذي عرض لنماذج لسانية اجتماعية من واقع ممارسة المجتمع السعودي إلى أن الوظائف الاجتماعية لتحويل الشفرة الازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية في وسائل التواصل الاجتماعي، تمثلت في أن الوظائف الاجتماعية لاستخدام الفصحى والتحول إليها في الخطاب المكتوب هي خمس وظائف: بيان المكانة والتأنق والتطور، وبيان أهمية الخطاب، والاعتباس، وإبراز الجدية وتقديم صيغ تعبيرات رسمية، والتنظير والوعظ. وأن وظائف استخدام العامية في وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع السعودي هي سبع وظائف: التأثير التداولي وإظهار معنى محدد، والسخرية والنقد والتهكم والفكاهة، والاعتباسات، وتبسيط الفكرة، واستخدام التعبيرات الاعتيادية المألوفة للحياة اليومية، والتوبيخ والهجوم الشخصي والإهانة، والاستخدام المشترك المألوف وإظهار الهوية (المحلية) مع المجموعة.

وأما ما يتعلق بدور المحيط الحضري في مواقف متحدثي اللهجة المحلية لمنطقة القصيم من لهجتهم، ومدى ارتباط هذه المواقف بالاستخدام تبعاً للمتغيرات الاجتماعية، فإن جميع المواقف من اللهجة القصيمية تراوحت بين مواقف إيجابية، ومواقف محايدة، وكان أكثر المواقف إيجابية تجاه اللهجة القصيمية هو الشعور بالفخر عند الحديث بها أمام الآخرين، وتفضيل استخدام اللهجة مع من ينتمون إلى نفس المنطقة، وأن اللهجة رابط أساسي للهوية المحلية حيث الشعور بالانتماء الإقليمي. وقد طغت الناحية الشعورية والعاطفية على هذه المواقف، فالمواقف اللغوية مكونات لصور نمطية يكونونها حول لغتهم.

وقد أظهرت الدراسة أن الاستخدام مرتفع بشكل عام، وكان أكثر تلك المواقف التي تقيس الاستخدام هو استخدام اللهجة القصيمية في المحيط العائلي، واستخدامها مع الأصدقاء مهما كان أصلهم، وجاء أقل تلك المواقف باستخدام منخفض هو استخدامها في المواقف والخطابات الرسمية. ودلّت الدراسة على تأثير التحضر في التنوعات اللغوية بارتفاع مستوى المواقف بعدم استخدام لهجة القصيم برغم القدرة على استخدامها، وتغيير المفردات اللهجية المحلية إلى المقابل من مفردات اللهجات الأخرى عند الحديث مع أصحابها.

خاتمة الكتاب



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

لقد عاقت النظرة المتشككة في المنظور اللساني الاجتماعي لقضايا العربية انطلاقة هذا الفرع من فروع اللسانيات في العالم العربي؛ إذ قادت إلى إجماع الكثير من الدارسين عن خوض غمار هذا المجال اتقاء لهجوم هم غير مجبرين على مجابته. فأدى ذلك إلى تأخر ظهور اللسانيات الاجتماعية العربية وأثر في تشكل ملامحها. من ذلك أنّ نشأتها كانت بجهود غير عربية أساساً، في صورة جهود متناثرة مترامية الأطراف في الأطروحات والرسائل العلمية في المؤسسات الأكاديمية الغربية، يكتبها الباحثون العرب تحت إشراف اللغويين الغربيين بلغات أجنبية، ولم يتم بحث موضوعات هذا العلم تطبيقياً باللغة العربية أو في مؤسساتنا الأكاديمية العربية إلا في سنواتنا القليلة، ولا يزال معظم هذا البحث خجولاً مجتزئاً، يعوزه المنظور اللساني الحديث القائم على منهجية بحثية حديثة تعتمد طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي والممارسة.

ولعل أبرز ما يجب أن نسطره في خاتمة هذا الكتاب، هو حاجتنا إلى النظرة العلمية إلى القضايا اللغوية المرتبطة بمجتمعنا العربية المعاصرة، وتناولها ومعالجتها، بعيداً عن النظرة المتشككة في الأهداف والمنطلقات، والخوض في النيات. يجب أن ننطلق في معالجتنا لهذه القضايا من نظرة محايدة تنطلق من مفهوم اللسانيات الحديثة الذي يعتمد الدراسة العلمية للغة، دراسة علمية تقوم على الوصف، والتحليل، والاستنباط، والتفسير. إذاً أمانة هذا الهدف، وسموّه ورفعته، واقتنعنا به، ينبغي أن ننظر في الفكرة التي تنطلق منها اللسانيات الاجتماعية، وكيف تكونت، وأين موقعها من اللسانيات العامة، وكيفية نشأة اهتماماتها من بين المدارس اللسانية المعاصرة.

انتهينا إلى أن اهتمامات اللسانيات الاجتماعية، أقرب ما تكون إلى اهتمامات المدرسة الوظيفية، التي ترى صعوبة الفصل بين البنية اللغوية، والسياق الذي تعمل فيه، وعدم إمكان عزل اللغة عن نسيجها الاجتماعي، والتشديد على التفاعل بين البنية والسياق، وإعطاء الوظيفة أهمية أكبر من البنية نفسها.

ينبغي أن نربط هذه القناعة بمنطلقات اللسانيات الاجتماعية بمنظور اللسانيات الاجتماعية واهتماماته، الذي هو دراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع، والعلاقة بين استخدام اللغة والبنى الاجتماعية التي يعيش فيها مستخدم اللغة، والبحث في السلوك اللغوي، وكيفية تأثير البنية الاجتماعية بخصائصها المختلفة في الاستخدام؛ ومن ثمّ السعي لربط المتغيرات اللغوية التابعة، بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة، والبحث في إيجاد علاقات متبادلة بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية وملاحظة أي تغييرات تحدث.

وإذا آمنا أنّ علماء اللسانيات الاجتماعية يدرسون العلاقة بين اللغة والمجتمع، ويسعون إلى تحديد الوظائف الاجتماعية للغة وطرق استخدامها للتعبير، انطلاقاً من أن فحص طريقة استخدام الأشخاص للغة في سياقات اجتماعية مختلفة، يوفر ثروة من المعلومات حول طريقة عمل اللغة، وكذلك حول العلاقات الاجتماعية في المجتمع، والطريقة التي يشكل بها الناس جوانب من هويتهم الاجتماعية من خلال لغتهم، أدركنا أنّ اللسانيات الاجتماعية تجتهد في البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدّها، واكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي. وإذن، فإنه يتحتم علينا أن ننظر إلى التنوعات اللغوية العربية المختلفة، على حدّ سواء، نظرة علمية متجردة، بعيدة عن الأحكام الانطباعية أو التفضيلية النابعة من منطلقات دينية عقديّة، أو فكرية، أو أيديولوجية، على أنها أنماط متساوية للاستخدام والتعبير، لها الحق في الوجود وفي الاستخدام على حدّ سواء.

من خلال هذه النظرة يمكننا أن نذهب إلى عرض التنوعات اللغوية العربية المتعارضة والمتفاعلة بعضها مع بعض على أنها تشكل الحالة اللغوية في المجتمعات العربية، وأن هذه الحالة تقوم على تمثيل متعارض لكل التيارات والأنماط اللغوية المختلفة، وهي مزيج فريد من التفاعل الحيّ لأنواع عديدة من التنوعات اللغوية، تتراوح بين مستويات مختلفة، يمثّل فيها التنوع الفصيح المستوى المعياري القياسي المشترك، ويتطلب

استخدامه شروطاً معينة قد لا تتوفر لدى جميع المتحدثين، وله وظائفه المخصصة له التي اتفق عليها مجتمع الكلام العربي. وهو تنوع يتعايش مع تنوعات أخرى إقليمية وجغرافية وحضرية، وقبلية، واجتماعية، ومهنية، تتقاسم جميعها الوظائف اللغوية التي تعارف المجتمع على منحها إياها، مع اختلافها في المكانة التي تحظى بها.

يمثل المستوى الفصيح نظاماً علوياً، وتمثل التنوعات الأخرى أنظمة فرعية، لا تكشف عن فروقات بنيوية مختلفة، ولكنها تبقى مستقلة في ذاتها، ومعرّفاً بها، وتحتفظ بطابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها. وتدخل هذه التنوعات الفرعية كعنصر تابع ضمن إطار النظام اللغوي العلوي المشترك؛ ولذلك فإن تحديد جوهر الاختلافات اللغوية بين التنوعات اللغوية العربية المختلفة قد يقتضيان اعتبار التداول العلمي والنظر إليه بوقائع تعكس التغيرات الحاصلة في هذه التنوعات نتيجة لاستعمالها بمختلف الأقطار، وما يترتب عن ذلك من تفسيرات وتسميات علمية ملائمة. وهناك عدة عوامل تؤثر في صياغة هذه التنوعات اللغوية وتطورها وهي عوامل متنوعة ومتغيرة من قطر عربي إلى آخر. يضاف إلى هذا أن تطور التنوعات اللغوية العربية مرهون بالتأثير المباشر من جانب التنوع العلوي، أو اللغة العربية الفصحى المشتركة، وكذلك من جانب اللغات الأجنبية، والتنوعات اللغوية الإقليمية لبقية البلدان العربية واللغات الأجنبية المنتشرة في هذا البلد العربي أو ذاك. هذا فضلاً عن أن النظام العلوي نفسه أو اللغة الفصحى داخل كل بلد عربي، هي نفسها متصلة مثل كل شيء، بالتنوعات أو الأنظمة الفرعية لهذه البلدان (لغات الدارجة) مما يضيف على هذا النظام العلوي أو الفصحى الصبغة المحلية. وهكذا يتشكل وضع المتحدث العربي، ويتراوح بين أطر النظام العلوي والأنظمة الفرعية لهذه التنوعات؛ ومن ثمّ يجد نفسه بذلك ليس جزءاً من النظام الخاص المتمثل بالتنوع الإقليمي في بلده فحسب، وإنما أيضاً من نظام اللغة العربية الفصحى الواحدة المشتركة الذي يُحدث به في جميع الأقطار.

وهكذا تتبين الحالة اللغوية العربية بتنوعاتها المختلفة، ومجتمعات كلامها بأنها تتميز ليس فقط بمواجهة اللغة الفصحى للعامية، وإنما بنظام أكثر تعقداً يشتمل على مجموعة كاملة من المظاهر الخاصة بمختلف نماذج استخدام اللغة العربية الكلاسيكية، واللغة العربية الفصحى المعاصرة المشتركة، والتنوعات الإقليمية للغة العربية الفصحى، واللغة الوسطى، والتنوعات اللغوية الإقليمية ولهجاتها القطرية ولهجاتها المحلية الفرعية، وكذلك اللغات الأجنبية المختلفة فيها. فلا يوجد تماثل تام أو تطابق كامل في الأداء اللغوي للمتكلمين بنفس اللغة في الأقطار العربية، ويمكن القول إن التباينات في الأنظمة الاجتماعية الثقافية للبلدان العربية هي التي تحدد خاصية كل بلد منها في استخدام اللغة وفي طريقة استيعابه للثوابت اللغوية ومقداره سوية مع القيم الثقافية الأخرى، وأن عدم تجانس التغيرات الاجتماعية السياسية الجارية في الأقطار العربية قد أدى إلى تكوّن وضع لغوي خاص في كل قطر له خواص معينة، وهذا مما يؤدي إلى تنشيط عملية تكوين التنوعات اللغوية القطرية وتنوعات أو أشكال اللغة العربية الفصحى المصبوغة بمحلية هذه الأقطار.

هذه الحالة اللغوية التي تشكلها مجموعة من التنوعات اللغوية بأصنافها المختلفة، تمثل تعايش تيارات لغوية متعددة، يتفاعل بعضها مع بعض، تعكس صوراً متعددة نتيجة لذلك التفاعل، يظهر في أشكال مختلفة، تتراوح بين ثنائية لغوية وتعدد لغوي، واستخدام لغوي مزدوج، وتنعكس في ممارسة لغوية تتمظهر في تبديل لغوي للشفرات، يبرز تارة تحويلاً بين لغة وأنظمة لغوية خارجية مستقلة، ويعكس تارة تحويلاً ازدواجياً بين تنوعات اللغة نفسها.

دراسة هذه الحالة تستوجب التركيز على التفاعلات وجها لوجه التي توجد فيها اختلافات كبيرة في المصادر اللسانية الاجتماعية للمشاركين للحصول على مجموعة بيانات غنية للتفاعلات التي تحدث بشكل طبيعي بمقدار ما يمكننا الحصول عليه، والتركيز على التفاعلات والتفاصيل اللغوية الناتجة عن الممارسة اللغوية والتعمق في تفاصيل المشاكل الاجتماعية.

ويساعد التوجه لدراسة التفاعل اللغوي على الربط بين التواصل والسياق الاجتماعي والكشف عن القوانين التي يخضع لها هذا التواصل، وهي قوانين ليست لغوية فحسب، بل في معظمها قوانين اجتماعية تعرف بأعراف وطقوس التفاعل الاجتماعي.

يعطي هذا المنظور التفاعلي لدراسة اللغة وتنوعاتها اللغوية المختلفة، إلى جانب التناول التقليدي الأساسي، عمقا أكبر لمعرفة تفاصيل المشاكل الاجتماعية في الممارسة اللغوية، ويمكن من الحصول على مجموعة غنية لبيانات التفاعلات التي تحدث في الممارسة التطبيقية الطبيعية، ويعكس صورة أوضح للتعدد اللغوي في المجتمع، والازدواج اللغوي في الاستخدام، وتمظهراته المختلفة كتبديل الشفرات اللغوية الناتج عن التعدد اللغوي، أو التبديل الازدواجي بين التنوعات اللغوية المختلفة.

تنشط مظاهر التعددية اللغوية على أكثر من صعيد في البيئة الثقافية والاجتماعية الحية والمنفتحة مثل المجتمعات العربية. وتعد العديد من بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بلدانا متعددة اللغات بحكم الواقع. وبشكل عام يمكننا القول إن اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية لا تزالان تحتلان مواقع ووظائف مهمة في دول العالم العربي ومجتمعاته. وقد أفرزت هذه البيئة الثقافية والاجتماعية الحية والمنفتحة مشهدا تعدديا للغات، بلور من خلال تداخل هذه اللغات وتماصها صورة واقعية لديناميكية اللغات الأصلية واللغات الأجنبية في احتكاكها اليومي وتفاعلها مع المحيط، تأثرا وتأثيرا.

وقدّم التواصل الرقمي مزاجا جديدا وطرقا جديدة للتعبير أفرزت مفاهيم أساسية وممارسات في حالة اللسانيات الاجتماعية العربية بما في ذلك ملامح الخطاب المكتوب، حيث يعكس العريزي قضية مثيرة للاهتمام تتعلق بمفهوم مجتمع الممارسة والهوية؛ إذ يخلق المتحدثون هوياتهم الشخصية عبر الشبكة دون الحاجة إلى ترسيخ الهويات في الواقع الاجتماعي للعالم المادي بشكل عام.

ويشكل الاستخدام اللغوي بأنماطه المختلفة الفصيحة والعامية مدونة لدراسة اللغة حيث يقدم نظرة عامة ومفيدة للازدواجية، بما في ذلك استخدام المستويات المتوسطة من أجل فهم الازدواجية، وكذلك استخدام تبديل الشفرة لفهم وتحليل البيانات الازدواجية، وتتبع تطور الازدواجية فيما يتعلق بالبيانات الشفوية والمكتوبة وعولمة وسائل الإعلام، وثورة الإنترنت التي توفر طرقاً جديدة للتواصل، إضافة إلى المجالات الحالية لكل من العربية القياسية والعامية العربية.

نودّ في ختام هذا العمل الذي أَلَمْنَا فيه بقضايا شتى معرفية ونظرية وتطبيقية، أن نستعيد السؤال الذي قادنا عبر مختلف فصوله وفقراته: ما شروط نشأة لسانيات اجتماعية عربية؟

ينبغي أن نؤكد أن هناك شروطاً معرفية لتأسيس هذه اللسانيات نظرياً وتطبيقياً، ويأتي على رأسها الشرط المعرفي الذي يقضي بالتناول العلمي للقضايا اللغوية المرتبطة بمجتمعاتنا العربية المعاصرة، ومعالجتها من خلال دراسة موضوعية تقوم على الوصف والتحليل والاستنباط والتفسير، بعيداً عن نظرة التقديس للغتنا العربية الفصحى، ووضعها في مكانة قصية فوق مستوى الدراسة والتناول، عصية على المقارنة مع غيرها من التنوعات اللغوية الأخرى المستخدمة في المجتمعات العربية.

ينبغي أيضاً تجاوز التناول الموجه تاريخياً الذي يسعى إلى التحقق من التباين الحالي للتنوعات اللغوية العربية بقصد فهم التغيرات التاريخية إلى تناول أكثر من منظور أيّ يطبق المنهجية الغربية للسانيات الاجتماعية التباينية ويحاول أن يفترض بعض الارتباطات المنتظمة المسببة للتباين اللغوي. ويركز على عمليات توطين اللهجات بين السكان المهاجرين في المراكز الحضرية، ودراسة دور المتغيرات الاجتماعية وتأثيرها في هذا التباين كالعرق، والدين، والعمر، والجنس، والتعليم، والطبقة الاجتماعية. ويدرس تحقق ملامح مختارة للتباين اللغوي في عينات من المتحدثين الحضريين من مختلف الأعمار، والمجموعات الاجتماعية، وما إلى ذلك. فلا يزال هناك مجال لتطبيق دراسات

التنوع التي تركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي والممارسة الأسلوبية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديدته وتميزه. فالمتغيرات المستقلة مثل العرق والدين ضرورية، انطلاقاً من أنّ آثار الانتماء العرقي والدين مختلفة في العالم العربي، فالعرق متشابك مع الآثار التاريخية والسياسية ومع الجنسيات إلى حد كبير، ويؤدي الدين دوراً رئيساً في تحديد الانتماءات السياسية والشبكات الاجتماعية، ومجتمعات الممارسة، حيث إنه جزء لا يتجزأ من هوية المرء وإحساسه وانتمائه أكثر مما هو في الغرب، مع ملاحظة أنّ الدين في الواقع مثله مثل أي متغير آخر لا يمكن دراسته منفرداً فهو يتفاعل مع المتغيرات الأخرى سواء الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية.

ملاحظة أخرى، هي أنّ التنوع والتغير في العالم العربي له خصوصيته بسبب طريقة بناء المجتمعات والمحافظة. فالطبقة الاجتماعية كمتغير مستقل لا تعكس حقيقة الوضع في عدد من دول العالم العربي، حيث يسيطر عليها النظام القبلي، ومصدر الثقة الاجتماعية فيها ليس مشتقاً فقط من الدخل أو التعليم، ولكن من وقوة القبيلة.

ويعد التحضر أحد العوامل الأساسية المؤثرة في دراسة التنوع والتغير في العالم العربي، حيث إنّ التحضر في بلدان العالم العربي كان حديثاً وسريعاً في آن. هذا المتغير الرئيس يمكن أن يميز العالم العربي على نطاق واسع عن العالم الغربي، فقد كانت هناك موجة من التحضر الذي حدث في العالم العربي قبل نصف قرن فقط، غيرت التركيبة السكانية للعديد من البلدان مما أدى إلى اختلاف لغوي بارز. فاكشاف النفط أدى إلى تغيرات في مجتمعات الممارسة، وكذلك الحروب، بدءاً من الحرب العالمية الأولى والثانية، والحروب الأهلية، وحرب الخليج، وثورات ما يسمى بالربيع العربي، وقد أفضى ذلك إلى تغيير التركيبة السكانية وإلى اختلاف في استخدام اللغة وتغيرها.

ففي العالم العربي يمكن للمرء أن يقسم المتغيرات المستقلة إلى نوعين: متغيرات مستقلة ثابتة، مثل الدين، والعرق، والانتماءات القبلية، ومتغيرات مستقلة مرنة، مثل الطبقة الاجتماعية، والشبكات الاجتماعية، والمدنية، والتعليم. فالدين في العالم العربي

ليس مسألة اختيار فردي، وفي المجتمعات القبلية لا يكون الفرد قادراً على تغيير انتمائه القبلي ولا وضع قبيلته التي تعكس وضعه الاجتماعي.

تنشئ المتغيرات الثابتة مجتمع الممارسة وتحافظ عليه، فالدين مثلاً متغير ثابت يمكن أن يساعد على خلق مجتمع الممارسة والحفاظ عليه في بعض الأحيان (كالسنة والشيعية والمسيحيين) في لبنان (والسنة والشيعية) في البحرين (والسنة والشيعية والأكراد) في العراق. وفي مجتمعات أخرى قد يكون العرق والانتماءات القبلية أكثر هيمنة، فعلى سبيل المثال يشكل الفلسطينيون في مخيمات اللاجئين في لبنان والأردن وسوريا مجتمعات الممارسة الخاصة بهم.

ولذلك ينبغي للتناول الاجتماعي لدراسة اللغة في العالم العربي (اللسانيات الاجتماعية العربية) أن يوظف منهجيات أكثر حداثة وتطوراً وخصوصاً تلك التي تعنى بالاستخدام والتداول والتفاعل، حيث إن التفاعل اللفظي والتبادل اللغوي يعكسان قدرة المتحدثين على تصنيف المواقف والمحاورين والعلاقات الاجتماعية ثم تقديم الاستنتاجات والأحكام حول المناسب وأشكال الحديث ذات الصلة للإنتاج، وتحديد الكفاية التي يتعامل بها المتفاعلون مع العلاقات اللغوية للحصول على أهدافهم العادية في الحياة اليومية.

ولذلك ينبغي إجراء دراسة متعمقة لحالات مختارة من التفاعل اللفظي، لجمع الأحداث اللغوية الموجهة في مجتمع معين وتصنيفها وتحليلها للإجابة عن الأسئلة الأساسية حول ماهية هذه الأحداث، وكيفية عملها. واعتماد التحليل الذي يسلط الضوء على البناء المترابط للبنى اللغوية، ودور المناسبة الاجتماعية في توجيه الخطاب، وقدرة الفاعلين الاجتماعيين على التوافق المرن مع القواعد، والاهتمام بالتداول اللغوي، وكيفية أخذ مستخدمي اللغة للسياق الاجتماعي بعين الاعتبار عند إنتاج أشكال الكلام وفهمها.

ولا يمكن أن تكتمل الشروط المعرفية الواجب توفرها في وجود لسانيات اجتماعية عربية دون توفرها في المنهجية التي تعتمدها هذه اللسانيات في الدراسة؛ ولذلك فإن أي منهجية نستخدمها لدراسة الظواهر الاجتماعية يجب أن تنطلق من رؤية نظرية واضحة ومحددة؛ وعليه فإن ما يجب أن نوليّه اهتمامنا عند استخلاص أي استنتاجات في اللسانيات الاجتماعية هو الاهتمام بالإطار النظري الذي يتم الاعتماد عليه، والبيانات ذات الصلة التي خضعت للدراسة، ومستوى الثقة التي يمكن أن نحصل عليها في البيانات التي تم جمعها، والطريقة التي تمت معالجة هذه البيانات بها. ينبغي لهذه المنهجية، أن تستفيد من كل ما قدمته تلك المحاولات الدؤوبة ومن كل الأساليب المقترحة والمتبعة في الدراسات اللغوية الاجتماعية الحديثة، وأن تتبنى أساليب علمية تتيح دراسة التنوعات والتفاعلات اللغوية على أسس حديثة متطورة بطريقة منهجية استناداً إلى ملاحظات موضوعية، وفي إطار نظرية شاملة ومتكاملة، وأن تقوم على جمع المعلومات اللغوية المتمثلة من عينات بشرية ممثلة للمجتمع وتحليلها تحليلاً كمياً لتحديد طبيعة التوزيع اللغوي جغرافياً واجتماعياً، وتحديد كثافة هذا التوزيع، وطبيعة الانتشار اللغوي واتجاهاته ورسم صورة لهذا الانتشار، وربط هذا التوزيع والانتشار بالعوامل الخارجية المختلفة كالتغيرات الاجتماعية، أي دراسة التوزيع ضمن الإطار الاجتماعي للغة إضافة إلى الإطار الجغرافي^(١).

ينبغي لهذه المنهجية تتبّع تطور «الصورة الكبيرة» للانتشار الاجتماعي للتنوع والتغير اللغوي العربي من خلال استخدام الدراسات المسحية والأساليب الكمية لفحص العلاقة بين التنوع اللغوي والفئات الديموغرافية الرئيسة. وينبغي لهذه المنهجية أيضاً البحث في العلاقة بين التنوع والفئات والتشكيلات المحلية، حيث تعطي هذه عادةً المعنى المحلي للفئات الديموغرافية الأكثر تجريباً، وذلك من خلال البحث في مجتمعات الكلام، ودراسة الخصائص اللغوية المعتمدة في التمييز بين التنوعات اللغوية: لهجة

(١) عبد الجواد، ١٩٨٦م، ص ١٩٥.

محلية / إقليمية / وطنية، ودراسة دلالات المتغيرات كعلامات هوية مرتبطة مباشرة بالمجموعات الأكثر استخداماً لها، وذلك باستخدام دراسات التفاعل والأساليب الإثنوغرافية والتداولية. ثم إنه ينبغي لمنهجية اللسانيات الاجتماعية العربية تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أكثر تقدماً، وهي البحث في المعنى الاجتماعي للمتغيرات، وذلك بالنظر إلى الأنماط، وليس المتغيرات، باعتبار ارتباطها بشكل مباشر بفئات الهوية. وينبغي أن تستكشف مساهمات المتغيرات في الأنماط، وذلك بالتركيز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي، وعلى الممارسة الأسلوبية التي تكسب المتغيرات معناها، ودورها في التغير الاجتماعي، وتحديدته وتمييزه.

وأخيراً، إذا أردنا النظر إلى التوجهات المستقبلية للسانيات الاجتماعية العربية، فإنه يجب أن ننظر إليها في ضوء مفهوم الأفكار والمعتقدات حول اللغة، أو ما نسميه بأيديولوجيا اللغة^(١).

(١) أحد تشكيلات المعتقدات هو حول ما هو طبيعي من أفكار حول ماهية اللغة وكيفية عملها. فالمعتقدات المتمحورة حول علاقة اللغة بالواقع وكيفية عمل التواصل وحول السلامة اللغوية والخير والسوء والفصح والعامي تمثل كلها، جوانب من أيديولوجيا اللغة، مثلها مثل المعتقدات المتعلقة بدور اللغة في تشكيل كينونة الفرد، والمعتقدات الدائرة حول كيف يتم تعلم اللغة، وتلك المنصبة على ما هي الوظائف التي ينبغي أن تكون للغة وما هي السلطات المسؤولة عن اللغة، وما إذا كان ينبغي تقنين استخدام اللغة، وكيف يتم، وما إلى ذلك. وأيديولوجيا اللغة تتصل بالطرق التي يتم بها تصور اللغة، وهي محط اهتمام دارسي اللغة، وكذلك دارسي الحياة الاجتماعية؛ لأن المعتقدات الدائرة حول ما هي اللغة وكيف تعمل، يمكن لها أن تمس اللغة، مثلما تمس العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين.

وأيديولوجيات اللغة هي تصورات حول اللغات والمتحدثين والممارسات الخطابية، تتأثر بالمصالح السياسية والأخلاقية، وتشكل في بيئة ثقافية. ويعرفها مايكل سيلفرشتاين بأنها «مجموعات من المعتقدات حول اللغة التي يعبر عنها المستخدمون على أنها تبرير لبنية اللغة المتصورة واستخدامها، وتستخدم الأيديولوجيات اللغوية كاستراتيجيات للحفاظ على القوة الاجتماعية والسيطرة. وتشمل أيديولوجيا اللغة المعتقدات الثقافية الشائعة حول اللغة ووظيفة عملية التواصل، وتؤدي الطرق التي تتواصل بها اللغة دوراً حاسماً في صياغة الأفكار والمعتقدات الأساسية حول الهوية وعكسها ويشمل ذلك دراسة موقعنا وماهيتنا على خارطة الهويات، فما تقوم به أيديولوجيا

إذ تؤدي الأيديولوجيا دوراً في تشكيل الهياكل اللغوية وأشكال الكلام والتأثير فيها، انطلاقاً من أن وعي المتحدثين باللغة وتبريراتهم لهيكلها واستخدامها كعوامل حاسمة، غالباً ما تشكّل تطور بنية اللغة، كما أنّ الوعي الناقص والمحدود لتفسير التباين في الهياكل اللغوية لدى المتحدثين الأيديولوجيين يؤدي إلى تنظيمه وتبريره وفق الأيديولوجيات المهيمنة والمنتشرة ثقافياً^(١). وقد اهتم علماء اللسانيات الاجتماعية بالكيفية التي تؤثر بها المعتقدات حول اللغة على الخيارات التي يتبناها المتكلمون. فالبحث في مجال أيديولوجيا اللغة يظهر كيف أن الخيارات اللغوية والتغير اللغوي يتأثران بتصور الناس عن اللغة واستعمالها ويكشفان عن توزيع عمليات صياغة المفاهيم السائدة حول اللغة ووظائفها.

يتضمن تأثير الأيديولوجية اللغوية العلاقة بين الفصحى والعامية، أو المستويات اللغوية، والتنوعات اللغوية المختلفة، وهو ما يمكن تسميته بأيديولوجية اللغة القياسية، بوصفها انحيازاً إلى لغة مجردة ومتجانسة ومثالية، لغة تتولى المؤسسات المهيمنة مهمة فرضها وإدامتها وصياغتها ولا تنفك أيديولوجية اللغة القياسية عن مفاهيم النقاء اللغوي، والتمييز اللغوي^(٢). فعلى سبيل المثال هناك قلق عربي يسود الحديث عن اللغة العربية بمستواها الفصيح ويتجلى هذا القلق بمقولات شتى يمكن تمثيلها في مقولتي: «اللغة العربية في خطر داهم»، من ناحية، واللغة العربية «تعاني من التكلّس الشديد أو الجمود» من ناحية أخرى. إن المتابع لهذه القضية لطالما يقرأ

هو تحديد الأفكار الضمنية وغير الواعية عادة حول الواقع التي تؤثر بشدة في الطريقة التي يوظفها الأفراد في تفسير الأحداث والتكيف معها. وتستخدم الأيديولوجية اللغوية لتمييز أي مجموعة من المعتقدات حول اللغات، وتكشف كيف ترتبط المعتقدات اللغوية للمتحدثين بالنظم الاجتماعية والثقافية الأوسع التي ينتمون إليها، مما يوضح كيف تولّد الأنظمة مثل هذه المعتقدات. من خلال القيام بذلك، تربط أيديولوجيات اللغة الافتراضات الضمنية والصريحة حول لغة ما، بتجربة مستخدميها الاجتماعية، إضافة إلى مصالحهم السياسية والاقتصادية.

(1) Silverstein, M. (1979). (pp. 193–248).

(2) Lippi - Green, R. (1997).

أن هناك «حرباً» على اللغة العربية تهددها من الخارج، بفعل قوى أجنبية تتناول عليها، باعتبارها وسيلة ترمز للهوية العربية، وحتى تفعل هذه القوى فعلتها، فإنها تلجأ إلى استدراج بعض أبناء هذه اللغة لتجعل منهم معاول هدم في أيديها؛ إذ يصبحون ويمسون طابورا خامسا يقوِّض جذور هذه اللغة وهويتها عن دراية أو من دون دراية^(١).

وكثيراً ما نرى هذه المقولة تنعكس في حقل معجمي يشمل ضمن ما يشمل رؤى تتحدث عن «الخطر اللغوي» و«المخاطر اللغوية» و«الزحف على اللغة العربية» و«اللغة العربية في معركة الحضارة» و«انتحار اللغة العربية» و«تهديد الأمن القومي العربي» إضافة إلى توصيف وضع اللغة العربية بأنها تعيش «أزمة مزمنة» لم تستطع أن تنعتق من قبضتها منذ أكثر من قرن.

نحن في هذه الحالة، أمام أيديولوجيا لغوية عربية، وضمن هذا المفهوم تشكّل أيديولوجيا اللغة مجموعة الآراء والمعتقدات والأفكار التي تتمحور حول اللغة وتنتشر بين أفراد المجتمع الذين يمكنهم توظيفها، للتأثير في السياسات العامة للدولة سعياً للمحافظة على الوضع الراهن أو لتغيير هذا الوضع في اتجاه آخر. وللتمثيل على ذلك، فإن مقولة «الحرب والخطر» كثيراً ما تستخدم لمقاومة بعض المحاولات الصادقة والجادة في تحديث طرائق تعليم اللغة العربية في محاولة للإبقاء على وضع العملية التعليمية على ما هي عليه.

إن الحديث عن الحروب والمخاطر اللغوية والانتحار اللغوي ظاهرة جديدة في تاريخ الأيديولوجيا اللغوية العربية التي كانت تدور في الماضي حول جمال اللغة العربية وغناها المعجمي وتفوقها على اللغات الأخرى، وإذا ما سلّمنا بذلك فلا بد أن نقبل بأن عناصر الأيديولوجيا اللغوية الجديدة مرتبطة بحالة الضعف التي يعيشها أبناء الأمة العربية في السياق الدولي^(٢).

(1) Suleiman, Yasir (2011).

(2) Suleiman, Yasir (2011).

أشير أخيراً، إلى أن القلق اللغوي العربي ليس ظاهرة لغوية في أساسه، بل هو في الدرجة الأولى ظاهرة أيديولوجية سياسية تتقمص مظهر اللغة، وإن صحَّ ذلك فلا بد أن نقبل إذن، بأن أيديولوجيا اللغة العربية تنتمي إلى علوم السياسة والمجتمع، كما تنتمي في الوقت ذاته إلى مجال اللسانيات. ولا بد أن نفهم، أن محاولات التصدي للقلق اللغوي العربي على أنه ظاهرة لغوية بحتة - على شاكلة ما يفعل اللسانيون التقليديون - قد لا تأتي أكلها المرجو؛ لأنها تجعل من السياسي والاجتماعي أمراً لغوياً يتطلب حلولاً لغوية^(١).

هذه الأيديولوجية مرتبطة بصورة أو بأخرى بأيديولوجيات النقاء اللغوي؛ إذ يمكن لأيديولوجيات اللغة البحتة أو أيديولوجيات المحافظة اللغوية أن تغلق اللغات عن مصادر الابتكار غير الأصلية عادةً عندما يُنظر إلى هذه المصادر على أنها تهديد اجتماعي أو سياسي للغة الهدف. وفي هذا الصدد تشير ألكسندرا جافي إلى أن نقاء اللغة غالباً ما يكون جزءاً من «إضفاء الطابع الجوهري على الخطابات» التي يمكن أن تؤدي إلى وصم ممارسات اللغة المعتادة مثل تبديل الشفرة وتصوير التغييرات اللغوية الناتجة عن الاتصال، كأشكال من النقص الثقافي^(٢).

وينعكس ما ذكرناه أعلاه على سياسة اللغة وتوحيدها، فإنشاء لغة قياسية معيارية له آثار عديدة في مجالات السياسة والسلطة. وقد قادت الأيديولوجيات اللغوية إلى مفهوم «المعيار» كمسألة أيديولوجية بدلاً من كونها حقيقة، مما أثار أسئلة مثل «كيف يتم تبرير مذاهب الصواب اللغوي والخطأ، وكيف ترتبط بالأصالة»، وما الذي يحرم التنوعات اللغوية الأخرى من هذه الأصالة وهي تكتسب منذ الولادة كتنوعات لغوية مستخدمة، في حين أن التنوعات الفصيحة «القياسية» تكتسب تعلمها في المدرسة.

و غالباً ما تعكس السياسات الحكومية التوتر بين نوعين متناقضين من أيديولوجيات اللغة: الأيديولوجيات التي تتصور اللغة كمورد أو مشكلة أو حق،

(1) Suleiman, Yasir (2011).

(2) Jaffe, Alexandra (2007), p.65.

والأيديولوجيات التي تصور اللغة كتنوعات لغوية متعددة. وغالباً ما تعكس السياسات اللغوية التي تظهر في مثل هذه الحالات حللاً وسطاً بين كلا النوعين من الأيديولوجيات. ووفقاً لبلوميرت وفيرشويرن، غالباً ما يتم إعادة تفسير هذه التسوية على أنها أيديولوجية واحدة موحدة، كما يتضح في العديد من المجتمعات الأوروبية التي تتميز بالتجانس الأيديولوجي اللغوي⁽¹⁾.

النظر أيضاً إلى التفاعل اللغوي، يجعل الناس ميالين إلى الإيمان بمعتقدات أخرى حول اللغة والخطاب، فعلماء اللسانيات الاجتماعية يمكنهم الحديث عن «متغيرات»، فمن الطرق المتنوعة لإيصال المعنى، يختار المتكلمون من بينها ما يناسبهم، لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية عديدة. ويمكن للمعاني التي تعزى إلى الكلام بتنوع لهجي أن تعمل في خدمة الأيديولوجيات السائدة حول من له الحق في السلطة السياسية والاقتصادية، كما يمكن لتفاصيل معينة من طرق النطق أن تكتسب مغزى أيديولوجيا في تعريف النفس والجماعة في سياق الاقتصاد العالمي والتغير الثقافي.

يتضح من الفقرات المتعلقة بتأثير الأيديولوجيا اللغوية أعلاه، أن اللسانيات الاجتماعية العربية تتعامل مع مجال لا يعرف الركود أو الثبات، وهو مجال متغير بحسب عوامل متعددة، تأتي الأيديولوجية في مقدمتها؛ ومن ثمّ ينبغي للسانيات الاجتماعية العربية النظر إلى القضايا التي تتعامل معها وفق هذا المنظور، ووصف الواقع اللغوي العربي وفق ما هو عليه، ورصد تغيراته، وتقاطعاته المختلفة، وتحولاته التي تطرأ عليه، وعدم الركون إلى قيود المعيارية، والأحكام المنبثقة عن تأثيرات أيديولوجية.

مثل هذا التوجه يفرض على اللسانيات الاجتماعية العربية النظر إلى الواقع اللغوي العربي نظرة مختلفة عما هو سائد وراسخ في أذهان الجميع من أحكام معيارية مشبعة بأفكار أيديولوجية، فواقع حال التنوعات اللغوية العربية، يجعل مسألة المقابلة بين

(1) Blommaert, Jan & Jef Verschueren (1998), p.70.

الفصحى واللهجات، قابلة للنقاش وإعادة التفكير، فمسألة الفروق بين الفصحى والعامية هي مسألة فرق في طريقة الناس في التفكير أكثر منها فروقا طبيعية وبنوية. والفصحى نشأت وتطورت نتيجة لعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية، ومثلها التنوعات اللغوية الأخرى تخضع لتأثير مثل هذه العوامل، ورغم ذلك تملك الفصحى مكانة عالية، حرمتها باقي التنوعات اللغوية الأخرى، وربما إذا أمعنا النظر وجدنا أن المبررات موجودة في طريقة تفكير من يقول بهذا الرأي بفعل تأثيرات أيديولوجية، أكثر منها مبررات علمية مقنعة تأخذ كل العوامل المؤثرة في الاعتبار. إذن فالأحكام حيال هذه المسألة تستند إلى أيديولوجيات نشأت في ظروف تاريخية معينة. ومثل هذا، مسألة النظام اللغوي العربي الواحد من المحيط إلى الخليج. أعتقد أن اللسانيات الاجتماعية العربية ينبغي أن تراقبه وفق أسس الدراسة العلمية الرصينة بعيدا عن القناعات المؤدلجة، والآراء المعلّبة، فالتنوعات اللغوية الوطنية تكبر وتتوسع وتتضمن عدة تنوعات لغوية لهجية جغرافية واجتماعية، ويظل رابط هذه القناعة حول الوحدة اللغوية رابطا أيديولوجيا متشعبا بأفكار الأمة الواحدة ذات المعتقد الواحد، وبالأفكار القومية العربية التي نشأت في مرحلة معينة لأهداف نفعية محددة، وإذا أخضعنا مثل هذه الأفكار لفحص متجرد دقيق، لربما خرجنا بتفسيرات مختلفة عن توجه هذه الأفكار، كما أن الواقع المشاهد نفسه يعكس هذه الرؤية، ولكن أفكار الأيديولوجيا تحجبها، فالواقع يفصح عن بقاع جغرافية متضاربة، وحدود جغرافية تتباعد فيها المسافات، وتكوينات عرقية مختلفة، وأهداف سياسية غير متوافقة، ومصالح اقتصادية متضاربة، وهي أسباب كفيلة بتغيير الواقع اللغوي، لولا وجود المعتقدات والأيديولوجيا الجامعة. ينطبق الوضع نفسه، على الاعتقاد بالوحدة اللغوية والعرقية، وعدم وجود التعدد اللغوي في العالم العربي، والدعوة إلى التعامل معه كمشكلة مصطنعة فرضت فرضا على اللغة العربية بسبب الاستعمار والعولمة، وأنها لا تخرج عن سياق التبعية، وكأن بيد صاحب القرار منع أو تمكين هذه الظاهرة. مثل هذا الرأي هو رأي يخضع لتأثير أيديولوجي، وإلا فالواقع يعكس تعددية لغوية واضحة وضوح الشمس في كل أجزاء العالم العربي بلا استثناء، فها هي البلدان

العربية في شمال إفريقيا تعاني من التعددية بسبب الاستعمار والمجموعات العرقية الأصلية، وها هي بلدان الشام تعاني من تعددية لغوية للأسباب نفسها، وها هي بلدان الخليج العربي تحتضن العشرات من المجموعات العرقية المهاجرة إليها بنسب قد تتجاوز نصف عدد سكانها، فرضت لغاتها وتنوعاتها اللغوية، وفرض الواقع استخدام لغات أخرى كلغات وسيطة للتفاهم. هذه التغيرات الديموغرافية والعوامل الاقتصادية التي فرضتها، وواقع العولمة، هي عوامل مادية ملموسة، كفيلة بدحض الفكرة السابقة، ولكنّها الأيديولوجيا التي تحجب الرؤية، وتوجهها نحو مسارات محددة.

وبناء عليه، فإن مستقبل اللسانيات الاجتماعية العربية مرهون بتطوير رؤيتها للتعامل مع واقع مجتمعها العربي، وفق منظور جديد محايد، ومتطور، يستثمر منهجيات اللسانيات الحديثة للتعامل مع القضايا اللغوية بعيداً عن التقيد بالأحكام المعيارية التقليدية، وتحرير نفسها من القيود التقليدية المكبلة لها بفعل توجهات أيديولوجية متراكمة واعية أو غير واعية، والانطلاق في فضاء حرّ، يعتمد المراقبة العلمية المتجردة من الأهداف الخفية، ويقوم على الوصف والتفسير بعيداً عن إصدار الأحكام المعيارية.

الثبت التعريفي بالمصطلحات الرئيسة



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

أ

الإثنوجرافيا (Ethnography): وصف مكتوب للتنظيم الاجتماعي والأنشطة الاجتماعية والموارد الرمزية والمادية والممارسات التفسيرية لمجموعة معينة من الناس، وهي منهج واسع للبحث في القواعد والمعايير الثقافية والقيم المتشابكة مع استخدام اللغة، وتستند الإثنوجرافيا إلى الملاحظات المباشرة لسلوك مجموعة من الأشخاص في بيئتهم الطبيعية؛ إذ يقوم الدارسون بتوضيح ما يسمعون ويرونه أثناء مراقبتهم ما يجري حولهم. (للمزيد انظر: دورانت، ١٩٩٧م).

إثنوجرافيا التواصل (Ethnography of communication): منهج ومنظور وطريقة للبحث في القواعد والمعايير الثقافية والقيم التي تشكل الاستخدام اللغوي، من خلال مراقبة المشاركين والملاحظة المباشرة لسلوك المجموعة في بيئتها الطبيعية، واستكشاف جوانب التواصل مثل دور النوع الاجتماعي، والعمليات الاجتماعية، والاستخدامات الاجتماعية، وأنماط التحدث المميزة ثقافياً. والقيمة الرئيسة لإثنوجرافيا التواصل في اللسانيات الاجتماعية هي وضع نهج للغة يتجاوز بكثير محاولة تفسير الجمل الفردية المكتوبة أو المنطوقة؛ إذ يعتقد اللسانيون الاجتماعيون أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجاوز دراسة الجمل، وتربطها بالسياق الاجتماعي وأن تتعامل مع النصوص الحقيقية التي تشكل التواصل الإنساني والحالات الاجتماعية التي تستخدم فيها، وينتقل تركيز الاهتمام من الجملة إلى فعل الاتصال والحدث الكلامي. (انظر: ديل هايمز، ١٩٦٢م).

الأدوات (Instrumentalities): مصطلح مستخدم في بحوث إثنوجرافيا التواصل، يشير إلى قناة التواصل والرمز المستخدم في الحدث التواصلية الجاري دراسته. وتشير الأدوات إلى اختيار القناة، على سبيل المثال، شفوية، مكتوبة، موقّعة، برقية، وإلى أشكال الكلام الفعلية المستخدمة مثل اللغة، اللهجة، الرمز أو النوع المختار. وبهذا تدخل مجموعة الأدوات المستخدمة لتصميم الممارسة والطرق التي يتم بها تفسير كل منها في التحليل. (للمزيد، انظر: ديل هايمز، ١٩٧٢م).

الازدواجية اللغوية (Diglossia): ازدواجية اللغة ظاهرة لغوية مرتبطة بالمجتمع، وهي استخدام لأكثر من شكل من أشكال اللغة، وهذه الأشكال لا بد أن تعود إلى نظام لغوي واحد بعينه، يستخدمها أفراد مجتمع لغوي ما تحت ظروف مختلفة، ولأسباب متباينة، ولكن على نحو محدد ومقنن وظيفيا، بمعنى أن استخدام أحد الأشكال في وظيفة الشكل الآخر يعد خطأ لغويا اجتماعيا. وتكون الأشكال اللغوية في المجتمعات التي يحدث فيها الازدواج اللغوي على نوعين: النوع الأول يكون عادة تنوعا فصيحيا يسمى التنوع اللغوي الأعلى (High Variety)، أما النوع الثاني فيأخذ شكل التنوع اللهجي العامي، ويسمى بالشكل اللغوي الأدنى (Low Variety). وقد قام نموذج تشارلز فيرجسون ١٩٥٩م للازدواجية على مستويين، أحدهما ذو المكانة العليا، والآخر ذو المكانة الدنيا، يتكاملان وظيفيا، ويتميزان باختلافات بنيوية واضحة. فالوظائف العليا مرتبطة بالمجالات المكتوبة، والشفوية الرسمية، في حين ترتبط الوظائف الدنيا بالمجالات الشفوية غير الرسمية، وقد حدد سياقات استخدام هذين النوعين بأنها منفصلة، ومتكاملة، وظيفيا، واجتماعيا.

انظر (المسافة اللغوية) و(المستويات اللغوية) وقارن مع (التعددية اللغوية).
وللمزيد حول المصطلح انظر (الفلاي ١٩٩٥م).

الإعداد والمشهد (setting and scene): مصطلح مستخدم في بحوث إثنوجرافيا التواصل للإشارة إلى الوقت والمكان والوصف الثقافي لحدث تواصل معين. ويشير الإعداد إلى الوقت والمكان، أي الظروف المادية الملموسة التي يحدث فيها الكلام؛ ويشير المشهد إلى الإعداد النفسي المجرد، أو التعريف الثقافي للمناسبة. ويستكشف هذا المكون جانبيين من جوانب السياق: البيئة المادية التي تحدث فيها بإعداداتها وإجراءاتها ووقتها ومكانها، وشعور المشاركين بما يحدث عندما تكون هذه الممارسة نشطة. ويساعد تحليل نوعية الإجراءات وجودتها والإعدادات وصفات الممارسة على ترسيخ التحليل ووضعه في سياقات الحياة الاجتماعية المحددة. (للمزيد، انظر: ديل هايمز، ١٩٧٢م)

الانتشار (diffusion): ويقصد به انتشار سمة لغوية من خلال لغة أو منطقة أو فترة زمنية. وتستهدف دراسة انتشار السمات اللغوية الحصول على معلومات عن التوزيع الجغرافي للسمات اللغوية ومعرفة توزيعها الاجتماعي، وكثافتها، وتداخل وتمازج تلك السمات، مما يمكن الباحث من اكتشاف الأنماط المنشرة ومقارنتها مع الأنماط السائدة في المجتمعات الأخرى، بما يمكنه من رسم الخريطة اللغوية التي تبين كثافة التوزيع والانتشار الطبيعي للتنوعات والسمات اللغوية، وتداخل وتمازج تلك السمات، وتصنيف التنوعات اللغوية، ووضعها في مكانها الصحيح على الخريطة اللغوية. (انظر، عبد الجواد، ١٩٨٦م).

الإنثروبولوجيا اللغوية (linguistic anthropology): المجال الفرعي للأنثروبولوجيا الذي يتعامل مع اللغة كسلوك اجتماعي، وتتداخل مع اللسانيات الاجتماعية. انظر (علم اجتماع اللغة).

أيديولوجية (ideology): نظام مجتمعي للأفكار والقيم التي تكمن وراء السلوكيات الثقافية، وهي تمثيلات لجوانب من العالم تسهم في بناء علاقات السلطة والسيطرة والاستغلال وصيانتها، ويمكن أن تجسمها طرق التفاعل بين الأصناف، وأن تتحقق في طرق الوجود وصياغة الهويات في الأساليب.

أيديولوجيا اللغة (language ideology): مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأهداف التي يحملها الفرد أو الجماعة حول اللغة في استخدامها وعلاقاتها بالأفراد والجماعات وباللغات الأخرى ومتحدثيها، وهي غالباً تصورات ضمنية غير واعية تجليها الممارسات أكثر مما تبين عنها الأقوال؛ إذ إنه من غير الممكن قراءة الأيديولوجيات مباشرة من النصوص؛ لأنه يتم استنباط المعاني من خلال تفسيرات تلك النصوص. وتؤثر الأيديولوجيات اللغوية في الجوانب الهيكلية لأصناف التنوعات اللغوية واستخدامها بشكل إستراتيجي للوصول إلى قوة تأثير الرمز اللغوي. وتعد قضية الأيديولوجية اللغوية وتأثيرها في تشكيل الطبقة الاجتماعية عاملاً مؤثراً في موضوع التنوع والتغير اللغويين

من حيث إن الإيديولوجية اللغوية هي رابط بين الملامح اللغوية والعمليات الاجتماعية. (للمزيد، انظر: ياسر سليمان، ٢٠١١م).

أيديولوجيا اللغة القياسية (standard language ideology): وتعني الانحياز إلى لغة متجانسة مجردة ومثالية، تفرضها المؤسسات المهيمنة وتحافظ عليها، ويكون نموذجها اللغة المكتوبة، ولكنها مستمدة بشكل أساسي من اللغة المحكية في أوساط الطبقة العليا. وجزء من هذه الأيديولوجية هو الاعتقاد بأن اللغات القياسية متسقة داخليا، على الرغم من أن اللغويين عموماً، يتفقون على أن التغيرات وعمد التجانس سمة جوهرية في جميع اللغات المحكية، بما في ذلك الأنواع القياسية. هذه الأيديولوجية مرتبطة بصورة أو بأخرى بأيديولوجيات النقاء اللغوي؛ إذ يمكن لأيديولوجيات المحافظة اللغوية أن تغلق اللغات عن مصادر الابتكار غير الأصلية عادةً عندما يُنظر إلى هذه المصادر على أنها تهديد اجتماعي أو سياسي للغة الهدف، ووصم ممارسات اللغة المعتادة مثل تبديل الشفرة وتصوير التغيرات اللغوية الناتجة عن الاتصال، كأشكال من النقص الثقافي.

ب

البناء الاجتماعي (social construction): فكرة أن واقعنا الاجتماعي يتم إحضاره إلى الوجود من خلال السلوك الاجتماعي، بما في ذلك استخدام اللغة.

بناء الهويات الاجتماعية (construction of social identities): المفهوم الذي ينظر إلى الهويات الاجتماعية على أنها ليست سمات ثابتة للذات، ولكن تصورات تنبثق من السلوك اللغوي والاجتماعي.

ت

التباين اللغوي (linguistic variation): مصطلح يستخدم لوصف الأشكال اللغوية المختلفة التي يمكن استخدامها للتعبير عن نفس المعنى الدلالي الذي له معاني اجتماعية

مختلفة بشكل عام. وتقوم فكرة التباين اللغوي على وجود سلسلة من الاختلافات والتباينات اللغوية تتضمن المستوى الفصيح والمستوى العامي، وبين الاثنين يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي. انظر (التنوع اللغوي)، وللمزيد حول هذا المصطلح انظر (فلمير شغال، ١٩٨٦م).

تبديل الشفرة (code - switching): يشير تبديل الشفرة إلى استخدام لغتين في جملة واحدة أو مخاطبة مفردة. ويحدث تبديل الشفرة عندما يراوح المتكلم في الاستخدام بين كلمات أو عبارات أو عناصر من لغتين أو أكثر، أو من تنوعات لغوية مختلفة، في سياق محادثة واحدة. ويحدث تبديل الشفرة في الغالب في المجتمعات الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، لقدرة أفرادها على التبديل بين الرموز أو خلط لغتهم أثناء اتصالهم. ويمكن أن يحدث تحويل الشفرة بين التنوعات اللغوية داخل اللغة وليس فقط بين اللغات المختلفة. (للمزيد انظر جون جومبيرز، ١٩٨٢م، ومايرز سكوتون ٢٠١٠م).

تحديد العينات (sampling): عملية تحديد كيفية اختيار المشاركين في البحث، وتحديد حجم العينة البشرية، وعدد الأشخاص الممثلين للظاهرة المراد دراستها، ويعتمد هذا الاختيار على تحديد وتعريف المجتمع المراد دراسته جغرافياً واجتماعياً، وتحديد وتعريف الأبعاد الجغرافية، والمتغيرات والاجتماعية التي تؤثر في اللغة، وتصنيف تلك المتغيرات، ومراعاة أن تكون العينة ممثلة لكل المتغيرات الاجتماعية والجغرافية المؤثرة. انظر (العينة)، وللمزيد حول هذا المصطلح انظر: حسن عبد الجواد ١٩٨٦م).

تحليل الخطاب (discourse analysis): مصطلح يستخدم لوصف مجموعة واسعة من المناهج لدراسة الخطاب اللغوي وتحليله سواء أكان محكياً أم مكتوباً، ودراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات أكبر مثل الحوار أو النص، ويهتم بالصلات المنظمة بين الفقرات والجمل، وبالتحليل الجزئي للأجزاء الدقيقة للكلام، والأحداث التفاعلية الفردية كوسيلة لفهم الأبعاد الاجتماعية لاستخدام اللغة. وتحليل

الخطاب اللغوي مجال عام مرتبط باللسانيات الاجتماعية، ويُعنى فيه ببنية التفاعل الاجتماعي المتحققة بوسائل عديدة يأتي على رأسها الحوار، ودراسة لغة التواصل سواء أكانت محكية أم مكتوبة. (انظر، براون ويول ١٩٨٣م، وستابس، ١٩٨٣م).

تحليل الخطاب النقدي (CDA) (critical discourse analysis): طريقة من طرق تحليل الخطاب تهتم بمعالجة النصوص باعتبارها عناصر مكوّنة في الأحداث الاجتماعية، وسيرورات صناعة المعنى التفاعلية. وتقوم طريقة عمل التحليل النقدي للخطاب على تحديد المشكلة الاجتماعية ذات الجانب السيميائي، ثم معالجة الموضوع بتحليل العلاقات بين الخطاب، وتحليل شبكة الممارسات التي تتواجد فيها المشكلة، وعلاقة سيرورة المعنى بالعناصر الأخرى في الممارسة أو الممارسات المعنوية، ثم تحليل الخطاب نفسه وسيرورة المعنى فيه تحليلًا بنائياً يتعلق بنطاق الخطاب، وتحليلًا نصياً تفاعلياً، من منظور التفاعل الخطابي والتحليل اللساني والسيميائي. (انظر، نورمان فيركلو ١٩٨٩م).

تحليل المحادثة (CA) (conversation analysis): طريقة معينة لتحليل الخطاب تدرس بنية المحادثة وتماسكها، ويركز تحليل المحادثة على البناءات داخل المحادثات، وعلى وجه الخصوص نظام توالي الأدوار، ونظام التعاقب، والاستدراك، ويتضمن القيام بقراءة لصيقة لمخطط الحوار، والتركيز على الظواهر الصغرى مثل التوقفات والمقاطعات، والضحكات وما إلى ذلك. ظهر تيار تحليل المحادثة في الستينيات كواحد من نماذج تحليل الخطاب يستهدف التخاطب في الحياة اليومية على وجه الخصوص، ودراسة الحديث في التفاعلات من خلال دراسة التخاطب، كشكل من أشكال التحليلات اللغوية يركز على تسجيلات المحادثات التفاعلية التي تجري في حياتنا اليومية، وكذلك التفاعلات المؤسسية، (كحديث الطبيب مع المريض، والتفاعلات القانونية، وتحقيقات الشرطة، ومحادثات الفصول الدراسية). (انظر بيكر وإيليج، ترجمة ناصر الغالي ٢٠١٨م).

التخطيط اللغوي (language planning): الجهود الموجهة من قبل الحكومات أو الهيئات الرسمية وشبهها، أو الأفراد؛ للتأثير في السلوك اللغوي للمجموعات اللغوية

الكبيرة أو الصغيرة فيما يتعلق باكتساب اللُّغة، أو بنيتها، أو وظيفتها، أو مكانتها داخل مجتمع ما. ويُلتجأ إلى التخطيط اللغوي استجابة لاحتياجات سياسية واجتماعية واقتصادية لإعادة ترتيب المشهد اللغوي، فتلجأ الدول إلى التخطيط اللغوي لتحقيق العدالة بين الناطقين باللغات الوطنية المختلفة، عن طريق تقنين العلاقة بين هذه اللغات أو بين اللغة الرسمية ولهجاتها. قارن مع (سياسة اللغة).

التداولية (pragmatics): دراسة اللغة في حيز الاستعمال وتجاوز حدود الواقع الأصلي المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة في الكلام، بل يقصد المعنى السياقي غير المباشر؛ إذ إن الوضع اللغوي وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى، ولا يمكن الوصول لهذه المعاني إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال الذي يحدد قصد المتكلمين؛ إذ تُعنى التداولية بدراسة المعنى الذي يقوم المتكلم بإبلاغه من جهة، ويقوم السامع بتأويله والتقاطه من جهة أخرى، استناداً إلى خلفية معرفية وثقافية مشتركة. فمدار الأمر هنا على تحليل ما يقصده ويعنيه المتكلمون من الملفوظات والتعابير التي يستعملونها، لا على ما تدلّ عليه الكلمات والتراكيب داخل تلك الملفوظات في حدّ ذاتها. (انظر جون أوستين، ١٩٦٢م، وانظر بول غرايس).

التضامن (solidarity): رابط مشترك بين الأفراد، يتّصل عادةً بمفهوم نشوء الهوية مع نفس المجموعة الاجتماعية؛ إذ يستخدم تبديل الشفرة اللغوية أو الرمز اللغوي مثلاً، للتعبير عن الانتماء إلى هوية المجموعة، من خلال لجوء الأفراد إلى تغيير لغتهم للتعبير عن هوية المجموعة، وإشعارهم بالانتماء إليها، والتضامن معها. ويرمز الانحياز لمجموعة معينة في مواقف محددة إلى التضامن مع هذه المجموعة، ثم تعريف الذات كعضو في هذه المجموعة، وهنا يعمل التضامن للإعلان عن هويات محددة، وإنشاء معاني معينة، وتصور اللغة، ودورها في تشكيل علاقات القوة والتضامن على مستوى التفاعل الاجتماعي. (انظر، جروسجين ١٩٨٢م).

التعددية اللغوية (multilingualism): يشير مصطلح التعدد اللغوي إلى وجود لغتين من نظامين لغويين مختلفين عند المتكلم. فنقول عن دولة ما إنها متعددة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل، ونقول عن شخص ما إنه متعدد اللغات عندما يكون بإمكانه التعبير عن حاجاته ومقاصده والتواصل مع غيره بأكثر من لغة. وتبرز قضية الثنائية والتعددية اللغوية حيث تواجه كثير من البلدان مشكلة استخدام أكثر من نظام لغوي أو أكثر من لغة، إضافة إلى النظام اللغوي الأصلي للمجتمع، حيث إن اللغة التي يستخدمها الإنسان هي رمز لهويته، ولانتمائه، ولعرقه، ولأتمته. قارن مع (الازدواجية اللغوية)، وانظر (تبديل الشفرة) وللمزيد حول المصطلح انظر (واردهو وافيولر ٢٠١٥م).

التقاطع (intersectionality): المفهوم القائل بأن جوانب الهوية مثل الجنس أو العرق أو الطبقة الاجتماعية (من بين أمور أخرى) ليست مستقلة عن بعضها، وأنها تمثل كلا متشابكا ومتربطا.

التنشئة الاجتماعية اللغوية (language socialization): عملية أن تصبح مشاركا نشطا ومختصا في مجموعة اجتماعية وثقافية معينة، يُنظر إليها على أنها تحدث من خلال الممارسات اللغوية. وتكشف ممارسات التنشئة الاجتماعية اللغوية أن المفاهيم المحلية للشخصية والمكانة والسلطة مرتبطة بالاستخدام الإستراتيجي للغة؛ ومن ثمّ تقيّد الحراك الاجتماعي.

التنوع اللغوي (Language variety): يستخدم مصطلح التنوع اللغوي للإشارة إلى اللغة المنطوقة من قبل مجموعة خاصة من المتكلمين، والاختلافات اللغوية بين المتحدثين ضمن مجتمع الحديث الواحد أو منطقة جغرافية محددة. وهو مفهوم يسمح لنا بالتعامل مع لغات المتكلم الفرد، أو الجماعة المتعددة اللغات على أنها تنوعات لغوية متماثلة. فالتنوع اللغوي من منظور اللسانيات الاجتماعية مفهوم وصفي محايد يمكن استخدامه للخروج من النظرة المعيارية للغة، وتجنب الشحنات المعيارية ذات الدلالات

التقويمية عند الحديث عن مستويات اللغة مثل اللغة واللهجة. والتنوع اللغوي يمكن أن يكون شيئاً أكبر من اللغة أو شيئاً أقل من اللهجة، فنسمي اللغة برمتها تنوعاً لغوياً، ونسمي مجموعة الاستعمالات اللغوية التي ترتبط بها منطقة خاصة أو جماعة اجتماعية تنوعاً لغوياً. انظر (صنف). وللمزيد حول هذا المصطلح، انظر (فيشمان ١٩٩٧م، وواردهو وفيولر ٢٠١٥م).

التوحيد القياسي (standardization): يشير التوحيد القياسي إلى العملية التي يتم من خلالها تدوين اللغة وتحديد تهجئتها، وتطوير قواعدها اللغوية، ووضع معاجمها، التي تصف الأشكال القياسية للغة. ويتعين على مؤلفي المعاجم تحديد الكلمات التي سيتم تضمينها في القاموس كجزء من الصنف القياسي، وأياً يتم تمييزها على أنها تنوع لهجي غير قياسي، وأياً يجب حذفها تماماً. والفكرة الأساسية للغة المعيارية هي تدوين لغة عامة تكون في متناول كل متحدث باللغة لاستخدامها في الكتابة، والتعليم، والإعلام، والعلوم، فعملية التقييس هي عملية تحاول إما تقليل أو إزالة التنوع.

ث

الثقافة (culture): مفهوم مركزي يشمل نطاق الظواهر التي تنتقل من خلال التعلم والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات البشرية، وهي سلوك اجتماعي، ومعياري موجود في المجتمعات البشرية، ونظام يتكوّن من مجموعة من المعتقدات، والإجراءات، والمعارف، والسلوكيات التي يتمّ تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة. والثقافة التي يكونها أي شخص يكون لها تأثير قويّ، ومهمّ على سلوكه. وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز مجتمعا ما عن غيره، منها الفنون، والموسيقى التي تشتهر بها، والدين، والأعراف، والعادات والتقاليد السائدة، والقيم وغيرها.

ج

الجنس (gender): جانب يبني الهوية اجتماعياً، مرتبط بأفكار حول فئات الجنس البيولوجي، وغالباً ما تتم مناقشته من حيث «الذكورة» و«الأنوثة». وظهر فريق من الدارسين يركز على التنوع اللغوي ذي العلاقة بجنس المتكلم، يدرس الاختلافات في حديث الذكور والإناث، ويرد هذه الاختلافات إلى الدور الاجتماعي المنوط بكل منهما، وتشكيل الهوية الاجتماعية لكليهما. يركز هذا المفهوم على أن للجنس دوراً في فهم التغير اللغوي، من خلال الربط بين مركز الإناث في المجتمع، والاختلافات بين طريقتهم في الكلام وطريقة الذكور، وأنه يعد انعكاساً لدورهن الهامشي في المجتمع ورغبتهم أن يظهرن اختلافهن عن المعايير الذكورية، والبحث عن المكانة، والتحول من الطبقة التابعة إلى الطبقة المتبوعة.

ح

الحيوية العرقية اللغوية (ethnolinguistic vitality): مفهوم مركزي في الدراسة اللغوية للمجموعات العرقية اللغوية، وتعني قدرة لغة المجموعة العرقية على الحفاظ على وجودها وحمايته في الوقت المناسب ككيان جماعي لهوية ولغة مميزة. وتنطوي على انتقال مستمر بين الأجيال للغة المجموعة العرقية والممارسات الثقافية، والديموغرافيا المستدامة والمؤسسات الاجتماعية النشطة، والتماسك الاجتماعي، والارتباط العاطفي بهويتها الجماعية.

د

دراسات التباين في الموجة الأولى (first wave variation studies): وتُعنى بالتركيز الأساسي على ارتباط المتغيرات التابعة والمستقلة. وتستخدم الدراسات المسحية والأساليب الكمية لفحص العلاقة بين التنوع اللغوي والفئات الديموغرافية الرئيسية (الطبقة،

العرق، التعليم العمر، الجنس)، لرسم تطور صورة الانتشار الاجتماعي للتغير اللغوي، حيث يشكل التسلسل الهرمي الاجتماعي خريطة للفضاء اللغوي الاجتماعي.

دراسات التباين في الموجة الثانية (second wave variation studies): دراسات تستخدم الأساليب الإثنوجرافية للبحث عن العلاقة بين التنوع والفئات والتشكيلات المحلية، وتركز على نوع مجتمع الكلام، ودراسة الخصائص اللغوية المعتمدة في التمييز بين التنوعات اللغوية: كالتنوعات المحلية، والإقليمية، والوطنية، وتعرض هذه الدراسات دلالات المتغيرات كعلامات هوية مرتبطة مباشرة بالمجموعات الأكثر استخداماً لها.

دراسات التباين في الموجة الثالثة (third wave variation studies): دراسات تمّ فيها التركيز على المعنى الاجتماعي للمتغيرات، من خلال التحول من النظر في كيفية انعكاس اللغة على العضوية في فئات اجتماعية معينة إلى كيفية استخدام اللغة لبناء الهويات الاجتماعية، إذ تنظر هذه الدراسات إلى الأنماط، وليس المتغيرات، باعتبار ارتباطها بشكل مباشر بفئات الهوية، وتستكشف مساهمات المتغيرات في الأنماط، وتركز على طبيعة مؤشرات التنوع اللغوي الاجتماعي وعلى الممارسة اللغوية التي تكسب المتغيرات معناها ودورها في التغير الاجتماعي وتحديدته وتمييزه.

ر

الرمز اللغوي (Language code): مصطلح يستخدم في اللسانيات الاجتماعية في تسمية التنوعات اللغوية وهو استعمال محايد بشكل مقصود فلا يحدد ما إذا كان التنوع لهجة معينة (على سبيل المثال، "التنوع الحجازي، أو التنوع النجدي") أو فئة أوسع (على سبيل المثال، العربية، أو الإنجليزية). انظر (التباين اللغوي)، و(التنوع اللغوي).

س

السجل (register): السمات اللغوية المرتبطة بمهنة أو مجموعة نشاط معينة، ويستخدم للتمييز بين الاختلافات في اللغة وفقاً للمستخدم، والاختلافات وفقاً للاستخدام، بمعنى أن لكل متحدث مجموعة متنوعة من الخيارات والاختيارات فيما بينها في أوقات مختلفة، وينصب التركيز في استخدام هذا المفهوم على طريقة استخدام اللغة في مواقف معينة. والسجل في اللسانيات الاجتماعية مجموعة متنوعة من الاستخدامات اللغوية لغرض معين، أو في موقف تواصل معين، فعند التحدث رسمياً أو في مكان عام، قد يكون المتحدث أكثر ميلاً لاتباع القواعد الإلزامية للاستخدام الرسمي أكثر من الوضع غير الرسمي، واختيار الكلمات التي تعد أكثر «رسمية»، والامتناع عن استخدام الكلمات التي تعد غير قياسية.

سياسة اللغة (language policy): جهود قانونية لصنع السياسات أو القوانين التي تهدف إلى دعم تخطيط اللغة. وهي مجموعة من الأفكار والقوانين واللوائح والقواعد والممارسات التي تهدف إلى تحقيق تغيير اللغة المخطط له في المجتمعات أو المجموعة أو النظام، وهي عملية اجتماعية ثقافية لتنظيم اللغة، تتحكم في الادعاءات المعيارية حول أشكال اللغة المشروعة وغير المشروعة واستخدامها؛ ومن ثم تحكم أوضاع اللغة واستخداماتها. قارن مع (التخطيط اللغوي).

ش

الشبكة الاجتماعية (social network): تتكون الشبكات الاجتماعية من «شبكة من الروابط» بين الأفراد، يختلف هيكلها اعتماداً على أنواع الاتصالات التي تتكون منها. وتصف الشبكة الاجتماعية في اللسانيات الاجتماعية بنية مجتمع كلام معين، وتفترض أن الشبكات الاجتماعية والتفاعلات بين الأعضاء داخل الشبكات هي القوة الدافعة وراء تغيير اللغة. قارن مع (مجتمع الكلام)، وانظر (مجتمع الممارسة). وللمزيد حول المصطلح انظر (ميلروي ١٩٨٠م).

ص

صنف (variety): يستخدم اللسانيون الاجتماعيون الأصناف كمصطلح بديل للتنوعات اللغوية، يقصدون به الأشكال اللغوية فيحدثون عن الأصناف القياسية وغير القياسية للغة، والأصناف اللهجية، وذهب لابوف على سبيل المثال إلى أن الرجال يستخدمون أصنافاً أكثر من اللغة غير القياسية، في مقابل النساء اللاتي يستخدمون التنوعات القياسية أكثر من نظرائهم الرجال، وجميع أصناف اللغة من وجهة نظر اللسانيات الاجتماعية، منهجية في استخدامها، ولديها عدد كبير من المتحدثين؛ ومن ثم لها الحق في الوجود. انظرتنوع (variety). والصنف أو النوع (genre) من مصطلحات تحليل الخطاب، ويقصد به الجانب الخطابي من طرق الفعل والتفاعل في مسيرة الأحداث الاجتماعية. فالمقابلة والمحاضرة، والتقرير الإخباري على سبيل المثال كلها أصناف. وتبني الأصناف النصوص بطرق محددة، فللتقارير الإخبارية على سبيل المثال، بناء عام يميزها: كالعنوان، ومقطع التوطئة الذي يلخص القصة، إضافة إلى مقاطع تعطي التفاصيل. ونحن عندما نحلل نصاً أو تفاعلاً من حيث هو صنف / نوع لغوي، نتساءل عن كيفية حضوره ضمن الفعل والتفاعل الاجتماعيين في الأحداث الاجتماعية، وإسهامه فيهما بخاصة، وهنا يتم الاهتمام بالأصناف وسمات النصوص اللسانية، والعلاقات الاجتماعية وتقنية التواصل، والبنية العامة، والحوار، والأفعال التواصلية والإستراتيجية، وتخطي الرسميات الاجتماعية، ونطاق الحياة العامة، والتغير الاجتماعي، والأيدولوجية. قارن مع نوع (genre).

الصورة النمطية (stereotype): تعميم حول أعضاء المجموعة يعكس ملمحاً لغوياً يرتبط بشكل واسع وشامل بفئة اجتماعية معينة، يعتمد على فكرة أن جميع أعضاء المجموعة يتشاركون بعض الخصائص الشخصية. وهي اعتقاد عام حول فئة معينة من الناس، وتوقع حول شخصية المجموعة، أو تفضيلاتها، أو مظهرها، أو قدرتها. وغالبا ما تكون القوالب النمطية مفرطة التعميم وغير دقيقة، ولكنها قد تكون دقيقة في بعض

الأحيان. وإذا كانت مثل هذه التعميمات حول مجموعات من الناس قد تكون مفيدة عند اتخاذ قرارات سريعة، فإنها قد تكون خاطئة عند تطبيقها على أفراد معينين وهي من بين أسباب المواقف المتحيزة.

ط

الطبقة الاجتماعية (social class): فئات هرمية تعتمد على العوامل الاجتماعية والاقتصادية، وهناك طبقتان رئيستان لمستخدمي اللغة، تلك الطبقة التي حظيت بتعليم أفضل وتسمى «الطبقة العليا»، والطبقة التي تؤدي أعمالاً يدوية وحظيت بتعليم أقل وتسمى «الطبقة الدنيا». ويدرك الناس الاختلافات في أنماط الكلام التي تميز فئتهم الاجتماعية وغالباً ما يكونون قادرين على ضبط أسلوبهم بما يتوافق مع أسلوب طبقتهم الاجتماعية. ويمكن النظر إلى الطبقة الاجتماعية باعتبار قيامها على خصائص متعددة ذات صلة، مثل مستوى التعليم، ونوع الوظيفة، والدخل، ومكانة السكان، ونوعيتهم. ويعد هذا المتغير من الأهمية بمكان لدراسة التنوع والتغير اللغوي؛ إذ تكمن فيه الإجابة عن تحديد الطبقة المعنية بالتجديد اللغوي، وكيفية الانتشار. (انظر: وليام لايوف ١٩٧٢م، وبيتر تروجيل ١٩٨٣م).

الطبقة الدنيا (lower class): وتسمى الطبقة العاملة، وهي الطبقة الاجتماعية التي حظيت بتعليم أقل، وتعمل في الوظائف المهنية وتؤدي أعمالاً يدوية في الغالب. ويحافظ خطاب الطبقات الدنيا الأقل تعليماً على اللهجات الأصلية لمحدثيها. ويذهب لايوف ١٩٧٢م إلى أن شكل حديث الطبقة الدنيا العاملة تتوافر فيه عناصر للمكانة الخفية، أو معايير خفية تنسب القيم الإيجابية إلى العامة، مثل التعبير عن الهوية والانتماء. ويتضمن تنوع الحديث غير القياسي، عناصر للمكانة الخفية التي تمنحها الطبقة العاملة لنفسها، مما يعني أن الناس في الطبقة العاملة يبنون أنماطاً للاستخدام داخل رموز مجموعتهم وتنوعاتها. انظر الطبقة الاجتماعية، وقارن (مع الطبقة العليا).

الطبقة العليا (upper class): تقوم الطبقة الاجتماعية على خصائص متعددة ذات صلة مثل مستوى التعليم، ونوع الوظيفة والدخل ومكانة السكان المجاورين ونوعيتهم. وهناك طبقتان رئيستان لمستخدمي اللغة، إحداهما التي حظيت بتعليم أفضل وتسمى "الطبقة العليا". ويستخدم هذا المصطلح إضافة إلى مصطلح الطبقة الدنيا من أجل تقسيم الطبقات الاجتماعية؛ ولذلك يمكن مقارنة الاختلافات اللغوية بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا، فعلى سبيل المثال نجد أن أكثر المتعلمين تعليماً عالياً وهؤلاء غالباً ما ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية العليا يميلون إلى استخدام ملامح تنتمي إلى اللغة القياسية. ومن الجدير بالذكر أن الناس يدركون تماماً الاختلافات في أنماط الكلام التي تميز فئتهم الاجتماعية وغالباً ما يكونون قادرين على ضبط أسلوبهم بما يتوافق مع أسلوب طبقتهم الاجتماعية. انظر (الطبقة الاجتماعية)، و(الطبقة الدنيا). انظر (ترودجيل ١٩٨٣م).

٤

العامية (vernacular): التنوع اللغوي الذي يتحدث به الأشخاص الذين يسكنون بلدًا أو منطقة معينة، وعادةً ما تكون اللغة العامية هي اللغة الأم، ويتم التحدث بها بشكل غير رسمي بدلاً من التنوع اللغوي القياسي المكتوب. واللغة العامية نوع من تنوع الكلام، يستخدم عمومًا للإشارة إلى لغة أو لهجة محلية، على أنها مختلفة عما يُنظر إليه على أنه لغة قياسية. وهي لغة لم تطور صنفًا معياريًا ولم تخضع للتدوين وليس لها تقليد أدبي. ويتم استخدام المصطلحين «العامية» و«اللهجة العامية» أيضًا كتسميات بديلة لـ «اللهجة غير القياسية». انظر (التنوع اللغوي).

علم اجتماع اللغة (sociology of language): علم اجتماع اللغة هو دراسة العلاقات بين اللغة والمجتمع. ويسعى إلى فهم الطريقة التي تتأثر بها الديناميكيات الاجتماعية باستخدام اللغة الفردية والجماعية. ويرتبط علم اجتماع اللغة ارتباطًا وثيقًا بمجال اللسانيات الاجتماعية، التي تركز على تأثير المجتمع في اللغة، وكيف تختلف بناءً

على الخلفية الاجتماعية للمستخدم، مثل الجنس، والعرق، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية، في حين يدرس علم اجتماع اللغة، المجتمع في علاقته باللغة وكيف يتأثر بها. فالمجتمع هو موضوع الدراسة الرئيس لعلم اجتماع اللغة، في حين أن اللغة بالنسبة للسانيات الاجتماعية هي موضوع الدراسة. (انظر فيشمان ١٩٨٣م).

العينة (sample): مجموعة المشاركين في البحث في دراسة معينة، أو مجموعة من الأشخاص أو الأشياء التي يتم اختيارها من بين عدد أكبر، ويتم اختبارها من أجل الحصول على معلومات حول المجموعة الكبرى. إنها مجموعة فرعية تحتوي على خصائص المجموعة الكبرى المراد دراستها. وتُستخدم العينات في الاختبار الإحصائي عندما يكون حجم مجتمع الدراسة كبيراً جداً، بحيث لا يمكن للاختبار تضمين جميع الأعضاء أو الملاحظات الممكنة، ومع ذلك يجب أن تمثل العينة جميع خصائص المجموعة الكبرى، ولا تعكس أي تحيز تجاه سمة معينة. (انظر حسن عبد الجواد ١٩٨٦م).

عينة عشوائية (random sample): العينة العشوائية هي مجموعة فرعية من المجتمع الإحصائي حيث يكون لكل عضو في المجموعة الفرعية احتمالية متساوية للاختيار. ويُقصد بالعينة العشوائية أن تكون تمثيلاً غير متحيز للمجموعة يتم اختيارها عشوائياً لتجنب التحيز والآثار الأخرى غير المرغوب فيها، وهي عينة يكون فيها لكل فرد من السكان فرصة متساوية في الاختيار.

ف

فئات الجنس (sex categories): الفئات الاجتماعية التي تقوم على افتراض التمييز البيولوجي، وتتضمن عادةً «ذكر» و«أنثى» ولكنها قد تتضمن أيضاً فئات ثقافية أخرى محددة. انظر (الجنس).

فاعلون اجتماعيون (social actors): الأشخاص الذين يقومون بفعل اجتماعي؛ إذ يعتمد العمل الاجتماعي على ممثلين يقومون بالفعل ويؤدون أدواراً بعينها. وطرق تمثيل الفاعلين

الاجتماعيين أمر مهم من الناحية الاجتماعية للدلالة على تمثيل الفعل، والمشاركة في السيرورات الاجتماعية، من خلال ذكرهم في ممثليات الأحداث، أو استبعادهم، أو تمثيلهم بشكل شخصي، أو غير شخصي، وتسميتهم أو تصنيفهم، والإشارة إليهم بالتعيين أو الشمول، وغيره. انظر (المشاركون). وللمزيد حول المصطلح انظر (غوفمان ١٩٧١م).

ك

الكفاية التواصلية (communicative competence): القدرة على إنتاج الأقوال المناسبة اجتماعياً وفهمها في سياقات ثقافية معينة. فبينما تغطي الكفاية اللغوية قدرة المتحدث على إنتاج جمل صحيحة نحويًا، تصف الكفاية التواصلية قدرته على اختيار مجموعة التعبيرات الصحيحة نحويًا المتاحة له والصيغ التي تعكس بشكل مناسب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك في لقاءات محددة. (انظر ديل هايمز ١٩٧٢م).

الكفاية اللغوية (Language competence): معرفة الشخص غير الواعية للقواعد النحوية للغة، وقدرة المتحدث على إنتاج جمل صحيحة نحويًا، والتمكن من تطبيق ما يسميه تشومسكي «الكليات اللغوية» التي يزود بها الإنسان بالفطرة على جمل لغة بعينها، مع مراعاة ما تقتضيه مواضع تلك اللغة.

كمّي (quantitative): منهجية بحث تركز على القياس الكمي (الإحصائيات، والنسب المئوية) لجمع البيانات وتحليلها، واختبار النظرية، والاستنتاج، واختبار العلاقات، وفهمها؛ إذ يقوم الباحث بتحليل البيانات بمساعدة الإحصائيات بأمل أن تسفر الأرقام عن نتيجة غير متحيزة يمكن تعميمها على عدد أكبر من السكان. وهو مصطلح مستخدم في اللسانيات الاجتماعية للإشارة إلى الدراسات التي تبحث في تواتر سمات لغوية معينة وتوزيعها، عادة باستخدام الإحصائيات لأجل اكتشاف المبادئ العامة المتعلقة ببنية اللغة فيما يتعلق بمتغيرات اجتماعية معينة. انظر (كيفي).

كيفي (qualitative): ويسمى أيضاً (البحث النوعي / المنهج النوعي) ويشير إلى جمع

وتحليل البيانات غير الرقمية لفهم المفاهيم أو الآراء أو الخبرات، ويستخدم لجمع رؤى متعمقة حول مشكلة ما، أو إنشاء أفكار جديدة للبحث. وهدف البحث النوعي ربط الظاهرة بسياقها مع تفسيرها، وتفسير ما شوهد ولوحظ في هذا السياق على وجه التحديد؛ إذ يتتبع الباحث فيها رصد الأنماط الظاهرة، مستخدماً التحليل التفسيري للبيانات مع تقسيمها إلى فئات مستخلصة ليتمكن من عرضها بلغة وصفية. ويهدف البحث النوعي إلى التفتيش عن أغنى بيانات ممكنة، والوصول إلى أعماق ما يجري في جميع جوانب السلوك الاجتماعي. انظر (كمي).

ل

اللسانيات الاجتماعية التباينية (variationist sociolinguistics): اللسانيات الاجتماعية المعنية بدراسة التباين والاختلاف والتغير، وتمثل دراسات التباين مع اللسانيات الاجتماعية الكمية مدرسة واحدة للبحث في اللسانيات الاجتماعية. (انظر لابوف ١٩٧٢م).

اللسانيات الاجتماعية التفاعلية (interactional sociolinguistics): طريقة لتحليل الخطاب تركز على التفاعلات وجها لوجه التي تحدث بشكل طبيعي، والتي توجد فيها اختلافات كبيرة في المصادر اللسانية الاجتماعية للمشاركين، وتدمج تحليل المحادثات مع الاهتمام بالمعايير والقيم والأيدولوجيات المجتمعية الكلية الأوسع، وتتخذ الحدث الخطابي وحدة للتحليل بدلا من المعايير اللغوية والثقافية الواسعة للمجتمع، لرؤية أن الثقافة لا تتوقف خارج الحديث، ولكنها تتشكل فيه من خلال ممارسات التحدث الموجودة. وتركز هذه المنهجية في التفاعلات والتفاصيل اللغوية الناتجة عن الممارسة اللغوية، والتعمق في تفاصيل المشاكل الاجتماعية، والاستفادة من أطر الدراسة المتوفرة في التخصصات الفرعية التي تركز على اللغة. (انظر جون جومبيرز ١٩٧٢م).

اللسانيات الاجتماعية الدقيقة (micro - sociolinguistics): تبحث اللسانيات الاجتماعية الدقيقة في كيفية تأثير البنية الاجتماعية في الطرق التي يتحدث بها الناس، وكيفية ارتباط الاختلافات اللغوية، وأنماط الاستخدام بالخصائص الاجتماعية مثل الطبقة،

والجنس، والعمر، والعرق؛ ومن ثمّ تسعى لربط المتغيرات اللغوية التابعة بالمتغيرات الاجتماعية المستقلة. وتركز اللسانيات الاجتماعية الدقيقة على دراسة سمات لغوية محددة يستخدمها متحدثون أو مجموعات معينة ومعانيها الاجتماعية، وتتناول العلاقة بين استخدام تنوعات لغوية معينة، والبنية والفئات الاجتماعية، واختلاف الأساليب، والسجل اللغوي، والتباينات اللغوية.

اللسانيات الاجتماعية الكلية (macro - sociolinguistics): تبحث اللسانيات الاجتماعية الكلية في موضوعات مجتمعات الكلام، وموضوعات السلوك اللغوي، وتحلل كميات كبيرة من البيانات التي تركز على القضايا المجتمعية، وتعالج الأنماط المجتمعية الأكبر لاستخدام اللغة مثل المواقف اللغوية، وما إلى ذلك.

لغات الاتصال (contact languages): مصطلح عام يستخدم لوصف اللغات التي تطورت في سياقات متعددة اللغات، وهي لغة اتصال هامشية تستخدم لأغراض التواصل الأساسي من قبل أشخاص لا يتشاركون لغة أصلية مشتركة ولا ثقافة (وطنية) مشتركة. ويمكن أن يحدث الاتصال اللغوي نتيجة للهجرة، أو العرقيات القادمة للعمل، وتكون التأثيرات الدائمة في اللغة أقل وضوحاً، ويمكن أن تظهر في التقارب اللغوي والاستعارة وإعادة التفسير، منتجة ما يمكن أن نسميه اللغات الهجين واللغات المختلطة.

اللغة (language): يستخدم مصطلح اللغة عادة للإشارة إلى «المعيار» المثالي لمجموعة متنوعة من الكلام، وهي تلك الرموز ذات المعنى والدلالة التي تلتزم بقواعد معينة في التعبير، مما يجعل منها وحدة ذات خصائص مشتركة، ولا ترتبط لدى المتحدثين بها، بمنطقة جغرافية معينة، أو طبقة اجتماعية خاصة. واللغة أوسع وأشمل من اللهجة، فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات. انظر (التنوع اللغوي)، و(الرمز اللغوي)، و(التباين اللغوي)، و(العامية)، و(التوحيد القياسي).

اللغة القياسية (standard language): تنوع لغوي محدد يعد متفوقاً على التنوعات اللغوية الأخرى من نفس اللغة. وتنشأ اللغات القياسية عندما يبدأ استخدام تنوع لغوي معين في شكل كتابي، عادةً في منطقة أوسع من مساحة التنوعات اللهجية نفسها. ويقصد بتقييس اللغة إخضاعها لعمليات تهيئة وتنميط وتقعيد استجابة لحاجات المجتمع والمؤسسات الرسمية، وهي العمليات التي تنتقل بهذه اللغة من وضعية التنوعات اللهجية التي تتداول في إطار التقليد الشفوي، إلى مستوى اللغة القياسية المستخدم في الكتابة، والمدرسة، والمؤسسات. انظر (التوحيد القياسي).

اللغة المشتركة (lingua franca): لغة مشتركة يتم التحدث بها على نطاق دولي واسع، وتعمل كلغة مشتركة عالمية، تستخدم للتواصل في المواقف التي يتفاعل فيها متحدثو لغات مختلفة لجعل التواصل ممكناً بين مجموعات من الأشخاص الذين لا يتشاركون اللغة الأصلية. وقد تطورت اللغة المشتركة في جميع أنحاء العالم عبر التاريخ لأسباب تجارية، ولأغراض ثقافية، ودينية، ودبلوماسية، وإدارية، وكوسيلة لتبادل المعلومات بين العلماء من جنسيات مختلفة، وغيرهم. انظر (اللغة).

اللغة الهجين (pidgin language): وسيلة اتصال، تعمل كلغة وسيطة تتطور بين مجموعتين أو أكثر لا تشتركان في لغة، وعادةً ما تكون مفرداتها، وقواعدها، محدودة، وغالباً ما يتم استخلاصها من عدة لغات، ويتم إنشاؤها للتواصل بشكل مبسط من مجموعة من الأصوات، والكلمات من العديد من اللغات، إضافة إلى استخدام لغة الجسد، والمحاكاة الصوتية. ويتم استخدامها بشكل شائع في مواقف مثل التجارة، والأعمال المهنية، أو حيث تتحدث المجموعات بلغات مختلفة عن لغة البلد الذي يقيمون فيه، ولا توجد لغة مشتركة بينهم. وتعد اللغة الهجين وسيلة مبسطة للتواصل اللغوي؛ لأنها مبنية بشكل ارتجالي، أو عن طريق العرف، بين الأفراد أو مجموعات من الناس، وهي ليست اللغة الأم لأي مجتمع حديث، ولكن يتم تعلمها كلغة ثانية.

اللهجات العرقية (ethnic dialects): الشكل المميز للغة التي يتحدث بها أعضاء مجموعة عرقية معينة، وتسمى أيضاً باللهجة الاجتماعية الإثنية. وهي ليست مجرد لهجات أجنبية للغة الأغلبية؛ لأن العديد من المتحدثين بها قد يكونون متحدثين أحاديي اللغة للغة الأغلبية.

اللهجة (dialect): اللهجة طريقة في الاستعمال اللغوي لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة، وهي تنوع لغوي تنقاسمه مجموعة من الناس ترتبط بنطاق جغرافي معين أو طبقات اجتماعية مختلفة، وتحتوي على بعض الأنماط النحوية والكلمات التي تختلف عن اللغة القياسية، إضافة إلى النطق غير القياسي. وتتميز اللهجة بشكل رئيس عن اللهجات الأخرى لنفس اللغة من خلال ملامح البنية اللغوية صوتياً وقواعدياً وكذلك على مستوى الوحدات المعجمية. وتعد اللهجات من صور التنوع اللغوي؛ إذ إن هناك نوعين من اللهجات: لهجات جغرافية أو محلية، ولهجات اجتماعية. هذه اللهجات التي يمتلكها أو يعرفها إنسان ما، من شأنها أن تحدد هويته المحلية ووضعه.

اللهجة الاجتماعية (social dialect): اللهجة الاجتماعية هي مجموعة متنوعة من الكلام المرتبط طبقة اجتماعية معينة أو مجموعة مهنية داخل المجتمع، وتعد اللهجة الاجتماعية في اللسانيات الاجتماعية شكلاً من أشكال اللغة (لهجة غير قياسية، سجل مقيد) أو مجموعة من العناصر المعجمية المستخدمة من قبل طبقة اجتماعية اقتصادية، أو مهنية، أو فئة عمرية، أو فئة اجتماعية أخرى.

اللهجة الإقليمية (regional dialect): طريقة التحدث التي ترتبط بسكان منطقة جغرافية معينة، وهي شكل مميز للغة منطوقة في منطقة جغرافية معينة.

م

مبدأ التعاون (cooperative principle): مبدأ حوارى عام من مبادئ التداولية عند غرايس، وتتجسد فكرته في مساهمة المتكلمين وتحكمهم في المبادلة الخطابية ثم تحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد، وتحقيق نوع من الانسجام. ومبدأ التعاون هذا هو الأساس الذي يركز عليه الاستلزام الحوارى من أجل ترتيب الحدث الكلامي، ويقود مبدأ التعاون إلى التواصل والتفاعل فيما بين المتحدثين.

المتغيرات الاجتماعية (social variables): مفهوم يشير إلى التغير المستمر في المجتمع؛ بسبب تأثير مجموعة من العوامل الاجتماعية، كالطبقة الاجتماعية، والعرق، والتعليم، والجنس، والعمر، والمستوى الاقتصادي، والمركز الوظيفي. ويعد التغير الاجتماعي ظاهرة عامة وسمّة مميزة للمجتمعات الإنسانية؛ إذ إنه يعبر عن تحول بنائي يطرأ على المجتمع في ظواهره الاجتماعية والعلاقات بين أفراده، وما يصاحب ذلك من تغيرات في القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة، وفي مقدماتها السلوك اللغوي. وهي مؤثرة عند وصف السلوك اللغوي، ودراسة التوزيع اللغوي. وتهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة تأثير المتغيرات الاجتماعية في المتغيرات اللغوية. (انظر لافوف ١٩٦٣م).

المتغير التابع (independent variable): متغير لغوي يفترض أنه يتقلب بناء على تغيرات العوامل الاجتماعية قيد الدراسة.

المتغير المستقل (dependent variable): المتغير الاجتماعي (على سبيل المثال، العمر، العرق، الطبقة الاجتماعية) الذي تتم دراسته في اللسانيات الاجتماعية، ويعتقد أنه يرتبط بمتغيرات لغوية معينة.

المجتمع (society): مصطلح عام لمجموعة اجتماعية كبيرة تشترك في نفس المنطقة المكانية أو الاجتماعية، وعادة ما تخضع لنفس السلطة السياسية، والتوقعات الثقافية السائدة، وتشترك في تفاعل اجتماعي مستمر، وتتشارك بعض المعايير الثقافية. وتبني

المجتمعات أنماطاً من السلوك من خلال اعتبارها أفعالاً أو أنماط كلام معينة مقبولة أو غير مقبولة، وتُعرف أنماط السلوك هذه داخل مجتمع معين بالمعايير المجتمعية، وتخضع المجتمعات وقواعدها ومعاييرها لتغيرات تدريجية ودائمة.

مجتمع الكلام (speech community): مصطلح يستخدم لوصف مجموعة من الأفراد المشاركين في تفاعل اجتماعي مستمر الذين يتشاركون المعايير اللغوية، وأنماط الكلام المشتركة. ويعد «مجتمع الكلام» أحد المفاهيم الأساسية للسانيات الاجتماعية الكلية، وهو كلّ تجمع إنساني، يميزه تفاعل منظم ومشترك عن طريق مجموعة من العلاقات اللغوية، وتغايره عن التجمعات المشابهة فروق مهمة في استعمال اللغة، وتشكل اختلافات الحديث المستخدمة فيه نظاماً، كون المتحدثين فيه يرتبطون بتقاسم مجموعة من المعايير الاجتماعية. قارن مع (الشبكة الاجتماعية)، وانظر (المجموعة الاجتماعية). وللمزيد حول هذا المصطلح انظر (جومبيرز ١٩٦٨م).

مجتمع الممارسة (community of practice): مجتمع الممارسة هو مجموعات أصغر للشبكة الاجتماعية، يتكون من مجموعات تفاعل معينة، يحدث فيها تصنيف للمعاني الاجتماعية من خلال العناصر اللغوية والعوامل الاجتماعية بواسطة أفراد كل مجموعة. وهي مجموعات يتم تحديدها وفقاً للتفاعل حول مسعى مشترك، على الرغم من أن المتحدثين قد يكون لديهم ذخيرة لغوية وخلفية مختلفة، إلا أن الممارسات اللغوية الشائعة تظهر من خلال التفاعل المنتظم. انظر (الشبكة الاجتماعية). وللمزيد حول المصطلح انظر، (ايكرت، ٢٠٠٠م، وميلروي ١٩٨٠م).

المجموعة الاجتماعية (social group): يمكن تعريف المجموعة الاجتماعية على أنها تتكوّن من شخصين فأكثر يحصل بينهم التفاعل، ويشتركون في خصائص متشابهة. وتأتي المجموعات الاجتماعية في عدد لا يحصى من الأحجام والتنوع؛ إذ يمكن النظر إلى المجتمع على أنه مجموعة اجتماعية كبيرة. وغالباً ما يستخدم المصطلح في اللسانيات الاجتماعية للإشارة إلى الطبقات الاجتماعية والاقتصادية أو المجموعات العرقية. انظر (مجتمع الكلام).

المُخبر اللغوي (language informant): مصطلح يستخدم للإشارة إلى متحدثي اللغة أو اللهجات الذين يزودون اللغويين ببيانات حول تنوعهم اللغوي. وهو متحدث أصلي أو عضو في مجتمع يعمل كمرجع لغوي للغة أو مجتمع الكلام الذي تتم دراسته. ويُظهر المخبر اللغوي النطق الأصلي للغة، ويقدم أحكاماً نحوية فيما يتعلق بالصياغة اللغوية الجيدة، وقد يشرح أيضاً المعلومات السياقية المهمة للباحثين الذين يدرسون اللغة. انظر (العينة). وانظر في هذا (حسن عبد الجواد ١٩٨٦م).

المستويات اللغوية (language levels): المستوى اللغوي نموذج لغوي على شاكلة سلسلة متصلة من التنوعات اللغوية في مجتمع لغوي واحد، يحقق للناطقين به صلاتهم الاجتماعية والفكرية، ويحمل الخصائص اللغوية التي تعارف عليها أهل اللغة أصواتاً، وبنية، وتراكيب، وإعراباً... وهي عبارة عن مستويات وسيطة لوصف أكثر دقة للمسافة بين التنوعين الأعلى والأدنى في اللغة العربية، وتعني أن طبقات المجتمع الثقافية والحضارية متداخلة بصورة يتعذر معها الفصل بينها، وأن لغة المجتمع العربي متدرجة من أقصى درجات الفصحى، إلى أدنى طبقات العامية، وأنها متداخلة فيما يشبه السلم اللغوي، وأن لكل فرد مركز على هذا السلم تحدده خلفياته الثقافية، وأن هذا المركز يتغير تبعاً لتغير ثقافة الفرد. انظر (المسافة اللغوية) و(الازدواجية اللغوية) وللمزيد حول المصطلح انظر (السعيد بدوي ١٩٧٣م).

المسافة اللغوية (language distance): مصطلح مستخدم في الازدواجية اللغوية، ويعني المساحة أو الفراغ الممتد بين المستوى اللغوي الأعلى والمستوى اللغوي الأدنى، الذي تتعايش فيه مجموعة مختلفة من التنوعات اللغوية ذات سمات تميز بعضها عن بعض. وتوسيعاً لما أسماه فيرجسون ١٩٩١م «بالمسافة اللغوية» اقترح دارسون مستويات وسيطة لوصف أكثر دقة للمسافة بين التنوعين الأعلى والأدنى في اللغة العربية. لقد أدرك هؤلاء أن اقتراح مستويات وسيطة بين التنوعين الأعلى والأدنى يقدم وصفاً أدق للمشهد اللغوي في العالم العربي حيث إن الناس يتحولون من أحد التنوعين

إلى الآخر خاصة حين يتكلمون، لكنهم لا يتحولون تحولاً تاماً، وينتج عن هذا مستويات وسيطة من التنوع اللغوي ليست تنوعاً أعلى تماماً ولا تنوعاً أدنى تماماً. وتم اقتراح عدد من البدائل والنماذج المعدلة أنتجت سلسلة من المستويات تتراوح بين المستوى المثالي، والأقطاب اللهجية المختلفة؛ إذ تتركز نقاشات الدارسين على معالجة المسافة الممتدة بين المستويين الأعلى الفصيح، والأدنى المنخفض، من خلال القول بوجود العديد من المستويات اللغوية المتدرجة بين هذين المستويين، وقول آخر يرى الواقع اللغوي العربي الحديث عبارة عن مسترسل لغوي continuum يتمثل في سلسلة من التباينات اللغوية يقف المستوى الفصيح على طرفها الأيمن، وعلى طرفها الأيسر يعيش العامي، وبين الاثنين يعيش عدد من المتغيرات والتنوعات اللغوية التي يناسب كل منها الظروف المقامية داخل المجتمع اللغوي العربي. قارن مع (المستويات اللغوية)، وانظر (الازدواجية اللغوية). وللمزيد انظر (بلانك ١٩٦٠م، والسعيد بدوي ١٩٧٣م، وميسيله ١٩٨٠م).

المشاركون (participants): مصطلح مستخدم في بحوث إثنوجرافيا التواصل للإشارة إلى الأشخاص الذين هم جزء من الحدث التواصل الذي تتم دراسته، يشير إلى مجموعات مختلفة (المتحدث - المستمع، والمخاطب - المخاطب، أو المرسل - المتلقي) يمثلون أدواراً بعينها محددة اجتماعياً. انظر (الفاعلون الاجتماعيون)، وللمزيد انظر (ديل هايمز، ١٩٧٢م).

المشهد اللغوي (linguistic landscape): يشير بشكل أساسي إلى وجود لغة ما في منطقة بعينها، وعلاقة اللغات في تلك المنطقة، وكيف أن لغة إشارات الطرق العامة، واللوحات الإعلان، وأسماء الشوارع، وأسماء الأماكن، ولافتات المحلات التجارية، واللافتات العامة في المباني الحكومية، تعكس التركيبة الاجتماعية واللسانية للمجموعة البشرية المقيمة في منطقة معينة. وتعكس اللوحات سواء أكانت أحادية اللغة أم ثنائية اللغة أم متعددة اللغات، مظاهر التنوع والتعدد اللغوي، ومدى سيطرة لغة معينة على المشهد اللغوي وعلى الثقافة والمجتمع والإدارة. وتمثل اللوحات المكوّنة للمشهد اللغوي تعبيراً عن الحيويّة اللسانية الإثنية، أي قدرة جماعة لغوية معينة على التعبير عن هويتها،

كما تمثل اللافتات مخزوناً لغوياً وسميائياً وثقافياً على قدر كبير من الأهمية. انظر (لاندرى وبورهييس ١٩٩٧م).

المعايير الاجتماعية (Social norms): تعد المعايير الاجتماعية صوراً جماعية لسلوك جماعي مقبول، وتصورات فردية لسلوك جماعي ما. يمكن النظر إليها على أنها نواتج ثقافية (بما في ذلك القيم والعادات والتقاليد) تمثل المعرفة الأساسية للأفراد بما يفعله الآخرون وما يتصورون أنه ينبغي عليهم فعله. وهي قواعد تحدد ما ينبغي وما لا ينبغي أن يفعله الناس في ضوء محيطهم الاجتماعي، وبيئتهم، وسياقهم الاجتماعي والثقافي، والظروف المحيطة بهم.

معايير التفاعل والتفسير (norms of interaction and interpretation): يستخدم هذا المصطلح في بحوث إثنوجرافيا التواصل للإشارة إلى السلوكيات المحددة المرتبطة بشكل معياري بحدث تواصلي معين، وكيف يمكن النظر إلى الالتزام أو الانحراف عن هذه المجموعة من السلوكيات. وتشير معايير التفاعل والتفسير إلى السلوكيات المحددة، والخصائص التي ترتبط بالمتحدث، وكيفية رؤيتها من الأشخاص الذين لا يشاركون فيها، ويميز هذا المكون بين نوعين من المعايير التي قد تكون مهمة لممارسة التواصل: ما الذي يتم القيام به بشكل طبيعي على سبيل العادة، وما هو الشيء المناسب الذي يجب فعله. انظر (ديل هايمز، ١٩٧٢م).

المعنى الضمني (implicit meaning): مصطلح تداولي عند غرايس، يستخدم للإشارة إلى المعنى الذي لم يتم ذكره صراحة، ولكنه ضمني أو يجب أن يُشتق من المعرفة المشتركة.

المفتاح (key): مصطلح يستخدم في بحوث إثنوجرافيا التواصل، للإشارة إلى طريقة نقل رسالة معينة، ولعلاقة كيفية تصنيف الممارسات من خلال أنواع معينة من السلوك، والانتقالات، والمواقف.

المكانة الخفية (covert prestige): وتعني مكانة تنوع أو شكل لغوي غير قياسي، وتشق هذه المكانة من أهميته في التفاعل داخل المجموعة؛ إذ تشير المكانة الخفية إلى القيمة الموضوعية في الشكل غير القياسي للغة. وتفسر المكانة الخفية علاقة استخدام مجموعة من الناس للتنوعات اللغوية غير القياسية التي يتحدثون بها أو يستخدمونها والاعتزاز بذلك، برغبتهم في اكتساب التميز والقبول والتضامن مع المجموعة التي تشير إلى هويتهم وانتمائهم لتلك المجموعة؛ إذ تكمن الأهمية الاجتماعية الإيجابية في الثقافة المحلية للعلاقات الاجتماعية؛ ومن ثم فمن الممكن أن يكون للمتغير الموصوم اجتماعياً في مكان ما وهو التنوع غير القياسي، مكانة خفية في مكان آخر. وبهذا فإن تنوع الحديث غير القياسي يتضمن عناصر للمكانة الخفية التي تمنحها المجموعة لنفسها. قارن مع (المكانة الصريحة)، وللمزيد انظر، (بيترترودجيل ١٩٧٢م).

المكانة الصريحة (overt prestige): المكانة اللغوية هي درجة التقدير والقيمة الاجتماعية والمستوى الذي يُمنح عادة لتنوع لغوي بعينه داخل مجتمع الكلام مقارنة بالتنوعات اللغوية الأخرى. وغالبا ما تكون المكانة الاجتماعية واللغوية مترابطة فتحمل لغة المجموعات الاجتماعية القوية مكانة لغوية ظاهرة وصريحة، فُمنح المكانة الاجتماعية للمتحدثين بلغات وأنواع مرموقة. وفي حالة المكانة اللغوية الصريحة، يكمن التقويم الاجتماعي في مجموعة موحدة ومقبولة على نطاق واسع من المعايير الاجتماعية. وترتبط المكانة الصريحة بسمات اللغة القياسية والرسمية، وتعبر عن القوة والمكانة، وتمنح اللغات المختلفة المكانة لتنوعاتها اللغوية على أساس عوامل تتضمن: التراث الأدبي الغني، والدرجة العالية لحدثة اللغة، والمكانة الدولية الكبيرة، أو مكانة متحدثيها، ووجود مثل هذه الصفات من المحتمل أن يعني أنّ هذا التنوع اللغوي يمكن النظر إليه على أنه تنوع لغوي ذو مكانة عالية. قارن مع (المكانة الخفية)، وانظر (كلوس، ١٩٦٦م).

المواقف اللغوية (language attitudes): ويقصد بها مشاعر الفرد نحو لغة ما، أو تجاه أهل اللغة، التي قد تكون مبنية على القيم والمعتقدات التي يتبناها الفرد، وقد تظهر

من خلال سلوكه نحو هذه اللغة. وللمواقف دور مهمّ في مساعدتنا على فهم ما يشعر به المتحدثون باللغة، حيث إنّ الموقف اللغوي يقربنا أكثر إلى فهم الأيديولوجيات اللغوية للمتحدثين وكيف تؤثر هذه الأيديولوجيات في اللغة. ويتضمن الموقف اللغوي كلّ القيم غير الواعية التي يربطها المتحدث باللغة، وهذه القيم تقود المتحدثين لصياغة آرائهم حول ما يعد ملائماً أو غير ملائم من طرق الحديث. وهكذا، فإن استقصاء مواقف الناس حول اللغة هو مجال مثير للاهتمام، يمكننا من خلاله فهم التوزيع الاجتماعي للتنوعات اللغوية واتجاهات تطور اللغة، كما أنه أيضاً يقربنا لطبيعة قابلية التغيير اللغوي في مجتمع بعينه. ويعتمد المجتمع اللغوي على المواقف اللغوية الجماعية، ويساعد التعرف على مواقف الأفراد على التنبؤ بسلوكهم الخاص في علاقتهم بهذه المواقف. وغالباً ما تكون المواقف تجاه اللغة انعكاساً للمواقف تجاه أفراد الجماعات المختلفة، ولها أثر في مدى فهم الأشكال والتنوعات اللغوية، ويعد استكشاف المواقف اللغوية في مجتمع معيّن أمراً بالغ الأهمية لفهم المعنى الاجتماعي للتنوعات واللهجات المختلفة ضمن المجتمع، مما يجعل لدراسة المواقف اللغوية مكاناً مهماً في اللسانيات الاجتماعية. انظر (أيديولوجيا اللغة). وللمزيد حول المصطلح انظر (أويولس ٢٠٠٢م، ولامبرت وآخرون ١٩٦٠م).

ن

النوع (genre): هذا المصطلح جزء من بحوث إثنوجرافيا التواصل، وهو نوع من الممارسات اللغوية يستحضر حدثاً أو وظيفة معينة في الكلام. ويشير المصطلح إلى أنواع محددة بوضوح من الكلام، مثل القصائد والأحاجي، والخطب، والصلوات، والمحاضرات، والافتتاحيات، يتم تمييزها بطرق محددة على عكس الكلام العادي. وتصبح خصائص تلك الأنواع الرسمية ذات صلة بتحليلها؛ إذ يمكن فهم الممارسة كنوع محدد من الكلام، ويتم تحليلها وفقاً لذلك. قارن مع مصطلح (صنف).

هـ

الهوية (identity): تبينّ واع ومستبطن لأدوار مفروضة أو مركبة من قبل المجتمع، تعكس مفهوم الانتماء المبني اجتماعياً إلى فئات اجتماعية معينة، وتعطينا الهوية فكرة عمّن نكون نحن، وكيف نرى الآخرين والعالم الذي من حولنا. وهي عامل مؤثر في فهم الاستخدام اللغوي وتفسيره، والاختيارات اللغوية المختلفة. وتشكل الهوية بفعل عوامل ثلاثة: هي الإدراك وذلك من خلال إدراك الفرد لنفسه، وإدراك الآخرين لماهيته، والنظرة إلى العالم المتعلقة بموقف الفرد من القضايا ونظرته لسياقه الاجتماعي والثقافي، وكذلك عامل الممارسة والعادات. والهوية ترسم الطرق التي نكون فيها على السواء، كالآخرين الذين يشاركوننا نفس الأوضاع، والطرق التي نكون بها مختلفين عنهم، وأكثر ما يحدد الهوية عادة هي الفروقات. انظر (هوية)، و(أيديولوجية). وانظر (بسيوني، ٢٠١٢م).

الهوية الاجتماعية والشخصية (social identity and personality): جانبان مختلفان من الهوية؛ إذ يرتبط جزء من هوية المرء الاجتماعية بالظروف الاجتماعية التي يولد فيها، ومرحلة الدمج الاجتماعي الأولى في حياته. ويكتسب المرء لاحقاً جزءاً آخر من هويته الاجتماعية، وتوجد علاقة منطقية جدلية بين الهوية الاجتماعية والشخصية؛ إذ يعتمد نمو الهوية الاجتماعية، أي قدرة المرء على التصرف فعلاً كفاعل اجتماعي يتدخل في الحياة الاجتماعية، وربما يغير فيها، على توظيف الأدوار الاجتماعية توظيفاً شخصياً وتطويعها، أي على الدمج بين الهوية الاجتماعية والشخصية. انظر (هوية).

مراجع الكتاب



نحو لسانيات اجتماعية عربية
من النظرية إلى التطبيق

المراجع العربية

- آل ياسين، محمد حسين. (١٩٨٠). الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث (ط١). منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ابن جني، أبي الفتح عثمان. الخصائص، الجزء الثاني. (الطبعة الثانية). تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (٢٠١٩). مقدمة ابن خلدون. (الطبعة الأولى) تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى. مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان.
- أبوحيمد، إبراهيم. (٢٠١٣). اللغة الهجينة والمولدة، دراسة لغوية اجتماعية. مجلة الدراسات اللغوية، مجده١٥، ١٤.
- أشار، بيار. (١٩٩٦). سوسيولوجيا اللغة. ترجمة عبد الوهاب ترّو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.
- أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية. ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية.
- بارت، رولان. (١٩٩٣). مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص. ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، حلب.
- بالتريج، براين. وأيك فاكيي. (٢٠٢١). مناهج البحث في اللسانيات التطبيقية (الطبعة الأولى). ترجمة د. عقيل بن حامد الشمري. دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- بدوي، السعيد. (٢٠١٢). مستويات العربية المعاصرة في مصر بحث في علاقة اللغة بالحضارة (طبعة دار السلام الأولى). دار السلام للطباعة، والنشر، والتوزيع، والترجمة.

- برهومة، عيسى. (٢٠٠٢). اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة (الطبعة الأولى). دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- بسيوني، ريم. (٢٠١٨). علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاوِر ونظريات) (محاضرات ١٢)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض.
- بشر، كمال. (١٩٩٧). علم اللغة الاجتماعي، مدخل (ط ٣). دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- بوقرة، نعمان. (٢٠١٧). أضواء على نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٢٩، ص ٤٨ - ٧٣.
- بوقرة، نعمان. (٢٠٠٩). اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة (ط ١). عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن.
- بوقمرة، عمر. (٢٠١٧). التداولية: الجذور والروافد (قراءة كرونولوجية). مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، ص ٢٠١ - ٢٢٨.
- بيكر، بول. وإيليج، سيبونيل. (٢٠١٨). المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب (الطبعة الأولى). ترجمة ناصر بن عبد الله بن غالي. دار جامعة الملك سعود للنشر، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تشومسكي، نعام. (١٩٩٠). اللغة ومشكلات المعرفة (ط ١). ترجمة حمزة بن قبلان المزيني. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- التميمي، جنان. (٢٠١٧). الخطاب اللغوي في التواصل الشبكي التغريد (Twitter): خصائصه اللغوية ووظائفه التداولية. مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، العدد ٥، ص ٨٤ - ١٢١.
- جدامي، عبد المنعم. (٢٠١٣). الازدواجية اللغوية في العربية ومقارباتها (ط ١)، الرياض.

- الجندي، أحمد علم الدين. (١٩٧٨). اللهجات العربية في التراث. الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا.
- جيسلين، كمبرلي. ويم لونغ، أفيزيا. (١٤٤٠). اللغويات الاجتماعية واكتساب اللغة الثانية، تعلم استعمال اللغة في السياق. ترجمة إبراهيم أبو حيمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- حجازي، محمود فهمي. (١٩٧٣). علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية. وكالة المطبوعات، الكويت.
- حسني، هنية. (٢٠١٧). السياسة اللغوية في المجتمع الجزائري: دراسة تحليلية نقدية للنظام التربوي الجزائري. [رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة محمد خيضر]، سكبيرة، الجزائر.
- الحلوة، نوال. (٢٠٠٥). من الظواهر الصوتية في لهجة القصيم: دراسة في ضوء كتب التراث اللغوي. مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية المجلد ٧، ع ١، ٨ - ٨١.
- الحوسني، نجوى. (٢٠١٤). آراء طالبات المرحلة الثانوية في استخدام العريزي في دولة الإمارات العربية المتحدة. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة، (ص ٢٦١ - ٢٨٤). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- خطاي، محمد. (٢٠١٤). لسانيات النص وتحليل الخطاب، محاولة تساؤل وتدقيق. مجلة علامات، المغرب، العدد ٤١، ص ٨٥ - ١٠٦.
- خطاي، محمد. (١٩٩١). لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب (ط ١)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
- خليل، حلمي. (١٩٨٨). العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

- دايك، فان. (٢٠١٣). النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب.
- الرميح، منى. ثقافة تغيير اللغة العربية لدى شباب الوطن العربي وأثرها على الهوية الثقافية (دراسة مقارنة). في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ٢٣٥ - ٢٥٩). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- زروقي، عبد القادر علي. (٢٠١٨). الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي، دراسة في المفهوم وآلية البحث. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، ص ٩٩٥ - ١٠١٠.
- زكريا، ميشال. (١٩٨٦). المملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية (ط١). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- السبعان، ليلي. (٢٠١٤). الأشكال اللغوية للرسائل الإلكترونية عند الشباب، في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ٥٩ - ٨٥). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- السبعان، ليلي. (٢٠٠٠). اللهجات وأثرها على اللغة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد السادس والعشرون - الجزء الثاني.
- سبيل، عبد القادر. (٢٠١٥). دور المجتمع المدني في خدمة اللغة العربية. في ناصر بن عبد الله الغالي (محرر)، كتاب اللغة العربية في المنظمات الدولية (ط١). (ص ص ٢٤٣ - ٢٦٦). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- سراج، نادر. (٢٠١٢). الشباب ولغة العصر، دراسة لسانية اجتماعية (ط١). الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.

- سراج، نادر. (٢٠١٤). العريزي.. دراسة حالة من لبنان، في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ١٠٥ - ١٥٠)، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- سعدية، نعيمة. (٢٠٠٩). تحليل الخطاب والدرس العربي - قراءة لبعض الجهود العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة. الجزائر، العدد الرابع، ص ٥٥ - ٨٣.
- سلطاني، المهدي. (٢٠٢١). مظاهر السياسة اللغوية في ظل تحديات التعدد اللغوي ورهاناته في الجزائر. مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، الجزائر، مج ٤، العدد ٨، ص ٢٣٤ - ٢٥٢.
- السويسي، رضا. (١٩٨٦). في تحليل الخطاب وبعض القضايا التواصلية من جهة نظر لسانية اجتماعية. في كتاب أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات (ص ص ٨٣ - ١٠٥). منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس.
- السيد، صبري إبراهيم. (١٩٩٥). علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياها. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. (١٩٨٦). المزهري في علوم اللغة وأنواعها. الجزء الأول، تحقيق محمد جاد المولى، علي البجادي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- شاكر، سالم. (١٩٨٥). الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر. ترجمة حبيب الله منصوري، دار القصب للنشر، الجزائر.
- شاهين، عبد الصبور. (١٩٨٥). في التطور اللغوي (ط ٢). مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شاهين، عبد الصبور. (١٩٨٠). في علم اللغة العام (ط٣). مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الشاوش، محمد. (٢٠٠١). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، الجزء الأول. كلية الآداب، منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.
- شاولي، أشرف. (٢٠١٤). مزج اللغات في تطبيق WhatsApp لدى السعوديين: أشكاله وأسبابه من منظور لغوي اجتماعي. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ١٨٧ - ٢٠٤). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الشرقاوي، محمد. (٢٠١٣). الفتوحات اللغوية انتشار اللغة العربية وولادة اللهجات في القرن الأول الهجري (ط١). دار التنوير القاهرة.
- شغال، فلدмир. (١٩٨٦). حول تنوع اللغة العربية الفصحى. في كتاب أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات (ص ص ٢٢٥ - ٢٣٣). منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس.
- الشمري، عقيل. وميغري، منصور. (٢٠١٧). التصورات الشعبية عن اللغة في الأدبيات اللسانية المعاصرة: مقارنة إبستمولوجية. في كتاب عقيل الشمري، ومنصور ميغري (محرر)، التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات (ط١). (ص ص ٣١ - ٦٨). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الشمري، عقيل. وميغري، منصور. (٢٠١٧). التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات (ط١) (محرر). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.
- شنان، قويدر. (٢٠١٨). اللسانيات الاجتماعية في نمطها الكمي. جسور المعرفة، الجزائر، المجلد ٤، العدد ١٦، ص ١٧٥ - ١٨٤.

- صحراوي، عز الدين. (٢٠٠٤). العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية المعاصرة. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، العدد ٥٥، ص ٣٦ - ٥٢.
- صحراوي، عز الدين. (٢٠٠٣). اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد الخامس، ص ١٦٥ - ١٧٦.
- الضبيب، أحمد. (١٩٧٥). مقدمة ترجمة كتاب ت. م. جونستون، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية (ط١). مطبوعات جامعة الرياض، الرياض.
- الطاهر حسين، مختار. (٢٠١١). تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة (ط١). الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- العاروك، بدرية. (١٤٣٥). لهجة القصيم وصلتها بالفصحى. نادي القصيم الأدبي، بريدة، المملكة العربية السعودية.
- عبد التواب، رمضان. (١٩٨٢). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ط١). مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد الجواد، حسن شقير. (١٩٨٦). نحو مدخل عملي لدراسة اللهجات العربية المعاصرة. في كتاب أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات (ص ١٧٧ - ٢١٢). منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس.
- عبد الحليم، بن عيسى. (٢٠١٨). مصطلح التداولية في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس، قراءة تحليلية نقدية. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد ٢٠، ص ٣ - ١٠.

- عبد الحي، أشرف. (٢٠١٧). نحو «تسييس» اللسانيات التطبيقية: التصورات الشعبية للغة. في كتاب عقيل الشمري، ومنصور ميغري (محرر)، التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم، وقضايا، وحالات، (ط١). (ص ص ١١٧ - ١٣٨). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- عبد العزيز، محمد حسن. (٢٠٠٩). علم اللغة الاجتماعي. مكتبة الآداب، القاهرة.
- العبيد، بدرية. (٢٠١٤). تويتر السعودية، وما يسطرون، أثر تويتر على عربية المستخدمين السعوديين: المشكلة والحل. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ٢٨٥ - ٣٢٧). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- عبيد، حاتم. (٢٠١٥). البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية من وجهة نظر لسانية تداولية. مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد ٢، ص ١١٨ - ١٤٧.
- علوي، عبد السلام إسماعيلي. (٢٠١١). ما التداوليات؟ في حافظ اسماعيلي علوي (محرر)، كتاب التداوليات: علم استعمال اللغة (ط١) (١٧ - ٢٤). منشورات عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- علي، محمد محمد يونس. (٢٠٠٤). مدخل إلى اللسانيات (ط١). دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان.
- عماش، أحمد كاظم. وحاتم، رياض حمود. (٢٠١٦). سياق الحال في الاتجاه الوظيفي، مايكل هاليداي أنموذجاً. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل، العدد ٢٩، ص ١٣٣ - ١٣٩.
- عمايره، موسى. وآخرون. (٢٠٠٠). مقدمة في اللغويات المعاصرة (ط١). دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- عمر، أحمد مختار. (١٩٩٦). اللغة واختلاف الجنسين (ط١). عالم الكتب.
- العناتي، وليد. (٢٠١٤). الشباب واللغة.. دراسة لسانية اجتماعية. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ١٦١ - ١٨٦). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- عيد، محمد. (١٩٨١). المستوى اللغوي للفصحى، واللهجات وللنثر والشعر. عالم الكتب، القاهرة.
- الغالي، ناصر. (٢٠١٨). اتجاهات البحث في اللسانيات الاجتماعية العربية. مجلة الدراسات العربية، كلية دارالعلوم، جامعة المنيا، مصر، مجلد ٣٧، العدد ٢، ص ١١١٣ - ١١٨٤.
- الغالي، ناصر. (٢٠١٩). تحويل الشفرة ازدواجي بين العربية الفصحى والعاميات السعودية: وظائفه الاجتماعية في وسائل التواصل الاجتماعي: تويترون نموذجاً. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، ص ٩ - ٦٩.
- الغامدي، حمدة. (٢٠١٤). الشباب السعودي يغرد بالعربي! ما الدوافع. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ٣٢٩ - ٣٥٧). منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- فاسولد، رالف. (٢٠٠٠). علم اللغة الاجتماعي للمجتمع. ترجمة إبراهيم الفلاي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الفقي، صبحي إبراهيم. (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج ١، (ط١). دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- الفلاي، إبراهيم. (١٩٩٦). ازدواجية اللغة، النظرية والتطبيق (ط١). مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- الفهري، عبد القادر الفاسي. (٢٠١٣). السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة وديموقراطية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان.
- القاسمي، علي. (٢٠٠٩). لغة الطفل العربي، دراسات في السياسات اللغوية وعلم اللغة النفسي. مكتبة لبنان، لبنان.
- قرقور، أحلام. (٢٠١٨). أثر السياسة اللغوية في ممارسة اللغة العربية. جهود المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر أنموذجاً. [رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف ٢]، الجزائر.
- كرامش، كلير. (٢٠١٠). اللغة والثقافة. ترجمة د. أحمد الشيمي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر.
- اللحياني، سرور. (٢٠٢٠). الأسس الطبيعية والإبداعية للغة، مقارنة توليدية أدنوية. مجلة جامعة القصيم، فرع العلوم العربية والإنسانية، القصيم، المملكة العربية السعودية.
- اللحياني، سرور. (٢٠١٧). دليل المستعمل في النحو، قاموس المصطلحات اللسانية. كلية الآداب والفنون والإنسانيات، بجامعة منوبة، تونس.
- لعبي، هادي نهر. (٢٠٠٩). اللسانيات الاجتماعية عند العرب (ط١). عالم الكتب الحديث، الأردن.
- لخضر، كروم. وعامر بن شتوح. (٢٠٢١). التنوع اللغوي واللهجي في المجتمع الجزائري وانعكاساته على التحصيل اللغوي للمتعلم، المجتمع الأغواطي أنموذجاً. مجلة معالم، عدد خاص، الجزائر مجلد ١٣، ص ١٤٩ - ١٦٤.
- لهويمل، باديس. وحسني، نور الهدى. (٢٠١٤). مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية. مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، العدد، ص ١٠١ - ١٢٤

- لوينز، جون. (٢٠٠٩). اللغة واللغويات (ط١). ترجمة محمد العناني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن.
- المبخوت، شكري. (١٩٩٨). نظرية الحجاج في اللغة. في كتاب حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. (ص ص ٣٥٣ - ٣٥٨). منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس.
- المحمود، محمود. (٢٠١٨). التخطيط اللغوي والسياسية اللغوية: تأصيل نظري، مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد ٦، السنة الثالثة، ص ٨ - ٤٨.
- مكاي، ساندر. (٢٠١١). مناهج البحث العلمي المستعملة في دراسة فصول تعليم اللغة الثانية. ترجمة د. صالح بن ناصر الشويخ. عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الملائكة، جميل عيسى. (١٩٩٠). تقييس المصطلح وتوحيده في العالم العربي: المبادئ والطرق. مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، مج ٤١، ج ١، ص ٤٧ - ٥٧.
- كتاب الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨٦م.
- المنذري، ريا. (٢٠١٤). مستوى استخدام العريزي لدى الشباب العماني في مواقع التواصل الاجتماعي. في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة (ص ص ٢٠٥ - ٢٣٣). مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المنيزل، تمام حمد. (٢٠٢٠). الوظيفة عند هاليداي: دراسة تحليلية. المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، ماليزيا، المجلد ٢، العدد ١، ص ٢٢ - ٣٢

- مورو، محمد أنيس. (٢٠١٥). المصطلح العربي بين التقييس والممارسة العملية. العربية والترجمة، مج ٦، عدد ٢٢، ص ١٥٩ - ١٧٥.
- موساوي، فريدة. (٢٠١٩). مفهوم تحليل الخطاب عند زيليغ هاريس، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج ٨، عدد ٤، ص ٩٧ - ١١٢.
- الموسى، نهاد. (١٩٨٦). الأعراف وأنحو اللسانيات الاجتماعية في العربية. في كتاب أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات (ص ١٤٥ - ١٧٦). منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس.
- موان، جورج. (١٩٨٢). علم اللغة في القرن العشرين. ترجمة د. نجيب غزاوي. وزارة التعليم العالي، دمشق، الجمهورية العربية السورية.
- المياحي، أسعد عباس كاظم. (٢٠١٧). الازدواجية اللغوية: معالجة لسانية (ط١). الشركة العربية المتحدة للتسويق. القاهرة، مصر.
- ناصر، نادية لطفي. (٢٠١٨). التداولية: المصطلح وقضايا المنهج، والتداولية العربية، حازم القرطاجني أنموذجا. مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، فرع الخرطوم، السودان، المجلد ١٨، العدد ١٨، ص ٤٧ - ٨٢.
- النصراوي، الحبيب. (٢٠١٤). العربية الحديثة في تونس. مركز النشر الجامعي، تونس.
- هولت، فرانسيس. وديفيد كاسيل جونسون. (٢٠١٨). طرائق البحث في السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي: دليل عملي (ط١). ترجمة د. محمود المحمود. دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- وافي، علي عبد الواحد. (١٩٤٠). علم اللغة (ط٩). دارنهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- الوعر، مازن. (١٩٨٩). دراسات لسانية تطبيقية (ط١). دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا.

- براون، جيليان. ويول، جورج. (١٩٩٧). تحليل الخطاب. ترجمة محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، مطبوعات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- يونس، أمين. (١٩٨٣). اللغة الأجنبية تعليمها ودورها الحالي. مجلة رسالة الخليج العربي: مجلة تربوية، ثقافية، فصلية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد ٦، ص ٣٩ - ٥٦.

المراجع الأجنبية

- Abbassi, A.(1977). A sociolinguistic analysis of multilingualism in Morocco. Unpublished doctoral dissertation, the University of Texas.
- Abd - El - Jawad, H. (1981). Phonological and social variation in Arabic in Amman. Unpublished doctoral dissertation. University of Pennsylvania.
- Abdel Jawad, Hassan. (1987). Cross - dialectal variation in Arabic: competing prestigious forms. Language in Society 10, pp. 359 – 67.
- Abdel. jawad, Hassan. & Abu Radwan, Adel.(2013). Sociolinguistic variation in Arabic: A new theoretical approach. Dialectologia, No 11, pp.1 - 28
- Abu Ain, Noora.(2016). A Sociolinguistic Study in Saham, Northern Jordan. Unpublished doctoral thesis, University of Essex, UK.
- Abu - Haidar, F. (1989). Are Iraqi women more prestige conscious than men? Sex differentiation in Baghdadi Arabic. Language in Society, Vol 18 No (4), pp. 471 - 481.
- Abu - Melhim, Abdel - Rahman. (2012). The Phenomenon of Arabic - English Code - Switching on Television Programs. European Journal of Social Sciences, Vol. 35 No 4, pp.452 - 457.
- Abushihab, Ibrahim. (2015). Dialect and Cultural Contact, Shift and Maintenance among the Jordanians Living in Irbid City: A Sociolinguistic Study. Advances in Language and Literary Studies, Australian International Academic Centre, Australia. Vol. 6 No.4. pp.84 - 91.
- Amara, M. (2003). Recent Foreign Language Education Policies in Palestin, Language problems and language Planning, Vol 27 No (3), pp. 217 - 232.
- Al Alaslal, Saeed. (2018). A Sociolinguistic Study of Code Choice among Saudis on Twitter. Unpublished doctoral dissertation, The University of Michigan.
- Al Hayek, Reema. (2016). Arabic – English Code - Mixing by Jordanian University Students. Unpublished doctoral thesis, Western Sydney University, Australia.
- Al - Ali, Mohammed. &Arafa, Heba. (2010). An experimental Sociolinguistic study of language variation in Jordanian Arabic. The Buckingham Journal of Language and Linguistics, Volume 3, pp 220 - 243.

- Al - Azraqi, Munira. (2010). Pidginisation In the Eastern Region of Saudi Arabia: Media Presentation. In R. Bassiouney, (ed.) Arabic and the Media Linguistic Analyses and Applications (pp.159 - 174). Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.
- Al - Essa, A. (2009). When Najd meets Hijāz: dialect contact in Jeddah. In E. Al - Wer & R. de Jong (Eds.), Arabic dialectology: In honour of Clives Hole on the occasion of his sixtieth birthday (pp. 203 - 222). Leiden - Boston: Brill.
- Al - Haq, Fawwaz Al - Abed. (1998). Language attitude and the promotion of Standard Arabic and Arabization. al - Arabiyya, No. 31, pp. 21 – 37.
- Al - Harahsheh, Ahmad. (2014). Language and Gender Differences in Jordanian Spoken Arabic: A Sociolinguistics Perspective. Theory and Practice in Language Studies, Vol. 4, No. 5, pp. 872 - 882.
- Al - Hourani, Alaa. (2016). The use of code switching between Arabic and English languages among bilingual Jordanian speakers in Malaysia. Unpublished doctoral thesis, Universiti Sains Islam Malaysia, Nilai.
- Al - Kahtany, A. H. (1997). The 'Problem' of Diglossia in the Arab World: An Attitudinal Study of Modern Standard Arabic and the Arabic Dialects. Al - Arabiyya, No. 30, pp.1 - 30
- Al - Mamari, H. (2011). Arabic Diglossia and Arabic as a foreign Language: The Perception of Students in World Learning. Oman Center. Unpublished master dissertation. /Capstone Collection. Paper 2437.
- Al - Mubarak, Ghalia. (2016). An investigation of sociolinguistic variation in alal - 'Aḥsā' Arabic. Unpublished doctoral Thesis. SOAS, University of London, UK.
- Al - Qahtani, Khairiah. (2015). A sociolinguistic study of the Tihami Qahtani dialect in Asir, Southern Arabia. Unpublished doctoral thesis, University of Essex, UK.
- Al - Rojaie, Y. (2013). Regional dialect leveling in Najdī Arabic: The case of the deaffrication of [k] in the Qasimi dialect. Language Variation and Change, Vol 25 No (1), pp.43 - 63.
- Al - Wer, Enam. (1991). Phonological variation in the speech of women from three urban areas in Jordan. Unpublished doctoral dissertation, University of Essex, UK.
- Al - Wer, Enam. (2009). Variation, in K. Versteegh, M. (Eds.), Encyclopedia of Arabic language and linguistic (pp.627 - 637). Leiden: Brill.

- Al - Wer, Enam. (2002). Education as a speaker variabl. In A. Rouchdy (ed.) Language Contact and Language Conflict Phenomena in Arabic (pp. 41 – 53.). New York: Routledge Curzon.
- Al - Wer, Enam. (2007). The formation of the dialect of Amman: from chaos to order. In C. Miller et al. (eds) Arabic in the City: Issues in Dialect Contact and Language Variation (pp. 55 – 76). London: Routledge.
- Alabdali, Hessianah. (2017). Attitudes Toward the Saudi Southern Dialect: A Sociolinguistic Investigation. Humanity & Social Sciences Journal, Vol 12 No (2), pp. 45 - 52.
- Albalawi, Hend. (2015). Changes in the Balawiy Bedouin Arabic dialect of Saudi Arabia ,1985 - 2015. Unpublished master dissertation, The University of Adelaide.
- Albirini, A. (2011). The sociolinguistic functions of codeswitching between standard Arabic and dialectal Arabic. Language in Society, Vol 40 No (5), pp. 537 - 562.
- Albirini, A. (2016). Modern Arabic sociolinguistics: Diglossia, variation, code switching, attitudes and identity. London & New York: Routledge.
- Alghamdi, Najla. (2014). A sociolinguistic study of dialect contact in Arabia: Ghamdi immigrants in Mecca. Unbuplished doctoral thesis, University of Essex, UK.
- Almahmoud, Mahmoud. (2013). Investigating Status Planning through Studying Language Attitudes. DOI: 10.7763/IPEDR. V68. 11.
- Almhairat, Abdullah. (2015). Code - switching from the Jordanian Bedouin Dialect to the Jordanian Urban Dialect, in Amman: A Sociolinguistic Study. Unpublished master dissertation, Middle East University.Umman, Jourdan.
- Alrabab'ah, Sharif. (2018). Rural and urban dialects in contact in Jordan: the case of [tʃ] de - affrication in the rural dialect of Irbid suburbs. Unbuplished master dissertation, University of Canterbury, UK.
- Amara, Muhammad. (2005). Language, migration and urbanization: The case of Bethlehem, Linguistics, Vol 43. No (5), pp. 883 - 901.
- Amara, Muhammad. (2018). Challenges of Arabic language education policies in the Arab World. In E. Benmamoun and R. Bassiouney, (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics (pp. 546 - 559). New York: Routledge.
- Appel, R. & Muysken, P. (1987). Language contact and bilingualism. New York: Edward Arnold.

- Atkinson, MJ. and Heritage, J. (1984). Structures of Social Action: Studies in Conversational Analysis (eds). Cambridge: Cambridge University Press.
- Atkinson, P.& Coffey, A. Delamont, S. Lofland, J. and Lofland, L. (2001). Handbook of Ethnography. London: Sage.
- Backhaus, P. (2007). Linguistic Landscapes: A Comparative Study of Urban Multilingualism in Tokyo. Clevedon: Multilingual Matters.
- Bassiouney, Reem. (2006). Functions of code - switching in Egypt. Leiden: Brill.
- Bassiouney, Reem. (2012). Women and Politeness on Egyptian Talk Shows. In R. Bassiouney, & E. Graham Katz, (eds.) Arabic Language and Linguistics (pp.129 - 135). Georgetown University press Washington, DC.
- Bassiouney, Reem. (2009). Arabic Sociolinguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press. UK.
- Bassiouney, Reem. (2010). Identity and Code - Choice in the Speech of Educated Women and Men in Egypt: Evidence from Talk Shows. In R. Bassiouney, (ed.) Arabic and the Media Linguistic Analyses and Applications (pp.97 - 121). Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands.
- Bassiouney, Reem. (2014). Language and Identity in Modern Egypt. Edinburgh University Press Ltd.
- Bassiouney, Reem. (2018). An alternative approach: understanding diglossia/ code switching through indexicality: the case of Egypt. In E. Benmamoun and R. Bassiouney, (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics (pp.345 - 358). New York: Routledge.
- Bauman, R. (2004). A World of Others' Words: CrossCultural Perspectives on Intertextuality. Oxford: Blackwell. UK.
- Behnstedt, P. (2006). Dialect geography. In K. Versteegh, et al (Eds.), Encyclopedia of Arabic language and linguistics. (pp. 583 – 593). A - ED. Leiden: Brill.
- Behnstedt, P., & Woidich, M. (2013). Dialectology. In J. Owens (ed.), The Oxford handbook of Arabic linguistics (pp. 300 – 325). Oxford: Oxford University Press. UK.
- Ben Nafa, Hanan. (2013). Code - Switching Among Arabic - English Adult Bilinguals in the UK: Syntactic Structures, and Pragmatic Functions. Unpublished master dissertation, The University of Manchester. UK.

- Benguedda, Amina. (2015). Consequences of language contact: Case of social factors that affect code switching. Publié dans Bulletin VALS - ASLA, n° spécial, tome 3, pp. 13 - 29.
- Benrabah, Mohamed. (2007). Language in education planning in Algeria: historical development and current issues. Language Policy, No 6, pp.225 – 252.
- Bentahila, A. (1983). Motivations for code - switching among Arabic - French bilinguals in Morocco. Language and Communication, 3 No (3), pp. 233 - 243.
- Bernstein, Basil. (1971). Class, codes and control. Routledge and K. Paul, London, UK.
- Bidaoui, Abdelaadim. (2017). Revisiting the Arabic Diglossic Situation and Highlighting the Socio - Cultural Factors Shaping Language Use in Light of Auer's (2005) Model. International Journal of Society, Culture & Language, Vol 5 No (2), pp.60 - 72.
- Bizri, Fida. (2018). Contemporary Arabic - based pidgins in the Middle East. In E. Benmamoun, and R. Bassiouney, (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics (pp 421 - 436). Routledge: New York.
- Blanc, H. (1960). Stylistic [style] variations in spoken Arabic: a sample of inter dialectal educated conversation. In C. Ferguson (ed.) Contributions to Arabic Linguistics (pp. 81 – 161). Cambridge, MA: Center for Middle Eastern Studies. Harvard University Press.
- Blom, J.P. & Gumperz, J.J. (1972). Social meaning in linguistic structure: code - switching in Norway. In J.J. Gumperz & D. Hymes (Eds.). Directions in sociolinguistics: The ethnography of communication (pp.407 - 434). New York: Holt, Reinehart and Winston.
- Blommaert, Jan. & Jef, Verschueren. (1998). Debating diversity: Analysing the discourse of tolerance. Routledge: London.
- Blommaert, J. (2010). The Sociolinguistics of Globalization. Cambridge: Cambridge University Press, UK.
- Boukous, Ahmed. (2001). Language Policy, Identity and Education in Morocco. Languages and Linguistics, No 8, 17 - 27.
- Bourhis, R.Y. (1982). Language policies and language attitudes. In Bouchard Ryan and H. Gilles (Eds) Attitudes Towards Language Variation: Social and Applied Contexts (pp. 160 - 163). London: Edward Arnold.

- Brown, D. (2001). Using surveys in language programs., Cambridge university Press, Cambridge, UK.
- Bucholtz, M. and Hall, K. (2008). All of the above: new coalitions in sociocultural linguistics. Journal of Sociolinguistics, Vol 12 No (4): 401 – 431.
- Cameron, D. (2011). Gender and language research methodologies. Applied Linguistics, N0 32 (2), 242 - 244.
- Chambers, Jack K. (2009). Sociolinguistic Theory: Linguistic Variation and its Social Significance. Malden, MA: Wiley - Blackwell.
- Chambers, Jack. K. (2013). Studying language variation: An informal epistemology (2nd ed.). In J. K. Chambers & N. Schilling - Estes (Eds.), The handbook of language variation and change (pp. 1 – 15). Oxford: Blackwell.
- Chambers, Jack K.& Trudgill, Peter. (1998). Dialectology. Cambridge: University of Cambridge Press.
- Chomsky, N. (1965). Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge: Cambridge University Press.
- Cooper, Robert. (1989). Language Planning and Social Change. Cambridge: Cambridge University Press.
- Cooper, Robert. And Fishman, Joshua. (1974). The study of language attitudes. International Journal of the Sociology of Language, No 3: 5 - 19.
- Coulmas, F. (2005). Sociolinguistics: The Study of Speaker's Choice. Cambridge: Cambridge University Press.
- Coulmas, F. (1992). Language and Economy. Oxford: Blackwell, UK.
- Coulthard, J. (2010). The Routledge Handbook of Forensic Linguistics. London: Routledge.
- Coupland, N. (2003). Introduction: Sociolinguistics and globalization. Journal of Sociolinguistics Vol 7 No(4): 465 - 472.
- Coupland, N. and Jaworski, A. (2009). The New Sociolinguistics Reader (eds). London: Macmillan.
- Coupland, N. and Adam, Jaworski. (1992). Sociolinguistics: a reader and course book (eds.). London: Macmillan Press.

- Crystal, D. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Six edition, Blackwell Publishry.
- Daher, J. (1999). (θ) and () as ternary and binary variables in Damascene Arabic. In E. Benmamoun (Ed.). Perspectives on Arabic linguistics (pp. 163 – 202.). Papers from the twelfth annual symposium on Arabic linguistics. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Dashti, Abdulmohsen. (2017). A consonant shift in Kuwait: Challenging the Bedouin vs sedentary hypothesis? the case of [tʃ]. International Journal of English Language and Linguistics Research, Vol.5, No.4, pp. 18 - 29.
- Dichy, Joseph. (1994). La Pluriglossie de l'Arabe. In Pierre Larcher (ed.), Langue et littérature arabes. BEO 46. pp.19 - 32.
- Eades, D. (2010). Sociolinguistics and the Legal Process. Clevedon: Multilingual Matters.
- Eckert, Penelope. & Rickford, John R. (2002). Style and Sociolinguistic Variation(eds). Cambridge: Cambridge University.
- Eckert, Penelope. (2000). Linguistic variation as social practice. Oxford: Blackwell.
- Eckert, Penelope. (2006). Communities of Practice. In Versteegh, K et al. (eds), Encyclopaedia of Arabic Language and Linguistics (pp. 683 – 685). Volume 1: A - ED. Leiden: Brill.
- Eckert, Penelope. (2012). Three waves of variation study: The emergence of meaning in the study of variation. Annual Review of Anthropology, No. 41, pp.87 - 100.
- Edwards, J. (1985). Language, Society and Identity. Oxford: Blackwell.
- El Salman, Mahmoud. (2016). The Use of the [ts] Variant in the Arabic Bedouin Dialects. International Journal of English Linguistics, Vol. 6, No. 1; pp.118 - 127.
- Ennaji, M. (1988). Language planning in Morocco and changes in Arabic. International Journal of the Sociology of Language. New York: Mouton de Gruyter. No. 74: 9 - 39.
- Ennaji, M. (2002). Language Contact, Arabization Policy and Education in Morocco. In Rouchdy Aleya (Ed), Language Contact and Language Conflict in Arabic Variations on a Sociolinguistic Theme, (pp.3 - 9), London: Curzon.

- Ennaji, M. (2005). Multilingualism, Cultural Identity, and Education in Morocco. New York: Springer,
- Fairclough, N. (1995). Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language. London: Longman.
- Fairclough, N. (2001). Language and Power. 2nd edtn. London: Longman.
- Fairclough, N. (2006). Language and Globalization. London: Routledge.
- Fasold, Ralph. (1990). Sociolinguistics of Language. Blackwell Publishers.
- Fasold, Ralph. & Connor - Linton, Jeff. (2006). An Introduction to Language and Linguistics. Cambridge: Cambridge University Press.
- Ferguson, Charles. (1959). Diglossia. Word, No. 15, pp. 325 – 340.
- Ferguson, Charles. (1991). Diglossia revisited. South West Journal of Linguistics, No. 10, pp. 214 - 234.
- Figueroa, E. (1994). Sociolinguistics Metatheory. Oxford: Pergamon Press.
- Fishman, JA. (1968). Readings in the Sociology of Language. The Hague: Mouton.
- Fishman, JA. (1968). Bilingualism with and without diglossia; diglossia with and without bilingualism. Journal of Social Issues, No. 23, pp. 29 – 38.
- Fishman, J A. (1989). Language and Ethnic Identity: Before and after the “Ethnic Revival”. Comparative Disciplinary and Regional Perspectives. (ed.). New York: Oxford University Press.
- Fishman, JA. (2001). Handbook of Language and Ethnicity. New York: Oxford University Press.
- Fishman, JA. (1997). The Sociology of Language. In Coupland, N. and Jaworski, A. (eds). Sociolinguistics: A Reader and Coursebook (pp. 25 - 30). London: Palgrane.
- Garrett, P. (2010). Attitudes to language. Cambridge: Cambridge University.
- Giglioli, PP. (1972). Language and Social Context (ed.). Harmondsworth: Penguin.
- Gomaa, Yasser. (2015). Saudi Youth Slang Innovations: A Sociolinguistic Approach. International Journal of Linguistics and Communication, Vol. 3, No. 2, pp. 98 - 112.

- Gorter, D. (2006) Linguistic Landscape: A New Approach to Multilingualism (ed.). Clevedon: Multilingual Matters.
- Gravel, L. (1979). A Sociolinguistic Investigation of Multilingualism in Morocco. Unpublished doctoral thesis, Columbia University, USA.
- Grosjean, F. (1982). Life with two languages: An introduction to bilingualism. Cambridge, MA. Harvard University Press.
- Gumperz, John. (1982) Discourse Strategies. Cambridge: Cambridge University Press.
- Gumperz, John. and Cook - Gumperz, J. (2008) Studying language culture and society: Sociolinguistics or linguistic anthropology. Journal of Sociolinguistics. Vol.12 No.4, pp. 532 – 545.
- Gumperz, John. and Hymes, D. (1972) Directions in Sociolinguistics: The Ethnography of Communication (eds). New York: Holt, Rinehart and Winston.
- Gumperz, John. (1971). Language in Social Groups. Stanford: Stanford University Press.
- Gumperz, John. (1982). Discourse strategies. Cambridge: Cambridge University Press.
- Gumperz, John. (1958). Dialect Differences and Social Stratification in a North Indian Village. American Anthropologist. New Series. Vol.60. No.4, pp. 668 – 682.
- Goffman, Erving. (1959). The Presentation of the Self in Everyday Life. New York: Anchor Book.
- Kedar, M. (1999). Arabness in the Syrian Media: Political Messages Conveyed by Linguistic Means. International Journal of the Sociology of Language, Vol. 137, pp.141 - 146.
- Hachimi, A. (2007). Becoming Casablancon: Fessi in Casablanca as a case study. In. C. Miller et al. (eds), Arabic in the City: Issues in Dialect Contact and Language Variation (pp. 97 – 122). London: Routledge.
- Haeri, N. (1991). Sociolinguistic variation in Cairene Arabic: Palatalization and the qaf in the speech of men and women. (Unpublished doctoral dissertation). University of Pennsylvania.
- Haeri, N. (1995). Language and gender in the Arab world: analysis, explanation, and ideology. Nimeye Digar (The Other Half), Special Issue on Language and Gender, No.2, pp.25 – 45.

- Haeri, N. (1996). The sociolinguistic market of Cairo: Gender, class, and education. London: Kegan Paul International.
- Haeri, N. (2000). Form and ideology: Arabic sociolinguistics and beyond. Annual Review of Anthropology, No. 29, pp.61 - 87.
- Halliday, M.A.K. (1978). Language as a Social Semiotic. London: Edward Arnold.
- Halliday, M.A.K. (1985). Introduction to Functional Grammar. London: Edward Arnold.
- Hammoud, M.S.D. (1982). Arabicization in Morocco: A case study in language planning and language policy attitudes. (Unpublished doctoral dissertation), University of Texas, Austin.
- Harris, T. and Hodges, R. (1981). A Dictionary of Reading and Related Terms (eds). International Reading Association, Newark, DE.
- Haugen, E. (1966). Language Conflict and Language Planning: The Case of Modern Norwegian. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Heath, J. (1989). From Code - Switching to borrowing: A case of Moroccan Arabic. London: Routledge& Kegan Paul.
- Heller, M. (2010). The Commodification of Language. Annual Review Anthropology, No. 39, pp. 101 – 14.
- Herbolich, James. (1979). Attitudes of Egyptians toward various Arabic vernaculars. Lingua, No.47, pp.301 – 321.
- Holes, Clive. (1987). Language variation and change in a modernising Arab state: the case of Bahrain. London: Kegan Paul International.
- Holes, Clive. (1995). Community, dialect, and urbanization in the Arabic - speaking Middle East. Bulletin of the School of Oriental and African Studies. University of London 58edtn, pp. 270 - 287.
- Holes, Clive. (1995). Modern Arabic, Structures, Functions and Varieties, London: Longman.
- Holmes, J. (2013). An Introduction to Sociolinguistics, fourth edition. Routledge, Taylor & Francis, London & New York.

- Hudson, R. (1996). Sociolinguistics, 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hudson, R. (1980). Sociolinguistics. Cambridge University Press.
- Hussein, Riyad F. and Nasser El - Ali. (1989). Subjective reactions of rural university students to ward different varieties of Arabic. Al - Arabiyya, No.22, pp.37 – 54.
- Hymes, D. (1974). Foundations in Sociolinguistics. An Ethnographic Approach. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Hymes, D. (2000). The emergence of sociolinguistics: A response to Samarin. Journal of Sociolinguistics Vol.4, No.2, pp. 312 – 315.
- Hymes, D. (1964). Language in Culture and Society: A Rider in Linguistics and Anthropology (ed.). New York: Harper and Row.
- Ibrahim, H. (1986). Standard and prestige language: A problem in Arabic sociolinguistics. Anthropological Linguistics, Vol.28, No.1, pp. 115 - 126.
- Ibrahim, Zeinab. (2000). Myths about Arabic revisited. Al - Arabiyya, No.33, pp.13 – 28.
- Ingham, Bruce. (1982). Northeast Arabian dialect studies. London: Kegan Paul International.
- Irvine, Judith. 1989. When talk isn't cheap: Language and political economy. American Ethnologist 16.248 – 267.
- Jaffe, Alexandra (2007). "Discourses of endangerment: Contexts and consequences of essentializing discourses." In Discourses of Endangerment: Ideology and Interest in the Defence of Languages, eds. Alexandre Duchêne and Monica Heller, pp. 57 - 75. London: Continuum.
- Jakobson, R. (1960). Linguistics and Poetics. In. T, Sebeok. (ed.), Style in Language (pp. 350 - 377. Cambridge, MA: M.I.T. Press.
- Jamaï, Abdeslam. (2008). Language use and maintenance among the Moroccan minority in Britain. (Unpublished doctoral thesis), University of Salford. UK.
- Jaworski, A. and Coupland, N. (2006). The Discourse Reader, 2nd edn. London: Routledge.
- Kahane, Henry. (1986). A Typology of the Prestige Language. Language. Vol.62 No .3, pp. 495 – 508.

- Kherbache, Fatma. (2017). A sociolinguistic study of dialect contacts and accommodation in Beni Snous. (Unpublished Doctoral thesis), University of Abou belkaid - Tlemcen, Algeria.
- Kloss, Heinz. (1966). Types of Multilingual Communities: A Discussion of Ten Variables. Sociological Inquiry. Vol.36 No.2, pp. 135 – 145.
- Kroch, Anthony. (1978). Toward a Theory of Social Dialect Variation. Language in Society. Vol.7 No.1, pp. 17 – 36.
- Kroskrity, Paul V. (2004). Language ideologies. In. Alessandro, Durant. (ed), A companion to linguistic anthropology (pp.496 – 517), Malden, Mass.: Blackwell.
- Labov, William. (1966). The Social Stratification of English in New York City. Washington, DC: Center for Applied Linguistics.
- Labov, William. (1972). Sociolinguistics Patterns. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Labov, William. (2001). Principle of Linguistic Change: Social Factors. Malden, MA: Blackwell.
- Labov, William. (1963). The Social Motivation of a Sound Change. Word, Leiden: Brill, No.19, pp. 273 - 309.
- Lambert, W.E. (1967). A social psychology of bilingualism. Journal of Social Issues. No. 23, pp. 91 – 109.
- Lambert, Wallace E., Moshe Anisfeld, and Grace Yeni - Komshian. (1965). Evaluation reactions of Jewish and Arab adolescents to dialect and language variations. Journal of Personality and Social Psychology. No. 2, pp. 84 – 90.
- Lambert, Wallace E., R.C. Hodgson, R.C. Gardener, and S. Fillenbaum. (1960). Evaluational reactions to spoken languages. Journal of Abnormal and Social Psychology, Vol.60 No.1, pp.44 – 51.
- Landry, R. and Bourhis, R. (1997) Linguistic landscape and ethnolinguistic vitality: An Empirical study. Journal of Language and Social Psychology, Sage Publications, Inc.Vol.16 No.1, pp. 23 – 49.
- Leith, Dick. (1997). A Social History of English. London: Routledge.
- LeVine, P. and Scollon, R. (2004). Discourse and Technology: Multimodal Discourse Analysis (eds). Washington, DC: Georgetown University Press.

- Lippi - Green, Rosina. (1997). English with an accent: Language, ideology, and discrimination in the United States. London: Routledge.
- Lippi - Green, Rosina. (2012). English with an Accent: Language, Ideology and Discrimination in the United States. 2nd edtn. New York: Routledge.
- Marley, Dawn. (2004). Official and unofficial attitudes towards 'own' and 'other' languages in Morocco. Trans Internet - Zeitschrift für Kulturwissenschaften. No. 4, pp.09 - 27.
- Mathiot, M. and P, L Garvin. (1975). Functions of Language: A Sociocultural View. Anthro - pological Quarterly. No.48, pp. 148 – 56.
- Matras, Y. (2009). Language Contact. Cambridge: Cambridge University Press.
- Maynard, D.& perakyla, A. (2003). Language and Social Interaction. In. J. Delamater. (Ed). Handbook of Social Psychology (pp.2330258). Kluwer - Plenum.
- McDavid, Raven. (1946). Dialect Geography and Social Science Problems. Social Forces. Vol.25 No.2, pp. 168 – 172.
- Meiseles, G. (1980). Educated spoken Arabic and the Arabic language continuum. Archivum Linguisticum, Vol.11No.2, pp.117 - 148.
- Mejdell, Gunvor. (2006). Mixed styles in spoken Arabic in Egypt: Somewhere between order and chaos. Leiden: Brill.
- Mejdell, Gunvor. (2000). Aspects of formal spoken Arabic in Egypt. A view from the North. Al - logha/Langue/Language. Vol.1No.2, pp. 7 - 22
- Mejdell, Gunvor. (2003). Fergie's prescience: the changing nature of diglossia in Tunisia. International Journal of the Sociology of Language, No.163, pp. 77 – 110.
- Mejdell, Gunvor. (2011 – 2012). Diglossia, code - switching, style variation, and congruence. Al - 'Arabiyya, pp. 44 – 45, pp. 29 – 39.
- Mejdell, Gunvor. (2018). Diglossia. In. E. Benmamoun and R. Bassiouney, (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics (pp. 332 - 344). New York: Routledge.
- Messaoudi, L. (2003). Etudes sociolinguistiques, Kenitra : Faculté des Lettres et Sciences Humaines.
- Mesthrie, R., Swann, J., Deumert, A. and Leap, W. (2009). Introducing Sociolinguistics. Edinburgh: Edinburgh University Press.

- Meyerhoff, M. and Niedzielski, N. (2003). The Globalisation of Vernacular Variation. *Journal of Sociolinguistics* Vol.7 No.4, pp. 534 – 555.
- Miller, Catherine. (2003). Linguistic Policies and the issue of ethno - linguistic minorities in the Middle East. In Usuki, A. & H. Kato (eds). *Islam in the Middle Eastern Studies: Muslims and Minorities* (pp.149 - 174). JCAS, Symposium Series 7, Osaka, Japan.
- Miller, Catherine. (2004). Variation and Changes in Arabic Urban Vernaculars. In M. Haak, K. Versteegh R. Dejong (eds). *Approaches to Arabic Dialects: Collection of Articles presented to Manfred Woidich on the Occasion of his Sixtieth Birthday* (pp.177 - 206), Amsterdam: Brill.
- Miller, Catherine. (2007). Arabic urban vernaculars: Development and Changes. In. Miller, C. Al - Wer, E. Caubet, D. Watson, J. (Eds) *Arabic in the City. Issues in Dialect contact and language variation* (pp.1 - 30), Routledge /Taylor.
- Milroy, J. (2001). Language Ideologies and the Consequences of Standardization. *Journal of Sociolinguistics* Vol.5 No.4, pp. 530 – 55.
- Milroy, Lesley. and Margrain, S. (1980). Vernacular language loyalty and social network. *Language in Society*, Vol.9 No.1, pp. 43 70.
- Milroy, Lesley. (1987). *Language and social networks*. Oxford: Blackwell.
- Mitchell, T. (1986). What is Educated Spoken Arabic? *International Journal of the Sociology of Language*. No. 61, pp. 7 – 32.
- Mostari, Hind. (2011). A New Sociolinguistic Insight into Language Contact Phenomena: Evidence from Arabic/French Languages Pair. *Language, Discourse&Society*, Vo 1, No 1, 126 - 139.
- Mouhssine, Ouafae. (1995). Ambivalence du discours sur l'arabisation. *International Journal of the Sociology of Language*. New York: Mouton de Gruyter. No.112, pp. 45 - 62.
- Moustauoui, Adil. (2018). Language policy and planning in Morocco: a critical approach. In E. Benmamoun and R. Bassiouney, (eds). *The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics* (pp. 531 - 545). New York: Routledge.
- Myers - Scotton, C. (1993). Social motivations for code switching: Evidence from Africa. Oxford: Oxford University Press.

- Myers - Scotton, C. (2010). Patterns and predictions for code - switching with Arabic. In Bassiouney, R. (ed.) Arabic and the Media: Linguistic Analyses and Applications (pp. 81 - 96). Leiden, the Netherlands: Brill.
- O'Grady, William, Archibald, John; Aronoff, Mark; Rees - Miller, Janie. (2001). Contemporary Linguistics. Boston: Bedford St. Martin's.
- Obiols, M. S. (2002). The Matched Guise Technique: A Critical Approximation to a Classic Test for Formal Measurement of Language Attitudes. Noves SL. Revista de Sociolinguística.Vol.1, pp. 1 - 6.
- Owens, Jonathan. (2001). Arabic sociolinguistics. Arabica. No.48, pp. 419 – 469.
- Palva, H. (2006). Dialects: Classification. In Versteegh, K et al. (eds), Encyclopaedia of Arabic Language and Linguistics (pp. 604 – 613). A - ED. Leiden: Brill. Volume 1.
- Paoletti, Isabella. (2011). Sociolinguistics, Sociopedia.isa, DOI: 10.1177205684601113/.
- Parkinson, D. (1991). Searching for modern fusha: Real life formal Arabic. Al - 'Arabiyya, No.24, pp. 31 – 64.
- Preston, Dennis R.)1993(The uses of folk linguistics. International Journal of Applied Linguistics Vol.3, No.2. pp.181 - 259.
- Preston, Dennis. (1988). Methods in the study of dialect perceptions. In A. Thomas (ed.), Methods in dialectology (pp.373 – 395). Clevedon, Avon and Philadelphia: Multilingual Matters.
- Qadan, A. & Shehab, E. (2016). Choice of Phonetic Variables, /K / and [č], in Al - Jaroushia Speech Community, Palestine: A Socio - Phonological Perspective. Arab World English Journal (AWEJ), Volume 7, Number 4, pp. 96 - 116.
- Redouane, Rabia. (2016). Linguistic Diversity or Linguistic Rivalry in Morocco? Realities and Perspectives. International Journal of Education and Human Developments, Vol 2, No.1, pp.18 - 24.
- Romaine, S. (2000). Language in Society: An Introduction to Sociolinguistics, 2nd edtn. Oxford: Oxford University Press.
- Romaine, S. (1995). Bilingualism. 2nd edt. Oxford, UK: Blackwell.
- Sacks, H. (1984). Notes on methodology. In Atkinson, MJ. and Heritage, J. (eds)

Structures of Social Action: Studies in Conversational Analysis (pp. 21 – 27).
Cambridge: Cambridge University Press.

- Saeed, A. (1997). The pragmatics of codeswitching fusha Arabic to aammiyyah Arabic in religious oriented discourse. (Unpublished doctoral dissertation), Ball State University.
- Sankoff, G. (1980). A quantitative paradigm for the study of communicative competence. In Sankoff, G. (ed). The social life of language (pp, 47 - 79). Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Saville - Troike. (2003), The Ethnography of Communication. Oxford: Blackwell.
- Sawaie, Mohammed. (1994). Linguistic variation and speakers' attitudes: A sociolinguistic study of some Arabic dialects. Damascus: Al - Jaffan and Al - Jabi Publishers.
- Scholz, Barbara, C., Francis Jeffry Pelletier, and Geoffrey K. Pullum, 2021. Philosophy of Linguistics. In Edward N. Zalta. (ed), The Stanford Encyclopedia of Philosophy, (Fall 2021 Edition), URL <https://plato.stanford.edu/archives/fall2021/entries/linguistics>.
- Schulthies, Becky. (2018). Linguistic anthropology approaches to Arabic. In Benmamoun, E. and Bassiouney, R. (eds). The Routledge Handbook of Arabic Linguistics (pp. 439 - 448). New York: Routledge.
- Shaaban, K. (2006). Language policies and language planning, In Versteegh, K. Eid, M. Elgibali, A. Woidich, M. and Zaborski, A. (Eds), Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics (pp,694 - 707). Leiden: Brill.
- Sharaf Eldin, Ahmad. (2014). Socio Linguistic Study of Code Switching of the Arabic Language Speakers on Social Networking. International Journal of English Linguistics; Vol. 4, No. 6, pp. 78 - 86.
- Silverstein, M. (1979). Language Structure and Linguistic Ideology. In Clyne, P. Hanks, and C. Hofbauer, W. (eds.), The Elements (pp. 193 – 248). Chicago Linguistic Society: Chicago.
- Squires, L. (2013). It doesn't go both ways: Limited bidirectionality in sociolinguistic perception. Journal of Sociolinguistics, No.17, pp, 200 - 237.
- Spolsky, B. (1994). The Situation of Arabic in Israel. In Suleiman, Y. (Ed), Arabic Sociolinguistics: Issues and Perspectives, (pp,227 - 234). Richmond: Curzon.

- Spolsky, B. (1998). Sociolinguistics. Oxford University Press.
- Suleiman, Yasir (2011). Arabic, Self and Identity: A Study in Conflict and Displacement. Oxford University Press.
- Surgo, Youssef. (2014). The Linguistic Rivalry Between the Symbolic and the Utilitarian: The Case of Arabic and French. Morocco. World News. <https://www.morocccoworldnews.com/2014123061/02//the - linguistic - rivalry - between - the - symbolic - and - the - utilitarian - the - case - of - arabic - and - french>.
- Stadlbauer, Susanne. (2010). Language Ideologies in the Arabic Diglossia of Egypt. Colorado Research in Linguistics. Vol. 22. Boulder: University of Colorado, pp,1 - 19.
- Stepkowska, Agnieszka. (2019). Swiss Multilingualism: A Historical Background to Language Policy. Studies in Logic, Grammar and Rheetoric, Vo.59 No.72, pp.69 - 84.
- Taqi, Hanan. (2010). Two ethnicities, three generations: phonological variation and change in Kuwait. Unpublished doctoral thesis, Newcastle University.
- Theodoropoulou, Irene. (2018). Social status, language, and society in the Arab World. In Benmamoun, E. and Bassiouney, R. (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics. (pp. 371 - 382). New York: Routledge.
- Thomas, G. (1991). Linguistic Purism. London and New York: Longman.
- Thwaite, Anne. (2019). Halliday's View of Child Language Learning: Has it been Misinterpreted? Australian Journal of Teacher Education, V.44, No.5, pp,41 - 56.
- Tollefson, J. W. (1993). Language policy and power: Yugoslavia, the Philippines, and Southeast Asian refugees in the United States. International Journal of the Sociology of Language, No.103, pp, 73 95.
- Tomastic, Karel. (2010). Language Policy in the Kingdom of Morocco: Arabic, Tamazight and French in Interaction. The Annual of Language & Politics and politics of Identity, IV, pp,101 - 116.
- Trudgill, Peter. (1972). Sex, Covert Prestige and Linguistic Change in the Urban British English of Norwich. Language in Society. Unpublished doctoral thesis, V.1. N.2. pp, 175 - 195.
- Trudgill, Peter. (1995). Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society. England: Penguin Books.

- Trudgill, Peter. (1983). On Dialect: Social and Geographical Perspectives. Oxford: Basil Blackwell.
- Turjoman, Mona. (2016). A New Phenomenon in Saudi Females' Code - switching: A Morphemic Analysis. Advances in Language and Literary Studies. Australian International Academic Centre, Australia, Vol. 7 No.6. pp,91 - 96.
- Versteegh, K. et al. (2006). Encyclopedia of Arabic language and linguistics. (Eds.), Leiden: Brill.
- Vicente, Ángeles. (2018). Patterns of variation and change in the Arab World. In Benmamoun, E. and Bassiouney, R. (eds). The Rutledge Handbook of Arabic Linguistics. (pp. 359 - 367). New York: Routledge.
- Wagner, S. E. & Sankoff, G. (2011). Age grading in the Montreal French inflected future. Language Variation and Change, V.23. N.3. pp.275 - .313.
- Walters, K. (1989). Social change, and linguistic variation in Korba, a small Tunisian town. Unpublished doctoral dissertation. University of Texas, Austin.
- Walters, K. (1996). Gender, identity, and the political economy of language: Anglophone wives in Tunisia. Language in Society, V.25. N.4. pp. 515 - 555.
- Walters, K. (2006). Language Attitudes. In Versteegh, K. et al. (eds), Encyclopaedia of Arabic Language and Linguistics. (pp. 650 – 664). A - ED. Leiden: Brill. Volume 1.
- Wardhaugh, R. (2010). An Introduction to Sociolinguistics. (ed), 6th edtn. Oxford: Wiley - Blackwell.
- Wardhaugh, R. (1992). An introduction to Sociolinguistics. Blackwell Publishers.
- Wardhaugh, R. and Fuller, J. (2015). An introduction to sociolinguistics. Seventh edition. Blackwell Publishing.
- Weinstein, B. (1983). The Civic Tongue: Political Consequences of Language Choices. New York: Longman.
- Williams, F. (1974). The identification of linguistic attitudes. International Journal of the Sociology of Language, N.3. pp, 21 32.
- Zouhir, Abderrahman. (2013). Language Situation and Conflict in Morocco. In Olanike, Ola Orie. and Karen, W. Sanders. (Eds.) Selected Proceedings of the 43rd Annual Conference on African Linguistics (pp. 271 - 277). Somerville, MA: Cascadilla Proceedings Project.

نبذة عن المؤلف

ناصر بن عبد الله بن غالي، أستاذ اللغويات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، يرأس حالياً تحرير مجلة اللسانيات العربية. عمل عميداً بجامعة الملك سعود، وعضواً بمجلسها العلمي، ومشرفاً على مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز لدراسات اللغة العربية بجامعة موسكو الحكومية، ومستشاراً بمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

تتركز اهتماماته البحثية على اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ويمثل هذا الموضوع مشروعاً بحثياً تدور جلّ أبحاثه ودراساته في فلكه، وقد بنى مشروعاً شاملاً ذا محاور متعددة، تتكامل مع بعضها في مناقشة اللغة في سياقها الاجتماعي، وكتب في جميع محاور هذا المشروع، ونشر كتباً نظرية مطبوعة، وكتباً مترجمة، وعدة دراسات نظرية منشورة في العديد من المجالات. تم تكريم كتابه اللغة العربية في المنظمات الدولية، بواسطة البنك الإسلامي للتنمية.



نبذة عن الكتاب

موضوع الكتاب في اللسانيات الاجتماعية، وهو مجال يهتم بالحياة الحقيقية للغة في السياق الاجتماعي، ويحاول التعامل مع ما يبدو ركاما غير متجانس من مظاهر التفاعل بين اللغة والمجتمع. وانطلاقاً من مجاله التخصصي فهو يركز اهتمامه على الظاهرة اللغوية في ارتباطها الاجتماعي، وعلى الموضوعات التي تدرس العلاقة بين الكيفيات التي تستخدم بها العربية والسياقات الاجتماعية المختلفة التي تؤثر في هذا الاستخدام. وتأتي أهمية الكتاب أيضاً من أنه إسهام في مجال لازالت إشكاليته الكبرى هو قلة دراساته، فاللسانيات الاجتماعية كانت هي الأقل حظاً من الاهتمام والدراسة مقارنة بفروع اللسانيات الأخرى النظرية والتطبيقية، لأسباب عديدة منها: قلة المتخصصين في هذا المجال المعرفي، وقلة البحث فيه في مجال اللسانيات الغربية مقارنة بنظيراته من فروع اللسانيات الأخرى.

هذه الطبعة

إهداء من المجمع

ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً



9 786039 197546

